المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

تأليف

العلامة أحمد بن محمد القسطلاني
(٨٥١ - ٩٢٣هـ)

الجزء الأول

تحقيق

صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ ـ هاتف: ٤٥٦٢٨٠(٠٥)
دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ ـ هاتف: ١١١٦٣٧
عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ ـ هاتف: ٤٦٥٦٦٠٥

المواهب اللدنية

بالمنح المحمدية

الجزء الأول



مُقدِّمَة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وَبَعْـد:

في تاريخ كل أمة عظماء، تدرس حياتهم أو جوانب العظمة فيها على أنها تراث للأمة، وفخر لها، وحافز يدفع أجيالها للتقدم والرقي. ومن هؤلاء تتكون المراكز المشعة في حياة الأمم.

وفي تاريخ الإنسانية عظماء، كانت عظمتهم مستمدة من وحي الله تعالى إليهم، فكان تاريخهم ملكا للإنسانية كلها، لأنهم مصادر الإشعاع فيها على امتداد أيامها... فكان من تعاليمهم تحرير «الإنسان» من كل العبوديات سوى عبوديته لله تعالى. وكان منها تنمية خصال الخير فيه، ومكافحة ميول الشر والهوى.

وعلى رأس هؤلاء وأولئك، صاحب هذه السيرة، سيدنا محمد ﷺ، الذي اختاره الله تعالى ليكون إمام الأنبياء وخاتمهم، وليكون نموذجا للإنسان، عبداً لله، اجتمعت فيه معاني الإنسانية وصفات الكمال، فكان بحق سيد ولد آدم، إليه ترجع المكارم فهو ميزانها القسط، وإليه تنتهي الأخلاق فهو تمامها.

وقد بقيت سِيَرُ الفريق الأول محدودة، كل عظيم ضمن أمته، كما لم ينقل منها إلا جانبها المشرق الذي ظهر فيه نبوغه، وبقيت الجوانب الأخرى في ظلام فلم تر النور، إما لأنها لا تستحق أن ترى هذا النور لشذوذها أو انحرافها. وإما لضحالتها فلا تستحق الذكر.

وأما الفريق الثاني - فريق الأنبياء والرسل - فقد ضاع القسم الأكبر من معظم سيرهم. وإذا استثنينا ما سجله القرآن عنهم، فخلدهم به، فإنه لم يبق بين الأيدي مما تصح نسبته إليهم إلا اليسير اليسير الذي لا يعطي الصورة التفصيلية الواضحة - إن لم نقل الكاملة - لحياتهم، هذا مع غض النظر عما نسب إلى بعضهم مما لا ينبغي ذكره، إذ نزههم الله عنه.

وإذا كان هذا وضع سير الأفذاذ كلهم، فان سيرة واحدة نقلت إلينا كاملة، في كلياتها وجزئياتها، في جانبها العام، مما له صلة بالناس، وفي جانبها الخاص، مما ليس له صلة بعالم الناس، مما يخص المرء في سلوكه في بيته وخاصة نفسه ومع أفراد أسرته.... تلك هي سيرة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولا تملك الإنسانية اليوم سيرة كاملة شاملة - بهذا المعنى - سلطت عليها الأضواء من كل مكان لغيره ﷺ. ولذا فهي تراث للإنسانية كلها، يرجع إليها المسلم تدينا وحبا وتأسيا، ويقرؤها غير المسلم، ممن حكموا عقولهم... ليرى نفسه أمام العظمة وقد جمعت من أطرافها. والذين أنصفوا من هؤلاء - فبرهنوا بذلك على رجاحة عقولهم - عرفوا لهذا الرسول الكريم حقه، فكانت أقوالهم فيه بيانا لبعض الحقيقة التي أتيح لهم إدراكها.

والمسلم الذي آمن بمحمد ﷺ رسولا، ليس بحاجة إلى شهادة

أحد بعد شهادة الله تعالى له بالرسالة وعظمة الأخلاق. وهو ـ مع إيمانه ذاك ـ مطالب بأن يكون على صلة مستمرة بالسيرة العطرة لأسباب عدة منها:

١) إن التعرف على الجهد الذي بذله النبي ﷺ في سبيل إيصال الرسالة إلى الناس، يجعلنا أكثر تقديرا لحقه علينا، فيكون حبنا له عن علم ووعي لا مجرد عاطفة نشأت في جو من التقليد، كما يجعلنا أكثر استمساكا بهذه الرسالة، وأكثر حرصا على تنفيذ تعاليمها.

٢) إن الله تعالى جعل رسوله ﷺ أسوة حسنة، وألزم كل مسلم أن يسير على هديه، وأن يحذو حذوه، والسيرة تؤمّن لنا معرفة ذلك، فهي السجل الحي الذي ينقل لنا: الكلمة، والحركة، والموقف... والسلوك المتخذ إزاء الحوادث... فنكون على صلة بتصرفاته في تطبيقاتها العملية، ـ لا أمام أوامر مجردة، وتعليمات لم تلامس واقع الناس، ولم تتعرض لحرارة الاحتكاك به ـ الأمر الذي يساعدنا على انتهاج مسلك الرشد وسلوك السبيل السوي الذي به النجاة، يوم يقوم الناس لرب العالمين. ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر...**﴾

٣) سجل القرآن الكريم الكثير من حوادث السيرة، كما أشار إلى بعضها الآخر، فكانت السيرة تفسيراً لجزء غير قليل من هذا الكتاب الكريم، وكانت بيانا لمناسبة الآيات أو إيضاحا لها من خلال معرفة أسباب النزول. وبهذا تبدو أهمية السيرة وارتباطها الوثيق بكتاب الله تعالى.

٤) والسيرة هي تاريخ عهد النبوة والرسالة، الذي كان إزاحة

للجاهلية وإزالة لمعالمها، وفيه بيان طرق مقاومتها في العصور كلها، إذ هي هي في الماضي والحاضر... قد يتغير المظهر والشكل ولكن المضمون يظل واحدا، ولهذا كانت السيرة علاجا لأدواء المجتمعات، إذ هي الاستقامة في مقابل كل التواء، والصحة مقابل كل الأمراض...

٥) ومن خلال السيرة نتعرف على جيل الصحابة، ذلك الجيل الفريد الذي تربى على يدي الرسول الكريم ﷺ. وصُنع على عين الله تعالى، فكان صدى للقرآن، كما كان الوسيلة التي بها وضحت آياته، وكان التطبيق العملي لحكم الله أمراً ونهياً.

وإذا كان هذا يعني رفعة تلك النفوس التي وصفها ﷺ بالخيرية فقال (خير الناس قرني...) فإنه كذلك البرهان القاطع على عظمة هذا الرسول في إيجاد تلك القمم السامقة من النفوس البشرية، والانتقال بها تلك النقلة البعيدة، التي لا يستطيع تقديرها حق قدرها إلا من درس الجاهلية بإمعان ثم درس الإسلام كذلك...

تلك بعض ثمرات دراسة السيرة، مما يدل على مكانتها في بناء الفرد المسلم والأمة المسلمة، وقد تنبه علماء المسلمين لذلك في وقت مبكر من تاريخ هذه الأمة. فكتب بها الكثير الكثير، ممن لا يكاد يحصى، إيمانا منهم بضرورة صلة الأجيال المسلمة بها، وقد قال زين العابدين رحمه الله: كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن. وقال الزهري رحمه الله: في علم المغازي علم الدنيا والآخرة[١].

(١) من مقدمة كتاب «من معين السيرة» للمحقق.

وانطلاقا من القناعة الكاملة بدور السيرة الكبير في بنـاء الأمة الفكري والاعتقادي والعملي رأيت من واجبي أن أسهم في تقريب كتاب «المواهب اللدنية للإمام القسطلاني» فأجعله في متناول الأيدي. وذلك لما يتصف به هذا الكتاب من السعة والشمول...



[التعريفُ بالكِتَابِ]

ترجمة المصنف:

الحافظ شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني[1]. المصري، الشافعي، الإمام الحجة الرحالة الفقيه المقرىء المسند.

ولد ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر، ونشأ بها، وحفظ القرآن وعدة من الكتب منها الشاطبية والجزرية... وغير ذلك.

وأخذ عن عدة مشايخ منهم: الشيخ خالد الأزهري النحوي، والفخر المقدسي، والسخاوي، والبرهان العجلوني، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري... وأخذ بمكة عن جماعة منهم النجم بن فهد.

وقد حج غير مرة وجاور سنة أربع وثمانين وسنة أربع وتسعين.

وكان يجتمع في مجالس وعظه الجمُّ الغفير، ولم يكن له نظير في

(١) نسبة إلى قسطلينة في افريقية

ذلك. وكتب بخطه شيئا كثيرا لنفسه ولغيره وأقرأ الطلبة، ثم انجمع وأقبل على التأليف.

وكان كثير الأسقام، قانعا متعففا، جيد القراءة للقرآن، والحديث، والخطابة، شجي الصوت بها، مشاركا في الفضائل متواضعا متوددا لطيف العشرة سريع الحركة.

قال في «النور»: وبالجملة فإنه كان إماما حافظا متقنا، جليل القدر، حسن التقرير والتحرير، لطيف الإشارة، بليغ العبارة، حسن الجمع والتأليف لطيف الترتيب والترصيف زينة أهل عصره...

وله تصانيف كثيرة منها:

- العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية.
- الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز.
- شرح على الشاطبية، زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة.
- شرح على البردة، سماه: الأنوار المضيئة.
- كتاب نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس.
- تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري.
- مسالك الحنفاء في الصلاة على المصطفى.
- شرح على صحيح مسلم إلى أثناء الحج
- كتاب لطائف الإشارات في القراءات الأربع عشرة.
- شرح على البخاري سماه: إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري

قال في النور: أعطي السعادة في قلمه وكلمه، وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان في حياته. من أجلها: شرحه على

صحيح البخاري مزجا، في عشرة أسفار كبار، لعله أجمع شروحه وأحسنها وألخصها.

- اختصار شرح البخاري سماه: الإسعاد في مختصر الإرشاد، لم يكمل.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.

توفي بالقاهرة ليلة الجمعة سابع المحرم افتتاح سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ودفن في المدرسة العينية رحمه الله تعالى[1].

التعريف بكتاب «المواهب اللدنية»

هناك اتجاهان بارزان في كتابة السيرة:

يذهب الأول منهما إلى تسجيل أحداث السيرة الحركية متتبعا تسلسلها الزمني، ابتداء من المولد النبوي ومرورا بالبعثة والهجرة والغزوات... وانتهاء بالوفاة، وقد عرف هذا النوع بـ«السيرة» مثل سيرة ابن هشام.

ويدخل ضمن هذا الاتجاه كتب المغازي. التي صرفت اهتمامها إلى الحديث عن الغزوات والسرايا.

ويذهب الاتجاه الثاني إلى الحديث عن صفات الرسول ﷺ وأخلاقه وخصائصه... وما يتبع ذلك. وقد عرف هذا النوع باسم

---

(١) مراجع الترجمة:
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد الحنبلي ٨/١٢٠.
- الضوء اللامع للسخاوي ٢/١٠٣.
- الترجمة المذكورة في مقدمة إرشاد الساري.
- الترجمة المذكورة في مقدمة شرح المواهب للزرقاني.

«كتب الشمائل» وقد نال كتاب الشفاء للقاضي عياض شهرة واسعة في هذا الميدان.

وكتابنا الذي نحن بصدده «المواهب اللدنية» قد جمع بين الاتجاهين فقد بدأ بالحديث عن أحداث السيرة في المقصدين الأول والثاني، وترك بقيه المقاصد للحديث عن القسم الثاني: الشمائل وما يتبعها. فكان بذلك كتابا جامعا. وقد أثنى عليه كثيرون.

جاء في كتاب شذرات الذهب: «ومنها ـ أي من كتبه ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، وهو كتاب جليل المقدار عظيم الوقع، كثير النفع، ليس له نظير في بابه».

وقال الزرقاني، شارحه: «وله عدة مؤلفات أعظمها هذه «المواهب اللدنية» التي أشرقت من سطورها أنوار الأبهة والجلالة، وقطرت من أديمها ألفاظ النبوة والرسالة، أحسن فيها ترتيبا وصنعا، وأحكمها ترصيعا ووضعا، وكساه الله فيها رداء القبول، ففاقت على كثير مما سواها عند ذوي العقول».

وقال الدكتور محمد ماهر حمادة: «تمتع كتاب القسطلاني الذي ألفه سنة ٨٩٩ هـ/١٤٩٤ م ـ ولا يزال يتمتع ـ بسمعة كبرى في العالم الإسلامي عبر العصور. ذلك أن هذا المؤلف ألف سيرة للرسول [ﷺ] حوت سيرته وتاريخه باسم «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» وقد بلغ من شهرة هذا الكتاب وأهميته أن شرحه وعلق عليه عدد من المؤلفين..

فقد شرح هذا الكتاب الزرقاني المتوفى سنة ١١٢٢ هـ/١٧١٠ م شرحا مطولا.

كما قام بنقله إلى التركية في أواخر القرن التاسع عشر رجل

يدعى عبد الباقي.

وقد لخصه يوسف النبهاني في كتاب دعاه باسم «الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية» وذلك في بيروت عام ١٣١٠ هـ». [١]

ولعل الدافع كان لدى المصنف لتأليف هذا الكتاب هو إعجابه بكتاب «الشفاء» للقاضي عياض. نلمح ذلك من قوله في المقدمة: «... ولم أكن والله أهلا لذلك، ولم أر نفسي فيها هنالك، لصعوبة هذا المسلك، ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي يسلك، وإنما هو نكتة سر قراءتي كتاب الشفا بحضرة التخصيص والاصطفا في مكتب التأديب والتعليم...»

قال الزرقاني: ولقد صدق المصنف رحمه الله، فإنه في هذا الكتاب اقتبس من أنوار الشفا، وتعلق بأذياله في غالب التقسيم والأبواب، حتى إنه اقتفى أثره في صدر الخطبة.

وقد كان المصنف يقرؤه للناس بين روضة النبي ﷺ وبين منبره.

كما كان لكتاب «فتح الباري» للإمام ابن حجر العسقلاني أثره أيضا، فقد اعتمد عليه المصنف اعتمادا كبيرا. وقد ذكر ذلك في المقدمة فقال: «مستمدا من فتح الباري فيض فضله الساري» ثم أكد ذلك في خاتمة الكتاب فقال: «واستفتحت مغاليق المعاني بمفاتيح فتح الباري..»

قال الزرقاني ـ شرحا لكلمة المقدمة ـ: وفيه تورية بذكر اسم

---

(١) كتاب: مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ. د. محمد ماهر حمادة ص ٨٤ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ.

الكتاب الذي هو شرح الحافظ ابن حجر على البخاري، فالأخذ منه من جملة عطاء الله، ولا يشك من أحاط بهذا الكتاب وشرح البخاري للحافظ أن نحو نصف ذا الكتاب منه بعزوٍ ودونه.

ولئن أشار المصنف إلى كتابي «الشفاء» و«الفتح» واستفادته منهما، فإنه لم يشر إلى الكتاب الثالث وهو «زاد المعاد في هدي خير العباد» من تأليف ابن القيم رحمه الله والذي يبدو أثره واضحاً في كتاب المواهب. بل إن المصنف تناول بالبحث جميع الموضوعات التي اشتمل عليها كتاب «زاد المعاد» وتوسع فيها باستثناء كتاب الأقضية والأحكام لأنه أقرب إلى الفقه منه إلى السيرة.

وقد قضى المصنف في تأليفه مدة سنة وثمانية أشهر تقريبا كما ذكر ذلك بقوله في خاتمة الكتاب: «وقد انتهت كتابة النسخة المنقول منها، النسخة المباركة النافعة إن شاء الله تعالى في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة، وكان الابتداء في المسودة المذكورة ثاني يوم قدومي من مكة المشرفة صحبة الحاج في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة. .»

«الشفاء» و«المواهب»:

لا شك بأن كتاب المواهب ـ كما قال الزرقاني ـ قد اقتفى أثر كتاب الشفاء، ولكنه ـ والحق يقال ـ قد أضاف مادة جديدة للكتاب، مما لم يذكره القاضي عياض تعدل كتاب الشفاء أو تزيد، كما توسع في الأبواب التي شاركه فيها.

ولإعطاء صورة واضحة تبين الخطوط العامة لكل من الكتابين وتتضح من خلالها نقاط الاشتراك بينهما نقول:

إن كتاب المواهب مقسم إلى عشرة مقاصد:

وقد انفرد بثلاثة مقاصد، لم يتعرض لها كتاب الشفاء هي: الأول والتاسع والعاشر

واشترك الكتابان في أربعة مقاصد هي: الثالث والرابع والخامس والثامن.

وأما المقاصد الثلاثة الباقية فإن كتاب الشفاء عالج بعض موضوعاتها: ففي المقصد الثاني شارك الشفاء المواهب في فصل واحد من أصل عشرة فصول، وفي المقصد السادس شارك في نوعين من أصل عشرة أنواع، وفي المقصد السابع شاركه في فصل واحد من أصل ثلاثة فصول.

يتبين لنا من خلال هذا العرض الموجز مدى ما قدمه كتاب المواهب من مادة جديدة لم يتطرق إليها كتاب الشفاء الذي له فضل السبق.

ترجمة الزرقاني شارح المواهب

الزرقاني: هو الإمام العلامة المحدث الفقيه أبو عبد الله، محمد ابن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري المالكي، ونسبته إلى زرقان، وهي قرية من قرى منوف بمصر.

ولد سنة ١٠٥٥ هـ في القاهرة، ونشأ في وسط علمي، فقد كان أبوه عبد الباقي عالما فقيها، ومرجعا للمالكية في عصره، وقد تلقى العلم على علماء مصر الأعلام يومئذ، وما زال يترقى حتى أضحى خاتمة المحدثين في الديار المصرية.

وقد ألف عدة مؤلفات منها شرح موطأ مالك. وتوفي في القاهرة سنة ١١٢٢ هـ رحمه الله تعالى.

ويعد شرحه على المواهب من كتب السيرة الجامعة، ويعده بعضهم أجمعها، فقد جمع فيه أكثر الأحاديث المروية في الشمائل والسيرة والصفات الشريفة.

[تحقيق الكتاب]

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب:

أ) على ثلاث نسخ مخطوطة هي:

١ـ مخطوطة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية واعتبرتها الأصل في هذا التحقيق، فإذا أطلقت كلمة (الأصل) فإنما أعني بها هذه المخطوطة. ويرمز لها بالحرف (ا)

٢ـ مخطوطة الأستاذ الفاضل زهير الشاويش ويرمز لها بالحرف (ب)

٣ـ مخطوطة مكتبة دبلن ويرمز لها بالحرف (د)

ب) وعلى نسختين مطبوعتين:

١ـ مطبوعة عام ١٣٢٦ هـ. ويرمز لها بالحرف (ط)

٢ـ شرح الزرقاني ويرمز لها بالحرف (ش)

فعملية التحقيق هي حصيلة مقابلة هذه النسخ الخمس بعضها على بعض، وقد أرجع إلى الأصول التي نقل عنها المؤلف إذا وجدت حاجة إلى ذلك.

١ـ مخطوطة جامعة الإمام (ا)

هذه المخطوطة موجودة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض. وهي مؤلفة من مجلدين رقم الأول في المكتبة ٦٦٣٦ ورقم الثاني ٦٦٣٧، ويحتوي المجلد الأول على ٢١٧ ورقة

حسب ترقيم الناسخ، ويبتدىء المجلد الثاني بالورقة رقم ٢١٨ وينتهي بالورقة رقم ٤٣١. ويبدو أن تقسيم المخطوطة إلى مجلدين كان بعد كتابتها كاملة إذ لم يراع الناسخ أن يكون بدء المجلد الثاني مع بدء مقصد أو فصل. فالمقصد الخامس وقع في الورقة ٢٢٢ أي بعد بدء المجلد الثاني بأربع ورقات.

ومقياس هذه المخطوطة ٣٠×٢٠ سم ومقياس الكتابة ١٣,٥ × ٢٢,٥ سم، وعدد الأسطر في الصفحة هو ٣٣ سطراً، وعدد كلمات السطر ١٤ كلمة تقريبا.

وهي نسخة جيدة الخط، استعمل فيها الناسخ القلم الأحمر عند رؤوس الموضوعات وهي كذلك نسخة كاملة زودت في مقدمتها بفهرس يبين مكان المقاصد والفصول.

وهي قريبة من عصر المؤلف، فقد كتبت بعد وفاته بأربع وثلاثين سنة، حين كانت نسخ الكتاب عزيزة الوجود كما يشير الناسخ إلى ذلك، وقد كتبت هذه النسخة لحساب الشيخ عبد الوهاب بن المرحوم عبد السلام

وهذا ما نقرؤه في الصفحة الأخيرة من هذه المخطوطة:

«تم الكتاب بعون الملك الوهاب.. بتاريخ يوم الأربعاء المبارك رابع عشر شعبان المطهر... أحد شهور عام سبع وخمسين وتسعمائة أحسن الله ابتداءها وانتهاها..

«قصد بكتابة هذه المواهب اللدنية في المنح المحمدية، سيدنا ومولانا الشيخ الإمام شامخ القدر، عالي المقام.. خلف الأكابر العظام، ومحيي مآثر الكرم والكرام، عبد الوهاب ابن الشيخ المرحوم

عبد السلام أيده الله بتوفيقه. . . ونفعهم ببركات صاحب هذه المواهب اللدنية، التي كتبت جميعها في باب السلام من أبواب الحضرة الشريفة النبوية، وقوبلت في حضرات مباركة زكية. . .

«وهو كتاب عزيز الوجود لم توجد منه إلا نسخة واحدة في خزائن الشافعية، تحت نظر سيدنا ومولانا وبركتنا قاضي القضاة الشافعي، وسمح بإعارتها لسيدنا. . . العارف السيد الزين بن علوي باعلوي نفع الله ببركاته. .»

ويؤكد الناسخ مراجعته لما كتب وهذا ما سجله في الهامش الجانبي للصفحة الأخيرة بقوله: «بلغ مقابلة بحسب الطاقة على أصله المنقول منه، وذلك في يوم إتمامه ، بفضل الله وإنعامه، على يد محبين داعين مبتهلين بالدعوات في جميع الساعات، لمن كتبت باسمه جعل له يومه خيراً من أمسه، ومتع بحياته المسلمين وجعله من عباده المخلصين بمحمد وآله وصحبه الطيبين.»

وفي الهامش الأسفل يذكر الناسخ أنه أتيح له مقابلة ما كتب على نسخة ثانية قال: «بلغ مقابلة ثانية وذلك بعد أن فتح الله تعالى بنسخة ثانية، فبلغت هذه النسخة النفيسة من الصحة الغاية، ففاقت على جميع النسخ وبلغت النهاية، وذلك في يوم الأحد، ثامن شهر شوال عام سبع وخمسين وتسعمائة، . . . وذلك بالمدينة الشريفة على مشرفها أفضل الصلاة والسلام. . .»

ونلاحظ أثر المقابلتين المذكورتين بوجود بعض التصحيحات على هامش بعض الصفحات، بخط الناسخ نفسه وهي تصحيحات قليلة.

وتحمل الصفحة الأولى عنوان الكتاب واسم المؤلف، وثلاثة

تمليكات. وعبارة التمليك الأول «من كتب العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ تاج الدين عبد الوهاب بن عبد السلام بن محمد الحجري الخولاني، عامله الله تعالى بخفي لطفه في الدارين وغفر له ولوالديه، بتاريخ جمادى من سنة ثمان وخمسين وتسعمائة.

وعبارة التمليك الثاني «في نوبة الفقير إلى مولاه الغني محمد سعيد الحموي»

وعبارة التمليك الثالث «من كتب الفقير محمد [ ][1] من والده.

وقد رقم الجزء الأول فقط من قبل الجامعة، إضافة إلى ترقيم الناسخ، فجاء هذا الترقيم غير متطابق، ذلك لأن المرقم الجامعي بدأ من ورقة الفهرس التي أهمل الناسخ ترقيمها، فالورقة رقم ٥ مثلا بترقيم الناسخ تحمل رقم ٧ بالترقيم الجامعي.

نستنتج من الوصف السابق أن هذه المخطوطة قريبة العهد من المؤلف، كما أنها مقابلة على نسختين، وهي نسخة كاملة ونظيفة لم تتداولها الأيدي الكثيرة كما أنها جيدة الخط... ولهذه المواصفات الممتازة جعلتها الأصل الذي اعتمدته في هذا التحقيق. وقد أشير اليها بكلمة (الأصل) أو بالرمز (أ) وسوف يكون ـ إن شاء الله تعالى ـ على هامش المطبوعة المحققة إشارة الى بداية كل صفحة من هذه المخطوطة، بحيث يكون للورقة الواحدة رقمان (أ) للوجه الأول، و(ب) للوجه الثاني، فالورقة رقم ١٢ مثلا، سيوضع على الهامش

(١) هنا كلمتان لم أتمكن من قراءتهما.

الرقم ١٢/أ عند بداية الوجه الأول والرقم ١٢/ب عند بداية الوجه الثاني.

وبما أني اتبعت الترقيم الجامعي الذي للجزء الأول فسوف تكون الورقة ٢١٨ مكررة إذ هي نهاية الجزء الأول حسب هذا الترقيم وبالرقم نفسه يبدأ الجزء الثاني حسب ترقيم الناسخ..

٢ـ مخطوطة الأستاذ الفاضل زهير الشاويش (ب)

هذه المخطوطة في مكتبة الأستاذ الفاضل زهير الشاويش، وقد تكرم بإرسال صورة لها. وهي نسخة كاملة مؤلفة من مجلدين لم ترقم صفحاتها، وعدد أوراق المجلد الأول ٢٨١، وعدد أوراق المجلد الثاني ٢٩٤، وينتهي المجلد الأول بنهاية المقصد الرابع، كما يبدأ الثاني بالمقصد الخامس

ومقياس هذه المخطوطة ٢٩,٥ × ٢٠,٥ سم، ومقياس الكتابة في الصفحة ٢٠,٥ × ١٣ سم وعدد الأسطر فيها ٢٧ وعدد الكلمات في السطر ١٣ تقريبا.

وهي نسخة جيدة الخط، قام بكتابتها يوسف بن عمر الخطيب سنة ثلاث وعشرين وألف من الهجرة، وهذا ما سجله الكاتب في نهاية كل من الجزءين.

فقد جاء في نهاية الجزء الأول: وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك يوم السبت المبارك سلخ ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وألف، من كتابة العبد الفقير الحقير الذليل المسكين يوسف بن عمر الخطيب... غفر الله له...

وجاء في نهاية الجزء الثاني: وكان الفراغ من هذه النسخة

المباركة يوم الجمعة المبارك خامس عشر شهر شعبان سنة ثلاث وعشرين بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يد أفقر خلقه وأحوجهم إلى عفو ربه يوسف بن عمر الخطيب النهواني ختم الله له بنيل الأماني..

وتحمل الصفحة الأولى من المجلد الأول عنوان الكتاب واسم المؤلف وترجمة له، وفيها تمليك عبارته: في نوبة الفقير محمد بن علي الجمالي أسعده الله في الدنيا ودار التهاني.

وفي أعلى الصفحة عبارة: وقف على بني الكردي.

وفي الصفحة الأولى أيضا نجد ثلاثة أسانيد للكتاب إلى مؤلفه، وهذا مما تمتاز به هذه النسخة ونص هذه الأسانيد هو:

«روى شيخنا العلامة النور علي التنترابلسي المواهب اللدنية عن العلامة أحمد بن خليل السبكي والعلامة نور الدين على الأجهوري، والعلامة الشيخ المحدث الكبير الشيخ إبراهيم اللقاني، أما الشهاب السبكي فعن السيد الأرميوني عن مؤلفها، وأما العلامة على الأجهوري فعن الشيخ محمد البنوفري والقاضي بدر الدين القرافي، كلاهما عن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري عن مؤلفها.»

«سندنا إلى المواهب: قال شيخنا: أخذنا عن العلامة سيدي إبراهيم اللقاني عن العلامة سيدي علي الزيادي عن الشيخ محمد البنوفري عن الشيخ محمد بن الترجمان عن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعراني بقراءته على مؤلفها».

«الحمد لله تعالى: أروي هذا الكتاب عن سيدي والدي الشيخ عبد الرحمن عن الشيخ مصطفى عن الشيخ صالح الجنيني عن العلامة محمد بن سليمان المغربي، عن الشيخ محمد بن عمر القرافي، عن زين الدين عبد

الرحمن الأجهوري، عن مؤلفه العالم الشهير والمحدث الكبير سيدي أحمد ابن محمد بن أبي بكر القسطلاني قدس الله تعالى أسراره، آمين».

وفي الصفحة الأولى من الجزء الثاني نجد إضافة إلى عنوان الكتاب، نص الوقف التالي:

أوقف هذا الجزء والذي قبله السيد مصطفى عبد الرزاق قدح على من ينتفع به من طلبة العلم، وأقام عليه ناظرا محمد بن الشيخ عبد الرحمن كزبر، جرى ذلك منتصف جمادي الأولى سنة ألف ومائة وثمانين.

شهد بذلك: السيد مصطفى بن الحاج أحمد النقباوي،
شهد بذلك: السيد محمد بن السيد عبد الرحمن قدح،
شهد بذلك: الحاج ناصر المايني.

٣ ـ مخطوطة جامعة دبلن (د):

هذه المخطوطة موجودة في مكتبة (تشستربيتي) في مدينة دبلن في إيرلندة. ورقمها في المكتبة المذكورة ٤٤٦٧/ف، ومقياس الصفحات ٨,٣٠× ٢١ سم وفي كل صفحة ٣٥ سطراً، وفي السطر ١٤ كلمة تقريباً،

وتوجد صورة مصغرة عن هذه المخطوطة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقد أعطيت فيها الرقم نفسه ٤٤٦٧/ف، وعنها أخذت الصورة التي تسهم في هذا التحقيق.

وخط هذه النسخة مقروء لا بأس به، وعليها هوامش كثيرة جداً، متنوعة الخطوط، مما يدل على كثرة تداولها بين الأيدي. كما يلاحظ في كثير من الصفحات عبث الأولاد بتلك الخطوط العشوائية فوق الكتابة.

وهي نسخة تامة كاملة، عدد أوراقها/٤٦٢/ وفي أولها فهرس لموضوعات المخطوطة. وفي الورقة الخارجية يظهر اسم المؤلف وقد طمس اسم الكتاب، وفيها تمليك طمس الاسم فيه وبقي التاريخ وهو: في شهر ربيع الأول سنة (١٢٦٠) وتحته توقيع: محمود. وفي مكان آخر في أسفل هذه الصفحة تمليك آخر هذه عبارته: دخل في ملك الفقير محمود بن الشيخ عبد الكريم. ونجد هذا التمليك مرة أخرى في هامش الصفحة الأولى.

وفي أعلى الصفحة الأولى، أيضاً، نجد تمليكاً هذه عبارته: . . ملك الفقير الحقير الفاني إبراهيم المالكي اللقاني بالابتياع الشرعي من مالكه. . وقد طمست بقية العبارة.

وفي الورقه ١٧ في هامشها أبيات من الشعر وتحتها: كاتبه الفقير حسن بن المرحوم محمود عزوقة ١٨ ربيع الثاني ١٢٠٧ هجرية.

وفي أعلى الصفحة الأخيرة كتب النص الآتي: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين. قد من الله عليّ بقراءة هذا الكتاب من أوله إلى آخره، فلله درها من نعمة ما أكبرها. . . بتوقيع: محمود بن عبد الكريم عزوقة.

ويبدو أن هذه النسخة كتبت بعد الألف بسنوات قليلة، وقد جاء ذلك فيَ كتابة على هامش الصفحة الأخيرة طمس بعضها وبقي البعض الآخر ومنه:

بلغ مقابله معي ولدي الشيخ عبد السلام نفع الله به الإسلام والمسلمين. . يوم الخميس أواخر رمضان من شهور سنة إحدى

[ ][1] من بعد الألف مع انتقالي وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وبعد العبارة السابقة كتبت العبارة الآتية.

للمرة الثانية بعد عودي من.. يوم الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان.. من شهور السنة السابعة والثلاثين.. ولدي الشيخ محمد تماما لم يقع له فوت منه.. القراءة من ولدي الشيخ عبد السلام.

٤ ـ النسخة المطبوعة (ط):

إن الطبعة المتداولة بين الأيدي، والتي رجعت إليها كنسخة من نسخ التحقيق، تعود طبعتها إلى سنة ١٣٢٦هـ كما جاء ذلك في الصفحة الأخيرة من الجزء الثاني على لسان مصححها ابن الشيخ حسن الفيومي حيث قال:

«.. وقد بدر بدر التمام أوائل عاشر شهور هذا العام، عام ألف وثلاثمائة وستة وعشرين من هجرة سيد المرسلين ﷺ.. وهذا الطبع الزاهي الزاهر بالمطبعة الشرقية الثابت محل إدارتها بشارع خرنفش مصر العزيزية..»

ولم يشر المصحح إلى النسخة أو النسخ التي اعتمدها.

وقد أعيدت الطباعة عن هذه النسخة تصويراً في بيروت.

وقد صدرت هذه الطبعة في مجلدين من القطع الكبير، انتهى الأول بالصفحة ٤٣٤ والثاني بالصفحة ٤٣١، ولم يزود الأول بفهرس، بينما ختم الثاني بفهرس للمقاصد والفصول. والنسخة خلو من أي

---

(١) هنا كلمة واحدة مطموس بعضها ظهر منها الحرف ن (نون) فقد تكون إحدى وعشرين أو ثلاثين...

تعليق، وهي غير خالية من الأخطاء المطبعية، كما لم تزود بغير الفهرس الذي وضعه المصنف للمقاصد والفصول وذلك في الجزء الثاني فقط كما ذكرت.

٥ ـ شَرح الزرقاني (ش):

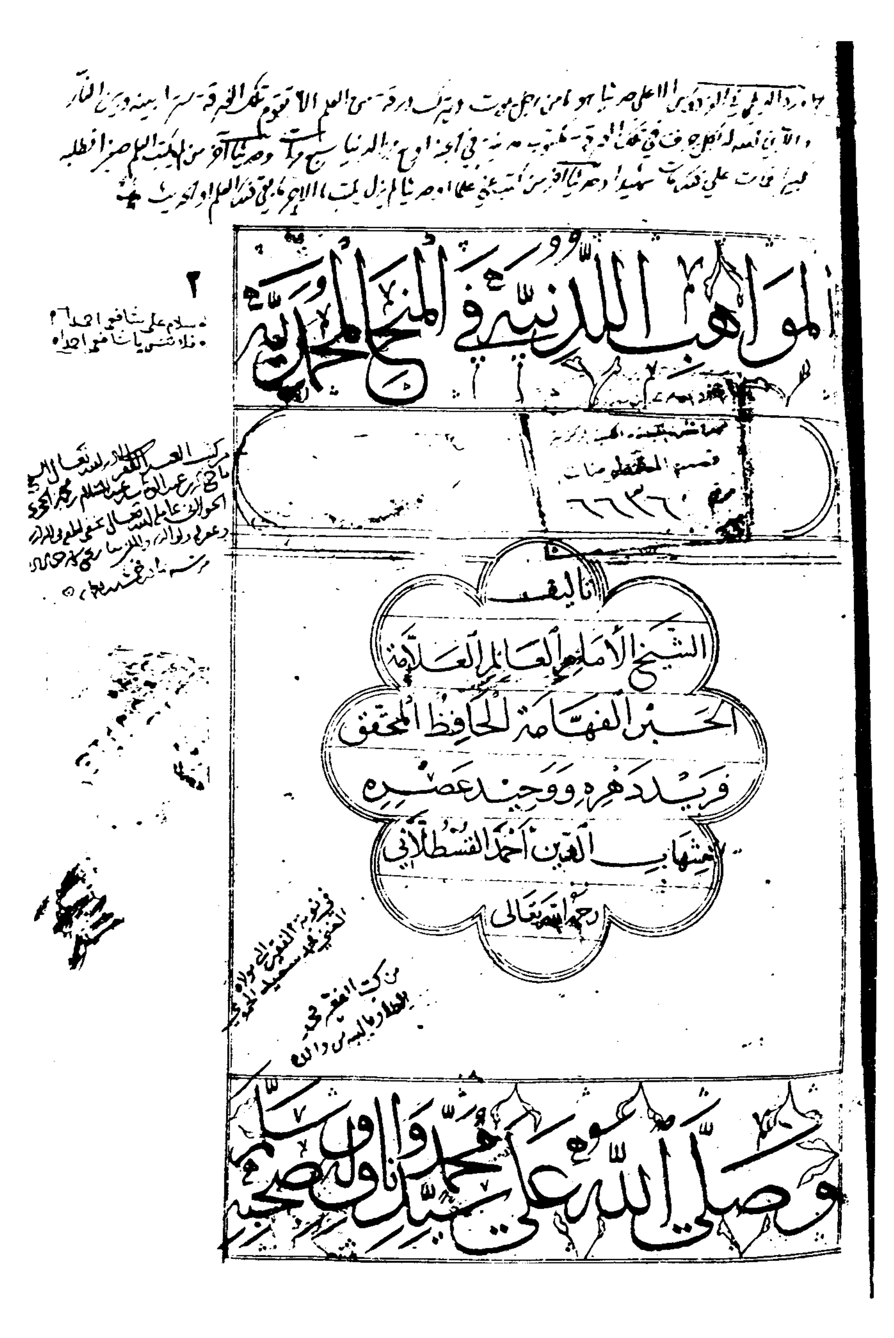
قام العلامة الزرقاني بشرح المواهب شرحاً موسعاً، ترجم فيه للأعلام، وخرج فيه الأحاديث التي لم يذكر المصنف تخريجها، وصحح تخريج المصنف في بعض الأحيان، وشرح الألفاظ، وأشار إلى الروايات الأخرى التي لم يذكرها المصنف وجاء بالنصوص التي أشار إليها المصنف، وأكمل ما اختصره..

ويقع هذا الشرح في ثمانية مجلدات من القطع الكبير، والملاحظ أن الشارح أطال في الربع الأول وتوسط في الثاني وأوجز في الباقي. ويرجع هذا إلى أن تراجم الأعلام ـ وهي كثيرة ـ قد جاءت في القسم الأول من الكتاب، فهو يترجم للعلم عند ذكره للمرة الأولى، وكثيراً ما حدث أن ترجم للعلم أكثر من مرة..

وهذا الشرح جاء على طريقة المزج، حيث مزج المتن بالشرح، وميز المتن بالأقواس وهي طريقة متعبة للمراجع والباحث..

ولاشك بأن الفائدة كانت كبيرة من هذا الشرح في تحقيق الكتاب، كما يتضح ذلك من التعليقات التي سيراها القارىء في هامش التحقيق.

وقد طبع هذا الشرح في بولاق سنة ١٢٧٨ ـ ١٢٩١هـ وطبع في المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٢٥ ـ ١٣٢٩هـ.



صفحة الغلاف من المخطوطة (أ)

١٧

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله الذي اطلع في سماء الأزل شمس أنوار معارف النبوة المحمدية وأشرق من أفق أسرار الأحدية مظاهر تجلي الصفات الأحمدية أحمده على أن وضع أساس بنيان [illegible] سوابق أزليته ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله إنسان نوع الإنسان وإنسان الأعيان المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان الممنوح ببدائع الآيات المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات والتاج الرباني والمخصص بمواهب القرب من النوع الإنساني مورد الحقائق الأزلية ومصدرها وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها إذ أحضر في حظائر قدسها ومحراه بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه وجعله ناظرا لحقائق أنسه مدة مداد نقطة الأكوان ومنبع ينابيع الحكم والعرفان المفيض من بحر مدد الوفا على القابلين من أهل المعارف والاصطفا حيث خاطب ذاته الأقدسية بالملح الأنفسية فقال

فأنت رسول الله أعظم كائن ... وأنت لكل الخلق بالحق مرسل

عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه ... وأنت منار الحق تعلو وتعدل

فؤادك بيت الله دار علومه ... وباب عليه منه بالحق يدخل

ينابيع علم الله منه تفجرت ... ففي كل حي منه لله منهل

منحت بفيض الفضل كل مفضل ... فكل له فضل به منك يفضل

نظمت نثار الأنبياء فتاجهم ... لديك بأنواع الكمال مكلل

فيا مدة الأمداد نقطة خطه ... ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل

محال يحول القلب عنك وإنني ... وحقك لا أسلو ولا أتحول

عليك صلاة الله منه تواصلت ... صلاة اتصال عنك لا تتنصل

حجبت أبصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله وبهتت أرواح رؤساء الأنبياء في شاهد كماله وتعلقت لفتات أنفس الملأ الأعلى إلى نفائس نفحاته وتطاولت أعناق العقول إلى أعين لمحاته ولحظاته وعرج به إلى المستوى الأقدس وأطلعه على السر الأنفس في إحاطته الجامعة وحضرات حظيرة قدسه الواسعة فوقفت أشخاص الأنبياء في حرم الحرمة على أقدام الخدمة وقامت أشباح الملائكة في معارج الجلال على أرجل الإجلال وهامت أرواح العشاق في مقامات الأشواق وكل إليك بكله مشتاق وعليه من رقبائه أحداق

سواك ما ناح الحمام بأيكه ... ولاح برق في الدجا خفاق

نسمة النسيم لا زال يدير بجمعه ... لجميعه عشاق

اشتاق الفرع لمشاهدته فاشتاق نشوة مرائر الأشقياء المشتاقين وحن لمفارقته الجذع فشفع

ص ٢

الصفحة الأولى من المخطوطة (ا)

للخير حيث نشاء فنعم أجر العاملين وقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وذلك وان كثر لقليل في شرفه الشامخ ويسير مما اكرمه الله به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه
الله به من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر وكلت دون مرامه المحابر
وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب وعلى تعثر واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
والى الله تعالى اضرع ان يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الرياء ودواعي التعظيم واياه
وان ينفعني به والمسلمين والمسلمات في الحيا وبعد الممات سائلا ممن وقف عليه من فاضل انار الله بصيرته
وجبل على الانصاف سريرته ان يصلح بحلمه عثاري وزللي ويسد بسداد فضله خطائي وخللي
فالكريم يقبل العثاره ويقبل الاعتذار خصوصا عن مثلي مع قصر باعه في هذه الصناعة وكساد سوقه
لما لديه من مزجاة البضاعة وما ابتلي به من شواغل الدنيا الدنيه والعوارض البدنيه مع تحمله من الاثقال
التي لو حملها رضوى لتضعضع او انزلت على ثبير لخشع وتصدع ولكنني لجدت غفلة الظلام الغاسق
والليل الواسق فسرقته من ايدي العوائق والليل يعين السارق واستفتحت مغالق المعاني بمفاتيح
فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري حامدا الله تعالى على ما انعم والهم وعلم
ما لم اكن اعلم مصليا ومسلما على رسوله محمد اشرف انبيائه وافضل مبلغ لانبائه وعلى آله واصحابه واحبابه
وخلفائه صلاة لا ينقطع مددها ولا يفنى امدها صلى الله عليه وعلى آله وسلم

تم الكتاب بعون الملك الوهاب المعطي بغير حساب والذي اليه المرجع والمآب بتاريخ يوم الاربعا المبارك
رابع عشر شعبان المطهر المشهور بالبركة من الله الرحمن الرحيم لانه شهر المصطفى سيد ولد عدنان احد
شهور عام سبع وخمسين وتسعمائة احسن الله ابتداها وانتهاها وقرن بالصالحات انقضاها بحق محمد وآله
الطيبين الطاهرين والصحابة والتابعين وقصد بكتابة هذه المواهب اللدنية في المنح المحمدية
سيدنا ومولانا الشيخ الامام شامخ القدر عالي المقام محب المصطفى وآل بيته اهل الصفا المنظوم
في سلك الاوليا والعلما اهل المودة والوفا اعز خلص الاسياد والاحباب مولانا وسيدنا الشيخ الهمام
خلف الاكابر العظام ومحي مآثر الكرم والكرام عبد الوهاب ابن الشيخ المرحوم عبد السلام ايده الله بتوفيقه
في السفر والمقام واحاطه بالسعد من يمينه وشماله ومن خلفه ومن امامه وبلغه في سلفه الكرام بهجة انعام
وجعل مقر الجميع دار السلام ونفعهم ببركات صاحب هذه المواهب اللدنية التي كتبت جميعها في باب السلام من ابواب
الحضرة الشريفة النبوية وقوبلت في حضرة مباركة زكية في مدة يسيرة وبركاتها جزيلة كثيرة اسبغ الله بفضله العميم
واوصل كرمه الجسيم لمن كتب بسببه وله هذا الكتاب الكريم المتضمن سيرة صاحب المقام المحمود واللوا المرفود
والنوال المعقود وهو كتاب عزيز الوجود لم توجد منه الا نسخة واحدة ومنزلها في خزائن الشافعي نظر سيدنا
ومولانا زكريا قاضي القضاة الشافعي و[illegible] بسعي باعارتها لسيدنا ومولانا نخبة السادة الاشراف وخلاصة
العبد مناف السيد الشريف القدوة الصالح العارف السيد الزين بن علوي باعلوي نفع الله ببركاته
واعاد علينا نفع صالح دعواته ومصنف هذا الكتاب هو سيدنا الشيخ الامام العلامة المحدث المقري المصري
الزاهد الورع احد المشهورين في مصره بالعلم المبين والصلاح والدين شهاب الدين احمد القسطلاني رضي الله عنه
ونفع به المسلمين وحشرنا واياه وكاتبه والمكتوب له في زمرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله واصحابه والتابعين
والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الصفحة الأخيرة من المخطوطة (أ)

١٩

الجزء الأول من المواهب اللدنية والمنح المحمدية

تأليف الشيخ الإمام العالم ...

الفهامة عين أعيان المحققين وعمدة المدرسين

... شهاب الدين أحمد القسطلاني

صفحة الغلاف من المخطوطة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل

الحمد لله الذي اطلع في سماء الازل شمس انوار معارف النبوة المحمدية، واشرق من افق اسرار الرسالة مظاهر تجلي الصفات الاحمدية احمده على ان وضع اساس نبوته على سوابق ازليته، ورفع دعائم رسالته على لواحق ابديته واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال، الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال واشهد ان سيدنا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله اشرف نوع الانسان وانسان عيون الاعيان المستخلص من خالص خلاصة [illegible] الممنوح ببدائع الايات المخصوص بعموم الرسالة وغرائب [illegible] السر الجامع الفرقاني والمختص بمواهب القرب من النوع الانساني [illegible] ومصدرها وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها [illegible] بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه وجعله [illegible] نقطة الاكوان ومنبع ينابيع الحكم والعرفان [illegible] الفضايل من اهل المعارف والاصطفا حيث خاطب [illegible] فقال:

[illegible] وانت لكل الخلق بالحق مرسل

[illegible] وانت من الحق [illegible]

[illegible] وبابٌ عليه منه للحق يدخل

[illegible] ففي كل حي منه سر مبهمُ

[illegible] فكل نفع به منك يفضل

[illegible] لديك بانواع [illegible]

[illegible] وبادرة الاطلاق اذ يتسلسل

[illegible] وحقك لا اسلو ولا اتحول

[illegible] [illegible] عنك لا تتشمل

[illegible] ارواح [illegible] الانبيا [illegible] الملا الاعلى [illegible] وتطاولت [illegible] الى المستوى الاقدس واطلعه على [illegible] وحضرات حظيرة قدسه الواسعة

توقعت

الصفحة الأولى من المخطوطة (ب)

الصفحة الأولى من المخطوطة (د)

[عَملي في الكِتَابْ]

طبع كتاب المواهب مرتين، الأولى منهما كانت عام ١٨٦٤م في بولاق، كما ذكر ذلك الدكتور ماهر حمادة[1]، وهذه الطبعة في حكم النادرة، والثانية كانت عام ١٣٢٦هـ في مصر.

والنسخة المتداولة بين الأيدي الآن هي طبعة مصورة في لبنان عن الطبعة الثانية، كما أشرت إلى ذلك قبل قليل.

والكتاب في طبعته المذكورة خلو من النقاط والفواصل وعلامات الترقيم بشكل عام، وليس هناك أكثر من التقسيم الذي وضعه المصنف من مقاصد وفصول، ولذا قد نجد الصفحات الكثيرة من ذلك القطع الكبير لايفصل بينها فاصل.. مما يجعل الرجوع إلى الكتاب فيه الكثير من المشقة، وبخاصة إذا كان المقصد أو الفصل طويلاً، أضف إلى ذلك ما في الكتاب من استطرادات فقهية ولغوية.. مما لابد للقارىء من مطالعته وهو يبحث عن بغيته.. الأمر الذي جعل الاستفادة من الكتاب قاصرة على المختصين.

وفي سبيل تقريب الكتاب، وجعله في متناول القارىء، قمت

---

(١) انظر كتاب «مراجع مختارة عن حياة رسول الله ﷺ» للدكتور محمد ماهر حمادة. صادر عن دار العلوم للطباعة والنشر عام ١٤٠٢هـ.

بتحقيقه وإخراجه بهذا الشكل الذي يسهل الرجوع إليه، واستطيع تلخيص عملي بما يلي:

أولاً: تحقيق نص الكتاب، وذلك بالرجوع إلى ثلاث نسخ مخطوطة ـ سبق وصفها ـ وإلى النسخة المطبوعة، وإلى شرح الزرقاني كذلك.

ثانياً: من حيث الشكل سيتناول عملي:

- وضع الفواصل والنقاط وعلامات الترقيم بين الجمل.
- وضع الآيات الكريمة ضمن أقواس تميزها عن غيرها، وكذلك الأحاديث الشريفة.
- تقسيم البحث إلى مقاطع تبعاً للأفكار الرئيسة فيه.
- وضع عناوين عامة أو فرعية تسهيلاً للمراجعة والبحث. وما كان من هذه العناوين من وضع المحقق فسوف يكون ضمن قوسين [ ].
- فصل النصوص المستشهد بها عن كلام المصنف، بحيث تكون واضحة، إما بجعلها في مقطع مستقل، أو بإيضاح ذلك في الحاشية، وذلك في الأماكن التي لم يوضح فيها المصنف ذلك.

ثالثاً: ما يتعلق بالحاشية:

إن مهمة الحاشية ـ إضافة إلى بيان ما يتعلق بتحقيق النص ـ هي مساعدة القارىء وتيسير فهم النص له، ووضع يده على كل ماهو بحاجة إليه، فلا يحتاج للرجوع إلى مصدر آخر ما أمكن ذلك، ومن أجل ذلك فإن الحاشية سوف تحتوي على ما يأتي:

- عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها،
- تخريج الأحاديث التي لم يخرجها المصنف، وقد اعتمدت في غالب

الأحيان تخريج الشارح.

- ذكر أرقام بعض الأحاديث في مراجعها مثل البخاري ومسلم وأبي داود، أو الإشارة إلى أبوابها.. وذلك حيث أرى ضرورة لذلك.
- ترجمة الأعلام ترجمة مختصرة نقلاً عن الشارح أو بالرجوع إلى كتب التراجم.
- اثبت في الحاشية نقلاً عن الشارح الزرقاني ـ رحمه الله ـ كل ما هو ضروري لإيضاح النص من شرح بعض الكلمات أو ضبطها.. أو إتمام نص.. أو ذكر رواية أخرى..
- بعض التعليقات التي رأى المحقق ضرورتها وتميز هذه التعليقات بذكر كلمة [محقق] في آخرها أو الحرف [م].
- وبما أن المصنف قد اعتمد على فتح الباري في كثير من نقوله، فقد حاولت أن أثبت في الحاشية مكان النص ذاكراً الصفحة والجزء.

وقد بذلت جهدي ـ وهو جهد المقل ـ أن أضع بين يدي القارىء كل ما من شأنه أن يساعده على الاستفادة الكاملة من هذا الكتاب.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، إنه حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

غرة ربيع الآخر عام ١٤٠٩هـ
تشرين الثاني عام ١٩٨٨م

كتبه

صالح أحمد الشامي

[مِنْ مَراجِع التحقيق]

ليست غايتي هنا أن أسرد تلك المراجع الكثيرة التي لابد لكل محقق من الرجوع إليها وإنما الغاية هي الإشارة إلى الطبعات التي اعتمدتها في أكثر الكتب مساسا بالموضوع:

- فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني.
  طبعة دار الفكر - رقم الأحاديث محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على مقابلة المخطوطات الشيخ عبد العزيز بن باز.
  وقد اعتبرته المرجع لأحاديث البخاري ولذا فإني في إحالتي أذكر رقم الحديث في هذه الطبعة.
- صحيح مسلم. طبعة دار إحياء التراث، تصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،
- سنن أبي داود، طبعة دار الفكر، ضبط محيي الدين عبد الحميد،
- أما بقية كتب السنة فإني أحيل عليها بواسطة الكتب والأبواب،
- مسند الإمام أحمد، في طبعته المتداولة.
- سيرة ابن هشام بتحقيق السقا والأبياري وشلبي.
- زاد المعاد للإمام ابن القيم بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط.



بالمنح المحمدية

الجزء الأول



٣/ب

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم [وبه ثقتي، وبه نستعين، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم][1]

الحمد لله الذي أطلع في سماء الأزل شمس أنوار معارف النبوة المحمدية، وأشرق من أفق أسرار الرسالة مظاهر[2] تجلي الصفات الأحمدية، أحمده على أن وضع أساس نبوته على سوابق أزليته، ورفع دعائم رسالته على لواحق أبديته.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الفرد المنفرد في فردانيته بالعظمة والجلال، الواحد المتوحد في وحدانيته باستحقاق الكمال، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا محمداً عبده ورسوله أشرف نوع الإنسان، وإنسان عيون الأعيان، المستخلص من خالص خلاصة ولد عدنان، الممنوح ببدائع الآيات، المخصوص بعموم الرسالة وغرائب المعجزات، السر الجامع الفرقاني، والمخصص بمواهب القرب من النوع الإنساني، مورد الحقائق الأزلية ومصدرها، وجامع جوامع

---

(١) في الأصل، وفي ب: وهو حسبي ونعم الوكيل.

(٢) في ش: مظاهر الرسالة.

مفرداتها ومنبرها، وخطيبها إذا حضر في حظائر قدسها ومحضرها، بيت الله المعمور الذي اتخذه لنفسه، وجعله ناظماً لحقائق أنسه[1]، مدة مداد نقطة الأكوان، ومنبع ينابيع الحكم والعرفان، المفيض[2] من بحر مدد الوفا، على القائل من أهل المعارف والاصطفا، حيث خاطب ذاته الأقدسية[3]، بالمنح الأنفسية، فقال:

فأنت رسول الله أعظم كائن ... وأنت لكل الخلق بالحق مرسل

عليك مدار الخلق إذ أنت قطبه ... وأنت منار الحق تعلو وتعدل

فؤادك بيت الله دار علومه ... وباب عليه منه للحق يدخل

ينابيع علم الله منه تفجرت ... ففي كل حي منه لله منهل

منحت بفيض الفضل كل مفضل ... فكل له فضل به منك يفضل

نظمت نثار الأنبياء فتاجهم ... لديك بأنواع الكمال مكلل[4]

فيا مدة الإمداد نقطة خطه ... ويا ذروة الإطلاق إذ يتسلسل

محال يحول القلب عنك وإنني ... وحقك لاأسلو ولا أتحول

عليك صلاة الله منه تواصلت ... صلاة اتصال عنك لاتتنصل

شخصت أبصار بصائر سكان سدرة المنتهى لجلال جماله، وحنت أرواح رؤساء الأنبياء إلى مشاهدة كماله، وتلفتت لفتات أنفس الملأ الأعلى إلى نفائس نفحاته، وتطاولت أعناق العقول إلى أعين لمحاته ولحظاته، فعرج به إلى المستوى الأقدس، وأطلعه على السر الأنفس،

(١) كذا في (آ ،ش) وفي الباقي: قدسه.
(٢) في ش: الممد.
(٣) «الأقدسية» ليست في ش.
(٤) في (ط، د،ب): مكمل.

في إحاطته الجامعة، وحضرات حظيرة قدسه الواسعة، فوقفت أشخاص الأنبياء في حرم الحرمة، على أقدام الخدمة، وقامت أشباح الملائكة في معراج الجلال، على أرجل الإجلال، وهامت أرواح العشاق في مقامات[1] الأشواق:

كل إليك بكله مشتاق وعليه[2] من رقبائه أحداق
يهواك ما ناح الحمام بأيكة أو لاح برق في الدجى خفاق
شوق إليه لايزال يديره فجميعه لجميعه عشاق

اشتاق القمر لمشاهدته فانشق، فشق مرائر الأشقياء المشاققين[3]، وحن لمفارقته الجذع فتصدع/فانصدعت قلوب الأغبياء المنافقين [ولله در القائل: ١/٤

وكان انشقاق البدر أكبر آية تشق قلوب الحاسدين وتفرث[4]][5]

وبرقت من مشكاة بعثته بوارق طلائع الحقائق، وانقادت لدعوته العامة خاصة خلاصة الخلائق، ولم يزل يجاهد في [سبيل][6] الله بصادق عزماته، وينظم أشتات[7] الإسلام بعد افتراق جهاته، حتى كملت كمالات دينه وحججه البالغة، وتمت على سائر أمته الأمية نعمته السابغة، وخير فاختار الرفيق الأعلى، وآثر الآخرة على الأولى، فنقله

---

(١) في ش: معاناة.
(٢) في ط: وعليك.
(٣) في ش: الشاقين.
(٤) فرث الكبد: شقها [هامش الأصل].
(٥) في الأصل.
(٦) في (ب، ط،ش).
(٧) في (ط، د، ب) شتات.

الله قائماً على قدم السلامة، إلى دار السلام وفردوس الكرامة، وبوأه أسنى مراقي التكريم في دار المقامة، ومنحه أعلى مواهب الشرف في اليوم المشهود، فهو الشاهد والمشهود، والمحمود بالمحامد التي يلهمها للحامد المحمود، ذو المنزلة العلية، والدرجة السنية، في حظائر القدس الأقدسية، والمشاهد الأنفسية، واصل الله عليه فضائل[1] الصلوات، وشرائف التسليم، ونوامي البركات، وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، صلاة وسلاما لاينقطع عنهما أمد الأمد، ولايحصرهما[2] العدد أبد الأبد.

وَبَعْـد:

فهذه لطيفة من لطائف نفحات العواطف الرحمانية، ومنحة من منح مواهب العطايا الربانيـة، تنبىء عن نبذة من كـمال شرف نبينا محمد ـ عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليم وأسنى الصلات ـ وسبق نبوته في الأزمان الأزلية، وثبوت رسالته في الغايات الأحدية، والتبشير بأحمديته في الأعصر[3] الخالية، والتذكير بمحمديته في الأمم الماضية، وإشراق بوارق لوامع أنوار آيات ولادته التي سار ضوء فجرها في سائر بريته، ودار بدر فجرها[4] في أقطار ملته، وعواطف لطائف رضاعه وحضانته، وينابيع أسرار سر مسراه وبعثته[5] وهجـرته، وعـوارف معارف عبوديته الساري عرف شذاهـا في آفاق قلوب أهـل ولايته،

---

(١) في (ب. ط) فواضل.

(٢) في ش: ولا يحصيهما.

(٣) في ش: الأزمان.

(٤) في ط: ودار بدرها.

(٥) في ط: وبقعته.

ونفائس أنفاس أحواله الزكية، ودقائق حقائق سيرته العلية، إلى حين نقلته لروضة قدسه الأحدية، وتشريفه بشرائف الآيات، وتكريمه بكرائم المعجزات، وترفيعه في آي التنزيل برفعة ذكره، وعلو خطره، وتعظيم محاسن شمائله وخلائقه، وتخصيصه بعموم رسالته، ووجوب محبته واتباع طرائقه[1] وسيادته الجامعة لجوامع السؤدد في مشهد مشاهد المرسلين، وتفضيله بالشفاعة العظمى، العامة لعموم الأولين والآخرين، إلى غير ذلك من عجائب آياته ومنحه، وغرائب أعلام نبوته وحججه.

أوردتها حججاً قاهرة على الملحدين، وذكرى نافعة للموحدين، وتنبيهاً لعزائم المهتدين، ولم أكن - والله - أهلاً لذلك، ولم أر نفسي فيما هنالك، لصعوبة هذا المسلك، ومشقة السير في طريق لم يكن لمثلي يُسلك، وإنما هو نكتة سر قراءتي كتاب «الشفا»[2] بحضرة التخصيص والاصطفا، في مكتب التأديب والتعليم[3] في مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم، مستجلياً في مجالي تجليات الأنوار الأحمدية، محاسن صفات خلقته، وعظيم أخلاقه الزكية، سارياً[4] بسر سيرته في منهاج ملته إلى سماء هديه الأسنى، راتعاً في رياض روضة سنته النزيهة[5] الحسنا، مستمداً من فتح الباري[6]، فيض فضله الساري، فمنحني صاحب

(١) في ش: طريقته.
(٢) كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للإمام عياض بن موسى وشهرته تغني عن ترجمته رحمه الله.
(٣) أي بين روضة النبي ﷺ ومنبره، وكان المصنف يقرؤه للناس هناك.
(٤) في ش: سائراً.
(٥) في ش: النزهة.
(٦) أي من عطاءالله تعالى، وفيه تورية بذكر اسم الكتاب الذي هو شرح =

هذه المنح من مصون حقائقه، وأبرز لي مما أكنَّه من مكنون رقائقه،
٤/ب فانفتحت بالفتح المحمديّ عين بصيرة الاستبصار، / وتنزه الناظر في
رياض ارتياض رقائق الأسرار، فاستجليت من أبكار مخدرات السنة
النبوية من كل صورة معناها، واقتبست من تلألؤ مصباح مشكاة
المعارف من كل بارقة أضواها، وانتشقت من كل عبقة صوفيه
شذاها، واجتنيت من أفنان لطائف تأويل آي الكتاب العزيز من كل
ثمرة مشتهاها، ولازلت في جنات لطائف هذه المنح أغدو وأروح، في
غبوق وصبوح(١)، حتى انهلت غمائم المعاني على أرض رياض المباني،
فأينعت أزهارها، وتكللت بنفائس جواهر العلوم أوراقها، وطابت
لمجتني رقائق الحقائق ثمارها، وتدفقت حياض بدائع ألفاظها، بزلال
جوامع(٢) كلماتها، وخطب خطيب قلوب أبناء الهوى، على منبر الغرام
الأقدس، يدعو لكمال محاسن الحبيب الأرأس، فترنحت بسلاف راح
الارتياح نفائس الأرواح، وتمايلت بمطربات(٣) ألحان الحنين إلى جمال
المحبوب كرائم الأشباح، وزمزم مزمزم الصفا، بحضرة خلاصة أولى
الوفا، منشداً مردداً:

حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه حسبي نعيم زال عنه حسيبه
داوى فؤادي الوصل من أدوائه طوبى لقلبي والحبيب طبيبه
صدق المحب حبيبه في حبه فحباه صدق الحب منه حبيبه
لباه لب فؤاده فأجابه لما دعاه إلى الغرام وجيبه

= الحافظ ابن حجر على البخاري، ولايشك من أحاط بهذا الكتاب وبشرح البخاري أن نحو نصف هذا الكتاب منه بعزوٍ ودونه.

(١) الغبوق: مايشرب بالعشي. والصبوح: شرب الغداة.

(٢) [جوامع] ليست في ش.

(٣) في ط: عطريات.

وجـامـع الأهـواء حـيعـل حبـه   ولحسنـه خـطب القلوب خـطيبـه

فلما سمعت هـذه المواهب آذان قلوب أولي الألبـاب، تلفتت عيون أعيانهم لتلخيص خلاصة جوهر هذا الخطاب، في سفر يسفر عن وجه المنح النبوية منيع النقاب، فثنيت[1] عنان القلم إلى تحصيل مآربهم، وتسطير مطالبهم، جانحا صوب الصواب، مودعـا ما كـان مستودعاً لي في غيـابات الغيب في هـذا الكتاب، مستعيناً في ذلك بالقوي الوهاب، حتى أتاح الله لي ذلك، وتمم ما هنالك، فأوضحت ما خفي من الدليل، ومهدت ما توعر من السبيل.

وسميته: «المواهب اللدنية بالمنح المحمدية» ورتبته عـلى عشرة مقاصد تسهيلاً للسالك والقاصد:

المقصد الأول:

في تشريف الله تعـالى له عليـه السلام بسبق نبـوته في سـابق أزليته، ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايتِه في حظائر قدس كرامته، وطهارة نسبه وبراهين أعلام آيات حمله وولادته ورضاعه وخضانته، ودقائق حقائق بعثته وهجرتـه، ولطائف معـارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته، مرتباً على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته.

المقصد الثاني:

في ذكر أسمائه الشريفة المنبئة عن كمال أخلاقه المنيفة، وأولاده الكرام الطاهرين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وأعمامه وعماته،

(١) في ش د: فأطلقت.

وإخوته من الرضاعة، وجداته وخدمه ومواليه وحرسه، وكتابه وكتبه إلى أهل الإسلام في الشرائع والأحكام، ومكاتباته إلى الملوك وغيرهم من الأنام، ومؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه، وآلات حروبه، ودوابه، والوافدين إليه ﷺ وفيه عشرة فصول.

المقصد الثالث:

فيما فضله الله سبحانه وتعالى به من كمال خلقته، وجمال صورته، و [ما][1] كرمه به من الأخلاق الزكية وشرفه به من الأوصاف المرضية، وما تدعو/ ضرورة حياته إليه ﷺ ، وفيه ثلاثة فصول. ١/٥

المقصد الرابع:

في معجزاته الدالة على ثبوت نبوته وصدق رسالته وما اختص[2] به من خصائص آياته وبدائع كراماته[3]. وفيه فصلان.

المقصد الخامس:

في تخصيصه عليه السلام بخصائص[4] المعراج والإسراء، وتعميمه بعموم لطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى.

المقصد السادس:

فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره، ورفعة ذكره، وشهادته

---

(١) في ط، ش.
(٢) في (ط، د، ش): خص.
(٣) في ط: كرامته.
(٤) في ش: بلطائف.

له تعالى بصدق نبوته، وثبوت بعثته، وقَسَمه تعالى على تحقيق رسالته، وعلو منصبه الجليل ومكانته، ووجوب طاعته واتباع سنته، وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنة إن أدركوه ليؤمنن به ولينصرنه، والتنويه به في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل، بأنه صاحب الرسالة والتبجيل. وفيه عشرة أنواع.

المقصد السابع:

في وجوب محبته واتباع سنته، والاهتداء بهديه وطريقته، وفرض محبة آله وأصحابه، وقرابته وعترته، وحكم الصلاة والتسليم عليه، زاده الله فضلاً وشرفاً لديه. وفيه ثلاثة فصول.

المقصد الثامن:

في طبه ﷺ لذوي الأمراض والعاهات، وتعبيره الرؤيا، وإنبائه بالأنباء المغيبات. وفيه ثلاثة فصول.

المقصد التاسع:

في لطيفة من حقائق عباداته، ويشتمل على سبعة أنواع،

المقصد العاشر:

في إتمامه تعالى نعمته عليه بوفاته ونقلته إليه، وزيارة قبره الشريف، ومسجده المنيف، وتفضيله في الآخرة بفضائل الأوليات الجامعة لمزايا التكريم، والدرجات العليات، وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد[1] مشاهد الأنبياء والمرسلين، وتحميده بالشفاعة والمقام

---

(١) ليست في ش.

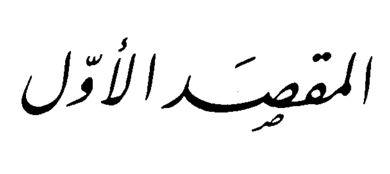
المحمود، وانفراده بالسؤدد في مجمع مجامع الأولين والآخرين، وترقيه في جنة عدن أرقى مدارج[1] السعادة، وتعاليه في يوم المزيد أعلى معالي الحسنى وزيادة. وفيه ثلاثة فصول.

والله تعالى جل جده وعز مجده أسأل بوجاهة وجهه الوجيه ونبيه النبيه أن يمدني في هذا الكتاب العزيز[2] بمدد الإقبال والقبول، وينيلني ومن كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين من العواطف النبوية لطائف السؤل، ونهاية المأمول، وعلى الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) في ش معارج.

(٢) في النسخ: العظيم، ولم تذكر في ش .


المقصد الأوّل



[محتوى المقصد الأول]

- في تشريف الله تعالى له عليه السلام بسبق نبوته في سابق أزليته، ونشره منشور رسالته في مجلس مؤانسته، وكتبه توقيع عنايته في حظائر قدس كرامته.
- وطهارة نسبه
- وبراهين أعلام آيات حمله وولادته
- ورضاعه وحضانته
- ودقائق حقائق بعثته
- وهجرته
- ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه
- وسيرته

مرتباً على السنين من حين نشأته إلى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته.



[توطئة]

اعلم ياذا العقل السليم، والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم - وفقني الله وإياك بالهداية إلى الصراط المستقيم - أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه، أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية[1]، في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها، علوها وسفلها، على صورة حكمه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوته، وبشره برسالته، هذا وآدم لم يكن إلا - كما قال - بين الروح والجسد، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر/ بالملأ الأعلى، وهو بالمنظر الأجلى، فكان لهم المورد الأحلى، ٥/ب فهو ﷺ الجنس[2] العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس[3].

---

(١) المنسوبة للصمد، والإضافة للتشريف.

(٢) أي كالجنس.

(٣) على ما يأتي في حديث عبد الرزاق.
وأما ما ذكر أن الله قبض من نور وجهه قبضة، ونظر إليها، فعرقت وذلقت فخلق الله من كل نقطة نبيا، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنه كان كوكباً دريا، وأن العالم كله خلق منه وأنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، =

ولما انتهى الزمان باسم الباطن في حقه ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر[1]، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فهو ﷺ وإن تأخرت طينته، فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خير[2] إلا عنه، [ولله در القائل][3]:

ألا بأبي من كان ملكا وسيدا	وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الأبطحي محمد	له في العلا مجد تليد وطارف[4]
أتى بزمان السعد في آخر المدى[5]	وكان له في كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر[6] يجبر صدعه	فأثنت عليه ألسن وعوارف
إذا رام أمراً لا يكون خلافه	وليس لذاك الأمر في الكون صارف[7]

= وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه جبريل، وأمثال هذه الأمور.. فقال الحافظ أبو العباس أحمد بن تيمية في فتاويه، ونقله الحافظ ابن كثير في تاريخه وأقره: كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه، والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ، بل خلق كل واحد من أبويه.

(١) المناسب هنا أنهما وصفان لله، أي الظاهر وجوده لكثرة دلائله، أو الغالب على كل شيء، من ظهر إذا غلب، والباطن حقيقة ذاته.

(٢) قال في هامش الأصل: وفي نسخة: خبر.

(٣) في ط.

(٤) الأبطحي: المنسوب إلى بطحاء مكة، تليد: قديم، طارف: حادث.

(٥) يعني: الزمان الأخير من أزمنة الأنبياء.

(٦) وفي نسخة: لانكسار الدين، من إضافة الصفة للموصوف، أي: الدين أو الدهر المنكسر بعبادة غير الله.

(٧) هذا أمر لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى [المحقق].

[سبق نبوته ﷺ]

أخرج مسلم[1] في صحيحه[2]، من حديث عبدالله بن عمرو ابن العاصي[3]، عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء)[4].

ومن جملة ما كتب في الذكر ـ وهو أم الكتاب ـ أن محمدا خاتم النبيين.

وعن العرباض بن سارية [5] عن النبي ﷺ قال: (إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته)[6] رواه أحمد[7]،

(١) مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أحد الأعلام، مناقبه شهيرة، أخذ عن البخاري ـ وشاركه في كثير من شيوخه ـ وأحمد وخلف، وروى عنه كثيرون، مات سنة إحدى وستين ومئتين في رجب.

(٢) الذي صنفه من ثلاثمئة ألف حديث، كما نقلوا عنه، وهو يلي صحيح البخاري، وتفضيله عليه مردود، وفي ألفية السيوطي:

ومن يفضل مسلما فإنما ترتيبه وصنعه قد أحكما

(٣) عبدالله بن عمرو بن العاصي بن وائل السهمي، الصحابي ابن الصحابي الزاهد العابد؛ أحد المكثرين الفقهاء، أسلم قبل أبيه، قال ابن حجر في تقريبه: مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح، بالطائف على الراجح. و«العاصي» بالياء وحذفها. والصحيح الأول عند أهل العربية.

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى برقم ٢٦٥٣ [م].

(٥) العِرْباض بن سارية السلمي، قديم الإسلام جداً، من البكائين، ومن أهل الصفة، ونزل حمص، روى عنه خالد بن معدان، وأبو أمامة الباهلي، وخلق، مات سنة خمس وسبعين، وقيل قبلها زمن فتنة ابن الزبير رضي الله عنهم.

(٦) مسند الإمام أحمد ١٢٧/٤ [م].

(٧) الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبدالله، المروزي ثم =

والبيهقي[1]، والحاكم[2]، وقال: صحيح الإسناد.

وقوله: لمنجدل، يعني: طريحا ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه.

وعن ميسرة الضبي[3] قال: قلت يارسول الله، متى كنت نبيا؟ قال: (وآدم بين الروح والجسد) هذا لفظ رواية الإمام أحمد[4]. ورواه

= البغدادي، أحد كبار الأئمة الحفاظ الطوافين، الصابر على البلوى، الذي منَّ الله به على الأمة، ذو المناقب الشهيرة. وحسبك قول الشافعي، شيخه: خرجت من بغداد فما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه. ولد سنة أربع وستين ومائة، ومات سنة إحدى وأربعين ومائتين.

(1) البيهقي: نسبة إلى بيهق: قرية بناحية نيسابور،
أحمد بن الحسين، الإمام الحافظ المشهور بالفصاحة والبراعة، سمع الحاكم وغيره، وتصانيفه نحو ألف. قال الذهبي: ودائرته في الحديث ليست كبيرة، بل بورك له في مروياته، وحسن تصرفه فيها، لحذقه وخبرته بالأبواب والرجال، وأفتى بجميع نصوص الشافعي وخرج أحاديثها، حتى قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة، إلا البيهقي فله على الشافعي منة، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة.

(2) الإمام الحافظ الكبير، محمد بن عبدالله الضبي، أبو عبدالله، النيسابوري، الثقة الثبت، المجمع على صدقه ومعرفته بالحديث حق معرفته. أكثر الرحلة والسماع، حتى سمع بنيسابور من نحو ألف شيخ، وفي غيرها أكثر. ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ومات بنيسابور سنة خمس وأربعمائة، وتصانيفه نحو خمسمائة.

(3) مَيْسَرة الضبي. كذا في النسخ، والذي في المسند: ميسرة الفَجْر.
قال الذهبي: صحابي من أعراب البصرة. يحتمل أنه ضبي ويلقب بالفجر، فعدل المصنف عما في المسند لبيان نسبته،

(4) الذي في المسند (عن ميسرة الفجر قال: قلت يارسول الله متى كتبت نبيا؟ =

البخاري[1] في تاريخه[2] وأبو نعيم[3] في الحلية[4]، وصححه الحاكم.

وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين[5]. فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي ـ نفع الله بعلومه ـ في كتابه «المقاصد الحسنة»: لم نقف عليه بهذا اللفظ. انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب[6]، في اللطائف: وبعضهم يرويه[7]:

= قال: وآدم عليه السلام بين الروح والجسد) المسند ٥/٥٩ [م].

(١) إمام الفن، محمد بن اسماعيل الجعفي، مناقبه كالشمس.

(٢) تاريخه الكبير، صنفه وعمره ثمان عشرة سنة، عند قبره ﷺ. قال ابن عقدة: لو كتب الرجل ثلاثين ألفا ما استغنى عن تاريخ البخاري، وقال السبكي: تاريخه لم يسبق إليه، ومن ألف بعده في التاريخ، أو الأسماء، أو الكنى فعيال عليه.

(٣) أبو نعيم ـ بالتصغير، أحمد بن عبدالله الأصفهاني، الحافظ المكثر، أخذ عن الطبراني وغيره، وعنه: الخطيب وغيره. مات بأصفهان سنة ثلاثين وأربعمئة عن أربع وتسعين سنة. ذكره الذهبي.

(٤) كتاب حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء.

(٥) وبقيته: وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين. وقد صرح السيوطي في الدر بأنه لا أصل لهما، وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأفتى ببطلان اللفظين وأنهما كذب وأقره في النور، واعتمد السخاوي نفسه كلام ابن تيمية في وضع اللفظين

(٦) العلامة الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الواعظ المحدث الفقيه، البغدادي ثم الدمشقي، أكثر الاشتغال حتى مهر، وشرح الترمذي والعلل له، وقطعة من البخاري، وله طبقات الحنابلة مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة.

(٧) أي حديث ميسرة.

(متى كتبت) من الكتابة[1]، انتهى.

قلت: وكذا رويناه في جزء من حديث أبي عمرو، **إسماعيل بن نجيد**[2]، ولفظه: (متى كتبت نبيا؟ قال: كتبت وآدم بين الروح والجسد).

فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها، وظهورها في الخارج، فإن الكتابة تستعمل فيما هو واجب. قال تعالى: **﴿كتب عليكم الصيام﴾**[3] و**﴿كتب الله لأغلبن﴾**[4].

وعن أبي هريرة[5] أنهم قالوا: يارسول الله، متى وجبت لك

---

(١) هذه الرواية هي المثبتة في مسند أحمد عن ميسرة كما أشرت في التعليق عليها. انظر المسند ٥/٥٩ [م].

(٢) إسماعيل بن نُجَيْد بن أحمد بن يوسف النيسابوري السلمي، أحد الأئمة، حدث عن الإمام أحمد وغيره، وصحب الجنيد والخيري.
حدث عنه خلق منهم: سبطه أبو عبد الرحمن السلمي، والحاكم، والقشيري، ومات سنة ست وستين وثلاثمائة عن ثلاث وتسعين سنة.

(٣) سورة البقرة. الآية ١٨٣.

(٤) سورة المجادلة. الآية ٢١.

(٥) هريرة تصغير هرة، قيل: كناه بها المصطفى لأنه رآه وفي كمه هرة، وقيل: المكني له غيره. قال ابن عبد البر: لم يختلف في اسم - في الجاهلية والإسلام - مثل ما اختلف في اسمه..، وصحح النووي أنه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي.
أسلم عام خيبر، وشهد بعضها مع المصطفى، ثم لزمه حتى كان أحفظ أصحابه، وأكثر المكثرين. ذكر بقي بن مخلد: أنه روى عنه ﷺ خمسة آلاف حديث وثلاثمئة وأربعة وسبعين حديثاً، وتوفي بالمدينة سنة تسع وخمسين.

النبوة قال: (وآدم بين الروح والجسد) رواه الترمذي[(١)] وقال: حديث حسن[(٢)].

وروينا في جزء من أمالي أبي سهل القطان عن سهل بن صالح الهمداني، قال: سألت أبا جعفر، محمد بن علي[(٣)]، كيف صار محمد ﷺ يتقدم الأنبياء وهو آخر من بعث؟ قال: إن الله تعالى لما أخذ من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ كان محمد ﷺ أول من قال بلى، ولذلك صار يتقدم الأنبياء، وهو آخر من بعث.

[الوصف بالنبوة قبل الوجود].

فإن قلت: إن النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً، / فكيف يوصف به قبل وجوده ٦/أ وإرساله؟

---

(١) أبو عيسى، محمد بن عيسى، أحد أوعية العلم، والحفاظ الكبار، كان يضرب به المثل في الحفظ، أخذ عن البخاري، وشاركه في شيوخه، بل قال ابن عساكر: كتب عنه البخاري، وحسبه بذلك فخراً. مات سنة تسع وثمانين ومائتين.

(٢) في المناقب برقم ٣٦٨٨ وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لانعرفه إلا من هذا الوجه.

(٣) أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب بالباقر، قال النووي: لأنه بقر العلم، أي: شقه، فعرف أصله وخفيه، ولد سنة ست وخمسين، وروى عنه خلق، كالزهري، وعمرو بن دينار، وكان سيد بني هاشم في زمانه، علما وفضلا وسؤددا ونبلا، قال ابن سعد: ثقة كثير الحديث، مات سنة ثمان عشرة ومائة.

أجاب العلامة الغزالي[1] في كتاب «النفخ والتسوية» عن هذا، وعن قوله: (كنت[2] أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثا)[3]: «بأن المراد بـ«الخلق» هنا: التقدير دون الإيجاد، فإنه قبل أن ولدته أمه لم يكن موجوداً مخلوقاً، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود».

«قال: وهو معنى قولهم: «أول الفكرة آخر العمل، وآخر العمل أول الفكرة» وبيانه: أن المهندس المقدر للدار، أول ما يمثل في نفسه صورة الدار، فتحصل في تقديره دار كاملة، وآخر ما يوجد من أعماله هي الدار الكاملة، فالدار الكاملة هي أول الأشياء في حقه تقديراً، وآخرها وجوداً، لأن ما قبلها من ضرب اللبنات وبناء الحيطان، وتركيب الجذوع، وسيلة إلى غاية وكمال وهي الدار، فالغاية هي الدار ولأجلها تقوم الآلات والأعمال».

«ثم قال: وأما قوله عليه السلام:(كنت نبيا) فإشارة إلى ما ذكرناه، وأنه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقة آدم عليه السلام، لأنه لم ينشأ خلقُ

---

(١) أبو حامد، حجة الإسلام، محمد بن محمد الغزالي - بشد الزاي على المشهور، كما قال ابن الأثير -، كان والده يغزل الصوف ويبيعه بدكان بطوس - كما في طبقات السبكي -، ذكر له الأسنوي في «المهمات» ترجمة حسنة.
وله كتب نافعة مفيدة، خصوصاً الإحياء، فلا يستغني عنه طالب الآخرة، مات سنة خمس وخمسمائة.

(٢) كذا في ش، وفي النسخ: أنا.

(٣) قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٦٦١): ضعيف [المحقق].

آدم إلا ليُنتزَعَ من ذريته محمد ﷺ ويستصفى[1] تدريجاً إلى أن يبلغ كمال الصفا».

«قال: ولا تفهم هذه الحقيقة إلا بأن يعلم أن للدار وجودين: وجوداً في ذهن المهندس ودماغه، و[الوجود الثاني][2] أنه ينظر إلى صورة الدار خارج الذهن في الأعيان، والوجود الذهني سبب الوجود الخارج للعين[3]، فهو سابق لا محالة. وكذلك فاعلم أن الله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق التقدير ثانياً» انتهى.

وهو متعقب بقول الشيخ تقي الدين السبكي[4]: «إنه قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: (كنت نبياً) إلى روحه الشريفة، أو إلى حقيقة من الحقائق، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور إلهي، ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النبي ﷺ قد تكون من حين خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف، بأن يكون خَلَقها متهيئة لذلك، وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبياً، وكتب اسمه على العرش[5]، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده».

---

(١) في ط: ويتصفى.
(٢) في (أ) و(ش).
(٣) في (ط، د) الخارجي العيني.
(٤) الإمام العلامة أبو الحسن علي بن عبد الكافي الملقب تقي الدين السبكي، الفقيه الحافظ، المفسر الأصولي، المتكلم النحوي، شيخ الإسلام، بقية المجتهدين، ولد بسبك من أعمال المنوفية سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وبرع في العلوم، وانتهت إليه الرياسة بمصر، وصنف تصانيف عديدة، وتوفي سنة ست وخمسين وسبعمائة.
(٥) انظر التعليق (٢) ص٨٢ من هذا الجزء.

«فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها، واتصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الإلهية [حاصل من ذلك الوقت][1]، وإنما يتأخر البعث والتبليغ، وكل ما له من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تأخر فيه. وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوة، وإنما المتأخر تكونه وتنقله إلى أن ظهر صلى الله عليه وسلم.».

«وقد علم من هذا: أن من فسره بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل إلى هذا المعنى، لأن علم الله تعالى محيط بجميع الأشياء. ووصف النبي ﷺ بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له في ذلك الوقت. ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبي وآدم بين الروح والجسد، لأن جميع الأنبياء يعلم الله تعالى نبوتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنبي ﷺ لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمته ليعرفوا قدره عند الله تعالى»[2].

وعن الشعبي[3]: قال رجل يارسول الله، متى استنبئت؟ قال:

---

(١) هـذه الجملة وردت في تصحيح عـلى هامش الأصـل حيث قال: «قـوله (واتصاف) مبتدأ وخبره سقط من قلم المصنف سهواً وتقديره: حاصل من ذلك الوقت» اهـ . وقال الزرقاني: إن هذه الجملة سقطت من المصنف سهواً، وهي ثابتة في كلام السبكي [م].

(٢) انتهى كلام السبكي، بتقديم وتأخير حسبما ذكره في رسالة لطيفة سماها «التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه».

(٣) عامر بن شراحيل الكوفي، أبو عمرو، التابعي الوسط، ولد لست مضين من خلافة عمر، على المشهور، وروى عن علي والسبطين، وسعد وسعيد، وابني عباس وعمر وغيرهم، وقال: أدركت خمسمائة صحابي، وما كتبت سوداء في بيضاء قط، ولا حدثني أحد بحديث إلا حفظته. مرَّ بـه ابن =

وآدم بين الروح والجسد/، حين أخذ مني الميثاق. رواه ابن سعد[1]، من ٦/ب رواية جابر الجعفي[2]، فيما ذكره ابن رجب.

فهذا[3] يدل على أنه من حين صور آدم طيناً استخرج منه محمد ﷺ ونبىء وأخذ منه الميثاق، ثم أعيد إلى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو أولهم خلقاً.

لايقال: يلزم خلق آدم قبله، لأن آدم كان حينئذ مواتا لاروح فيه[4]، ومحمد ﷺ كان حياً حين استخرج ونبىء وأخذ منه الميثاق[5]، فهو أول النبيين خلقاً وآخرهم. اهـ[6]

فإن قلت إن استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه، كما دل عليه أكثر الأحاديث، والذي تقرر هنا: أنه استخرج ونبىء قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام.

= عمر، وهو يحدث بالمغازي، فقال: شهدتُ القومَ، فلهو أحفظ وأعلم بها مني. قال مكحول: ما رأيت أفقه منه، مات بالكوفة سنة ثلاث ومائة.

(١) أبو عبدالله، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي - مولاهم - البصري، كاتب الواقدي، روى عنه كثيراً، وكتب الفقه والحديث والغريب والعربية، وصنف: الطبقات الكبير والصغير والتاريخ، قال أبو حاتم وغيره: صدوق. مات سنة ثلاثين ومائتين، عن اثنتين وستين سنة.

(٢) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي، أبو عبدالله، الكوفي، ضعيف، شيعي، تركه الحفاظ. ووثقه شعبة فشذ. قال أبو داود: ليس له في كتابي حديث، سوى السهو، مات سنة ثمان وعشرين ومائة.

(٣) أي مرسل الشعبي، على ضعفه.

(٤) في (ط) و(ش): له. (٥) في (ط، د، ش): ميثاقه.

(٦) هذا كلام لا دليل عليه، ونقاش لا طائل وراءه [المحقق].

أجاب بعضهم: بأنه ﷺ خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفح الروح. فإن محمداً ﷺ هو المقصود من خلق النوع الإنساني[1]، وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده. والأحاديث السابقة صريحة في ذلك، والله أعلم.

[أخذ العهد على الأنبياء]

وروي عن علي بن أبي طالب[2] رضي الله عنه أنه قال: لم يبعث الله تعالى نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث، وهو حي، ليؤمنن به ولينصرنه، ويأخذ العهد بذلك على قومه.

وهو مروي عن ابن عباس أيضاً[3]. ذكرهما العماد بن كثير[4] في تفسيره[5].

وقيل[6]: إن الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد ﷺ أمره أن ينظر إلى

---

(١) هذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [المحقق].

(٢) أمير المؤمنين، زوج البتول الزهراء، تربية من خص بالنظر ليلة الإسراء، القائل في حقه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» رواه الترمذي والنسائي وغيرهما بأسانيد صحيحة، وعند مسلم وأحمد: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق». مناقبه شهيرة كثيرة جداً.

(٣) فهو موقوف عليهما لفظاً، مرفوع حكماً، ورواه ابن عساكر والبغوي بنحوه.

(٤) العماد الحافظ ذو الفضائل، إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي، المفتي المحدث البارع المتقن، كثير الاستحضار، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة، عن أربع وسبعين سنة، وتفسيره لم يؤلف على نمطه مثله.

(٥) في تفسير الآية ٨١ من سورة آل عمران [م].

(٦) هذا القول باطل إذ لا دليل عليه [المحقق].

أنوار الأنبياء عليهم السلام، فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به فقالوا: ياربنا، من غشينا نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبدالله، إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى: أشهد عليكم؟ قالوا: نعم. فذلك قوله تعالى: ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه**﴾ إلى قوله:﴿**وأنا معكم من الشاهدين**﴾[1].

قال الشيخ تقي الدين السبكي: «في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي ﷺ وتعظيم قدره العلي مالايخفى، وفيه مع ذلك: أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون رسالته ونبوته عامة لجميع الخلق، من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته، ويكون قوله: (وبعثت إلى الناس كافة)[2] لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً. ويتبين بذلك معنى قوله ﷺ: (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)».

«ثم قال: فإذا عرف هذا فالنبي ﷺ نبي الأنبياء، ولهذا ظهر في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم. ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته. وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم». انتهى[3] وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس.

---

(١) سورة آل عمران. الآية ٨١.

(٢) من حديث رواه الشيخان وغيرهما، وليس دليلاً على ما ذهب إليه السبكي.

(٣) من رسالته «التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه».

[طينته ﷺ]

وذكر العارف الرباني عبدالله بن أبي جمرة[1] في كتابه «بهجة النفوس»[2]، ومن قبله ابن سبع في «شفاء الصدور»[3] عن كعب الأحبار[4]، قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق محمداً، أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، قال: فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع (٥) الأعلى، فقبض قبضة /رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف، وهي بيضاء منيرة، فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة، حتى صارت كالدرة البيضاء، لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي، وفي السماوات والأرض والجبال والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً وفضله قبل أن تعرف آدم عليهما السلام[6].

١/٧

(١) عبدالله بن أبي جمرة، المقرىء المالكي، العالم البارع الناسك، قال ابن كثير: كان قوالاً بالحق أماراً بالمعروف، مات بمصر سنة خمس وتسعين وستمائة.

(٢) كتاب «بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها» وهو اسم شرحه على ما انتخبه من البخاري.

(٣) ورواه أبو سعد في «شرف المصطفى» وابن الجوزي في «الوفاء».

(٤) كعب بن ماتع، أبو اسحاق الحميري، التابعي المخضرم، أدرك المصطفى وما رآه، المتفق على علمه وتوثيقه، سمع عمر وجماعة، وعنه: العبادلة الأربعة، وأبو هريرة وأنس ومعاوية. وهذا من رواية الأكابر عن الأصاغر، وكان يهودياً يسكن اليمن، وأسلم زمن الصديق، وقيل: عمر، وسكن الشام، وتوفي سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان وقد جاوز المائة، روى له الستة إلا البخاري، فإنما له فيه حكاية لمعاوية عنه.

(٥) بالراء والقاف، السماء السابعة.

(٦) ضعيف جداً.

وقيل: لما خاطب الله تعالى السماء والأرض بقوله: ﴿**ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾[1]. أجاب موضع الكعبة الشريفة، ومن السماء ما يحاذيها. وقد قال ابن عباس: أصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الأرض بمكة. فقال بعض العلماء[2]: هذا يشعر بأن ما أجاب من الأرض إلا درة المصطفى محمد ﷺ، ومن موضع الكعبة دحيت الأرض فصار رسول الله ﷺ هو الأصل في التكوين، والكائنات تبع له. وقيل: لذلك سمي أمياً لأن مكة أم القرى، ودرته أم الخليقة.

فإن قلت: تربة الشخص مدفنه، فكان مقتضى هذا أن يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة، حيث كانت تربته منها.

فقد أجاب عنه صاحب عوارف المعارف[3] ـ أفاض الله علينا من عوارفه، وتعطف علينا بعواطفه ـ بأنه قيل: إن الماء لما تموج رمى الزبد إلى النواحي، فوقعت جوهرة النبي ﷺ إلى ما يحاذي تربته بالمدينة، فكان ﷺ مكياً مدنياً، حنينه إلى مكة وتربته بالمدينة انتهى[4].

وفي «المولد الشريف»[5] لابن طغر بك[6]: ويروى أنه لما خلق الله تعالى آدم، ألهمه أن قال: يا رب، لم كنيتني أبا محمد، قال الله

(١) سورة فصلت: الآية ١١.
(٢) هو السهروردي، وكلامه هذا باطل معارض للآية الكريمة قبله [المحقق].
(٣) هو العلامة عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السهروردي، نسبة إلى سهرورد، بلد عند زنجان ـ كما في التبصير وغيره ـ، الفقيه الشافعي، الزاهد الإمام الورع سمع الحديث من جماعة، وقرأ الفقه والخلاف، ثم انقطع ولازم الخلوة والصوم والذكر، ثم تكلم على الناس عند علو سنه، ثم كف وأقعد، ومع ذلك ما أخل بذكر ولا حضور جمع، ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، وتوفي ببغداد سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.
(٤) هذا الكلام قائم على الخيال ولا صلة له بالواقع. [المحقق].
(٥) المسمى «الدر النظيم في مولد النبي الكريم».
(٦) ابن طغر بك لقب للإمام العلامة المحدث سيف الدين أبي جعفر، عمر بن =

تعالى: يا آدم ارفع رأسك، فرفع رأسه فرأى نور محمد ﷺ في سرادق العرش، فقال: يا رب، ما هذا النور؟ قال: هذا نور نبي من ذريتك اسمه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضاً.

ويشهد لهذا، ما رواه الحاكم في صحيحه[1] أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد ﷺ مكتوباً على العرش، وأن الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك.

ولله در القائل[2]:

وكان لدى الفردوس في زمن الرضى[3] وأثـواب شمل الأنس محكمـة السـدى

يشـاهـد في عـدن ضيـاء مشعشعـا يـزيد عـلى الأنـوار في الضـوء والهـدى

فقـال إلهي مـا الضيـاء الـذي أرى جنـود السـما تـعشـو إليـه تـرددا

فقـال نبـي خـير من وطـىء الـثرى وأفضـل من في الخـير راح أو اغتـدى

تخـيرتـه مـن قبـل خـلقـك سيـدا وألـبستـه قبـل الـنبيـين سؤددا

فإن قلت: إن مذهب الأشاعرة[4]: أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض، فكيف تكون خلقة محمد علة في خلق آدم صلى الله عليهما وسلم؟

= أيوب بن عمر الحميري التركماني، الدمشقي الحنفي. لم أر له في ابن خلكان ترجمة، وإنما فيه ترجمة آخر من الأمراء.

(١) رواه عن عمر، رفعه.

(٢) هو: صالح بن حسين الشاعر، والقصيدة ذكرها بتمامها صاحب «مصباح الظلام» وغيره.

(٣) في (ط، د. ش): الصبا.

(٤) يعني أهل السنة القائلين بما عليه إمامهم أبو الحسن الأشعري.

أجيب: بأن الظاهر من الأدلة تعليل بعض الأفعال بالحكم والمصالح التي هي غايات ومنافع لأفعاله تعالى، لابواعث على إقدامه، ولا علل مقتضية لفاعليته، لأن ذلك محال في حقه تعالى، لما فيه من استكماله بغيره. والنصوص شاهدة بذلك، كقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[١] أي: قرنت الخلق بالعبادة، أي: خلقتهم وفرضت عليهم العبادة، فالتعليل لفظي لاحقيقي، لأن الله تعالى مستغن عن المنافع، فلا يكون فعله لمنفعة راجعة إليه ولا إلى غيره، لأن /الله قادر على إيصال المنفعة إلى الغير من غير واسطة العمل. ٧/ب

[أول المخلوقات]

وروى عبد الرزاق[٢] بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري[٣] قال: قلت يارسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال: ياجابر، إن الله تعالى قد[٤] خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره[٥]، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث

---

(١) سورة الذاريات. الآية ٥٦.

(٢) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، الحافظ أبو بكر الصنعاني، أحد الأعلام، روى عن معمر وابن جريج ومالك والسفيانين والأوزاعي وخلق. وعنه: أحمد واسحاق وغيرهما. مات سنة إحدى عشرة ومائتين ببغداد عن خمس وثمانين سنة.

(٣) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي السلمي، الصحابي ابن الصحابي، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة.

(٤) [قد] في ا، ش.

(٥) قوله: «من نوره» الإضافة إضافة تشريف، وإشعار بأنه خلق عجيب، وأن =

شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نار، ولا ملك ولا سماء، ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا انسي[1]، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش. ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم - وهي المعرفة بالله - ومن الثالث نور أنسهم، وهو التوحيد، لا إله إلا الله محمد رسول الله.. الحديث[2].

وقد اختلف: هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي؟

فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني[3]: الأصح أن العرش قبل

= له شأناً، على حد قوله تعالى: ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ وهي بيانية.

(١) في ط: ولا جن ولا إنس.

(٢) قال الشيخ عبد العزيز الخالدي في تعليقه على هذا الحديث في طبعته لشرح الزرقاني: حديث جابر هذا المنسوب إلى عبد الرزاق خطأ، فهو غير موجود في مصنفه ولا جامعه، ولا تفسيره، وقد حكم الشيخ عبد الله بن الصديق في رسالة «مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر» على هذا الحديث بالوضع. [المحقق].

(٣) العلامة أبو يعلى الهمداني شيخ الإسلام، الحسن بن أحمد، المتقن المتفنن في عدة علوم، البارع على حفاظ عصره، الذي لا يغشى السلاطين، ولا يقبل منهم شيئاً ولا مدرسة ولا رباطاً، ولا تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة تسع وستين وخمسمائة.

القلم، لما ثبت في الصحيح[1] عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (قدر[2] الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)[3]، فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش. والتقدير[4] وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة بن الصامت[5]، مرفوعاً: (أول ما خلق الله القلم قال له اكتب، قال: رب، وما أكتب، قال: اكتب مقادير كل شيء) رواه أحمد، والترمذي وصححه[6].

ورويا أيضاً من حديث أبي رزين العقيلي[7] مرفوعاً: (إن الماء خلق قبل العرش)[8].

---

(1) صحيح مسلم، وهو عنده بلفظ «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء» رقم الحديث ٢٦٥٣ [م].

(2) في ش: إن الله قدر.

(3) تبين من التعليق السابق أن هذا ليس لفظ الصحيح، وإنما ورد بلفظ قريب منه عند أحمد، هو: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة». المسند ٢/١٦٩. [م]

(4) لفظ (التقدير) ليس في ط .

(5) عبادة بن الصامت الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، المدني النقيب، البدري وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً، فأقام بحمص ثم انتقل إلى فلسطين، وبها مات - وقيل بالرملة - سنة أربع وثلاثين. ودفن ببيت المقدس، وقبره به معروف.

(6) هو في المسند بلفظ قريب ٣١٧/٥ وعند الترمذي برقم ٢٢٤٤ ورقم ٣٣٧٥ وهو كذلك عند داود برقم ٤٧٠٠.

(7) لقيط بن عامر العُقَيلي، صحابي مشهور، غير لقيط بن صبرة - عند الأكثر - كما في التقريب.

(8) في المسند (.. ثم خلق عرشه على الماء) ١١/٤ و ١٢ وعند الترمذي برقم ٥١٠٩ في تفسير سورة هود. [م]

وروى السدي[1] بأسانيد متعددة: أن الله تعالى لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء. فيجمع بينه وبين ما قبله، بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور النبوي المحمدي والماء والعرش، انتهى. وقيل: الأولية في كل بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري، وكذا في باقيها.

وفي أحكام ابن القطان[2]، مما ذكره ابن مرزوق[3]، عن علي ابن الحسين[4] عن أبيه[5] عن جده أن النبي ﷺ قال: كنت نوراً بين

---

(١) اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير، المفسر المشهور، عن أنس وابن عباس، وعنه: شعبة والثوري وزائدة. ضعفه ابن معين، ووثقه أحمد، واحتج به مسلم. وفي التقريب: أنه صدوق، يهم ويتشيع، مات سنة سبع وعشرين ومئة، روى له الجماعة إلا البخاري.

(٢) ابن القطان الحافظ الناقد، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الملك كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدهم عناية في الرواية، معروفاً بالحفظ والإتقان، صنف: الوهم والإيهام على الأحكام الكبرى لعبد الحق ومات سنة ثمان عشرة وستمائة.

(٣) العلامة محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني، عرف بالخطيب، ولد عام عشرة وسبعمائة، ومهر وبرع، وشرح العمدة، والشفاء، والبردة، والأحكام الصغرى لعبد الحق، ومختصر ابن الحاجب الفرعي، ومات سنة إحدى وثمانين وسبعمائة بمصر.

(٤) علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الملقب «زين العابدين» التابعي الوسط، قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه ولا أفقه. وقال ابن المسيب: ما رأيت أورع منه، وقال ابن سعد: كان ثقة مأموناً كثير الحديث، عالماً عابداً، ولم يكن في أهل البيت مثله، وكان إذا توضأ يصفر لونه، فإذا قام يصلي أرعد من الخوف، فقيل له في ذلك، فقال: أتدرون بين يدي من أقوم؟ ولمن أناجي؟. ولد سنة ثلاث وثلاثين وتوفي أول سنة أربع وتسعين. ودفن بالبقيع.

(٥) الحسين بن علي السبط، أشبه الناس بجده ـ كما قال أنس عند البخاري ـ، =

يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام.

وفي الخبر: لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه، فيغلب على سائر نوره، ثم رفعه الله على سرير مملكته وحمله على أكتاف ملائكته وأمرهم فطافوا به في السماوات ليرى عجائب ملكوته.

[خلق آدم والسجود له]

قال جعفر بن محمد: مكثت الروح في رأس آدم مئة عام، وفي صدره مئة عام وفي ساقيه وقدميه مئة عام[1]، ثم علمه الله تعالى أسماء جميع المخلوقات، ثم أمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس، فطرده الله تعالى وخزاه.

وكان السجود لآدم سجود تعظيم وتحية، لاسجود عبادة، كسجود إخوة يوسف له، فالمسجود له في الحقيقة / هو الله تعالى، وآدم كالقبلة. ١/٨

وروي عن جعفر الصادق[2] أنه قال: كان أول من سجد لآدم

= المقتول ظلماً، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين بكربلاء، ودفن جسده حيث قتل، وأما الرأس فقد حمل إلى المدينة ودفن بها، على ما ذكره الزبير بن بكار. قال ابن دحية: لم يصح سواه. وأما الزعم بأنه في المشهد الحسيني بالقاهرة فقد نفاه ابن تيمية وقال: اتفق العلماء كلهم على أن المشهد الذي بقاهرة مصر، المسمى: مشهد الحسين، باطل، وإنما حدث بمصر في دولة بني عبيد القداح ملوك مصر في أثناء المائة الخامسة.

(١) هذا القول يحتاج إلى دليل. [المحقق].

(٢) جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم، لقب بالصادق لصدقه في مقاله، كان من سادات أهل البيت، ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة.

جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل[1] ثم الملائكة المقربون.

وعن أبي الحسن النقاش: أول من سجد إسرافيل[2]، قال: ولذا جوزي بتولية اللوح المحفوظ.

وعن ابن عباس: كان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر.

[خلق حواء]

ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى، وهو نائم، وسميت حواء لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ ورآها سكن إليها[3]، ومدَّ يده إليها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، قال: ولم وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ﷺ ثلاث مرات.

وذكر ابن الجوزي[4] في كتابه «سلوة الأحزان»: أنه لما رام القرب منها طلبت منه المهر، فقال: يارب، وماذا أعطيها، فقال: يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبدالله عشرين مرة، ففعل.

---

(١) هذا الاسم لم يثبت به نص صحيح، بل يقال: ملك الموت. [المحقق].

(٢) رواه ابن أبي حاتم عن ضمرة، والسلفي عن عمر بن عبد العزيز.

(٣) في ط: لها.

(٤) العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، الحافظ البغدادي، الحنبلي، الواعظ، صاحب التصانيف السائدة في الفنون، قال في تاريخ الحفاظ: ما علمت أحداً صنف ما صنف، وحصل له من الحظوة في الوعظ ما لم يحصل لأحد قط، وحضره ملوك ووزراء وخلفاء، وقال على المنبر: كتبت بأصبعي ألف مجلد.. مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة .

[الأكل من الشجرة]

ثم إن الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة، ونهاهما عن شجرة الحنطة، وقيل: شجرة العنب، وقيل: شجرة التين، فحسدهما إبليس، فهو أول من حسد وتكبر، فأتى إلى باب الجنة فاحتال حتى دخل الجنة، وأتى إلى آدم وحواء، فوقف وناح نياحة أحزنتهما، فهو أول من ناح، فقالا: ما يبكيك؟ قال: عليكما، تموتان وتفقدان النعيم، ألا أدلكما على شجرة الخلد، فكلا منها، وحلف لهما أنه ناصح، فهو أول من حلف كاذباً، وأول من غش.

فأكلت حواء منها، ثم زينت لآدم حتى أكل، وظنا أن أحداً لايتجاسر أن يحلف بالله كاذباً، فقال الله تعالى: ياآدم، ألم يكن فيما أبحتك من الجنة مندوحة[1] عن الشجرة؟! قال: بلى يارب وعزتك، ولكن ظننت أن أحداً لايحلف بك كاذباً، قال الله: وعزتي وجلالي، لأهبطنك إلى الأرض، لاتنال العيش إلا كدا، فأهبط من الجنة.

وعن ابن عباس: قال الله تعالى: يا آدم، ما حملك على ما صنعت؟ قال: زينته لي حواء، قال: فإني أعقبها[2] أن لاتحمل إلا كرها، ولا تضع إلا كرها، ولأدمينها في الشهر مرتين.

وقال وهب بن منبه[3]: لما أهبط آدم إلى الأرض مكث يبكي ثلاثمائة سنة لا يرقأ له دمع.

وقال المسعودي[4]: لو أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع

---

(١) مندوحة: سعة وفسحة.

(٢) أعقبها ـ بضم الهمزة وسكون العين وكسر القاف ـ أجازيها.

(٣) الحافظ وهب بن منبه بن كامل، أبو عبدالله الصنعاني، العلامة الإخباري الصدوق، ذو التصانيف، روى عن ابن عباس وابن عمر، وعنه: آله، وسماك بن الفضل. مات سنة أربع عشرة ومائة.

(٤) عبد الرحمن بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الكوفي، الحافظ، قال ابن نمير: =

آدم أكثر حين أخرجه الله من الجنة.

وقال مجاهد[1]: بكى آدم مائة عام لايرفع رأسه إلى السماء، وأنبت الله من دموعه العود الرطب والزنجبيل والصندل وأنواع الطيب، وبكت حواء حتى أنبت الله من دموعها القرنفل والأفاوى[2].

[موعظة]

يابني آدم، انظروا كيف بكى أبوكم على فعلة واحدة ثلاثمائة سنة، فكيف بكم يا أرباب[3] الكبائر العظيمة؟ فاعتبروا ياأولي الأبصار، كان كلما رأى الملائكة تصعد وتهبط ازداد شوقاً إلى الأوطان، وتذكر العهد والجيران، ياأصحاب الذنوب احذروا زلة يقول فيها الحبيب: هذا فراق بيني وبينك، فياذا العقل السليم، انظر كيف جلس أبوك آدم على سرير المملكة، فمد يده إلى لقمة نهي عنها فأخرج من الجنة، فاحذروا يابنيه عواقب المعاصي فإنها من نزلت به نزلت به[4] وحطته عن مرتبته.

[خطيئة آدم كبيرة أم صغيرة؟]

فإن قلت: هذه الفعلة التي أهبط بها آدم من الجنة، إن كانت كبيرة

= ثقة اختلط آخراً، وقال ابن مسعر: ما أعلم أحداً أعلم بعلم ابن مسعود منه، مات سنة ستين أو خمس وستين ومائة.

(١) مجاهد بن جبير المخزومي، مولاهم، المكي، الثقة الحافظ، الإمام في التفسير وفي العلم، أحد الأعلام المجمع على إمامته ـ وذكر ابن حبان له في الضعفاء، مردود ـ مات بمكة، وهو ساجد، سنة ثلاث ومائة، خرج له في الستة.

(٢) أي الطيب.

(٣) في ش: يا أصحاب.

(٤) أي: خفضته.

فالكبيرة لاتجوز على الأنبياء، وإن كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها، من نزع اللباس والإخراج من الجنة /وغير ذلك؟ ٨/ب

أجاب الزمخشري[1]: بأنها ما كانت إلا صغيرة، مغمورة بأعمال قلبه من الإخلاص والأفكار[2] الصالحة التي هي أجل الطاعات، وأعظم الأعمال، وإنما جرى عليه ما جرى تعظيماً للخطيئة، وتفظيعاً لشأنها وتهويلا، ليكون ذلك لطفاً له ولذريته في اجتناب الخطايا، واتقاء المآثم.

[من حكمة نزول آدم]

ياهذا، انظر كم لله من لطف وحكمة في إهباط آدم من الجنة إلى الأرض، لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهدين، واجتهاد العابدين المجتهدين[3]، ولا صعدت زفرات أنفاس التائبين، ولا نزلت قطرات دموع المذنبين، يا آدم إن كنت أهبطت من دار القرب فإني قريب، أجيب دعوة الداع، إن كان حصل لك بالإخراج من الجنة كسر فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، وإن كان فاتك في السماء زجل المسبحين فقد تعوضت في الأرض أنين المذنبين، أنين المذنبين أحب إلينا من تسبيحهم، زجل المسبحين ربما يشوبه الافتخار، وأنين المذنبين يزينه الانكسار، «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم»[4].

---

(١) العلامة جار الله، أبو القاسم محمود الزمخشري، المعتزلي، قال ابن خلكان وغيره: كان يتظاهر به، وإذا استأذن على صاحب له بالدخول يقول: أبو القاسم المعتزلي بالباب، وأول ما صنف: الكشاف، توفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

(٢) في ش: الأذكار.

(٣) في (ش، ب) جهاد المجتهدين واجتهاد العابدين.

(٤) رواه مسلم برقم ٢٧٤٩، وفي مسند الإمام أحمد ٢/٣٠٩.

سبحان من إذا لطف بعبده في المحن قلبها منحا، وإذا خذل عبداً لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه وبالا، لقن الله آدم حجته، وألقى عليه ما تقبل به توبته، وطرد إبليس اللعين بعد طول خدمته، فصار عمله هباء منثوراً، قال: اخرج منها **﴿فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾**[١]، إذا وضع عدله على عبد لم يبق له حسنة، وإذا بسط فضله على عبد لم يبق له سيئة.

انظر لما ظهرت فضائل آدم عليه الصلاة والسلام على الخلائق بالعلم، وكان العلم لايكمل إلا بالعمل بمقتضاه، والجنة ليست دار عمل ومجاهدة، إنما هي دار نعيم ومشاهدة، قيل له: يا آدم اهبط إلى أرض الجهاد، وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد، وكأنك بالعيش الماضي وقد عاد على أكمل من ذلك المعتاد.

ولما أظهر إبليس ـ عليه اللعنة ـ الحسد، سعى في الأذى، حتى كان سبباً في إخراج السيد آدم من الجنة، وما فهم الأبله أن آدم إذا خرج من الجنة كملت فضائله، ثم عاد إلى الجنة على أكمل من الحال الأول.

قالوا[٢]: وفيه إشارة، كأنه تعالى يقول: لو غفرت في الجنة لما تبين كرمي، بأني[٣] أغفر لنفس واحدة، بل أخرجه[٤] إلى الدنيا، وآتي بألوف من العصاة حتى أغفر له ولهم ليتبين جودي وكرمي. وأيضاً: علم الله تعالى أن في صلبه الأولاد، والجنة ليست دار توالد، وأيضاً: ليخرج من ظهره في الدنيا من لا نصيب له في الجنة.

---

(١) سورة الحجر. الآية ٣٤.
(٢) أي الصوفية.
(٣) في (ب، ط) بأن، والباء هنا سببية.
(٤) في ش: أؤخره.

ياهذا، الجنة إن شاء الله **إقطاعنا**[1]. وقد وصل منشور الإقطاع مع جبريل عليه الصلاة والسلام إلى نبينا ﷺ ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار**﴾[2]، إنما يخرج الإقطاع عمن خرج عن الطاعة، نسأل الله التوفيق.

[الجنة التي سكنها آدم]

وقد اختلف في الجنة التي سكنها آدم.

فقيل: هي جنة الخلد.

وقيل: غيرها، جعلها الله دار ابتلاء، لأن جنة الخلد إنما يدخل إليها يوم القيامة، ولأنها دار جزاء وثواب لادار تكليف وأمر ونهي، ودار سلامة لادار ابتلاء وامتحان، ودار قرار لا دار انتقال.

١/٩ واحتج القائلون بأنها جنة الخلد، بأن/ الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة، وقد دخلها نبينا عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء، وبأن ما ذكروه من أن الجنة لايوجد فيها ما وجده آدم من الحزن والنصب فإنما هو إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة، كما يدل عليه سياق الآيات كلها، فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها، والله أعلم[3]، انتهى.

[استشفاع آدم به ﷺ]

وروي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى

---

(١) أي معطاة لنا.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥.

(٣) ظاهر قول المصنف تساوي القولين، وليس كذلك. فقد قال القرطبي: هي جنة الخلد، ولا التفات إلى ما ذهب إليه المعتزلة والقدرية من أنه لم يكن فيها.. ورجح أبو القاسم الرماني في تفسيره: أنها جنة الخلد أيضاً وقال: هو قول الحسن وعمر، وواصل، وعليه أهل التفسير.

كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً باسم الله تعالى، فقال يارب هذا محمد من هو؟ فقال الله: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك. فقال: يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد، فنودي: ياآدم، لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض لشفعناك.

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يارب، أسألك بحق محمد لما[1] غفرت لي، فقال الله: ياآدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك يارب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت ياآدم، إنه لأحب الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[2] رواه البيهقي في دلائله[3] من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[4] وقال تفرد به عبد الرحمن[5] ورواه الحاكم وصححه، وذكره الطبراني[6] وزاد فيه: وهو آخر الأنبياء من ذريتك.

---

(١) «لما» بمعنى إلا الإستثنائية كقوله تعالى: ﴿لما عليها حافظ﴾ وفي نسخة: إلا ما.

(٢) قال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الأوسط والصغير وفيه من لم أعرفهم. وفي سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم ٢٥ موضوع. [م].

(٣) كتاب «دلائل النبوة» الذي قال فيه الحافظ الذهبي: عليك به فإنه كله هدى ونور.

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المدني، عن أبيه وابن المنكدر، وعنه: اصبغ وقتيبة وهشام، ضعفوه، له تفسير، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة.

(٥) أي لم يتابعه عليه غيره، فهو غريب مع ضعف راويه.

(٦) الإمام الطبراني أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي، مسند الدنيا، الحافظ المكثر، صاحب التصانيف الكثيرة، أخذ عن أكثر من =

[حبيب الله]

وفي حديث سلمان[1] عند ابن عساكر[2] قال: هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلا، **فقد** اتخذتك حبيبا، وما خلقت خلقا أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا.

ولله در سيدي علي وفا[3] حيث قال في قصيدته التي أولها:

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد

روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد

= ألف شيخ، كأبي زرعة الرازي وطبقته، وعنه: أبو نعيم وغيره، قال الذهبي: ثقة صدوق، واسع الحفظ، بصير بالعلل والرجال والأبواب، إليه المنتهى في الحديث وعلومه، مات بمصر سنة ستين وثلاثمائة، عن مائة سنة وعشرة أشهر.

(١) سلمان الفارسي، الذي تشتاق له الجنة، شهد الخندق وما بعدها، عاش دهراً طويلا. ويأتي تحقيق ذلك في خدمه **صلى الله عليه وسلم**.

(٢) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي الشافعي، صاحب «تاريخ دمشق» وغيره من المصنفات. الثقة الثبت، والحجة المتقن، غزير العلم، كثير الفضل، دين خير، ولد سنة تسعين وأربعمائة، ورحل إلى بغداد وغيرها، وسمع من نحو ألف وثلاثمائة شيخ، ونيف وثمانين امرأة، وروى عنه ما لا يحصى، ثناء الناس عليه كثير، مات سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

(٣) في ط: علي الرفوي. وفي (ب، د): الوفوي، العارف الكبير، الشاذلي، أبو الحسن، ابن العارف الكبير، ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان يقظا حاد الذهن، مالكي المذهب، وله نظم كثير، مات سنة سبع وثمانمائة، كذا ترجمه الحافظ ابن حجر، وتبعه السخاوي والسيوطي.

عيسى وآدم والصدور جميعهم — هم أعين هو نورها لما ورد

لو أبصر الشيطان طلعة نوره — في وجه آدم كان أول من سجد

أو لو رأى النمروذ نور جماله — عبد الجليل مع الخليل ولا عند

لكن جمال الله جل فلا يرى — إلا بتخصيص من الله الصمد[1]

---

(١) في البيت الثاني من هذه الأبيات ـ الوارد في الصفحة السابقة ـ معنى خطير، تفوح منه رائحة فكرة وحدة الوجود الباطلة. لذا لا ينبغي السكوت عليه وعدم التنبيه لما فيه، فلينظر.
وفي البيت الأخير إشكال بشأن الاستثناء، فمن المتفق عليه أن رؤية الله سبحانه وتعالى إنما تكون في الآخرة، لمن كتبت لهم السعادة. [المحقق].

[النسب الشريف]

[طهارة نسبه ﷺ من السفاح]

ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن إلى آدم ويسكن إليها، فحين صار لديها[1] فاضت بركاته عليها، فولدت له في تلك الأعوام الحسناء أربعين ولدا في عشرين بطنا، ووضعت شيثا وحده، كرامة لمن أطلع الله تعالى بالنبوة سعده.

ولما توفي آدم، كان شيث ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصيا على ولده، ثم أوصى شيث ولده بوصية آدم: أن لا يضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء، ولم تزل هذه الوصية جارية، تنتقل من قرن إلى قرن، إلى أن أدى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله، وطهر الله سبحانه هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية، كما ورد عنه ﷺ / في الأحاديث المرضية. ٩/ب

قال ابن عباس ـ فيما رواه البيهقي في سننه ـ قال رسول الله ﷺ (ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام).

والسفاح ـ بكسر السين المهملة ـ: الزنا، والمراد به هاهنا: أن

(١) في (ش): وصل إليها.

المرأة تسافح رجلا مدة، ثم يتزوجها بعد ذلك.

وروى ابن سعد وابن عساكر، عن هشام[1] بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه قال: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم[2]، فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في أمر الجاهلية.

وعن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال: (خرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من نكاح[3] أهل الجاهلية شيء) رواه الطبراني في الأوسط[4]، وأبو نعيم[5] وابن عساكر.

وروى أبو نعيم، عن ابن عباس، مرفوعا: لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذبا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما.

وعنه، في قوله تعالى: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾[6]. قال: من نبي

---

(١) هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر، المتوفى سنة أربع وثمانين ومائة، كما قال المسعودي، قال الدارقطني: هشام رافضي، ليس بثقة، وذكره ابن حبان في الثقات.
(٢) قال الشامي: يريد الجدات وجدات الجدات من قبل أبيه وأمه.
(٣) في (ب، ط، د) سفاح.
(٤) معجم الطبراني الأوسط، ألفه في غرائب شيوخه، يقال ضمنه ثلاثين ألف حديث، وفي تاريخ ابن عساكر وغيره أن الطبراني كان يقول: هذا الكتاب روحي، لأنه تعب عليه.
(٥) أبو نعيم لم يذكر في (ش، د).
(٦) سورة الشعراء، الآية ٢١٩.

إلى نبي حتى أخرجتك نبيا. رواه البزار [1].

وعنه أيضا في الآية قال: ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه. رواه أبو نعيم [2].

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، في قوله تعالى: **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾** [3] قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قال: وقال النبي ﷺ: خرجت من نكاح غير سفاح [4].

وعن أنس [5] قال: قرأ رسول الله ﷺ **﴿لقد جاءكم رسول من أنفَسكم﴾** - بفتح الفاء - وقال: أنا أنفسكم نسبا وصهرا وحسبا، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح. رواه ابن مردويه [6].

وفي الدلائل لأبي نعيم، عن عائشة عنه ﷺ عن جبريل قال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أر رجلاً أفضل من محمد، ولم أر

---

(١) الحافظ العلامة الشهير، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري، صاحب المسند الكبير المعلل، مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

(٢) قال الدكتور الهراس في تحقيق خصائص السيوطي: لا تظن أن هذا الأثر صحيح عن ابن عباس، وعكرمة ضعيف الحديث فإن من آبائه من ليس بنبي بل منهم من هو مشرك. [م].

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٤) وهذا مرسل، لأن محمدا تابعي.

(٥) أنس بن مالك بن النضر، الأنصاري الخزرجي، الصحابي الشهير، خادم المصطفى، مات سنة اثنتين - وقيل: ثلاث - وتسعين.

(٦) الحافظ أبو بكر، أحمد بن موسى بن مردوية الأصبهاني، اللبيب العلامة، ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وصنف التاريخ والتفسير المسند والمستخرج على البخاري، وكان فهماً بهذا الشأن، بصيراً بالرجال، مات سنة عشر وأربعمائة.

بني أب أفضل من بني هاشم. كذا أخرجه الطبراني في الأوسط[1].
قال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر[2]: لوائح الصحة ظاهرة[3] على صفحات هذا المتن.

[خير القرون وخير البيوت]

وفي البخاري عن أبي هريرة، عنه ﷺ (بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا، حتى كنت من القرن الذي كنت منه)[4].

وفي مسلم عن واثلة بن الأسقع[5] قال ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[6] رواه الترمذي[7].

---

(١) والإمام احمد والبيهقي والديلمي وابن لال وغيرهم.
(٢) الحافظ أبو الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر الكناني العسقلاني ثم المصري، الشافعي، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، عانى أولاً الأدب، وتعلم الشعر فبلغ الغاية، ثم طلب الحديث، فسمع الكثير، ورحل وبرع فيه، وتقدم في جميع فنونه، وانتهت إليه الرحلة والرياسة في الحديث في الدنيا بأسرها، فلم يكن في عصره حافظ سواه، وألف كتبا كثيرة وأملى أكثر من ألف مجلس، توفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة. قال السيوطي: وختم به الفن..
(٣) في (ش، ب) لائحة.
(٤) البخاري. كتاب المناقب برقم ٣٥٥٧ فتح ٥٦٦/٦ .
(٥) ابن عبد العزى، الكناني الليثي، من أهل الصفة، غزا تبوكا، وعنه: مكحول ويونس بن ميسرة، عاش ثمانيا وتسعين سنة، ومات سنة خمس وثمانين. وأبوه صحابي أيضا، كما في الإصابة.
(٦) هو عند مسلم برقم ٢٢٧٦، كتاب الفضائل.
(٧) في المناقب برقم ٣٦٨٤ بلفظ قريب وقال: هذا حديث حسن صحيح ورقم ٣٦٨٧ أيضا.

وعن العباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله خلق الخلق، فجعلني في خير فرقهم، وخير الفريقين، ثم تخير القبائل فجعلني في خير القبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا، وخيرهم بيتا) [رواه الترمذي هكذا منفردا به وقال: حديث حسن(١). أي خيرهم روحا وذاتا، وخيرهم بيتا](٢) أي أصلا.

وفي حديث رواه الطبراني عن ابن عمر(٣) قال: (إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم(٤) فاختار منهم العرب، ثم اختارني من العرب، فلم أزل خيارا من خيار، ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)(٥).

[وحيد والديه ﷺ]

ثم اعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت، لانتهاء صفوتها إليه، وقصور نسبهما عليه، ليكون مختصاً بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية،/ ولتمام الشرف نهاية، وأنت إذا اختبرت حال نسبه الشريف، وعلمت طهارة مولده تيقنت أنه سلالة آباء كرام. ١٠/١

---

(١) باب المناقب برقم ٣٦٨٥ بلفظ «ثم خير» عوضا عن «ثم تخير» في الجملتين [م].

(٢) ما بين القوسين لم يرد في: ش.

(٣) عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن، العالم المجتهد العابد، لزوم السنة، الفرور من البدعة، الناصح للأمة، شهد الخندق وما بعدها، قال الحافظ: ولد في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث، وتوفي سنة ثلاث وسبعين.

(٤) المراد: نظر إليهم فاختار.

(٥) قال في مجمع الزوائد: فيه حماد بن واقد وهو ضعيف [م].

فهو ﷺ النبي العربي [الأمي][(١)] الأبطحي[(٢)] الحرمي الهاشمي القرشي، نخبة بني هاشم، المختار المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها في النسب، وأشرفها في الحسب، وأنضرها عودا، وأطولها عمودا، وأطيبها أرومة، وأعزها جرثومة، وأفصحها لسانا، وأوضحها بيانا، وأرجحها ميزانا، وأصحها إيمانا، وأعزها نفرا، وأكرمها معشرا، من قبل أبيه وأمه، ومن أكرم بلاد الله على الله و[على][(٣)] عباده.

[سلسلة النسب الشريف]

- فهو محمد بن عبد الله، الذبيح،

- ابن عبد المطلب، واسمه شيبة الحمد، في قول ابن إسحاق[(٤)]، وهو الصحيح، وقيل سمي به لأنه ولد وفي رأسه شيبة.

وقيل: اسمه عامر، وهو قول ابن قتيبة[(٥)]، وتابعه عليه المجد الشيرازي[(٦)]، وكنيته أبو الحارث، بابن له أكبر ولده،

---

(١) في (ط، ب، د).

(٢) الأبطحي: نسبة إلى أبطح مكة، وهو مسيل واديها. وفي المختار: البطحاء كالأبطح، ومنه بطحاء مكة.

(٣) سقطت في (ط) و(ش).

(٤) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، مولاهم، المدني نزيل العراق، الحافظ، إمام المغازي، صدوق لكنه يدلس، ورمي بالتشيع والقدر، توفي سنة خمسين ومائة.

(٥) أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي اللغوي، مؤلف «أدب الكاتب» وغيره، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، ومات سنة سبع وستين ومائتين.

(٦) مجد الدين، محمد بن يعقوب الشرازي، نسبة إلى شيراز، قرية بنواحي =

قيل: وإنما قيل له عبد المطلب، لأن أباه هاشما قال لأخيه المطلب، وهو بمكة، حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب، فمن ثم سمي عبد المطلب، وقيل: إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه ـ وهو بهيئة بذة ـ فكان يُسأل عنه فيقول: هو عبدي، حياء أن يقول: هو ابن أخي، فلما أدخله وأحسن من حاله، أظهر أنه ابن أخيه، فلذلك قيل له: عبد المطلب.

وهو أول من خضب بالسواد من العرب، وعاش مائة وأربعين سنة.

● ابن هاشم، واسمه عمرو، وإنما قيل له هاشم لأنه كان يهشم الثريد لقومه في الجدب.

● ابن عبد مناف، واسمه المغيرة،

● ابن قصي ـ بفتح الصاد ـ تصغير قصي، أي بعيد، لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة، حين احتملته أمه فاطمة، واسمه مجمع، قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقيل زيد، وقال الشافعي[1]، كما حكاه عنه الحاكم أبو

= سرخس مؤلف «القاموس» وغيره، مجدد اللغة على رأس المائة الثامنة، ومهر فيها وهو شاب، وتفقه وطلب الحديث، وجال في البلدان، وفي شيوخه كثرة، وأخذ عنه الحافظ وغيره، مات سنة سبع عشرة وثمانمائة، وقد جاوز التسعين، متمتعا بحواسه.

(١) محمد بن إدريس الشافعي، المطلبي المكي، نزيل مصر، عالم قريش، مجدد الدين على رأس المائتين، حفظ القرآن ابن سبع، والموطأ ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمس عشرة، وكان يحيي الليل إلى أن مات سنة أربع ومائتين، عن أربع وخمسين سنة، مناقبة جمة أفردها العلماء بالتصانيف.

أحمد[1]: يزيد

● ابن كلاب، وهو إما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة، نحو: كالبت العدو مكالبة، وإما من الكلاب: جمع كلب، لأنهم يريدون الكثرة، كما تسموا بسباع.

وسئل أعرابي: لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء، نحو: مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا. يريدون أن الأبناء عدة للأعداء، وسهام في نحورهم، فاختارو لهم هذه الأسماء.

واسم كلاب: حكيم، وقيل: عروة.

● ابن مرة.

● ابن كعب، وهو أول من جمع يوم العروبة[2]، وكانت تجتمع إليه قريش في هذا اليوم، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعلمهم بأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه والإيمان به، وينشد في ذلك أبياتاً منها:

يا ليتني شاهد فحواء دعوته   حين العشيرة[3] تبغي الحق خذلانا[4]

---

(١) محمد بن محمد بن إسحاق النيسابوري، أو أحمد، الإمام الحافظ الجهبذ، محدث خراسان، وسمع منه: السلمي والحاكم أبو عبد الله، المشهور الموافق له في الاسم واللقب والنسبة، وإنما افترقا في الكنية، ووصفه بأنه إمام عصره في الحديث، كثير التصانيف، مقدم في معرفة شروط الصحيح والأسامي والكنى، وكان صالحاً، ماشياً على سنن السلف، مات سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة عن ثلاث وتسعين سنة،.

(٢) هو يوم الجمعة، واختلف فيمن سماه الجمعة.

(٣) في (د): إذا قريش تبغي الحق خذلانا.

(٤) لو كان الأمر كذلك لكانت عداوة قريش له ﷺ أقل مما كانت عليه [م].

- ابن لؤي، تصغير اللأي بوزن العصا، وهو الثور،

- ابن غالب

- ابن فهر، واسمه قريش، وإليه تنسب قريش، فما كان فوقه فكناني لا قرشي على الصحيح.

- ابن مالك

- ابن النضر، واسمه قيس،

- ابن كنانة[1]،

- ابن خزيمة، تصغير خزمة،

- ابن مدركة،

- ابن إلياس، بكسر الهمزة في قول ابن الأنباري[2]، وبفتحها في قول قاسم بن ثابت[3]، ضد الرجاء، واللام فيه للتعريف والهمزة

---

(١) في ط: وقيل هو جماع قريش، وكذا في هامش ب.

(٢) الحافظ أبو بكر، محمد بن القاسم بن الأنباري، نسبة إلى الأنبار، بلدة قديمة على الفرات، صاحب التصانيف، العلامة في النحو واللغة والأدب، المعدوَد في حفاظ الحديث، كان من أفراد الدهر في سعة الحفظ مع الصدق والدين، ومن أهل السنة، مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

(٣) قاسم بن ثابت العوفي الأندلسي المالكي، الفقيه المحدث، المشارك لأبيه في رحلته وشيوخه، الورع الناسك، مجاب الدعوة، المتوفى سنة اثنتين وثلاثمائة. [كذا ذكر الشارح وفاته في ١/٧٨، وقال في ١/٣٣١ توفي سنة ستين وثلاثمائة].

١٠/ب للوصل/، قال السهيلي[١]: وهذا أصح[٢]. وهو أول من أهـدى البدن إلى البيت الحرام، ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي ﷺ بالحج.؟!

● ابن مضر، وهو أول من سن الحداء للإبل، وكان من أحسن الناس صوتاً.

● ابن نزار ـ بكسر النون ـ من النزر، وهو القليل، قيل لأنه لما ولد، ونظر أبوه إلى نور محمد ﷺ بين عينيه فرح فرحاً شديداً، وأطعم وقال: إن هذا كله نزر، أي قليل لحق هـذا المولـود، فسمي نزاراً لذلك.

● ابن معد،

● ابن عدنان.

[الوقوف بالنسب عند عدنان]

قال ابن دحية[٣]: أجمع العلماء ـ والإجماع حجة ـ على أن رسول الله ﷺ إنما انتسب إلى عدنان ولم يتجاوزه. انتهى.

---

(١) الإمـام الحافظ العـلامة، عبـد الرحمن بن عبـد الله بن أحمد بن إصبـغ السهيلي، أبو القاسم، واسع المعـرفة، غـزير العلم، النحـوي اللغوي، الإمام في لسان العرب، العالم بالتفسير، وصناعة الحديث ورجاله وأنسابه، وبالتاريخ وعلم الكلام وأصوله، وأصول الفقه، الذكي النبيه، عمي وهو ابن سبع عشرة سنة، ولد سنة ثمان وخمسمائة، وصنف كتباً منها: الروض الأنف، ذكر فيه أنه استخرجه من مئة وعشرين مصنفاً، مات سنة احدى وثمانين وخمسمائة.

(٢) أي الذي قاله قاسم.

(٣) الإمام الحافظ المتقن، أبو الخطاب، عمر بن حسن بن علي بن محمـد، =

ولله در القائل:

ونسبة عز هاشم من أصولها ومحتدها المرضي أكرم محتد
سمت رتبة علياء أعظم بقدرها ولم تسم إلا بالنبي محمد

ويرحم الله القائل[1]:

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان

وعن ابن عباس أنه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان، ثم يمسك ويقول: كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً، رواه في مسند الفردوس[2]. لكن قال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود[3].

= المشهور بابن دحية لأنه كان يذكر أنه من ولد الصحابي دحية الكلبي، الأندلسي السبتي، البصير بالحديث، المعتني به، صاحب التصانيف، وطن مصر، وأدب الملك الكامل مات سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن نيف وثمانين سنة.

(١) هو أبو العباس علي بن الرومي.

(٢) للإمام عماد الإسلام أبي شجاع الديلمي، ألفه محذوف الأسانيد مرتباً على الحروف ليسهل حفظه، وعلم بإزائها بالحروف للمخرجين، ومسنده: لولده الحافظ أبي منصور شهردار بن نهرويه المتوفى سنة تسع وخمسمائة، خرج سند كل حديث تحته.

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل، قديم الإسلام، أحد القراء، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والحديبية، وجمع القرآن على العهد النبوي، وشهد له المصطفى بالجنة، مات سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين، وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع.

وقال غيره: كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى: **﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾**[1] قال: كذب النسابون، يعني أنهم يدعون علم الأنساب ونفى الله علمها عن العباد.

وروي عن عمر أنه قال: إنما ينتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري[2] ما هو.

وعن ابن عباس: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون.

وعن عروة بن الزبير[3]: ما وجدنا أحداً يعرف بعد معد بن عدنان.

وسئل مالك[4] - رحمه الله - عن الرجل يرفع نسبة إلى آدم، فكره ذلك، وقال من أخبره بذلك؟ وكذا روي عنه في رفع نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فالذي ينبغي لنا، الإعراض عما فوق عدنان، لما فيه من

---

(١) سورة ابراهيم، الآية ٩.

(٢) كذا في الأصل، وفي ط: لا يدري وفي ش قال بياء ونون، وفي ب: إنما انتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندري...

(٣) عروة بن الزبير بن العوام، القرشي الأسدي المدني، التابعي الكبير، أحد فقهاء المدينة السبعة، الحافظ، المتوفى سنة أربع وسبعين.

(٤) مالك بن أنس بن مالك، أبو عامر بن عمرو الأصبحي، أبو عبد الله، المدني، عالم المدينة، نجم الأثر، العابد الزاهد الورع، إمام المتقين وكبير المتثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر توفي سنة تسع وسبعين ومائة، أفرد مناقبه بالتأليف جمع من العلماء كالدينوري وعياض والذهبي وغيرهم.

التخليط والتغيير للألفاظ، وعواصة تلك الأسماء، مع قلة الفائدة.

[زواج عبد المطلب]

وقد ذكر الحافظ أبو سعد[1] النيسابوري[2] عن أبي بكر بن أبي مريم[3] عن سعيد[4] بن عمرو الأنصاري[5] عن أبيه عن كعب الأحبار: أن نور رسول الله ﷺ لما صار إلى عبد المطلب وأدرك، نام يوماً في الحجر فانتبه مكحولاً مدهوناً، قد كسي حلة البهاء والجمال، فبقي متحيراً لا يدري من فعل به ذلك، فأخذه أبوه بيده ثم انطلق به إلى كهنة قريش فأخبرهم بذلك، فقالوا له: اعلم أن إله السماوات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج، فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت، فزوجه بعدها هنداً[6] بنت عمرو، وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة

---

(١) كذا في (أ، ب) وفي النسخ: سعيد، وهو قول السهيلي، وقد تعقبه مغلطاي بأنه إنما هو: سعد.

(٢) عبد الرحمن بن الحسن، الأصبهاني الأصل، النيسابوري ـ نسبة إلى نيسابور ـ صاحب المسند، وكتاب شرف المصطفى، الثقة المتوفى سنة سبع وثلاثمائة.

(٣) بكير بن أبي مريم، نسبة لجده للشهرة، واسم أبيه: عبد الله الغساني، قال الذهبي: ضعفوه، له علم وديانة، وقال العراقي: ضعفه غير واحد، توفي سنة ست وخمسين ومائة.

(٤) كذا في الأصل و(ط د) وفي ش: سعد.

(٥) ابن شرحبيل الأنصاري السعدي من ذرية سعد بن عبادة، ثقة، روى عنه مالك والدراوردي، وأبوه عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة، مقبول. روى عنه ابنه.

(٦) قال الشارح: الظاهر أنه تحريف وصوابه: فاطمة بنت عمرو. أقول: وهو ما ذكره ابن هشام ١/١٠٩.

المسك الأذفر، ونور رسول الله ﷺ يضيء في غرته، وكانت قريش إذا أصابها قحط تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به إلى جبل ثبير فيتقربون به إلى الله تعالى، ويسألونه أن يسقيهم الغيث، فكان يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد ﷺ غيثاً عظيماً.

[قصة الفيل(١)]

ولما قدم أبرهة ملك اليمن - من قبل أصحمة النجاشي - لهدم

(١) قصة الفيل
أورد المصنف منها طرفاً، تنبيهاً على أن دفعهم من أجلِّ النعم على قريش، ببركته ﷺ على يد جده، وحاصلها:
أنه لما كان المحرم، والنبي ﷺ حمل في بطن أمه - على الصحيح - حضر أبرهة بن الصباح الأشرم، يريد هدم الكعبة لأنه - لما غلب على اليمن وملكها من قبل النجاشي - رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج، فقال: أين يذهبون؟ فقيل: يحجون بيت الله بمكة، قال: وما هو؟ قيل: من الحجارة، قال وما كسوته؟ قيل: ما يأتي من هنا من الوصائل. فقال: والمسيح لأبنين لكم خيراً منه؟ فبنى لهم كنيسة بصنعاء، بالرخام الأبيض والأصفر والأحمر والأسود، وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر.
وأذل أهل اليمن على بنائها، وكلفهم فيها أنواعاً من السخر، ونقل لها الرخام المجزع والحجارة المنقشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس، وكان على فرسخ من موضعها، ونصب فيها صلباناً من ذهب وفضة، ومنابر من عاج وأبنوس وغيره، وكان يشرف منها على عدن، لارتفاع بنائها وعلوها، ولذا سماها: القليس لأن الناظر لها تسقط قلنسوته عن رأسه..
فلما أراد صرف الحج إليها، كتب للنجاشي: إني بنيت كنيسة باسم =

= الملك، لم يكن مثلها قبلها، أريد صرف حج العرب إليها، وأمنع الناس من الذهاب لمكة.

فلما اشتهر الخبر عند العرب، خرج رجل من كنانة مغضباً، فتغوط فيها، ثم خرج فلحق بأرضه، فأغضبه ذلك. هذا قول ابن عباس. وقيل: أججت فتية من العرب ناراً، وكان في عمارة القليس خشب مموه، فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف ليهدمنَّ الكعبة، وهو قول مقاتل. وقيل: كان نفيل الخثعمي يتعرض لأبرهة بالمكروه، فأمهله، حتى إذا كانت ليلة من الليالي، لم ير أحداً يتحرك، فجاء بعذرة فلطخ بها قبلتها، وجمع جيفاً فألقاها فيها، فأخبر بذلك، فغضب غضباً شديداً، وحلف لينقضن الكعبة حجراً حجراً، وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك، وسأله أن يبعث إليه فيله «محموداً» فلما قدم الفيل إليه خرج في ستين ألفاً.

وفي سيرة ابن هشام: فلما سمعت العرب بخروجه فأعظموه، ورأوا جهاده حقاً عليهم، فخرج إليه رجل من ملوك اليمن، يقال له: ذو نفر فقاتله، فهزم هو وأصحابه، وأتى به أسيراً، فأراد قتله ثم تركه وحبسه عنده في وثاق، ثم مضى، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نفيل ابن حبيب الخثعمي في قبيلته ومن تبعه من العرب، فقاتله، فهزم وأخذ نفيل أسيراً، فهم بقتله، فقال: لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب فتركه، وخرج به يدله، حتى إذا مر على الطائف، خرج مسعود بن معتب الثقفي في رجال ثقيف، فقالوا: أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون، ولست تريد هذا البيت ـ يعنون بيت اللات ـ إنما تريد الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه. فبعثوا معه أبا رغال، فخرج حتى إذا بلغ المغمس بطريق الطائف مات أبو رغال، فرجمت العرب قبره، فهو القبر الذي يرجم إلى اليوم.

ثم أرسل أبرهة خيلاً له إلى مكة، فأخذت إبلاً لعبد المطلب، فذهب له فردها عليه، ثم انصرف إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة إلى الجبال والشعاب، ثم قام عبد المطلب، فأخذ بحلقة باب الكعبة، ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده. فقال عبد المطلب: =

بيت الله الحرام، وبلغ عبد المطلب ذلك، قال: يا معشر قريش، لا يصل إلى هدم البيت، لأن لهذا البيت رباً يحميه ويحفظه.

ثم جاء أبرهة[1] فاستاق إبل قريش وغنمها، وكان لعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة[2]،

فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير، فاستدارت دائرة غرة رسول الله ﷺ على جبينه كالهلال واشتد شعاعها على البيت الحرام مثل السراج، فلما نظر عبد المطلب/إلى ذلك قال: يا معشر قريش: ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر، فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون الظفر لنا، فرجعوا متفرقين. 1/11

= لا هم إن المرء يمـ نع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم أبداً محالك

ثم أرسل حلقة الباب، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة، فمنعه الله من دخولها ـ كما يجيء ـ.

وقيل: لم يخرج عبد المطلب من مكة بل أقام بها وقال: لا أبرح حتى يقضي الله قضاءه ثم صعد هو وأبو مسعود الثقفي على مكان عال ينظر ما يقع.

(١) أي رسوله، وعند ابن إسحاق: فلما نزل أبرهة المغمس أمر رجلاً من الحبشة يقال له: «الأسود بن مقصود، على خيل له وأمره بالغارة، فمضى حتى انتهى إلى مكة، فساق أموال تهامة وغيرها من قريش، وأصاب مائتي بعير لعبد المطلب وهو يومئذ كبير قريش وسيدها.

(٢) هو مخالف لما عند ابن إسحاق وتبعه ابن هشام، وجزم به البغوي واليعمري والدميري والشامي من قولهم: فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب

ثم إن أبرهة أرسل رجلاً[1] من قومه ليهزم[2] الجيش[3]، فلما دخل مكة ونظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشياً عليه، فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه، فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب، وقال: أشهد أنك سيد قريش حقاً[4].

---

(١) هو حناطة الحميري.

(٢) في ط: ليهزموا.

(٣) سماهم جيشا وإن لم ينصبوا لقتال.

(٤) وعند ابن إسحاق: بعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له: اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم، ثم قل له: إن الملك يقول: لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم، فإن هو لم يرد حرباً فائتني به، فدخل فسأل فقيل له: عبد المطلب، فقال ما أمره به أبرهة. فقال عبد المطلب: والله. ما نريد حربه، ومالنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله ابراهيم، فإن يمنعه فهو بيته، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه. قال حناطة: فانطلق إليه، فإنه أمرني أن آتيه بك.

فانطلق معه عبد المطلب، ومعه بعض بنيه، فتكلم أنيس سائس فيل أبرهة فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك، وهو صاحب عزة مكة، ويطعم الناس في السهل، والوحوش والطير في رؤوس الجبال، فأذن له أبرهة، وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم، فعظم في عين أبرهة وأجله وأكرمه عن أن يجلس تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه، فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه، ثم قال لترجمانه: قل ما حاجتك. فقال له: حاجتي أن يرد الملك علي مئتي بعير أصابها، فقال لترجمانه قل له: كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك، أتكلمني في مئتي بعير، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه. فقال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه، قال ما كان ليمتنع مني، قال: أنت وذاك، فرد عليه إبله.

=

وروي: أنه لما حضر عبد المطلب عند أبرهة أمر سايس فيله الأبيض العظيم الذي كان لا يسجد للملك أبرهة كما تسجد سائر الفيلة أن يحضره بين يديه، فلما نظر الفيل إلى وجه عبد المطلب، برك كما يبرك البعير، وخر ساجداً، وأنطق الله تعالى الفيل، فقال: السلام على النور الذي في ظهرك يا عبد المطلب، كذا في النطق المفهوم(١).

[دخول أبرهة لهدم الكعبة]

ولما دخل جيش أبرهة ومعهم الفيل لهدم الكعبة الشريفة برك الفيل، فضربوه في رأسه ضرباً شديداً ليقوم فأبى، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام.

ثم أرسل الله عليهم طيراً أبابيل من البحر، مع كل طائر منها ثلاثة أحجار، حجر في منقاره وحجران في رجليه كأمثال العدس، لا تصيب أحداً منهم إلا أهلكته، فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق.

وأصيب أبرهة في جسده بداء، فتساقطت أنامله أنملة أنملة، وسال منه الصديد والقيح والدم، ومامات حتى انصدع قلبه.

= زاد ابن الكلبي: فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هدياً للبيت وبثها في الحرم. انتهى.

وانصرف إلى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم من معرة الحبشة. انتهى.

فظاهر هذا السياق أن حناطة لم يأت لهزم جيش ـ كما ساق المصنف ـ بل مخبراً بمراد أبرهة.

(١) ساق المصنف هذا الخبر بصيغة التمريض وتبرأ منه بقوله: كذا في كتاب النطق المفهوم لابن طغر بك. أقول: وهو إلى الخيال أقرب منه إلى الواقع فليت المصنف نزه كتابه عن مثل هذه الأخبار [م].

[ذكر الحادثة في القرآن]

وإلى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه ﷺ: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل**﴾ السورة إلى آخرها.

فإن قلت: لم قال الله تعالى له عليه الصلاة والسلام: ﴿**ألم تر كيف..**﴾ مع أن هذه القصة كانت قبل البعث[1] بزمان طويل؟

فالجواب أن المراد من الرؤية هنا: العلم والتذكر، وهو إشارة إلى أن الخبر به متواتر، فكأن العلم الحاصل به ضروري، مساوٍ في القوة للرؤية.

[الحادثة من إرهاصات النبوة]

وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد ﷺ وتأسيساً لنبوته وإرهاصاً لها، وإعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء حتى دانت لهم العرب، واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس، بحماية الله عز وجل لهم، ودفعه عنهم مكر أبرهة، الذي لم يكن لسائر العرب بقتاله قدرة، وكان ذلك كله إرهاصاً لنبوته عليه الصلاة والسلام.

قال الرازي[2]: ومذهبنا أنه يجوز تقديم المعجزات على زمان البعثة تأسيساً، قال: ولذلك قالوا: كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام، يعني قبل بعثته.

---

(١) في ط: البعثة. وفي ب: المبعث.

(٢) الإمام العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكري الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، المعروف بابن الخطيب، فاق أهل زمانه في علم الكلام والأوائل، وتوفي سنة ست وستمائة بمدينة هراة.

وخالفه العلامة السيد[1] في شرح المواقف ـ تبعاً لغيرة ـ فاشترط في المعجز أن لا يتقدم على الدعوى، بل يكون مقارناً لها. كما سيأتي إن شاء الله في المقصد الرابع.

[الحجاج وهدم الكعبة]

فإن قلت: إن الحجاج[2] خرب الكعبة ولم يحدث شيء من ذلك!!

فالجواب: أن ذلك وقع إرهاصاً لأمر نبينا ﷺ، والإرهاص إنما يحتاج إليه قبل قدومه، فلما ظهر عليه الصلاة والسلام، وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة إلى شيء من ذلك، والله أعلم.

---

(١) المحقق علي الجرجاني.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي الظلوم، المختلف في كفره، واختار الإمام أبو عبد الله بن عرفة: أنه كافر، قال الأبي: فأوردت عليه صلاة الحسن البصري عليه، فأجاب: بأنها تتوقف على صحة الإسناد إليه.
وفي الكامل للمبرد: مما كفر به الفقهاء الحجاج: أنه رأى الناس يطوفون حول حجرته ﷺ فقال: إنما يطوفون بأعواد ورمة.
قال الدميري: كفروه بهذا لأنه تكذيب لقوله ﷺ: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» رواه أبو داود.
[قلت: المقصود بقوله يطوفون: الالتفاف حوله والتجمع أثناء الزيارة، وإلا فلم يحدث أن طاف الناس بالحجرة الشريفة (م)].

[حفر زمزم وقصة الذبيح]

[رؤيا عبد المطلب]

ولما فرج الله عن عبد المطلب، ورجع أبرهة خائباً، فبينما هو يوماً نائم في الحجر، إذ رأى مناماً عظيماً[1]، فانتبه فزعاً مرعوباً، وأتى

---

(١) هو كما رواه أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الخيثم عن أبيه عن جده قال: سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال:

بينما أنا نائم في الحجر، إذ رأيت رؤيا هالتني، ففزعت منها فزعاً شديداً، فأتيت كاهنة قريش، فقلت لها: إني رأيت الليلة، كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء، وضربت بأغصانها المشرق والمغرب، وما رأيت نوراً أزهر منها، أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم لها ساجدين، وهي تزداد كل ساعة عظماً ونوراً وارتفاعاً، ساعة تخفى وساعة تظهر، ورأيت رهطاً من قريش قد تعلقوا بأغصانها، ورأيت قوماً من قريش يريدون قطعها، فإذ دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجهاً، ولا أطيب ريحاً، فيكسر أظهرهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول منها نصيباً، فلم أنل، فقلت لمن النصيب؟ فقال: لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك، فانتبهت مذعوراً.

فرأيت وجه الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب، وتدين له الناس.

فقال عبد المطلب لأبي طالب: لعلك أن تكون هو المولود، فكان أبو =

كهنة قريش، وقص عليهم رؤياه، فقالت له الكهنة: إن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل السماوات والأرض وليكونن في الناس علماً مبيناً. فتزوج فاطمة[1]، وحملت في ذلك الوقت بعبد الله الذبيح[2]، وقصته في ذبحه مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة.

[سبب قصة الذبح]

وكان سببها حفر أبيه عبد المطلب زمزم، لأن الجرهمي عمرو بن الحارث لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث، وقيض الله لهم من أخرجهم من/مكة، فعمد عمرو [بن الحارث[3]] إلى نفائس ١١/ب فجعلها في زمزم وبالغ في طمها، وفر إلى اليمن بقومه، فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى أن رفعت عنها الحجب برؤيا منام رآها عبد المطلب، دلته على حفرها بأمارات عليها[4].

= طالب يحدث بهذا الحديث والنبي ﷺ قد خرج ـ أي بعث ـ ويقول: كانت الشجرة والله أعلم أبا القاسم الأمين، فيقال له: ألا تؤمن به؟ فيقول: السبة والعار. أي أخشى.

(١) فاطمة بنت عمرو بن عائذ.

(٢) فيه نظر لأن عبد الله أصغر أولاد فاطمة، ولعل مراده في قوله: «ذلك الوقت» مبالغة في قرب حملها به.

(٣) في ط.

(٤) روى ابن اسحاق بسنده عن علي قال: قال عبد المطلب: إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة، قلت: وما طيبة؟ فذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برة، =

فمنعته قريش من ذلك[1]، ثم آذاه من السفهاء من آذاه، فاشتد بذلك بلواه، ومعه ولده الحارث ولم يكن له ولد سواه، فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعواناً ليذبحن أحدهم لله قرباناً. ثم احتفر عبد المطلب زمزم فكانت له فخراً وعزاً.

[الوفاء بالنذر]

فلما تكامل بنوه عشرة وهم: الحارث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله، وقر الله عينه بهم، نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلاً يقول: يا عبد

= فقلت: وما برة؟ فذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة، فقلت: وما المضنونة؟ فذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال: احفر زمزم، قلت وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تزم، تسقي الحجيج الأعظم، بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل.

(١) قال الشارح: ظاهره أنها منعته من أصل الحفر ونازعته ابتداء، والذي عند ابن اسحاق أن النزاع بسبب رغبتهم في مشاركته.

وملخص إنهاء النزاع أنهم احتكموا إلى كاهنة سعد بن هذيم، وكانت بأشراف الشام. فذهبوا إليها، وفي الطريق أصابهم ظمأ شديد أيقنوا بالهلاك بعده فكان الرأي أن يحفر كل واحد قبره فإذا مات وراه أصحابه حتى يكون آخر واحد فضيعة واحد أهون. ثم قال عبد المطلب: إن القاءنا بأيدينا للموت عجز، لنضربن في الأرض... فركب راحلته، فلما انبعثت، انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب... فشرب القوم... ثم قالوا: قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب... ولم يصلوا إلى الكاهنة. [المحقق].

المطلب: أوف بنذرك لرب هذا البيت، فاستيقظ فزعاً مرعوباً، وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين. ثم نام فرأى: أن قرب ما هو أكبر من ذلك، فاستيقظ من نومه وقرب ثوراً، ثم نام فرأى: أن قرب ما هو أكبر من ذلك، فانتبه وقرب جملاً، وأطعمه للمساكين، ثم نام فنودي: أن قرب ما هو أكبر من ذلك، فقال: ما أكبر من ذلك فقال: قرب أحد أولادك الذي نذرته.

فاغتم غماً شديداً، وجمع أولاده، وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء، فقالوا: إنا نطيعك، فمن تذبح منا؟ فقال: ليأخذ كل واحد منكم قدحاً ـ والقدح: سهم بغير نصل ـ ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتوا به، ففعلوا، وأخذ قداحهم ودخل على هبل[1] ـ [اسم صنم عظيم[2]] وكان في جوف الكعبة، وكانوا يعظمونه، ويضربون بالقداح عنه، فيستقسمون بها، أي يرتضون بما يقسم لهم، ثم يضرب بها القيم الذي لها ـ قال: فدفع عبد المطلب إلى ذلك القيم القداح وقام يدعو الله تعالى، فخرج على عبد الله، وكان أحب ولده إليه.

فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله، وأخذ الشفرة ثم أقبل إلى إساف ونائلة ـ صنمين عند الكعبة ينحر ويذبح عندهما النسائك ـ فقام إليه سادة قريش فقالوا: ما تريد أن تصنع؟ فقال: أوفي بنذري، فقالوا: لا ندعك أن تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك، ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه وتكون سنة. وقالوا له: انطلق إلى فلانة الكاهنة ـ قلت: قيل اسمها: قطبة، كما ذكره

(١) في (ط، ش): وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل،، وفي (ب) وأخذوا أقداحهم ودخلوا على هبل، وفي (ب) وأخذوا أقداحهم ودخل.
(٢) في (ط، ش).

الحافظ عبد الغني[1] في كتاب المبهمات، وذكر ابن إسحاق أن اسمها: سجاح ـ فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك.

فانطلقوا حتى أتوها بخيبر، فقص عليها عبد المطلب القصة، فقالت: كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، فقالت: ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الإبل، ثم اضربوا عليه وعليها بالقداح، فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل ثم اضربوا أيضاً، هكذا حتى يرضى ربكم. فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم.

فرجع القوم إلى مكة، وقربوا عبد الله، وقربوا عشرة من الإبل، وقام عبد المطلب يدعو، فخرجت القداح على ولده، ولم يزل يـزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة فخرجت القداح عـلى الإبل. فنحـرت الإبل وتركت، لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع.

[ابن الذبيحين]

ولهذا روى ـ كما عند الزمخشري في الكشاف[2] ـ أنه ﷺ قال: أنا ابن الذبيحين.

وعند الحاكم في المستدرك، عن معاوية بن أبي سفيان[3]: كنا

---

(١) عبد الغني بن سعيد بن علي الأزدي، الإمام المتقن النسابة، إمام زمانه في علم الحديث وحفظه، قال البرقاني: ما رأيت بعد الدار قطني أحفظ منه، له مؤلفات منها: المبهمات. ولد سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة تسع وأربعمائة.

(٢) في سورة الصافات استدلالا على أن الذبيح إسماعيل.

(٣) أمير المؤمنين، أسلم هو وأبوه في فتح مكة، وكانا من المؤلفة قلوبهم. ثم حسن إسلامهما. ومعاوية من الموصوفين بالحلم توفي بدمشق سنة ستين.

عند رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي، فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة، والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال، فعد عليَّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين. قال: فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه. الحديثِ، وتأتي تتمته قريباً إن شاء الله تعالى.

ويعني بالذبيحين: عبد الله وإسماعيل بن إبراهيم.

[الذبيح: إسماعيل أم إسحاق؟]

وإن كان قد ذهب بعض العلماء / إلى أن الذبيح إسحاق. ١٢/١

فإن صح هذا، فالعرب تجعل العم أباً، قال الله تعالى إخباراً عن بني يعقوب عليه السلام: ﴿**أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي، قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**﴾[1].

وفي حديث معاوية ـ الموعود بتتمته قريباً ـ قال معاوية: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الأمر بها أن ينحر بعض ولده، فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم، وقالوا أرضِ ربك، وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة، فهو الذبيح الأول وإسماعيل الذبيح الثاني.

قال ابن القيم: «ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل، أنه لا ريب أن الذبح كان بمكة، ولذلك جعل القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمرات تذكيراً بشأن إسماعيل وأمه، وإقامة لذكر الله تعالى، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه».

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٣.

ثم قال: «ولو كان الذبح بالشام ـ كما يزعم أهل الكتاب، ومن تلقى عنهم ـ لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة».

«وأيضاً فإن الله سمى الذبيح حليماً، لأنه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه، ولما ذكر إسحاق سماه: عليماً».

«وأيضاً: فإن الله أجرى العادة البشرية: أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم لما سأل ربه الولد، ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذ إبراهيم خليلاً، والخلة منصب يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة، وأن لا يشارك فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب، فلما قدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس، وقد حصل المقصود، فنسخ الأمر وفدي الذبيح، وصدق الخليل الرؤيا». انتهى.

وقد أنشد بعضهم فقال:

إن الذبيح ـ هديت ـ إسماعيل   نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا   وأبانه التفسير والتأويل

وروي مما ذكره المعافى بن زكريا[1]، أن عمر بن عبد العزيز[2]

(١) المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد، الحافظ العلامة المفسر الثقة، النهرواني الجريري، كان على مذهب ابن جرير، مات سنة تسع وثلاثمائة.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان، القرشي الأموي، الثقة الحافظ الورع المأمون، التابعي الصغير، أمير المؤمنين، خامس الخلفاء الراشدين. ولي =

سأل رجلاً أسلم من علماء اليهود: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين، إن اليهود ليعلمون أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون أباكم، للفضل الذي ذكره الله عنه، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم. انتهى.

[موعظة في الصبر]

فانظر أيها الخليل ما في هذه القصة من السر الجليل، وهو أن الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر، واللطف بعد الشدة، فإنه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم لذبح الولد، آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين، ومتعبدات لهم إلى يوم الدين، وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره، وتلقيه القضاء بالرضا فضلاً منه، قال الله تعالى: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض﴾**(1) **﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**(2)

= إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، ثم ولي بعده باستخلافه الخلافة سنتين وخمسة أشهر ونصفاً، فملأ الأرض عدلاً، ورد المظالم، وزاد الخراج في زمنه، مناقبه كثيرة شهيرة، مات مسموماً سنة إحدى ومائة، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

(1) سورة القصص. الآية ٥.

(2) سورة الجمعة. الآية ٤.

[التحقيق في عدد أبناء عبد المطلب]

وقد استشكل بعض الناس: أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه إذا بلغوا عشرة، وقد كان تزويجه بهالة أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره، فحمزة والعباس ولدا عبد المطلب إنما ولدا بعد الوفاء / بنذره، وإنما كان أولاده عشرة بهما.

١٢/ب

قال السهيلي: ولا إشكال في هذا، فإن جماعة من العلماء قالوا: كان أعمامه عليه السلام اثني عشر، فإن صح هذا، فلا إشكال في الخبر، وإن صح قول من قال: كانوا عشرة لا يزيدون، فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازاً، فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره.

[عبد الله ليس أصغر أخوته]

ويقع في بعض السير[١] أن عبد الله كان أصغر بني أبيه عبد المطلب. وهو غير معروف[٢]. ولعل الرواية أصغر بني أمه، وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله، والعباس أصغر من حمزة.

وروي عن العباس أنه قال: أذكر مولد رسول الله ﷺ وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها، فجيء به حتى نظرت إليه، وجعل النسوة يقلن لي: قبل أخاك، فقبلته.

فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر؟!

(١) يعني سيرة ابن إسحاق، رواية ابن هشام عن البكائي عنه، وأبهمها لعدم اتفاق رواه ابن إسحاق عليها [انظر ابن هشام في سيرته ١/١٥٣].
(٢) هو قول السهيلي في الروض.

ولكن رواه البكائي[1]، ولروايته وجه: وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره، ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس.

(١) زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري، أبو محمد، الكوفي، أحد رواة المغازي عن ابن إسحاق، صدوق ثبت في المغازي، أثبت الناس في ابن إسحاق.

قال الحافظ: وفي حديثه عن غيره لين، ولم يثبت أن وكيعاً كذبه. روى له مسلم والترمذي وابن ماجه، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة.

[ذكر زواج عبد الله آمنة]

[قصة العارضة نفسها][1]

ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل، مرَّ على امرأة من بني أُسد بن عبد العزى، وهي عند الكعبة، واسمها قتيلة ـ بضم القاف وفتح المثناة الفوقية ـ ويقال رقيقة بنت نوفل، فقالت له حين نظرت إلى وجهه، وكان أحسن رجل رؤي في قريش: لك مثل الإبل التي نحرت عنك وقع علي الآن، لما رأت في وجهه من نور النبوة، ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم ﷺ، فقال لها: أنا مع أبي، ولا أستطيع خلافه ولا فراقه، وقيل: أجابها بقوله:

أما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه

وعند أبي نعيم والخرائطي وابن عساكر، من طريق عطاء[2] عن

(١) هذه القصة من نسج خيال القصاصين. [المحقق].
(٢) عطاء بن رباح بن أسلم الجمحي، مولاهم، المكي، أبو محمد، التابعي الوسط، الحافظ الثقة، العالم الفقيه، إليه انتهت فتوى أهل مكة، وكان أسود أفطس أعرج ثم عمي، وشرفه الله بالفقه وكثرة الحديث، وأدرك مائتين من الصحابة، قدم ابن عمر مكة فسألوه، فقال: تسألوني وفيكم ابن أبي رباح؟ مات سنة إحدى ومائة.

ابن عباس: لما خرج عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه، مر به على كاهنة من تَبَالَة[1] متهودة قد قرأت الكتب، يقال لها: فاطمة بنت مر الخثعمية، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له... وذكر نحوه.

[زواج عبد الله آمنة]

ثم خرج به عبد المطلب، حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة - وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً - فزوجه ابنته آمنة، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً.

فزعموا: أنه دخل عليها حين ملكها مكانه، فوقع عليها يوم الاثنين أيام منى، في شعب أبي طالب عند الجمرة، فحملت برسول الله ﷺ. ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت[2]، فقال لها: مالك لا تعرضين علي اليوم ما عرضت بالأمس، فقالت: فارقك النور الذي كان معك بالأمس، فليس لي بك اليوم حاجة، إنما أردت أن يكون النور في فأبى الله، إلا أن يجعله حيث شاء.

[توطئة للكلام عن الحمل]

ولما حملت آمنة برسول الله ﷺ ظهر لحمله عجائب، ووجد لإيجاده غرائب.

فذكروا أنه لما استقرت نطفته الزكية، ودرته المحمدية في صدفة آمنة القرشية نودي في الملكوت ومعالم الجبروت، أن عطروا جوامع

(١) اسم موضع باليمن، وآخر بالطائف.

(٢) غريب أن يفعل هذا بعد ما تزوج وقد أعرض عنها قبل زواجه ؟! [م].

القدس الأسنى، وبخروا جهات الشرف الأعلى، وافرشوا سجادات العبادات في صفف الصفا لصوفية الملائكة المقربين، أهل الصدق والوفا، فقد انتقل النور المكنون إلى بطن آمنة ذات العقل الباهر، والفخر المصون، قد خصها الله تعالى القريب المجيب بهذا السيد المصطفى الحبيب، لأنها أفضل قومها حسباً وأنجب، وأزكاهم أصلاً وفرعاً وأطيب».

وقال سهل بن عبد الله التستري[1] فيما رواه الخطيب البغدادي الحافظ[2]: لما أراد الله تعالى خلق محمد ﷺ في بطن أمه آمنة، ليلة رجب، وكانت ليلة جمعة، أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان، أن يفتح الفردوس، وينادى مناد في السماوات والأرض: ألا إن النور المخزون المكنون الذي يكون منه النبي الهادي، في هذه الليلة يستقر في بطن أمه[3] الذي فيه يتم خلقه ويخرج إلى/ الناس بشيراً ونذيراً. ١/١٣

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن رفيع التستري، الصالح المشهور، الذي لم يسمع بمثله الدهر، علماً وورعاً، صاحب الكرامات الشهيرة، المتوفى سنة ثلاثة وسبعين ومائتين بالبصرة، وولد سنة مائتين بتُستَر، مدينة بالأهواز.

(٢) الحافظ أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت، صاحب التصنيف، الإمام الكبير، محدث الشام والعراق، المتقن الضابط، العالم بصحيح الحديث وسقيمه، المتعنت في علله وأسانيده، ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وعني بالحديث ورحل فيه إلى الأقاليم. وقرأ البخاري على كريمة بمكة في خمسة أيام، وعلى اسماعيل الحيري في ثلاثة مجالس، ذكره الذهبي وقال: هو أمر عجيب، توفي ببغداد سنة ثلاث وستين وأربعمائة.

(٣) في ش: آمنة.

وفي رواية كعب الأحبار: أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها، والأرض وبقاعها، أن النور المكنون الذي منه رسول الله ﷺ يستقر الليلة في بطن آمنة، فيا طوبى لها ثم يا طوبى، وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا منكوسة، وكانت قريش في جدب شديد، وضيق عظيم، فاخضرت الأرض وحملت الأشجار، وأتاهم الرفد من كل جانب، فسميت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله ﷺ سنة الفتح والابتهاج.

[معنى كلمة: طوبى]

وطوبى: الطيب والحسنى والخير والخِيرَة. قاله في القاموس.

وقال غيره: فرح وقرة عين.

وقال الضحاك[1]: عطية.

وقال عكرمة[2]: نِعَم.

وفي الحديث (طوبى للشام فإن الملائكة باسطة أجنحتها عليها)[3]

---

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي - نسبة إلى بلخ، مدينة بخراسان - المفسر، ضعفه يحيى بن سعد، ووثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم، وفي التقريب: صدوق كثير الإرسال، روى له أصحاب السنن الأربعة، توفي سنة خمس ومائة.

(٢) عكرمة بن عبد الله البربري، مولى ابن عباس، أبو عبد الله المدني، المفسر الحافظ، المتوفى سنة خمس ومائة. ونسبته للكذب على سيده لا تثبت كما بسطه الحافظ في مقدمته.

(٣) رواه الترمذي برقم ٤٠٤٨ باب مناقب اليمن والشام وهو عند أحمد ١٨٤/٥ و١٨٥.

فالمراد بها هنا: «فعلى» من الطيب وغيره مما ذكر، لا الجنة ولا الشجرة.

[خفة الحمل وثقله]

وفي حديث ابن إسحاق: أن آمنة كانت تحدث: أنها أتيت حين حملت به ﷺ فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، وقالت: ما شعرت بأني حملت به، ولا وجدت له ثقلاً، ولا وحماً، كما تجد النساء إلا أني أنكرت رفع حيضتي، وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال: هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام، ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال لي: قولي

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد

ثم سميه محمداً.

وفي رواية غير ابن إسحاق: وعلقي عليه هذه التميمة، قالت فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها هذه الأبيات:

أعيذه بالواحد من شر كل حاسد
وكل خلق رائد[1] من قائم وقاعد
عن السبيل حائد على الفساد جاهد
من نافث أو عاقد وكل خلق مارد
يأخذ بالمراصد في طرق الموارد

قال الحافظ عبد الرحيم العراقي[2]: هكذا ذكر هذه الأبيات

---

(١) طالب للسوء، وأصله المرسل لطلب الكلأ.

(٢) الحافظ عبد الرحيم، أبو الحسين الأثري، الإمام الكبير العلم، الشهير، =

بعض أهل السير، وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها. انتهى[1].

وعن شداد بن أوس[2] أن رجلاً من بني عامر سأل رسول الله ﷺ: ما حقيقة أمرك، قال: بدو شأني أني دعوة [أبي[3]] إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، وأني كنت بكر أبي وأمي، وأنها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء، وجعلت تشتكي إلى صواحبها ثقل ما تجد، ثم إن أمي رأت في منامها أن الذي في بطنها نور.. الحديث.

ففيه: أن أمه ـ عليه السلام ـ وجدت الثقل في حمله، وفي سائر الأحاديث أنها لم تجد ثقلاً؟!

وجمع أبو نعيم الحافظ بينهما: بأن الثقل كان في ابتداء علوقها به، والخفة عند استمرار الحمل به، فيكون على الحالين خارجاً عن المعتاد المعروف، انتهى.

[حديث شديد الضعف في حمله ﷺ]

وخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان من

= ولد سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وعني بالفن فبرع فيه وتقدم، بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة. قال تلميذه الحافظ ابن حجر: .... أحيا الله به السنة. مات سنة ست وثمانمائة.

(١) قال الشامي: وسنده واه جداً، وإنما ذكرته لأنبه عليه لشهرته في كتب المواليد.

(٢) ابن ثابت الأنصاري، أبو يعلى، الصحابي، ابن أخي حسان بن ثابت، المتوفى في الشام قبل الستين رضي الله عنه.

(٣) في (ط) و(ش).

دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة كانت[1] لقريش نطقت تلك الليلة، وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو إمام الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً، وله في كل شهر من كل شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء: أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم ﷺ ميموناً مباركاً.. الحديث. وهو شديد الضعف.

وعن غيره: لم يبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا مكان إلا دخله النور، ولا دابة إلا نطقت.

[مدة حمله ﷺ]

١٣/ب وعن أبي زكريا / يحيى بن عائذ[2]: بقي ﷺ في بطن أمه تسعة أشهر كملاً، لا تشكو وجعاً ولا مغصاً ولا ريحاً ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء، وكانت تقول: والله ما رأيت من حمل هو أخف منه ولا أعظم بركة منه.

[وفاة عبد الله]

ولما تم لها من حملها شهران توفي عبد الله، وقيل: توفي وهو في المهد، قاله الدولابي[3].

---

(١) كلمة (كانت) سقطت من (ط، ش).

(٢) يحيى بن مالك بن عائذ، نسبة لجده لشهرته به، الحافظ الكبير الأندلسي، سمع أبا سهل القطان وابن قانع، وأملى الحديث بجامع قرطبة، صعد يوم الجمعة المنبر ليخطب فمات في الخطبة فجأة سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

(٣) الحافظ أبو بشر، محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الأنصاري الدولابي، =

وعن ابن أبي خيثمة[1]: وهو ابن شهرين.

وقيل: وهو ابن سبعة. وقيل: وهو ابن ثمانية وعشرين شهراً.

والراجح المشهور: الأول.

وكان عبد الله قد رجع ضعيفاً مع قريش لما رجعوا من تجارتهم، ومروا بالمدينة يثرب، فتخلف عند أخواله بني عدي بن النجار، فأقام عندهم مريضاً شهراً، فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا: خلفناه مريضاً، فبعث إليه أخاه الحارث فوجده قد توفي، ودفن في دار التابعة[2]، وقيل دفن بالأبواء.

وقالت آمنة زوجته ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحداً خارجاً في الغمائم

دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم

= سمع محمد بن بشار وهارون بن سعيد وطبقتهما، ورحل وصنف، قال الدارقطني: تكلموا فيه وما يظهر من أمره إلا خير، وقال ابن يونس: ضعيف. ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات سنة عشر وثلاثمائة.

(١) الحافظ أحمد بن أبي خيثمة، زهير بن حرب، الحافظ ابن الحافظ، الإمام الثبت، النسائي ثم البغدادي، قال الخطيب: ثقة عالم متقن حافظ، بصير بأيام الناس، راوية للأدب، أخذ علم الحديث عن أحمد وابن معين، وأيام الناس عن المدائني. . بلغ أربعاً وتسعين سنة، ومات سنة تسع وسبعين ومائتين.

(٢) في (أ) النابغة وفي (ط) التبابعة.

قال الشارح: التابعة، بفوقية فموحدة، فعين مهملة ـ كما في الزهر الباسم ـ قال الخميس وهو رجل من بني عدي بن النجار.

فـإن تـك غـالتـه المنـايـا وريبهـا فقـد كـان معـطاء كـثـير الـتراحم

ويذكر عن ابن عباس، أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة إلهنا وسيدنا، بقي نبيك يتيماً، فقال الله تعالى: أنا له حافظ ونصير.

وقيل لجعفر الصادق: لم يتم النبي ﷺ من أبويـه؟ قال: لئـلا يكون عليه حق لمخلوق. نقله عنه أبو حيان[1] في البحر.

[أحـاديث مـطعـون فيهـا ومنكــرة في المولد]

وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي ـ وكان من أوعية العلم ـ قال: لما حضرت ولادة آمنة قال الله تعالى لمـلائكته: افتحوا أبواب السماء كلها، وأبواب الجنان، وألبست الشمس يـومئذ نوراً عظيماً، وكان قد أذن الله تعالى تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لمحمد ﷺ. . الحديث وهو مطعون فيه.

وذكر أبو سعيد عبد الملك النيسابوري في كتابه المعجم الكبير كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب في حديثه الطويل، ورواه أبو نعيم من حديث ابن عباس قال: كانت آمنة تحدث وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر في المنام وقال لي يا آمنة إنك حملت بخير العالمين فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قالت ثم لما أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحـد لا ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه، فسمعت وجبة عظيمة وأمراً

---

(١) الإمام أثير الدين محمد بن يـوسف الأندلسي الغـرناطي، نحـوي عصره ولغويه وعبقريه، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة وتقدم في النحو في حياة شيوخه واشتهر اسمه وألف الكتب المشهورة وأخذ عنه أكابر عصره مات سنة خمس وأربعين وسبعمائة.

عظيماً هالني، ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال، ثم رأيت نسوة كالنخل [طولاً[1]] كأنهن من بنات عبد مناف، يحدقن بي فبينا أنا أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بي. قال في غير هذه الرواية فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينا أنا كذلك إذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض، وإذا قائل يقول خذاه عن أعين الناس، قالت ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات، علماً بالمشرق وعلماً بالمغرب وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمداً ﷺ فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت / سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني، فسمعت منادياً ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته، ويعلمون أنه سمي فيها الماحي، لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه، ثم انجلت عنه في أسرع وقت.. الحديث. وهو مما تكلم فيه[2]. ١/١٤

وروى الخطيب البغدادي بسنده كما ذكره صاحب السعادة

---

(١) في (ط، ش) طوالا.

(٢) وإنما ذكره لينبه عليه لشهرته في الموالد. وكذلك الذي يليه.

والبشرى أيضاً أن آمنة قالت لما وضعته عليه السلام رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال، حتى غشيته وغيب عني فسمعت منادياً ينادي طوفوا بمحمد ﷺ جميع الأرض واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم، ومعرفة شيث، وشجاعة نوح، وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل، ورضا إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وشدة موسى، وصبر أيوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود وحب دانيال ووقار إلياس وعصمة يحيى وزهد عيسى، واغمسوه في أخلاق النبيين قالت: ثم انجلت عني **فإذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طياً شديداً ينبع من** تلك الحريرة ماء وإذا قائل يقول **بخ بخ قبض محمد** ﷺ على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعاً في قبضته، قالت ثم نظرت إليه فإذا به كالقمر ليلة البدر وريحه يسطع كالمسك الأذفر، وإذا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات، ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي ورواه أبو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة.

[أحاديث أخرى في المولد]

وروى الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه المولد ـ كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي[1] في شرح بردة المديح ـ عن ابن عباس:

---

(١) بدر الدين، محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي، العلامة البارع، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وأخذ عن الأسنوي وابن كثير وغيرهما، وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون. مات سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

لما ولد ﷺ قال في أذنه رضوان خازن الجنان: أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علماً، وأشجعهم قلباً.

وروى محمد بن سعد من حديث جماعة منهم عطاء وابن عباس: أن آمنة بنت وهب قالت: لما فصل مني -تعني النبى ﷺ- خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء.

وروى الطبراني: أنه لما وقع إلى الأرض وقع مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسبابة كالمسبح بها.

وروي عن عثمان بن أبي العاصي[1] عن أمه أم عثمان الثقفية -واسمها فاطمة بنت عبد الله- قالت: لما حضرت ولادة رسول الله ﷺ رأيت البيت حين وقع قد امتلأ نوراً، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي. رواه البيهقي.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرباض ابن سارية. أن رسول الله ﷺ قال: (إني عبد الله وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، إني دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات الأنبياء يرين، وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاء له قصور الشام)[2]. قال الحافظ ابن حجر: صححه ابن حبان والحاكم.

---

(١) عثمان بن أبي العاص الثقفي، ولي الطائف لرسول الله ﷺ، وأقره أبو بكر ثم عمر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين، ثم سكن البصرة ومات بها سنة خمس وخمسين.

(٢) المسند ١٢٧/٤ و١٢٨، وكذا أخرجه ابن إسحاق. انظر سيرة ابن هشام ١٦٩/١.

وأخرج أبو نعيم عن **عطاء بن يسار**[١] عن أم سلمة عن آمنة: قالت: لقد رأيت ليلة وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها.

وأخرج أيضاً، عن بريدة[٢] عن مرضعته في بني سعد أن آمنة قالت: رأيت / كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض حتى رأيت قصور الشام. ١٤/ب

وعن همام بن يحيى[٣] عن إسحاق بن عبد الله أن أم رسول الله ﷺ قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام، فولدته نظيفاً ما به قذر، رواه ابن سعد.

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب في شعره، حيث قال:

وأنت لما ولدت أشرقت الـ أرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذاك الضياء وفي النو ر وسبل الرشاد نخترق

قال في اللطائف[٤]: «وخروج هذا النور عند وضعه، إشارة إلى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الأرض، وزال به ظلمة الشرك. قال تعالى: **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه﴾**

---

(١) عطاء بن يسار الهلالي، الثقة، كثير الحديث، القاص، مولى ميمونة. قال في الكاشف: كان من كبار التابعين وعلمائهم، مات سنة أربع ومائة، عن أربع وثمانين سنة.

(٢) بريدة بن الحصيِّب، الصحابي الأسلمي، شهد خيبر، توفي سنة اثنتين وسبعين.

(٣) الحافظ البصري، قال أبو حاتم: ثقة صدوق في حفظه شيء، مات سنة ثلاث وستين ومائة.

(٤) كتاب «لطائف المعارف» للحافظ عبد الرحمن بن رجب.

الآية[١]، وأما إضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته، فإنها دار ملكه ـ كما ذكر كعب: أن في الكتب السالفة: محمد رسول الله ﷺ مولده بمكة ومهاجره بيثرب وملكه بالشام ـ فمن مكة بدت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام، وإلى الشام انتهى ملكه، ولهذا أسري به ﷺ إلى الشام، إلى بيت المقدس، كما هاجر قبله إبراهيم عليه السلام إلى الشام، وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، وهي أرض المحشر والمنشر. وخرج أحمد وأبو داود[٢] وابن حبان[٣] والحاكم في صحيحيهما عن النبي ﷺ أنه قال: (عليكم بالشام، فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده[٤])». انتهى ملخصاً.

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف[٥] عن أمه الشفاء[٦]

---

(١) سورة المائدة، الآيتان ١٥ و١٦.

(٥) سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، الحافظ الكبير، روى عن أحمد ونظرائه، وعنه: الترمذي وخلق. قال ابن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقهاً وحفظاً وعلماً واتقاناً، ونسكاً وورعاً، جمع وصنف وذب عن السنن، توفي سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة.

(٣) الحافظ العلامة، أبو حاتم، محمد بن حبان التميمي البستي، كتب عن النسائي وغيره، قال تلميذه الحاكم: كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ... وكانت إليه الرحلة، قال الخطيب: كان ثقة نبيلاً فهماً، مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

(٤) المسند ٤/١١٠، أبو داود رقم ٢٤٨٣.

(٥) عبد الرحمن بن عوف بن عبد مناف القرشي الزهري، أحد العشرة، ذي الهجرتين، البدري، الذي صلى خلفه المصطفى، مناقبه جمة رضي الله عنه، توفي سنة اثنتين وثلاثين.

(٦) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة، أسلمت وهاجرت، ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

قالت: لما ولدت آمنة رسول الله ﷺ وقع على يدي فاستهل، فسمعت قائلاً يقول: رحمك الله، قالت الشفاء: وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب، حتى نظرت إلى بعض قصور الروم، قالت: ثم ألبنته[1] وأضجعته، فلم أنشب أن غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني، فسمعت قائلاً يقول: أين ذهبت به؟ قال: إلى المشرق، قالت: فلم يزل الحديث مني على بال حتى بعثه[2] الله فكنت في أول الناس إسلاماً.

[من عجائب ولادته ﷺ]

ومن عجائب ولادته عليه السلام ما خرجه البيهقي وأبو نعيم عن حسان بن ثابت قال: إني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان، أعقل ما رأيت وسمعت، إذا يهودي يصرخ ذات غداة: يا معشر يهود، فاجتمعوا إليه، وأنا أسمع، قالوا: ويلك مالك؟ قال: طلع نجم أحمد الذي ولد به هذه الليلة.

وعن عائشة قالت: كان يهودي قد سكن مكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا معشر قريش: هل ولد فيكم الليلة مولود، قالوا: لا نعلم، قال: انظروا، فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة. بين كتفيه علامة. فانصرفوا فسألوا، فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه، فأخرجته لهم، فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشياً عليه، وقال:

---

(١) في ش ألبسته.
وألبنته: سقيته اللبن.

(٢) في (ط، ب، د) ابتعثه.

ذهبت النبوة من بني إسرائيل، يا معشر قريش: أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب. رواه يعقوب بن سفيان[1] بأسناد حسن كما قاله في فتح الباري.

ومن عجائب ولادته أيضاً: ما روي من ارتجاج[2] إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس. وكان لها ألف عام لم تخمد، كما رواه البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في «الهواتف» وابن عساكر[3].

وفي سقوط الأربع عشرة شرفة إشارة إلى أنه يملك منهم ملوك وملكات بعدد الشرفات، وقد ملك منهم في أربع سنين عشرة، ذكره ابن ظفر[4] وزاد ابن سيد الناس[5]: وملك الباقون إلى خلافة عثمان

---

(١) الفارسي، الثقة المتقن، الخير الصالح، الحافظ أبو يوسف الفسوي - نسبة إلى فسا من بلاد فارس - قال ابن حبان: ثقة، وقال النسائي: لا بأس به، مات سنة سبع وسبعين ومائتين.

(٢) في ش: ارتجاس.
وارتجاج: من الرج، وهو التحرك والتحريك والاهتزاز
وارتجاس: هو الصوت الشديد من الرعد، والمراد هنا: صوت التحرك والاهتزاز.

(٣) قال الشيخ عبد الفتاح أبو غدة: ما روي أن ليلة مولده ﷺ ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، وغاضت بحيرة ساوه.. فهذا الحديث ليس بصحيح ولا يجوز قوله [عن كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري، تحقيق أبو غدة ص ١٨] [المحقق].

(٤) محمد بن محمد بن ظفر، الصقلي المولود بها، أحد الأدباء الفضلاء، صاحب التصانيف المليحة، من أهل القرن السادس.

(٥) الإمام العلامة الحافظ الناقد، أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري الأندلسي=

رضي الله عنه[1].

ومن ذلك أيضاً: ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم من استراق السمع.

1/15 ولقد / أحسن الشقراطيسي[2] حيث قال:

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطفل[3]

وصرح كسرى تداعى من قواعده وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل

ونار فارس لم توقد وما خمدت مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل

خرت لمبعثه[4] الأوثان وانبعثت ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

= الأصل، المصري، ولد سنة إحدى وسبعين وستمائة، ولازم ابن دقيق العيد وتخرج به، كان أحد الأعلام الحفاظ، أديباً شاعراً بليغاً، ولي درس الحديث بالظاهرية وغيرها، وألف السيرة الكبرى والصغرى، وشرح الترمذي ولم يكمله، فأتمه أبو الفضل العراقي، مات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة.

(1) قال ابن كثير في البداية تعليقا على حديث ارتجاس ايوان كسرى وقد أورده ضمن حديث طويل: أما هذا الحديث فلا أصل له في شيء من كتب الإسلام المعهودة ولم أره بإسناد أصلا. 2/271 [م].

(2) أبو محمد عبد الله بن أبي زكريا يحيى بن علي الشقراطيسي.

(3) طفلت الشمس للغروب: أي دنت منه.

(4) كذا في النسخ وفي الأصل: لمولده.

[ختانه ﷺ]

[القول بأنه ﷺ ولد مختوناً]

وولد ﷺ معذوراً أي مختوناً مسروراً - أي مقطوع السرة - كما روي من حديث أبي هريرة عند ابن عساكر.

وروى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم والخطيب وابن عساكر من طرق، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً، ولم ير أحد سوأتي» وصححه الضياء[1] في المختارة[2].

وعن ابن عمر قال: ولد النبي ﷺ مسروراً مختوناً. رواه ابن عساكر.

قال الحاكم في المستدرك: تواترت الأخبار أنه عليه السلام ولد مختوناً. انتهى.

وتعقبه الحافظ الذهبي[3] فقال: ما أعلم صحة ذلك؟! فكيف

---

(١) ضياء الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدي المقدسي الحنبلي، الثقة الجبل، الدين الزاهد الورع، المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

(٢) «المختارة» في الأحاديث مما ليس في الصحيحين، وقد قال الزركشي وغيره: إن تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم.

(٣) الإمام الحافظ، أبو عبد الله، محمد بن عثمان الذهبي - نسبة إلى الذهب - الدمشقي المتوفى بها سنة ثمان وأربعين وسبعمائة.

يكون متواتراً؟ وأجيب: باحتمال أن يكون أراد بتواتر الأخبار اشتهارها وكثرتها في السير، لا من طريق السند المصطلح عليه عند أئمة الحديث.

[القول بغير ذلك]

وقد حكى الحافظ زين الدين العراقي، أن الكمال بن العديم[1] ضعف أحاديث كونه ولد مختوناً، وقال: إنه لا يثبت في هذا شيء من ذلك.

وأقره عليه، وبه صرح ابن القيم[2] ثم قال: ليس هذا من خصائصه ﷺ، فإن كثيراً من الناس ولد مختوناً.

وحكي الحافظ ابن حجر: أن العرب تزعم أن الغلام إذا ولد في القمر فسخت قلفته ـ أي اتسعت ـ فيصير كالمختون.

وفي «الوشاح» لابن دريد[3]: قال ابن الكلبي: بلغني أن آدم خلق مختوناً واثني عشر نبياً من بعده خلقوا مختونين آخرهم محمد ﷺ: شيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وشعيب ويحيى وهود [وصالح][4] صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب، كمال الدين، الحلبي، الكاتب البليغ، الحنفي، ولد بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، وبرع وساد، وصار أوحد عصره فضلاً ونبلاً ورياسة، وألف في الفقه والحديث والأدب وتاريخ حلب، وتوفي بمصر.

(٢) في «الهدي النبوي».

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن اللغوي الثقة، صاحب التصانيف المولود سنة ثلاث وعشرين ومائتين، المتوفى بعمان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

(٤) في (ب، ط، د) وعلى هذا فإن عددهم يزيد على اثني عشر [م].

وفي هذه العبارة تجوز، لأن الختان هو القطع، وهو غير ظاهر، لأن الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع، فيحمل الكلام باعتبار أنه على صفة المقطوع.

[الخلاصة في ختانه ﷺ]

وقد حصل من الاختلاف في ختانه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ولد مختوناً كما تقدم.

الثاني: أنه ختنه جده عبد المطلب يوم سابعه، وصنع له مأدبة وسماه محمداً. رواه الوليد بن مسلم(١) بسنده إلى ابن عباس وحكاه ابن عبد البر(٢) في التمهيد.

والثالث: أنه ختن عند حليمة، كما ذكره ابن القيم والدمياطي(٣)

---

(١) الوليد بن مسلم القرشي، مولاهم، أبو العباس، الدمشقي، عن مالك والأوزاعي والثوري وخلق، وعنه: الليث، أحد شيوخه، وابن وهب وأحمد وغيرهم، متفق على توثيقه، وإنما عابوا عليه كثرة التدليس، أخرج له الستة مات سنة خمس وتسعين ومائة.

(٢) شيخ الإسلام، الحافظ أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، القرطبي، الفقيه المكثر، العالم بالقرآن والحديث والرجال والخلاف، صاحب السنة والاتباع، والتصانيف الكثيرة، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة.

(٣) الحافظ الإمام، شيخ المحدثين، شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الشافعي ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة، وتفقه وبرع وطلب الحديث، فرحل وجمع فأوعى وألف، بلغت شيوخه ألفاً وثلاثمائة، ضمهم معجمه. قال الرازي: ما رأيت في الحديث أحفظ منه، مات فجأة سنة خمس وسبعمائة.

ومغلطاي[1] وقالا: إن جبريل عليه السلام ختنه حين طهر قلبه.

وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط وأبو نعيم من حديث أبي بكرة.

قال الذهبي: وهذا منكر.

[بحث في فقه الختان]

واعلم أن الختان: هو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل، وقطع بعض الجلدة التي في أعلى الفرج من المرأة، ويسمى ختان الرجل: إعذارا ـ بالعين المهملة والذال المعجمة والراء ـ وختان المرأة خفاضاً ـ بالخاء المعجمة والفاء والضاد المعجمة أيضاً ـ.

واختلف العلماء: هل هو واجب؟

- فذهب أكثرهم إلى أنه سنة وليس بواجب، وهو قول مالك وأبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي.

- وذهب الشافعي إلى وجوبه، وهو مقتضى قول سحنون[2] من المالكية.

- وذهب بعض أصحاب الشافعي إلى أنه واجب في حق الرجال، سنة في حق النساء.

---

(١) الإمام الحافظ علاء الدين بن قليج بن عبد الله الحنفي، ولد سنة تسع وثمانين وستمائة، وله أكثر من مائة مصنف، كشرح البخاري، وشرح ابن ماجه، وشرح أبي داود، ولم يتمها، مات سنة اثنتين وستين وسبعمائة.

(٢) من أئمة المالكية، واسمه: عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني، لقب باسم طائر حديد الذهن ببلاد المغرب لكونه كذلك، ولد سنة ستين ومائة، =

واحتج من قال إنه سنة، بحديث أبي المليح بن أسامة[1] عن أبيه[2]: أن النبي ﷺ قال: (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) رواه أحمد في مسنده[3] والبيهقي.

وأجاب من أوجبه بأنه ليس المراد بالسنة هنا خلاف الواجب، بل المراد الطريقة، واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى: ﴿**أن اتبع ملة/ إبراهيم حنيفاً**﴾[4]، وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (اختتن إبراهيم النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم)[5] وبما روى أبو داود من قوله ﷺ للرجل الذي أسلم: (ألق عنك شعر الكفر واختتن)[6].

١٥/ب

واحتج القفال لوجوبه: بأن بقاء القلفة يحبس النجاسة، ويمنع صحة الصلاة، فيجب إزالتها.

وقال الفخر الرازي: «الحكمة من الختان، أن الحشفة قوية الحس،

= وتلمذ لابن القاسم وغيره، وصنف «المدونة» التي عليها العمل. مات سنة أربعين ومائتين.

(١) عامر وقيل زيد وقيل زياد، التابعي، وثقة أبو زرعة وغيره، روى له الستة مات سنة ثمان وتسعين وقيل غير ذلك.

(٢) اسامة بن عمير الهذلي البصري، صحابي تفرد بالرواية عنه ولده، أخرج له أصحاب السنن الأربعة.

(٣) المسند ٥/٧٥.

(٤) سورة النحل. الآية ١٢٣.

(٥) رواه البخاري برقم ٣٣٥٦ و٦٢٩٨ ومسلم برقم ٢٣٧٠ وأحمد ٢/٤١٨

(٦) رواه أبو داود برقم ٣٥٦ وأحمد ٣/٤١٥.

فما دامت مستورة تقوي اللذة عند المباشرة، **فإذا قطعت القلفة** تصلبت الحشفة فضعفت اللذة، وهو اللائق بشريعتنا تقليلاً للذة لا قطعاً لها، كما تفعل المانوية[1]، فذلك **إفراط** وإبقاء القلفة تفريط، **فالعدل** الختان». **انتهى**.

وإذا قلنا بوجوب الختان، فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا، لما روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه سئل: مثل من أنت حين قبض رسول الله ﷺ قال: «وأنا يومئذ مختون وكانوا لا يختتنون الرجل حتى يدرك».[2] وقال بعض أصحابنا: يجب على الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ، والله أعلم.

---

(١) هم أصحاب ماني بن فانك الزنديق، الذي ظهر في زمن سابور بعد عيسى عليه السلام، وادعى النبوة، وأن للعالم أصلين: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشر، وأنهما قديمان.

(٢) رواه البخاري برقم ٦٢٩٩، وهو عند أحمد بلفظ قريب ١/٢٨٧ و٣٥٧.

[زمن الولادة ووقتها]

[العام الذي ولد فيه ﷺ]

وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم:

فالأكثرون على أنه عام الفيل، وبه قال ابن عباس، ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه[1] وقال: كل قول يخالفه وهم.

والمشهور: أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوماً، وإليه ذهب السهيلي في جماعة.

وقيل: بعده بخمسة وخمسين يوماً، وحكاه الدمياطي في آخرين

وقيل: بشهر، وقيل بأربعين يوماً[2]،

وقيل: بعد الفيل بعشر سنين[3] وقيل: قبل الفيل بخمس عشرة سنة، وقيل: غير ذلك.

والمشهور أنه بعد الفيل، لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوته، وتقدمة لظهوره وبعثته، وإلا فأصحاب الفيل ـ كما قاله ابن القيم ـ كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيراً من دين أهل مكة إذ

---

(١) كابن الجوزي في «الصفوة» وكذا ابن الجزار.

(٢) حكاهما مغلطاي واليعمري.

(٣) قال مغلطاي: يروى هذا القول عن الزهري، ولا يصح.

ذاك، لأنهم كانوا عباد أوثان، **فنصرهم الله تعالى** على أهل الكتاب نصراً لا صنع للبشر فيه، إرهاصاً وتقدمة للنبي الذي خرج من مكة، وتعظيماً للبلد الحرام.

[الشهر الذي ولد فيه ﷺ]

واختلف أيضاً في الشهر الذي ولد فيه.

والمشهور: أنه ولد في شهر ربيع الأول، وهو قول جمهور العلماء. ونقل ابن الجوزي الاتفاق عليه.

وفيه نظر: فقد قيل في صفر، وقيل في ربيع الآخر[1].

وقيل في رجب، ولا يصح.

وقيل: في رمضان[2]، وروي عن ابن عمر بإسناد لا يصح، وهو موافق لمن قال: إن أمه حملت به في أيام التشريق.

وأغرب من قال: ولد في عاشوراء

[اليوم الذي ولد فيه ﷺ]

وكذا اختلف أيضاً في أي يوم من الشهر:

فقيل إنه غير معين، إنما ولد يوم الإثنين من ربيع الأول من غير تعيين، والجمهور على أنه يوم معين منه،

فقيل: لليلتين خلتا منه[3].

وقيل: لثمان خلت منه، قال الشيخ قطب الدين القسطلاني[4]:

---

(١) حكاهما مغلطاي وغيره.

(٢) حكاه اليعمري ومغلطاي.

(٣) به صدر مغلطاي.

(٤) أبو بكر، محمد بن أحمد بن علي المصري القسطلاني الشافعي، جمع بين =

وهـو اختيار أكـثر أهل الحـديث، ونقل عن ابن عبـاس وجبير بن مـطعم، وهو اختيـار أكـثر من لـه معـرفـة بهـذا الشـأن، واختـاره الحميدي[١]، وشيخه ابن حـزم[٢]، وحكى القضاعي[٣] في «عيـون المعارف» إجماع أهل الزيج[٤] عليه، ورواه الزهري[٥] عن محمـد بن جبير بن مطعم[٦]، وكان عارفاً بالنسب وأيام العرب، أخذ ذلك عن أبيه جبير[٧].

= العلم والعمل، وألف في الحديث والتصوف وتاريخ مصر، ولد بمصر سنة أربع عشرة وستمائة ومات سنة ست وثمانين وستمائة. ونسبته إلى قسطلينة من إقليم أفريقية.

(١) الحافظ أبو عبد الله، محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي ـ مصغراً ـ الأنـدلسي الظاهـري، من كبار تـلامذة ابن حـزم، صاحب الجمـع بين الصحيحين، فريـد عصره علماً وفضلاً وحفـظاً وورعاً، الثبت الإمـام في الحديث والفقه والأدب. مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

(٢) الحافظ أبو محمد، علي بن أحمـد بن حزم، القـرطبي الظاهـري، الإمام العلامة الزاهد الورع، له المنتهى في الذكاء والحفظ، مع توسعه في علوم اللسـان والبلاغـة والشعر والسير والأخبـار. تـوفي سنـة سبـع وخمسـين وأربعمائة.

(٣) أبو عبد الله، محمد بن سلامة، الفقية الشافعي، قاضي مصر، صاحب: الشهاب والخطط وغيرهما. قال ابن ماكولا: كان متفنناً في عدة علوم، توفي بمصر سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

(٤) أي الميقات، وهو لغة: خيط البناء، نقل وجعل لقباً لعمل الميقات.

(٥) الإمام أبو بكر، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، المدني، أحد الأعلام، نزيل الشام، التابعي الصغير، المتفق على إمامته وحفظه، الموصوف بأنه جمع علم جميع التابعين. القائل ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيه، المتوفى سنة خمس وعشرين ومائة، عن اثنتين وتسعين سنة.

(٦) محمد بن جبير بن مطعم النوفلي، الثقة أحد رجال الستة، توفي على رأس المائة.

(٧) جبير بن مطعم، الصحابي العارف بالأنساب المتوفى سنة ثمان وخمسين.

وقيل لعشر[1]، وقيل لاثنتي عشرة، وعليه[2] عمل أهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت، وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان عشرة[3]، وقيل لثمان بقين منه. وقيل: إن هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية.

والمشهور: أنه ولد [يوم الإثنين[4]] ثاني عشر شهر ربيع الأول، وهو قول ابن إسحاق وغيره.

وإنما كان في شهر ربيع على الصحيح ولم يكن في المحرم، ولا في رجب، ولا في رمضان، ولا غيرها من الأشهر ذوات الشرف، لأنه عليه السلام لا يتشرف بالزمان، وإنما الزمان يتشرف به كالأماكن، فلو ولد / في شهر من الشهور المذكورة، لتوهم أنه تشرف بها، فجعل الله تعالى مولده ﷺ في غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه. ١/١٦

وإذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين. ولم يجعل الله تعالى في يوم الإثنين ـ يوم مولده ﷺ ـ من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة ـ المخلوق فيه آدم ـ من الجمعة والخطبة وغير ذلك، إكراماً لنبيه ﷺ بالتخفيف عن أمته، بسبب غاية وجوده قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[5]، ومن جملة ذلك: عدم التكليف.

---

(١) حكاه مغلطاي والدمياطي وصححه.

(٢) في (ط، د) وعليه يحمل.

(٣) ثمانَ عشرة: بفتح النون ويجوز كسرها، ويجوز إثبات الياء وتفتح.

(٤) في (ش، ب).

(٥) سورة الأنبياء. الآية ١٠٧.

[الوقت الذي ولد فيه ﷺ]

واختلف أيضاً في الوقت الذي ولد فيه[1].

والمشهور أنه يوم الإثنين. فعن أبي قتادة الأنصاري[2]: أنه ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين فقال: (ذاك يوم ولدت فيه، وأنزلت علي فيه النبوة) رواه مسلم[3]، وهذا يدل على أنه ﷺ ولد نهاراً.

وفي المسند، عن ابن عباس قال: ولد ﷺ يوم الإثنين، واستنبئ يوم الإثنين، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، ورفع الحجر يوم الإثنين. انتهى[4].

وكذا فتح مكة ونزول سورة المائدة يوم الإثنين.

وقد روى أنه ولد [يوم الإثنين][5] عند طلوع الفجر، فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: كان بمر الظهران راهب يسمى عيصى، من أهل الشام، وكان يقول: يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم، هذا زمانه، فكان لا يولد بمكة مولود إلا يسأل عنه، فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد المطلب حتى أتى عيصى فناداه، فأشرف عليه، فقال له

---

(١) أهو الليل أم النهار؟

(٢) أبو قتادة الأنصاري، فارس رسول الله ﷺ، حضر سائر المشاهد إلا بدراً ففيه خلف، وليس في الصحابة من يكنى بكنيته غيره، واسمه الحارث بن ربعي، مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، وقيل غير ذلك.

(٣) رقم ١٩٧ من كتاب الصيام ٢/٨١٩.

(٤) المسند ١/٢٧٧.

(٥) في (ط، ب).

عيصي: كن أباه، فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الإثنين، ويبعث يوم الإثنين، ويموت يوم الإثنين. قال: ولد لي الليلة مع الصبح مولود، قال: فما سميته؟ قال: محمداً، قال: والله لقد كنت أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل هذا البيت، بثلاث خصال تعرّفه: فقد أتى عليهن منها: أنه طلع نجمه البارحة، وأنه ولد اليوم، وأن اسمه محمد. رواه أبو جعفر بن أبي شيبة(١)، وخرجه أبو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف.

وقيل: كان مولده ﷺ عند طلوع الغفر، وهو ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر، وهو مولد النبيين، ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان، وهو برج الحمل، وكان لعشرين مضت منه.

وقيل ولد ليلاً فعن عائشة قالت:كان بمكة يهودي يتجر فيها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال:يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا:أخرجي لنا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشياً عليه فلما أفاق قالوا مالك ويلك قال: ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل، رواه الحاكم.

---

(١) محمد بن عثمان العبسي الكوفي، محدثها الحافظ البارع، صنف وجمع. وثقه صالح جزره وابن عدي وعبدان، وقال عبد الله بن أحمد: كذاب، وقال ابن خراش: يضع، وقال مطين: هو عصا موسى تلقف ما يأفكون، وقال ابن البرقاني: لم أزل أسمع أنه مقدوح فيه. مات سنه سبع وتسعين ومائتين.

قال الشيخ بدر الدين الزركشي: «والصحيح أن ولادته ﷺ كانت نهاراً، قال: وأما ما روي من تدلي النجوم فضعفه ابن دحية لاقتضائه أن الولادة ليلاً. قال: وهذا لا يصلح أن يكون تعليلاً، فإن زمان النبوة صالح للخوارق، ويجوز أن تسقط النجوم نهاراً» انتهى.

[ليلة القدر وليلة المولد]

فإن قلت: إذا قلنا بأنه عليه الصلاة والسلام ولد ليلاً، فأيما أفضل: ليلة القدر أو ليلة مولده صلى الله عليه وسلم؟

أجيب: بأن ليلة مولده أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة:

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ، وليلة القدر معطاة له، وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف / مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد ـ بهذا الاعتبار ـ أفضل. ١٦/ب

الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ فيها. ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر، على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل.

الثالث: أن ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد ﷺ، وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعاً، فكانت أفضل(١).

---

(١) قال الشهاب الهيتمي: إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر، فهذه الأدلة لا تنتج ذلك، كما هو جلي. وإن أريد عين تلك الليلة، فليلة القدر لم تكن موجودة إذا ذاك، وإنما أتى فضلها في الأحاديث الصحيحة على سائر ليالي السنة بعد الولادة، بمدة، =

فيا شهراً ما أشرفه وأوفر حرمة لياليه، كأنها لآلىء في العقود، ويا وجهاً ما أشرفه من مولود، فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعاً وحسنه بديعاً.

يقول لنا لسان الحال منه   وقول الحق يعذب للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي   ربيع في ربيع في ربيع

[مدة الحمل ومكان الولادة]

واختلف أيضاً في مدة الحمل به، فقيل: تسعة أشهر[1]، وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة[2].

وولد عليه السلام في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج[3] ويقال بالشعب، ويقال بالردم ويقال بعسفان[4].

= فلم يمكن اجتماعهما حتى يأتي بينهما تفضيل. وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، وقد نص الشارع على أفضليتها، ولم يتعرض لليلة مولده، ولا لأمثالها بالتفضيل أصلاً، فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء منه، ولا نبتدع شيئاً من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف منه ﷺ. على أنا لو سلمنا أفضلية لم يكن له فائدة، إذ لا فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها، وأما تفضيل ذات الزمن الذي لا يكون فيه العمل فليس له كبير فائدة. قال الشارح وهو كلام وجيه.

(١) قاله مغلطاي وصدر به. قال في الغرر وهو الصحيح.

(٢) حكى هذه الأقوال مغلطاي وغيره.

(٣) وهي بزقاق المدكك، وكانت قبل ذلك بيد عقيل بن أبي طالب، فباعها ولده من محمد بن يوسف.

(٤) حكاه مغلطاي وهو قول شاذ.

[رضاعه عند الولادة]

وأرضعته ﷺ ثويبة[1]، عتيقة أبي لهب، أعتقها حين بشرته بولادته عليه السلام.

وقد رؤي أبو لهب بعد موته في النوم فقيل له ما حالك؟ فقال: في النار، إلا أنه خفف عني كل ليلة إثنين، وأمص من بين أصبعي هاتين ماء[2]، وأشار برأس أصبعه وأن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ وبإرضاعها له.

قال ابن الجزري[3]: فإذا كان هذا أبو لهب الكافر، الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به، فما حال المسلم الموحد من أمته عليه السلام الذي يسر بمولده، ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم.

---

(١) توفيت بمكة سنة سبع من الهجرة. قال ابن الجوزي: لا نعلم أنها أسلمت.

(٢) الحديث في البخاري بلفظ:(قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب، وكان أبو لهب أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة قال له: ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم، غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة) رقم ٥١٠١ كتاب النكاح. باب (٢٠).

قال ابن حجر (لم ألق بعدكم) كذا في الأصول بحذف المفعول، وفي رواية الاسماعيلي (لم ألق بعدكم رخاء) ٩/١٤٥ [م].

(٣) الحافظ أبو الخير شمس الدين، محمد بن محمد الدمشقي، الإمام في القراءات، الحافظ للحديث صاحب التصانيف التي منها «النشر في القراءات العشر» لم يصنف مثله. ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، ومات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة.

[الاحتفال بالمولد]

ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المبرات. ويعتنون بقراءة مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم[1].

ومما جرب من خواصه أنه أمان في ذلك العام، وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام، فرحم الله امرءًا اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا، ليكون أشد علة على من في قلبه مرض وأعيا داء.

ولقد أطنب ابن الحاج[2] في «المدخل[3]» في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل

---

(١) [أول من احتفل بالمولد]

وأول من أحدث فعل ذلك، الملك المظفر، أبو سعيد صاحب أربل، قال ابن كثير في تاريخه: «كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل فيه احتفالاً هائلاً، وكان شهماً شجاعاً بطلاً عاقلاً عالماً عادلاً، وطالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا في سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن محمد العبدري الفارسي، أحد العلماء العاملين المشهورين بالزهد والصلاح، كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، صحب جماعة من أصحاب القلوب، مات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

(٣) كتاب «المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنحلة» قال ابن فرحون: جمع فيه علماً غزيراً، ويجب على من ليس له في العلم قدم راسخ أن يهتم بالوقوف عليه.

المولد الشريف، فالله يثيبه على قصده الجليل، ويسلك بنا سبيل السنة، فإنه حسبنا ونعم الوكيل(١).

---

(١) [الخلاصة في حكم المولد]
والحاصل: أن عمله بدعة، لكنه اشتمل على محاسن وضدها، فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها، كانت بدعة حسنة، ومن لا، فلا.
قال الحافظ ابن حجر في جواب سؤال: وظهر لي تخريجه على أصل ثابت، وهو ما في الصحيحين: أن النبي ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، ونحن نصومه شكراً، قال: فيستفاد منه فعل الشكر على ما منّ به في يوم معين، وأي نعمة أعظم من بروز نبي الرحمة، والشكر يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة.
وسبقه إلى ذلك الحافظ ابن رجب.
أقول: هذا ما قاله الشارح، وقد تحدث الإمام ابن تيمية عن هذا الموضوع في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» في الصفحات ٢٩٤ ـ ٢٩٨، وخلاصة رأيه: أن البدع ليست في مستوى واحد، فالمنكر مراتب، كما أن البدعة الواحدة ليست في جميع الناس سواء، ومن ذلك قوله:
«وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع، من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً.. فإن هذا لم يفعله السلف..».
إلى أن يقول: «فتعظيم المولد واتخاذه موسماً، قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد، ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك، فقال: دعه، فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب. مع أن مذهبه: أن زخرفة المصاحف مكروهة..». [المحقق].

[ذكر رضاعه ﷺ]

وقد ذكروا[1] أنه لما ولد ﷺ، قيل: من يكفل هذه الدرة اليتيمة، التي لا يوجد لمثلها قيمة؟ قالت الطيور: نحن نكفله ونغنم خدمته العظيمة، قالت الوحوش: نحن أولى بذلك ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة: أن يا جميع المخلوقات: إن الله تعالى قد كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعاً لحليمة الحليمة.

[حديث حليمة]

قالت حليمة[2]: فيما رواه ابن إسحاق وابن راهويه[3] وأبو

---

(١) أي أهل الإشارة من الصوفية، فأما الفقهاء والمحدثون فلم يذكروا شيئاً من ذلك.

(٢) حليمة بنت أبي ذؤيب، عبد الله بن الحارث السعدية، قال في الاستيعاب: روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال: جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبي ﷺ من الرضاعة إليه يوم حنين، فقام إليها وبسط لها رداءه، فجلست عليه، وروت عن النبي ﷺ، وروى عنها عبد الله بن جعفر. قال في الإصابة: وحديث عبد الله بن جعفر عنها بقصة إرضاعه، أخرجه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه، وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة.

(٣) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي، أحد الأئمة الأعلام، اجتمع له =

يعلى[1] والطبراني والبيهقي وأبو نعيم: قدمت مكة في نسوة من بني سعد بن بكر، نلتمس الرضعاء في سنة شهباء، فقدمت على أتان لي ومعي صبي لنا وشارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا ذلك أجمع مع صبينا ذاك، لا يجد في ثديي ما يغنيه، ولا في شارفنا ما يغذيه.

فقدمنا مكة، فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها / رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها يتيم، فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره، قلت لزوجي[2]: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فذهبت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن، يفوح منه المسك، وتحته حريرة خضراء، راقداً على قفاه، يغط، فأشفقت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله، فدنوت منه رويداً فوضعت يدي على صدره فتبسم ضاحكاً، وفتح عينيه لينظر إلي، فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر، فقبلته بين عينيه، وأعطيته ثديي الأيمن، فأقبل عليه بما شاء

١٧/١

= الحديث والفقه، والحفظ والصدق والورع، روى عنه الستة إلا ابن ماجه. قال ابن حنبل: هو أمير المؤمنين في الحديث، ما كان يحدث إلا من حفظه مات بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

(١) الحافظ الثبت، محدث الجزيرة، أحمد بن علي التميمي الموصلي، صاحب المسند الكبير، ذو صدق وأمانة وعلم وحلم، وثقه ابن حبان والحاكم، ولد سنة عشر ومائتين، ومات سنة سبع وثلاثمائة.

(٢) الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي، يكنى أبا ذؤيب، أدرك الإسلام وأسلم، رواه يونس بن بكير. قال ابن إسحاق: وبلغني أنه إنما أسلم بعد وفاة النبي ﷺ، هكذا في رواية يونس.

من لبن، فحولته إلى الأيسر فأبى، وكانت تلك حاله بعد. ـ قال أهل العلم: أعلمه الله تعالى أنَ له شريكاً فألهمه العدل ـ قالت: فروي وروي أخوه.

ثم أخذته، فما هو إلا أن جئت به رحلي، فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي[1] [وشرب أخوه حتى روي[2]]، فقام صاحبي ـ تعني زوجها ـ إلى شارفنا تلك، فإذا إنها لحافل، فحلب ما شرب وشربت حتى روينا، وبتنا بخير ليلة، فقال صاحبي: يا حليمة، والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة، ألم تري ما بتنا به الليلة من الخير والبركة حين أخذناه، فلم يزل الله يزيدنا خيراً.

قال في رواية ذكرها ابن طغربك في «النطق المفهوم»: فلما نظر صاحبي إلى هذا قال لي: اسكتي واكتمي أمرك، فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الأحبار قواماً على أقدامها، لا يهنؤها عيش النهار ولا نوم الليل[3].

قالت حليمة: فودعت النساء بعضهن بعضاً وودعت أنا أم النبي ﷺ، ثم ركبت أتاني وأخذت محمداً ﷺ بين يدي، قالت: فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معي، وصار الناس يتعجبون مني وتقول النساء لي وهن ورائي: يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التي كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طوراً

---

(١) من قوله (فأقبل عليه ثدياي..) ليس في ب.
(٢) في (أ، ش).
(٣) قال الشارح: وإخباره بذلك عنهم لما بلغه أو شاهده من بعضهم؟!

وترفعك آخر؟ فأقول: تالله إنها هي فيتعجبن منها ويقلن إن لها لشأناً عظيماً. قالت: فكنت أسمع أتاني تنطق وتقول والله إن لي لشأناً ثم شأناً بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي، ويحكن يا نساء بني سعد إنكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري، على ظهري خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين[1].

قالت حليمة - فيما ذكره ابن إسحاق وغيره -: ثم قدمنا منازل بني سعد، ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدب - [بالدال المهملة] - منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به شباعاً لُبناً، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعاتهم: اسرحوا حيث يسرح راعي غنم بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح أغنامي شباعاً لُبناً.

فلله درها من بركة كثرت بها مواشي حليمة ونمت وارتفع قدرها به وسمت ولم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة.

لقد بلغت بالها شمي حليمة   مقاماً علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها   وقد عم هذا السعد كل بني سعد

قال ابن الطراح رأيت في كتاب الترقيص لأبي عبد الله محمد بن المعلى الأزدي أن من شعر حليمة ما كانت ترقص به النبي ﷺ:

يا رب إذ أعطيته فأبقه   وأعله إلى العلا وأرقه

(١) هذا الكلام بلسان الحال، وليس هناك ما يثبته. [المحقق].

١٧/ب / وعند غيره كانت الشيماء[1] أخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول:

هـذا أخـيّ لم تـلـده أمـي ... وليس مـن نـسـل أبي وعـمـي

فـديـتـه مـن مخـول مـعـمـي ... فـأنمـه الـلـهـم فيمـا تـنـمـي

[حديث غريب الإسناد والمتن]

وأخرج البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب وابن عساكر في تاريخهما وابن طغر بك السياف في النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت: يا رسول الله دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال قال: إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش قال: البيهقي: تفرد به أحمد بن إبراهيم الجيلي وهو مجهول وقال الصابوني[2]: هذا حديث غريب الإسناد والمتن وهو في المعجزات حسن[3].

والمناغاة: المحادثة، وقد ناغت الأم صبيها: لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة.

---

(١) الشيماء ويقال الشماء، ابنة الحارث بن عبد العزى السعدية. ذكرها أبو نعيم وغيره في الصحابة، واسمها جداعة.

(٢) أبو عثمان، إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، شيخ الإسلام، المفسر المحدث الفقيه الواعظ، الخطيب، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وتوفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

(٣) قوله: «وهو حسن في المعجزات» قول غريب، فالمعجزات مرتبطة بالعقيدة ولا يقبل فيها إلا الحديث الصحيح [وانظر ـ إن رغبت ـ كتاب من معين الخصائص النبوية، للمحقق، ص(٢٩٨ ـ ٣١٢) نشره المكتب الإسلامي].

[التكلم في المهد وخصائص أخرى]

وفي فتح الباري عن سيرة الواقدي[1]: أنه ﷺ تكلم في أوائل ما ولد[2]. وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده كان يتحرك بتحريك الملائكة.

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمت رسول الله ﷺ تكلم فقال: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، فلما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم. الحديث.

وقد روى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر، عن ابن عباس قال: كانت حليمة لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً، فغفلت عنه، فخرج مع اخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم، فخرجت حليمة تطلبه، حتى تجده مع أخته فقالت: في هذا الحر؟ قالت أخته: يا أمه ما وجد أخي حراً، رأيت غمامة تظل عليه، إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع الحديث.

وكان ﷺ يشب شباباً لا يشبه الغلمان.

---

(١) محمد بن عمر بن واقد الواقدي، أبو عبد الله، المدني الحافظ. كذبه أحمد، وتركه ابن المبارك وغيره، قال في الميزان: استقر الإجماع على وهنه، وفي التقريب: متروك مع سعة علمه. مات سنة سبع ومائتين. روى له ابن ماجه.

(٢) التكلم في المهد ليس من خصائص الأنبياء، فقد تكلم فيه: ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج. رواه أحمد والحاكم مرفوعاً. وعند مسلم في قصة أصحاب الأخدود: أن امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر، ومعها صبي فتقاعست فقال لها: يا أماه اصبري فإنك على الحق.

[حادثة شق الصدر]

قالت حليمة: فلما فصلته قدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا، لما نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلنا: لو تركيته عندنا حتى يغلظ، فإنا نخشى عليه وباء مكة، ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به.

فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه من الرضاعة، لفي بَهْمٍ لنا خلف بيوتنا، جاء أخوه يشتد، فقال: ذاك أخي القرشي، قد جاء رجلان عليهما ثياب بيض، فأضجعاه وشقا بطنه، فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه، فنجده قائماً منتقعاً لونه، فاعتنقه أبوه وقال: أي بني، ما شأنك، فقال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني، ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه، ثم رداه كما كان. فرجعنا به معنا، فقال أبوه: يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب، فانطلقي بنا نرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف، قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة إلى أمه، فقالت: ما ردكما به، فقد كنتما حريصين عليه؟ قلنا نخشى عليه الإتلاف والأحداث، فقالت: ما ذاك بكما، فاصدقاني شأنكما، فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره، قالت: أخشيتما عليه الشيطان، كلا والله / ما للشيطان عليه سبيل، وإنه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما. ١/١٨

وفي حديث شداد بن أوس عن رجل من بني عامر، عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر: أن رسول الله ﷺ قال: كنت مسترضعاً في بني سعد بن بكر، فبينا أنا ذات يوم في بطن واد، مع أتراب لي من الصبيان، إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب، مليء ثلجاً،

فأخذوني من بين أصحابي، وانطلق الصبيان هراباً مسرعين إلى الحي، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعاً لطيفاً، ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مساً، ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها، ثم أعادها مكانها، ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئاً فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلأ وذلك نور النبوة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً، ثم قال الثالث لصاحبه تنح، فأمرَّ يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول[1]: زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم فقال: دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا: يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك الحديث.

وفي رواية ابن عباس، عند البيهقي، قالت حليمة: إذا أنا بابني ضمرة يعدو فزعاً، وجبينه يرشح باكياً ينادي: يا أبت، يا أماه، الحقا محمداً فما تلحقاه إلا ميتاً. أتاه رجل فاختطفه من أوساطنا، وعلا به ذروة الجبل، حتى شق صدره إلى عانته، وفيه: أنه عليه السلام قال: أتاني رهط ثلاثة، بيد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء. الحديث.

---

(١) في ش: الأول للثالث.

فإن قلت: هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به، أو فعل بغيره من الأنبياء عليهم السلام؟

أجيب: بأنه ورد في خبر التابوت والسكينة: أنه كان فيه الطست الذي غسلت فيه قلوب الأنبياء، ذكره الطبري، وعزاه العماد ابن كثير في تفسيره لرواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس.

فإن قلت: ما الحكمة في ختم قلبه المقدس؟

أجيب: بأنه إشارة إلى ختم الرسالة به، وهذا مسلم، إن كان الختم خاصاً به، أما إذا ورد أنه ليس خاصاً به بل بكل نبي ـ وسيأتي إن شاء الله تعالى قريباً ما في الخاتم الشريف من المباحث ـ فتكون الحكمة أنه علامة يمتاز بها عن غيره ممن ليس بنبي[1].

والمراد بالوزن: في قوله: «زنه بعشرة الخ» الوزن الاعتباري، فيكون المراد الرجحان في الفضل، وهو كذلك.

وفائدة فعل الملكين، ذلك، ليعلم الرسول ذلك، حتى يخبر به غيره ويعتقده، إذ هو من الأمور الاعتقادية.

[شق الصدر وقع أكثر من مرة]

وقد وقع شق صدره الشريف [واستخراج قلبه[2]] مرة أخرى عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء. ومرة أخرى عند الإسراء به، وسيأتي كل في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) في ش: هذه الجملة مقدمة على الجملة المعترضة.
(٢) في ش.

وروى الشق أيضاً، وهو ابن عشر أو نحوها، مع قصة له مع عبد المطلب، أبو نعيم في الدلائل.

[وفي فتح الباري في كتاب التوحيد، عزو ذلك لحديث أبي هريرة عند عبد الله بن أحمد / في زوائد المسند، وقال البيهقي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات، وثقهم ابن حبان[1]]. ١٨/ب

وروي خامسة، ولا تثبت.

والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه، واستخراج العلقة منه، تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية، ولذلك نشأ عليه السلام على أكمل الأحوال من العصمة

---

(١) هذه الفقرة في الأصل فقط.

[خاتم النبوة]

وقد روي أنه ختم بخاتم النبوة بين كتفيه، وكان ينم مسكاً[١]،

وأنه مثل زر الحجلة، ذكره البخاري[٢].

وفي مسلم: جمع عليه خيلان، كأنها الثآليل السود عند نغض كتفه[٣]، ويروى: غضروف كتفه اليسرى.

وفي كتاب أبي نعيم: الأيمن[٤].

وفي مسلم أيضاً: كبيضة الحمام[٥].

وفي صحيح الحاكم: شعر مجتمع[٦].

---

(١) قال القرطبي في المفهم: سمي بذلك لأنه أحد العلامات التي يعرفه بها علماء الكتب السابقة، ولذا لما حصل عند سلمان من علامات صدقه ما حصل، كموضع مبعثه ومهاجره، جد في طلبه فجعل يتأمل ظهره، فعلم ﷺ أنه يريد الوقوف على خاتم النبوة فأزال الرادء عنه، فلما رأى سلمان الخاتم، أكب عليه فقبله، وقال: أشهد أنك رسول الله.

(٢) رواه البخاري برقم (١٩٠) وهو عند مسلم برقم (٢٣٤٥).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٣٤٦) وفي مسند أحمد ٥/٨٢ و٨٣.

(٤) قال الشارح: ولا شك في شذوذ هـذا لمباينتـه ما في الصحيح الواجب تقديمه.

(٥) رواه مسلم: باب الفضائل برقم ١٠٩ و١١٠ وفي مسند أحمد ٥/٩٠.

(٦) وكذا في الترمذي وأبي يعلى والطبراني كلهم من حديث عمرو بن أخطب.

وفي البيهقي: مثل السلعة[1].

وفي الشمائل[2]: بضعة ناشزة

وفي حديث عمرو بن أخطب[3]: كشيء يختم به.

وفي تاريخ ابن عساكر: مثل البندقة[4].

وفي الترمذي ودلائل البيهقي: كالتفاحة.

وفي الروض: كأثر المحجمة القابضة على اللحم.

وفي تاريخ ابن أبي خيثمة: شامة خضراء محتفرة في اللحم.

وفيه أيضاً: شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متراكمات كأنها عرف الفرس.

وفي تاريخ القضاعي: ثلاث شعرات مجتمعات.

وفي كتاب[5] الترمذي الحكيم[6]: كبيضة حمام، مكتوب في باطنها: الله وحده لا شريك له، وفي ظاهرها: توجه حيث كنت فإنك المنصور[7].

---

(١) وهو عند أحمد ٥/٣٥ وابن سعد من طرق. والسلعة خراج في البدن.

(٢) للترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: الخاتم الذي بين كتفي رسول الله ﷺ بضعة ناشزة.

(٣) عند ابن أبي شيبة.

(٤) وكذا تاريخ الحاكم، وصحيح ابن حبان.

(٥) كتاب نوادر الأصول.

(٦) الإمام الحافظ محمد بن علي الترمذي الحكيم، الصوفي، سمع الكثير من الحديث بالعراق ونحوه، وهو من طبقة البخاري. قال ابن النجار في تاريخه: كان إماماً من أئمة المسلمين، له المصنفات الكبار في أصول الدين، ومعاني الحديث، لقي الأئمة الكبار وأخذ عنهم. وقد أطال القشيري وغيره بالثناء عليه. مات سنة خمس وتسعين ومائتين.

(٧) ويأتي أنه غير ثابت. قال في المورد: هو حديث باطل.

وفي كتاب المولد لابن عائذ: كان نوراً يتلألأ.

وفي سيرة ابن أبي عاصم: عذرة كعذرة الحمام، قال أبو أيوب: يعني قرطمة الحمامة.

وفي تاريخ نيسابور[1]: مثل البندقة من لحم مكتوب فيه باللحم: محمد رسول الله.

وعن عائشة[2]: كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة، وكان مما يلي الفقار قالت: فلمسته حين توفي فوجدته قد رفع.

حكى هذا كله الحافظ مغلطاي[3].

[نقد بعض الروايات]

لكن قال في فتح الباري: ما ورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم، أو كالشامة السوداء أو الخضراء، مكتوب عليها: محمد رسول الله، أو: سر فإنك المنصور. لم يثبت منها شيء. قال: ولا يغتر بما وقع في صحيح ابن حبان، فإنه غفل حيث صحح ذلك.

وقال الهيتمي[4] في «موارد الظمآن» بعد أن أورد الحديث ولفظه: مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه: محمد رسول الله. اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان يختم به.

---

(١) لأبي عبد الله الحاكم.

(٢) أي في تاريخ نيسابور أيضاً.

(٣) في الزهر الباسم.

(٤) الحافظ نور الدين، أبو الحسن، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيتمي، رفيق أبي الفضل العراقي، ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ورافق العراقي في سماع الحديث ولازمه، وألف وجمع، مات سنة سبع وثمانمائة.

وبخط الحافظ ابن حجر على الهامش: البعض المذكور هو إسحاق بن إبراهيم قاضي سمرقند وهو ضعيف.

[شرح معاني الكلمات]

وقوله: زر الحجلة - بالزاي والراء - والحجلة - بالحاء المهملة والجيم - قال النووي: هي واحدة الحجال، وهي بيت كالقبة، لها أزرار كبار وعرى، هذا هو الصواب. وقال بعضهم: المراد بالحجلة: الطائر المعروف. وزرها: بيضها، وأشار إليه الترمذي[1] وأنكره عليه العلماء.

وقوله: جمع - بضم الجيم وإسكان الميم - أي كجمع الكف، وصورته: أن تجمع الأصابع وتضمها.

وقوله: خيلان: - بكسر الخاء المعجمة وإسكان التحتية - جمع خال، وهو الشامة على الجسد.

وقوله: نغض: - بالنون والغين والضاد، المعجمتين - قال النووي: النُغْض والنَّغْض والناغض: أعلى الكتف، وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه، وقيل: ما يظهر منه عند التحرك، سمي ناغضاً لتحركه.

وقوله: بضعة ناشزة - بالمعجمة والزاي - أي قطعة لحم مرتفعة على جسده. وبيضة الحمامة: معروفة. انتهى[2].

والثآليل: - بالمثلثة - جمع ثؤلول: وهو حب يعلو ظاهر الجسد، واحدته كالحمصة فما دونها.

---

(١) قال في جامعه: المراد بالحجلة: هذا الطائر المعروف، وزرها: بيضها.

(٢) أي كلام النووي.

وفي القاموس: وقرطمتا الحمام - أي بكسر القاف - نقطتان على أصل منقاره.

[الجمع بين الروايات]

وقال بعض العلماء: اختلفت أقوال الرواة في خاتم النبوة، وليس ذلك باختلاف، بل كل شبه بما سنح له، وكلها ألفاظ مؤداها واحد، وهو: قطعة لحم، ومن قال: شعر، فلأن الشعر حوله متراكم عليه، كما في الرواية الأخرى.

وقال القرطبي[1]: الأحاديث الثابتة دالة على أن خاتم النبوة كان شيئاً بارزاً أحمر عند كتفه الأيسر، إذا قلل، قدر ببيضة الحمامة، وإذا كبر: جُمع اليد.

١٩/١ وقال القاضي عياض[2]: وهذه/ الروايات متقاربة متفرقة، متفقة على أنه شاخص في جسده، قدر بيضة الحمامة، وزر الحجلة. وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة، فتتأول على وفق الروايات

---

(١) أبو العباس، أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، المالكي الفقيه المحدث، نزيل الاسكندرية ومدرسها، ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة، اختصر الصحيحين، وصنف المفهم في شرح صحيح مسلم.

(٢) القاضي أبو الفضل، عياض بن موسى، السبتي الأندلسي، حافظ مذهب مالك، الأصولي، العلامة الحافظ، إمام المحدثين، وأعرف الناس بعلومه، وبالتفسير. . شاعر بليغ، صاحب التصانيف المشهورة: كشرح مسلم، والشفاء، والأعلام والمشارق، وهو كتاب لو وزن بالجوهر أو كتب بالذهب كان قليلاً فيه. ولد سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفي - متغرباً عن وطنه - سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

الكثيرة، ويكون معناه: على هيئة جمع الكف، لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة. قال: وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين كتفيه.

قال النووي: هذا الذي قاله ضعيف، بل باطل، لأن شق الملكين إنما كان في صدره وبطنه. انتهى.

ويشهد له قول أنس في حديث عند مسلم - يأتي في ذكر قلبه الشريف، من المقصد الثالث، إن شاء الله تعالى -: فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره(١).

لكن أجيب: بأن في حديث عتبة(٢) بن عبد السلمي - عند أحمد(٣) والطبراني - أن الملكين لما شقا صدره قال أحدهما للآخر: خطه، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة، فلما ثبت أن خاتم النبوة بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على أن الشق لما وقع في صدره، ثم خيط حتى التأم كما كان، ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر الختم. وفهم النووي وغيره منه: أن قوله بين كتفيه متعلق بالشق وليس كذلك، بل هو متعلق بأثر الختم، وحينئذ فليس ما قاله القاضي عياض بباطل، انتهى.

وقال السهيلي: والصحيح أنه - يعني خاتم النبوة - كان عند نغض كتفه الأيسر.

---

(١) رواه مسلم. كتاب الإيمان رقم ٢٦١ وفي مسند أحمد ٣/١٢١.

(٢) في ط: عقبة وهو خطأ مطبعي.

وعتبة بن عبد السلمي، صحابي شهير، أول مشاهده قريظة، مات سنة سبع وثمانين وقد قارب المائة رضي الله عنه.

(٣) المسند ٤/١٨٤.

[هل كان الخاتم عند الولادة]

واختلف هل ولد به؟ أو وضع بعد ولادته؟ على قولين

وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم، وكيف وضع، ومن وضعه، في حديث أبي ذر[1] عند البزار وغيره[2] قال: قلت يا رسول الله: كيف علمت أنك نبي، وبم علمت أنك نبي حتى استيقنت؟ قال: أتاني آتيان، وفي رواية ملكان، وأنا ببطحاء مكة، فوقع أحدهما بالأرض، وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: هو هو، قال: فزنه برجل. . . الحديث، وفيه: ثم قال أحدهما لصاحبه: شق بطنه، فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه معمز الشيطان[3] وعلق الدم فطرحهما، فقال أحدهما لصاحبه: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الملاء، ثم قال أحدهما لصاحبه: خط بطنه، فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن، ووليا عني، وكأني أرى الأمر معاينة.

وعند أبي نعيم في الدلائل: أنه ﷺ لما ولد، ذكرت أمه أن

---

(١) جندب بن جنادة الغفاري، قديم الإسلام، ذي الزهد الزائد، والفضل المنوه عليه بقوله ﷺ: (ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء بعد النبيين امرءاً أصدق لهجة من أبي ذر) أخرجه أحمد وغيره. مات بالربذة سنة اثنتين وثلاثين.

(٢) كالدارمي وابن أبي الدنيا وابن عساكر والضياء في المختارة.

(٣) في الصحيحين عن أبي هريرة عنه ﷺ (ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه) قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾.

الملك غمسه في الماء الذي أنبعه[1] ثلاث غمسات، ثم أخرج سرقة[2] من حرير أبيض، فإذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة المكنونة، تضيء كالزهرة.

وَقيل: ولد به، فالله أعلم.

[علامات نبوة الأنبياء]

وأخرج الحاكم في المستدرك عن وهب بن منبه قال: لم يبعث الله نبياً إلا وقد كان عليه شامات النبوة في يده اليمنى، إلا أن يكون نبينا ﷺ فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه.

وعلى هذا: فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بإزاء قلبه مما اختص به عن سائر الأنبياء والله أعلم.

(١) أي أحضره الملك ذلك الوقت في الإبريق الفضة، كما مر في حديث أبي نعيم.
(٢) سرقة ـ بفتح المهملة والراء والقاف ـ أي قطعة.

[ذكر وفاة آمنة]

ولما بلغ ﷺ أربع سنين ـ وقيل خمساً، وقيل ستاً، وقيل سبعاً، وقيل تسعاً، وقيل اثنتي عشرة سنة وشهراً وعشرة أيام ـ ماتت أمه بالأبواء[1] وقيل بشعب أبي ذئب بالحجون[2]. وفي القاموس: ودار رائعة بمكة فيها مدفن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم.

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس وعن الزهري، وعن عاصم بن عمرو بن قتادة[3] دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا: لما بلغ رسول الله ﷺ ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله[4] بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم، ومعه أم أيمن[5]، فنزلت به دار التابعة[6].

---

(١) واد بين مكة والمدينة. وبهذا القول قال ابن إسحاق، وجزم به العراقي وتلميذه الحافظ قال الشارح وهو المشهور.

(٢) جبل بمعلاة مكة.

(٣) ابن النعمان، المدني الأنصاري الأوسي، العالم الثقة، كثير الحديث العلامة بالمغازي، مات سنة عشرين ومائة. خرج له الجماعة.

(٤) هم أخوال جده عبد المطلب، فإضافتهم إليه مجاز.

(٥) بركة الحبشية بنت ثعلبة، أعتقها أبو المصطفى، أسلمت قديماً، وهاجرت الهجرتين مناقبها كثيرة، وفي صحيح مسلم عن الزهري: أنها ماتت بعده ﷺ بخمسة أشهر. وروى ابن سعد بسند صحيح: «لما قتل عمر بكت أم أيمن، فقيل لها، فقالت: اليوم وهى الإسلام» وهذا موصول فهو أقوى من خبر الزهري المرسل.

(٦) كذا في (ب، ش) وفي (ط) التبابعة وفي (أ، د) النابغة، والتابعة رجل من =

فأقامت به عندهم شهراً، فكان ﷺ يذكر أموراً كانت في مقامه ذلك، ونظر إلى الدار فقال: ها هنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار، وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلي. قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول: هو نبي هذه الأمة، وهذه دار هجرته، فوعيت ذلك كله من كلامهم، ثم رجعت به أمه إلى مكة، فلما كانت بالأبواء توفيت.

وروى أبو نعيم من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها، ومحمد / عليه السلام غلام يفع[1] له خمس سنين عند رأسها، فنظرت إلى وجهه ثم قالت: ١٩/ب

بارك الله فيك من غلام	يا ابن الذي من حومة الحمام
نجا بعون الملك المنعام	فودي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام	تبعث في التحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهام	فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام[2]

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى،

= بني عدي بن النجار.

(١) في (أ) يقع، وفي النسخ: يفع. قال في القاموس: غلام يافع وغلام يفع، بالفاء.

(٢) لا شك أن هذا الشعر محدث مفتعل، وإلا فهل كانت آمنة تعلم الغيب؟! [م].

وأنا ميتة وذكري باق، وقد تركت خيراً، وولدت طهراً، ثم ماتت.
فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك هذه الأبيات:

نبكي الفتاة البرة الأمينة ذات الجمال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة أم نبي الله ذي السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة صارت لدى حفرتها رهينة[1]

(١) هل كان الجن يعلمون الغيب؟! رحم الله المصنف فقد كان يحسن به أن ينزه كتابه عن مثل هذا [م].

[قضية نجاة والديه ﷺ]

[خبر إيمان والدته]

وقد روي أن آمنة آمنت به ﷺ بعد موتها.

فروى الطبري[١] بسنده عن عائشة أن النبي ﷺ نزل الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء الله عز وجل، ثم رجع مسروراً، قال: سألت ربي فأحيا لي أمي، فآمنت بي ثم ردها.

ورواه أبو حفص بن شاهين[٢] في كتاب «الناسخ والمنسوخ» له، بلفظ: قالت عائشة: حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع، فمر بي على عقبة الحجون، وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم إنه نزل فقال: يا حميراء[٣] استمسكي، فاستندت إلى جنب البعير، فمكثت

(١) في ط: الطبراني، وكذا في ب ولكنه صحح في هامشها.
الحافظ محب الدين، أحمد بن عبد الله، أبو العباس، المكي الطبري، الإمام المحدث الصالح الزاهد الشافعي، فقيه الحرم ومحدث الحجاز المتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة.

(٢) الحافظ الكبير، الإمام المفيد، عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي، الثقة المأمون، صنف ثلاثمائة وثلاثين مصنفاً منها: التفسير الكبير ألف جزء، والمسند ألف وثلاثمائة جزء. مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

(٣) تصغير حمراء، أي بيضاء، للتحبب، كقولهم: يا بُني، يا أُخي.

ملياً، ثم عاد إلي وهو فرح متبسم فقال: ذهبت لقبر أمي فسألت ربي أن يحييها، فأحياها فآمنت بي[1].

[خبر إيمان والديه]

وكذا روي من حديث عائشة أيضاً إحياء أبويه ﷺ حتى آمنا به. أورده السهيلي، وكذا الخطيب في السابق واللاحق.

وقال السهيلي: إن في إسناده مجاهيل.

وقال ابن كثير: إنه حديث منكر جداً، وسنده مجهول .

وقال ابن دحية: هذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع. انتهى.

[القول بنجاتهما]

وقد جزم بعض العلماء: أن أبويه ﷺ ناجيان، وليسا في النار، متمسكاً بهذا الحديث وغيره.

وتعقبه عالم آخر: بأنه لم ير أحداً صرح بأن الإيمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه، فإن ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل. انتهى.

وقد سبقه لذلك، أبو الخطاب بن دحية، وعبارته: من مات

---

(١) أخرج الدارقطني هذا الحديث من هذا الوجه وقال: باطل. وابن عساكر وقال: منكر وهشام لم يدرك عائشة.
وذكره ابن الجوزي في الموضوع ولم يتكلم على رجاله.
وقد ناقش الشارح مسألة كونه موضوعاً، وتوصل إلى أنه ضعيف لا موضوع.

كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة، بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه ذلك، فكيف بعد الإعادة. انتهى.

وتعقبه القرطبي[1] في «التذكرة»: بأن فضائله ﷺ وخصائصه لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه، قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما بممتنع عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل، وإخباره بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى، وكذلك نبينا ﷺ أحيا الله على يده جماعة من الموتى[2]. ، وإذا ثبت هذا فلا يمتنع إيمانهما بعد إحيائهما، ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته.

ثم قال: وقوله: من مات كافراً إلى آخر كلامه، مردود بما روي في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه ﷺ بعد مغيبها. ذكره الطحاوي[3] وقال: إنه حديث ثابت، فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً، وأنه لا يتجدد به الوقت لما ردها / عليه، فكذلك يكون إحياء أبوي النبي ﷺ نافعاً لإيمانهما وتصديقهما بالنبي ﷺ انتهى. ١/٢٠

وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس. كما سيأتي إن شاء الله في مقصد المعجزات.

---

(١) الإمام المفسر، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبد الله، الأنصاري، الورع الزاهد، صاحب التصانيف العديدة، المشغول بما يعنيه، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، سمع أبا العباس القرطبي، صاحب المفهم، وغيره توفي سنة إحدى وسبعين وستمائة.

(٢) ذكر ذلك المصنف في المعجزات.

(٣) الإمام العلامة الحافظ، صاحب التصانيف البديعة، أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سالم الأزدي الطحاوي المصري، الحنفي، الثقة الثبت الفقيه. ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين. ومات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.

[من أدلة القائلين بنجاتهما]

[(١) موتهما زمن الفترة]

وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضاً بأنهما ماتا قبل البعثة، في زمن الفترة، ولا تعذيب قبلها لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾[١] قال: وقد أطبقت الأئمة الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً،

[(٢) آباء الأنبياء مؤمنون]

قال: وقال الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «أسرار التنزيل» ما نصه: «قيل أن آزر لم يكن والد إبراهيم، بل كان عمه، واحتجوا عليه بوجوه، منها: أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً، ويدل عليه وجوه منها: قوله تعالى: ﴿**الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين**﴾[٢] قيل معناه: أنه كان ينتقل نوره من ساجد إلى ساجد، ففيه دلاله على أن جميع آباء محمد كانوا مسلمين».

ثم قال: ومما يدل على أن آباء محمد ﷺ ما كانوا مشركين، قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: ﴿**إنما المشركون نجس**﴾[٣] فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً». كذا قال.

---

(١) سورة الإسراء الآية ١٥.

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٩.

(٣) سورة التوبة الآية ٢٨.

[مناقشة الأدلة السابقة]

وهو متعقب:

● بأنه لا دلالة في قوله: ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ على ما ادعاه، فقد ذكر البيضاوي - في تفسيره - وغيره، أن معنى الآية: وترددك في تصفح أحوال المتهجدين، كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون، حرصاً على كثرة طاعاتهم، فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله تعالى.

● وقد ورد النص بأن أبا إبراهيم عليه الصلاة والسلام مات على الكفر، كما صرح به البيضاوي وغيره، قال تعالى: ﴿**فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه**﴾[1]، وأما قوله إنه كان عمه فعدول عن الظاهر من غير دليل. انتهى

ونقل الإمام أبو حيان في «البحر» عند تفسير قوله: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾ أن الرافضة هم القائلون أن آباء النبي ﷺ كانوا مؤمنين، مستدلين بقوله تعالى: ﴿**وتقلبك في الساجدين**﴾ وبقوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين» الحديث. انتهى .

[أدلة القائلين بعدم النجاة ومناقشتها]

● وروى ابن جرير[2] عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن

---

(١) سورة التوبة. الآية ١١٤.

(٢) الإمام الحافظ الفرد، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري، أحد الأعلام، المجتهد المطلق صاحب التصانيف، المتوفى سنة عشر وثلاثمائة.

بريدة عن أبيه: أن النبي ﷺ لما قدم مكة أتى رسم قبر، فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت، قال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي، فما رؤي باكياً أكثر من يومئذ[1].

● وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ أومأ إلى المقابر فاتبعناه، فجاء حتى جلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم قام فقام إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدعاه ثم دعانا، فقال: ما أبكاكم؟ قلنا: بكينا لبكائك، فقال: إن القبر الذي جلست عنده قبر آمنة، وإني استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي، وإني استأذنته في الدعاء لها فلم يأذن لي، وأنزل الله علي: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾**[2] فأخذني ما يأخذ الولد للوالد. ورواه الطبراني من حديث ابن عباس.

● وفي مسلم: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي / فزوروا القبور، فإنها تذكر الآخرة[3].

قال القاضي عياض: بكاؤه عليه السلام على ما فاتها من إدارك أيامه والإيمان به.

● وفي مسلم أيضاً: (أن رجلاً قال: يا رسول الله: أين أبي،

---

(١) ورواه ابن سعد وابن شاهين عن بريدة بنحوه.

(٢) سورة التوبة. الآية ١١٣.

(٣) رواه مسلم في كتاب الجنائز برقم ١٠٨.

قال: في النار، فلما قفا دعاه، قال: إن أبي وأباك في النار)[١].

قال النووي: فيه أن من مات على الكفر فهو في النار، ولا ينفعه قرابة المقربين. وفيه: أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء.

وقال الإمام فخر الدين: من مات مشركاً فهو في النار، وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم، واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم حجة من الله به، ولم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم، من أولهم إلى آخرهم، قبح الشرك والوعيد عليه في النار، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فلله الحجة البالغة على المشركين، في كل وقت وحين، ولو لم يكن إلا ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته، وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها، فالمشرك مستحق للعذاب في النار لمخالفته دعوة الرسل، وهو مخلد فيها دائماً كخلود أهل الجنة [في الجنة][٢]. انتهى.

[تعقيب الأبي على كلام النووي]

وقد تعقب العلامة أبو عبد الله الأبي[٣] من المالكية فيما وضعه

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم ٣٤٧.
(٢) في النسخ، وليست في الأصل.
(٣) محمد بن خلف الأبي - منسوب إلى أبة، من قرى تونس - من أجل علماء المالكية المتأخرين أخذ عن ابن عرفة، واشتهر في حياته بالمهارة والتقدم في العلوم وكثر انتقاده لشيخه. =

على صحيح مسلم[1] قول النووي الماضي وفيه «أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار، إلى آخره» بما معناه:

تأمل ما في كلامه من التنافي، فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة، لأن أهل الفترة هم: الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي ﷺ. والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين، كالفترة بين نوح وهود، لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنهم يعنون التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام. وذكر البخاري عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة[2].

= قال الحافظ في التبصير: محمد بن خلف الأبي الأصولي، عصرينا بالمغرب، عالمها بالمعقول سكن تونس.

(١) يعني شرحه المسمى: إكمال الإكمال.

(٢) جاء في نسخة (الأصل) بعد ذلك ما يلي؛

«قال البيهقي في دلائل النبوة بعد زيارته قبر أمه، وغيره: وكيف لا يكون أبواه وجده بهذه الصفة في الآخرة، وكانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا، ولم يدينوا بدين عيسى عليه السلام، وكفرهم لا يقدح في زوجاتهم، فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهم، إذ كان مثله يجوز في الإسلام».

«قال ابن كثير: إخباره ﷺ عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار، لا ينافي الحديث الوارد عنه من طرق متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون في العرصات يوم القيامة، كما بسط سنداً ومتناً عند قوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ فيكون منهم من يجيب، ومنهم من لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب».

«والحديث الذي ذكره السهيلي في إسناده مجاهيل، إلى أبي الزناد عن =

ولما دلت القواطع على أن لا تعذيب حتى / تقوم الحجة[1]، ١/٢١ علمنا أنهم غير معذبين، فإن قلت قد صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة، كحديث (رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار)[2] و(رأيت صاحب المحجن في النار، وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه، فإذا بصر به، قال: إنما تعلق بمحجني)[3].

أجيب بأجوبة:

- أحدها: أنها أخبار آحاد فلا تعارض القطع.
- الثاني: قصر التعذيب على هؤلاء، والله أعلم بالسبب.
- الثالث: قصر التعذيب المذكور في هذه الأحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة، بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الأوثان وتغيير الشرائع. فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام:
- الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، ثم من هؤلاء من لم

= عروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما وآمنا به، فإنه منكر جداً، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى، لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه، والله أعلم، نقلته من تاريخ ابن كثير المسمى بالبداية والنهاية».

أقول: هذه الزيادة لا تتناسب مع كلام «الأبي» لأنها مؤيدة لكلام الإمام مسلم الذي يرد عليه الأبي. ولذا رأيت أن أضعها في الهامش. علماً أن بقية النسخ لم تذكرها. [م].

(١) مثل قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾.
(٢) رواه البخاري برقم ٣٥٢١ ومسلم برقم ٩٠٤.
(٣) رواه مسلم (الكسوف ١٠) وأحمد في المسند ٢/١٥٩.

يدخل في شريعة، كقس بن ساعدة[1]، وزيد بن عمرو بن نفيل[2].
ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم، كتبع وقومه من حمير وأهل نجران، وورقة بن نوفل، وعمه عثمان بن الحويرث.

● القسم الثاني من أهل الفترة: وهم من بدل وغير، فأشرك ولم يوحد، وشرع لنفسه فحلل وحرم، وهم الأكثر، كعمرو بن لحي، أول من سن للعرب عبادة الأصنام وشرع الأحكام، فبحر البحيرة[3] وسيب السائبة، ووصل الوصيلة وحمى الحام، وتبعته العرب في ذلك وغيره مما يطول ذكره.

● القسم الثالث من أهل الفترة، وهم من لم يشرك ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي، ولا ابتكر لنفسه شريعة، ولا اخترع ديناً،

---

(١) قس بن ساعدة الأيادي: أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية، وأول من اتكأ على عصا في الخطبة، وأول من قال: أما بعد، وأول من كتب من فلان إلى فلان، كان يخطب قومه في سوق عكاظ، وفي الحديث من رواية ابن شاهين عن ابن عباس أنه ﷺ قال: (رحم الله قساً ـ كأني أنظر إليه على جمل أورق ـ تكلم بكلام لا أحفظه) ويعد قس خطيب العرب قاطبة.

(٢) والد سعيد بن زيد، أحد العشرة، وعم عمر بن الخطاب، كان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك، ومات قبل المبعث.

روى البخاري من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال:
البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس.
والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.
والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى، فكانوا يسيبونها بعد لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.
والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه، ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء وسموه الحام.

بل بقي عمره على حين غفلة من هذا كله. وفي الجاهلية من كان على ذلك.

وإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة أقسام، فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني لكفرهم بما تعدوا به من الخبائث، والله سبحانه وتعالى قد سمى جميع هذا القسم كفاراً ومشركين، فإنا نجد القرآن كلما حكى حال أحد سجل عليهم بالكفر والشرك، كقوله تعالى: ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة**﴾ ثم قال: ﴿**ولكن الذين كفروا**﴾ الآية[1].

والقسم الثالث هم أهل الفترة حقيقة، وهم غير معذبين.

وأما أهل القسم الأول: كقس وزيد بن عمرو، فقد قال عليه السلام في كل منهما: (أنه يبعث أمة وحدة)[2].

وأما عثمان بن الحويرث، وتبَّع وقومه وأهل نجران، فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه، ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين. إنتهى[3] ملخصاً وسيأتي ما قيل في ورقة في حديث المبعث إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة المائدة. الآية ١٠٣.

(٢) أخرج الطيالسي عن سعيد بن زيد أنه قال للنبي ﷺ: إن أبي كان كما رأيته، وكما بلغك، فاستغفر له، قال: نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده وروى اليعمري عن ابن عباس مرفوعاً: «رحم الله قساً إني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده».

(٣) أي كلام الأبي.

[رأي المصنف في المسألة]

فهذا ما تيسر في مسألة والديه ﷺ، وقد كان الأولى ترك ذلك، وإنما جرَّنا إليه ما وقع من المباحثة فيه بين علماء العصر،

ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي[1] حيث قال:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفاً
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفاً[2]
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفاً

فالحذر الحذر، من ذكرهما بما فيه نقص، فإن ذلك قد يؤذي النبي ﷺ، فإن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه، أو وصف بوصف به، وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة. وقد قال عليه السلام: (لا تؤذوا الأحياء بسبِّ الأموات)[3] رواه الطبراني في الصغير، ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله - إن لم يتب - عندنا[4]. وستأتي مباحث ذلك إن شاء الله تعالى في الخصائص من مقصد المعجزات.

(1) محمد بن ناصر الدين الدمشقي، ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة، وطلب الحديث وصنف تصانيف حسنة وصار محدث البلاد الدمشقية، مات سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة.

(2) في ط: منيفا.

(3) رواه أحمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة، رفعه بلفظ (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء) المسند ٤/٢٥٢.

(4) سئل القاضي أبو بكر أحد أئمة المالكية عن رجل قال: إن أبا النبي ﷺ في النار. فأجاب: بأنه ملعون لقوله تعالى: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً﴾**.

وقد أطنب بعض العلماء في الاستدلال لإيمانهما، فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل[1].

قال الحافظ ابن حجر في بعض كتبه: والظن بآله - يعني الذين ماتوا قبل البعثة - أنهم يطيعون عند الامتحان إكراماً له ﷺ لتقر عينه.

وقال في الأحكام[2]: ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب الجنة في جملة من يدخلها طائعاً فينجو، إلا أبا طالب فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن.

(١) لعل المصنف يشير بكلامه إلى الإمام السيوطي، الذي ألف ست مؤلفات في هذا الموضوع.
(٢) وكذا في الإصابة.

[حياته ﷺ قبل البعثة]

[كفالة جده ثم عمه]

وقد كانت أم أيمن، بركة، دايته وحاضنته بعد موت أمه /٢١/ب / ، وكان عليه السلام يقول لها: أنت أمي بعد أمي.

ومات جده عبد المطلب كافله[1]، وله ثمان سنين ـ وقيل ثمان سنين وشهر وعشرة أيام، وقيل تسع، وقيل عشر، وقيل ست، وقيل ثلاث وفيه نظر ـ وله عشر ومائة سنة، وقيل مائة وأربعون سنة.

وكفله أبو طالب، واسمه عبد مناف، وكان عبد المطلب قد أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله.

وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب، أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب، ومعه غلام كأنه شمس دجن[2]، تجلت عنه سحابة قتماء، حوله أغيلمة فأخذه أبو طالب،

---

(١) روي أنه لما ماتت أمه، ضمه إليه جده، ورق عليه رقة لم يرقها على ولده، وذكر ابن إسحاق: أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، وكان لا يجلس عليه من بنيه أحد إجلالاً له، وكان ﷺ يأتي حتى يجلس عليه، فتذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول عبد المطلب: دعوا ابني، ويمسح على ظهره بيده، ويقول: إن لابني هذا شأناً.

(٢) الدجن: الغيم المطبق، والمعنى: كأنه شمس في يوم غائم، والسحابة =

فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام بأصبعه، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا، وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي، وأخصب النادي والبادي. وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل[1]

والثمال ـ بكسر المثلثة ـ: الملجأ والغياث، وقيل: المطعم في الشدة.

وعصمة للأرامل: أي يمنعهم من الضياع والحاجة. والأرامل: المساكين من رجال ونساء، ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده: أرامل، وهو بالنساء أخص، وأكثر استعمالاً، والواحد أرمل وأرملة.

وهذاالبيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب، ذكرها ابن إسحاق بطولها، وهي أكثر من ثمانين بيتاً. قالها لما تمالأت قريش على النبي ﷺ، ونفروا عنه من يريد الإسلام، وأولها:

لما رأيت القوم لا ود عندهم وقد قطعوا كل العرى والوسائل[2]
وقد جاهرونا بالعداوة والأذى وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
أعبد مناف أنتم خير قومكم فلا تشركوا في أمركم كل واغل

= القتماء: التي يعلوها سواد غير شديد، وهذا من بديع التشبيه، فإن شمس يوم الغيم حين ينجلي سحابها الرقيق تكون مضيئة مشرقة مقبولة للناس ليست محرقة.

(١) هذا البيت لم يذكر في (ب).

(٢) في ب: الوصائل.

فقد خفت إن لم يصلح الله أمركم تكونوا كما كانت أحاديث وائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن علينا بسوء أو ملح بباطل
وثور ومن أرسى ثبيراً مكانه وراقٍ لبر في حراء ونازل
وبالبيت حق البيت في بطن مكة وتالله إن الله ليس بغافل
كذبتم وبيت الله نبزي محمداً ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ومعنى نناضل: نجادل ونخاصم وندافع.

ونُبزي: ـ بضم النون وسكون الموحدة آخره زاي ـ أي نقهر ونغلب عليه،

قال ابن التين: إن في شعر أبي طالب هذا دليلاً على أنه كان يعرف نبوة النبي ﷺ قبل أن يبعث، لما أخبره به بحيرى وغيره من شأنه.

وتعقبه الحافظ أبو الفضل بن حجر: بأن ابن إسحاق ذكر أن إنشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد البعثة، ومعرفة أبي طالب بنبوته عليه السلام جاءت في كثير من الأخبار.

وتمسك بها الشيعة في أنه كان مسلماً.

قال: ورأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب، وزعم أنه كان مسلماً، وأنه مات على الإسلام، وأن الحشوية[1] تزعم أنه مات كافراً، واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه. انتهى[2].

(١) الحشوية: هم المنتمون للظاهر، قيل سموا بذلك لقول الحسن البصري لما رأى سقوط كلامهم ـ وكانوا يجلسون في حلقته ـ ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة، أي جانبها.

(٢) أي كلام الحافظ في كتاب الاستسقاء.

[السفر إلى الشام وقصة بحيرى]

ولما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، حتى بلغ بصرى، فرآه بحيرى الراهب، واسمه / جرجيس، فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد 1/22 العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقيل له: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم به من العقبة، لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا يسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة، في أسفل من غضروف كتفه، مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده خوفاً عليه من اليهود.

والحديث رواه ابن أبي شيبة، وفيه: أنه ﷺ أقبل وعليه غمامة تظله.

و«بحيرى» ـ بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة ـ قال الذهبي ـ في تجريد الصحابة ـ:رأى رسول الله ﷺ قبل البعثة وآمن به، وذكره ابن منده، وأبو نعيم في الصحابة. وهذا ينبني على تعريفهم الصحابي: بمن رآه ﷺ، هل المراد حال النبوة، أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية. وهو محل نظر، وسيأتي البحث فيه إن شاء الله في المقصد السابع.

وخرج الترمذي ـ وحسنه ـ، والحاكم ـ وصححه ـ أن في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام، فاستقبلهم بحيرى، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: إن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس، فقال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا: لا قال:

فبايعوه وأقاموا معه، ورده أبو طالب. وبعث معه أبو بكر بلالاً.

قال البيهقي: هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي. انتهى.

وضعف الذهبي الحديث لقوله في آخره: «وبعث معه أبو بكر بلالاً» فإن أبا بكر إذ ذاك لم يكن متأهلاً، ولا اشترى بلالاً.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: الحديث رجاله ثقات، وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة، فتحمل على أنها مدرجة فيه مقتطعة من حديث آخر وهماً من أحد رواته.

وفي حديث عند البيهقي وأبي نعيم: أن بحيرى رآه ـ وهو في صومعته ـ في الركب حين أقبلوا، وغمامة بيضاء تظله من بين القوم، ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت[1] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها. الحديث.

وفيه: أن بحيرى قام فاحتضنه وأنه جعل يسأله عن أشياء من حاله: من نومه وهيئته وأموره. ويخبره رسول الله ﷺ فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

وتقدم أن أخته الشيماء بنت حليمة رأته في الظهيرة، وغمامة تظله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، رواه أبو نعيم وابن عساكر. ولله در القائل:

إن قال[2] يوماً ظللته غمامة ... هي في الحقيقة تحت ظل القائل

(١) أي مالت وتدلت.

(٢) المراد: إن دخل في وقت القيلولة.

ونقل الشيخ بدر الدين الزركشي عن بعض أهل المعرفة: **أنه** ﷺ كان معتدل الحرارة والبرودة، فلا يحس بالحر ولا بالبرد، وأنه كان في ظل غمامة من اعتداله. كذا نقل رحمه الله[1].

وأخرج ابن منده[2]، بسند ضعيف عن ابن عباس: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، حتى نزل منزلاً فيه سدرة، فقعد في ظلها، ومضى[3] أبو بكر إلى راهب يقال له بحيرى، يسأله عن شيء، فقال له: من الرجل الذي في ظل الشجرة، فقال له: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: هذا والله نبي، ما استظل تحتها بعد عيسى عليه السلام إلا محمد. ووقع في قلب أبي بكر التصديق، فلما بعث النبي ﷺ اتبعه.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر في الإصابة: إن صحت هذه القصة / فهي سفرة أخرى بعد سفرة أبي طالب. انتهى. ٢٢/ب

---

(١) وهذا مخالف لما تشهد به الأحاديث من أنه عليه السلام كان يحس بالبرد والحر، ففي حديث الهجرة عند البخاري: أن الشمس أصابته ﷺ وظلله أبو بكر بردائه.

وفي البخاري أيضاً: أنه كان بالجعرانة، وعليه ثوب قد أظل به، وروى ابن منده والبيهقي مرفوعاً: لا نصبر على حر ولا برد، وروى أحمد بسند جيد أنه ﷺ وضع يده على طعام حار فاحترقت أصابعه فقال: حس.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن منده الأصبهاني، الحافظ الجوال، ختام الرحالين، وفرد المكثرين مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة التصانيف. سمع ألفاً وسبعمائة وعاد من رحلته وكتبه أربعون جملاً، مات سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

(٣) في (ط) و(ش): ذهب.

[التجارة بمال خديجة]

ثم خرج ﷺ[١] أيضاً ومعه ميسرة[٢] غلام خديجة ابنة خويلد ابن أسد، في تجارة لها حتى بلغ سوق بصرى، وقيل سوق حباشة بتهامة، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، فنزل تحت ظل شجرة، فقال نسطورا الراهب: ما نزل تحت ظل هذه الشجرة إلا نبي، وفي رواية بعد عيسى. وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه من الشمس، ولما رجعوا إلى مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في علية لها، فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره وملكان يظلان عليه[٣]. رواه أبو نعيم.

[زواجه ﷺ من خديجة]

وتزوج ﷺ خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً ـ وقيل: كان سنه إحدى وعشرين سنة، وقيل ثلاثين ـ وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكانت تحت أبي هالة بن زرارة التميمي[١]،

---

(١) وسبب ذلك كما رواه الواقدي وابن السكن: . . . أن خديجة أرسلت إليه وقالت: دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك، وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك. فذكر ذلك لعمه فقال: إن هذا لرزق ساقه الله إليك.

(٢) قال في النور: لا ذكر له في الصحابة فيما أعلمه، وظاهر أنه توفي قبل البعث، وفي الإصابة: لم أقف على رواية صحيحة صريحة في أنه بقي إلى البعثة.

(٣) وهل كانت رؤية الملائكة ميسرة للناس بهذا الشكل؟! [م].

(٤) قال في فتح الباري: مات أبو هالة في الجاهلية.

فولدت له هنداً[1] وهالة[2]، وهما ذكران، ثم تزوجها عتيق بن عابد المخزومي فولدت له هنداً[3].

وكان لها ـ حين تزويجها بالنبي ﷺ ـ من العمر أربعون سنة وبعض أخرى.

وكانت عرضت نفسها عليه[4]، فذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه

---

(١) الصحابي، راوي حديث صفة النبي ﷺ، شهد بدراً، وقيل أحداً، روى عنه الحسين بن علي فقال: حدثني خالي، لأنه أخو فاطمة لأمها، وكان فصيحاً بليغاً وصافاً. وكان يقول: أنا أكرم الناس أباً وأماً وأخاً وأختاً، أبي رسول الله ﷺ، وأخي القاسم، وأختي فاطمة، وأمي خديجة. رضي الله عنهم، قتل يوم الجمل مع علي، قاله الزبير بن بكار.

(٢) قال أبو عمر: له صحبة، أخرج المستغفري عن عائشة: قدم ابن لخديجة يقال له هالة، والنبي ﷺ قائل، فسمعه فقال: هالة هالة هالة، وأخرج الطبري عن هالة قريباً منه.

(٣) أسلمت وصحبت ولم ترو شيئاً. قال الدراقطني: فهي أنثى.

(٤) عن ابن إسحاق: فعرضت عليه نفسها فقالت: يا ابن عم: إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك.

وروى ابن سعد من طريق الواقدي، عن نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً، وكل قومها كان حريصاً على نكاحها، لو قدر على ذلك، طلبوها وبذلوا لها الأموال.

فأرسلتني دسيساً إلى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام، فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كفيت ذلك، ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ =

منهم حمزة[1] حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه.

فتزوجها عليه السلام، وأصدقها عشرين بكرة، وحضر أبو [طالب[2]] ورؤساء مضر، فخطب أبو طالب فقال:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وضئضىء معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي هذا، محمد بن عبد الله، لا يوزن برجل إلا رجح به، فإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل، وأمر حائل، ومحمد ممن قد عرفتم قرابته، وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله من مالي كذا، وهو - والله - بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل، فزوجها[3].

والضئضىء: الأصل.

وحضنة بيته: أي الكافلين له والقائمين بخدمته.

وسواس حرمه: أي: متولي أمره.

= قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ فذهبت فأخبرتها، فأرسلت إليه أن ائت لساعة كذا..

(١) كذا عند ابن إسحاق، وعند السهيلي: أن أبا طالب هو الذي نهض معه، وهو الذي خطب خطبة النكاح. قال في النور: فلعلهما خرجا معه جميعاً.

(٢) في (أ، د، ط): أبو بكر.

قال الشارح: (وحضر أبو طالب) هذا هو الصواب، المذكور في الروض وغيره وما في نسخ: أبو بكر، لا أصل له، وقد صرح المصنف نفسه بالصواب في المقصد الثاني.

(٣) بالبناء للمفعول. وفي رواية: فتزوجها صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وزوجه إياها خويلد.

وقد ذكر الدولابي وغيره: أن النبي ﷺ أصدق خديجة اثنتي عشرة أوقية ذهباً ونشاً. قالوا: وكل أوقية أربعون درهماً، والنش: نصف أوقية.

[بناء الكعبة]

ولما بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة[1]، خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول، فأمروا باقوم ـ بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم ـ النجار النبطي[2] مولى سعيد بن العاصي، وصانع المنبر الشريف، بأن يبني الكعبة المعظمة.

وحضر ﷺ وكان ينقل معهم الحجارة، وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم، ويحملون الحجارة، ففعل ذلك ﷺ فلبط به ـ بالموحدة، كعنى أي سقط من قيامه كما في القاموس ـ ونودي: عورتك، فكان ذلك أول ما نودي[3]. فقال له أبو طالب أو العباس: يا ابن أخي اجعل إزارك على رأسك، فقال: ما أصابني ما أصابني إلا من التعري[4].

---

(١) هذا ما جزم به ابن إسحاق، وهو قول غير واحد من العلماء، وقال الحافظ: هو الأشهر.

(٢) في (ط، ش، د) القبطي.

(٣) روى الشيخان عن جابر قال: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ والعباس ينقلان الحجارة، فقال العباس للنبي ﷺ: اجعل إزارك على رقبتك يقيك الحجارة ففعل فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: إزاري إزاري، فشد عليه إزاره فما رؤي بعد ذلك عرياناً.

(٤) تتمة:

[الخصومة في وضع الحجر]

وروى ابن راهويه: في حديث عن علي: فلما أرادوا أن يضعوا الحجر =

. . . .

= الأسود اختصموا فيه، فقالوا: نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة، فكان ﷺ أول من خرج فحكم بينهم: أن يجعله في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل.

وذكر الطيالسي: أنهم قالوا: نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة، فكان ﷺ أول من دخل منه، فأخبروه، فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه، وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب، فرفعوه. ثم أخذه فوضعه بيده.

وذكر الفاكهي وابن إسحاق أن الذي أشار عليهم أن يحكموا أول داخل: أبو أمية المخزومي أخو الوليد. وعند موسى بن عقبة: أن المشير: أخوه الوليد.

[مبعث النبي ﷺ]

[ذكر وقت المبعث]

ولما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة وقيل: وأربعين يوماً، وقيل: وعشرة أيام، وقيل: وشهرين، يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان ـ وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة ـ.

وقال ابن عبد البر: يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الفيل. وقيل: في أول ربيع:

بعثه الله رحمة للعالمين، ورسولاً إلى كافة الثقلين أجمعين.

ويشهد لبعثه يوم الإثنين ما رواه مسلم عن أبي قتادة أنه ﷺ سئل عن صوم الإثنين فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل علي»(١).

وقال ابن القيم في «الهدي النبوي»: واحتج القائلون بأنه كان في رمضان بقوله تعالى: **﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾**(٢). قالوا: أول ما أكرمه الله بنبوته أنزل عليه القرآن.

وقال الآخرون: إنما نزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر إلى

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصيام، برقم ١٩٨.

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥.

٢٣/ا بيت العزة، ثم نزل نجوماً بحسب / الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

وقيل: كان ابتداء المبعث في رجب.

[حديث بدء الوحي]

وروى البخاري في «التعبير»[١] من حديث عائشة: «أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وكان يأتي حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجأة الحق وهو في غار حراء.

فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾** ـ حتى بلغ ـ **﴿ما لم يعلم﴾**.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة، ما لي؟ وأخبرها الخبر، ثم قال: قد خشيت على نفسي.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير، وفي التفسير، وفي بدء الوحي، والإيمان، لكنه اختار ما في التعبير لأن سياقه فيه أتم، فذكر الحزن والتردي إلى آخر الحديث إنما هو فيه دون تلك المواضع، ودون كتاب مسلم، ولذا لم يعزه لهما.

فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ـ وكان امرءاً تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ـ وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

ثم لم ينشب ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا(١) حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق

---

(١) جاء في فتح الباري: «ثم إن القائل: فيما بلغنا، هو الزهري. ومعنى الكلام: أن في جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله ﷺ في هذه القصة، وهو من بلاغات الزهري وليس موصولاً، وقال الكرماني، هذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون بالاسناد المذكور» ١٢/٣٥٩ [م].

وقال الشارح: وهذا البلاغ ليس بضعيف، كما ادعى عياض متمسكاً بأنه لم يسنده، لأن عدم إسناده لا يقدح في صحته، بل الغالب على الظن أنه بلغه من الثقات لأنه ثقة. ثم إن معمراً لم ينفرد به عن الزهري، بل تابعه عليه يونس بن يزيد ـ عند الدولابي ـ ورواه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحوه.

الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه، تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه، وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل، فقال له مثل ذلك»[1].

[بيان بعض معاني الحديث]

● وقد تكلم العلماء في معنى قوله ﷺ لخديجة: «قد خشيت على نفسي» فذهب الإسماعيلي[2] إلى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم الضروري بأن الذي جاءه ملك من عند الله. وكان أشق شيء عليه أن يقال عليه مجنون.

وقيل: إن خشيته كانت من قومه أن يقتلوه، ولا غرو[3]، فإنه بشر يخشى من القتل والأذية، كما يخشى البشر[4].

● وقوله: «ما أنا بقارىء» أي: أنا أمي فلا أقرأ الكتب.

● وقال القاضي عياض: إنما ابتدىء ﷺ بالرؤيا، لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحملها قوى البشر، فبدىء بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة. انتهى.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير، الباب الأول رقم الحديث ٦٩٨٢.

(٢) الإمام الحافظ الثبت، أبو بكر، أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي الجرجاني، قال الحاكم: كان واحد عصره، وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم رئاسة ومروءة وسخاء، علا إسناده، وتفرد ببلاد العجم، مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

(٣) أي: لا عجب،

(٤) أعتقد أن المعنى القريب المفهوم من الحديث: أن الخشية على نفسه إنما كان مصدرها شدة الجهد الذي تحمله عند غط جبريل له. ولا حاجة لهذه التعليلات البعيدة عن مفهوم النص. [المحقق].

● فإن قلت: فلم كرر قوله «ما أنا بقارىء» ثلاثاً؟

أجاب أبو شامة[1] كما في فتح الباري: بأن يحمل قوله أولاً «ما أنا بقارىء» على الامتناع، وثانياً: على الإخبار بالنفي المحض، وثالثاً: على الاستفهام.

● والحكمة من الغط ثلاثاً، شغله عن الالتفات لشيء آخر، وإظهاراً للشدة والجد في الأمر، تنبيهاً على ثقل القول الذي سيلقى عليه[2].

وقيل: إبعاداً لظن التخيل والوسوسة، لأنهما ليسا من صفات الجسم، فلما وقع ذلك بجسمه علم أنه من أمر الله.

● فإن قلت: من أين عرف ﷺ أن جبريل ملك من عند الله، وليس من الجن؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى أظهر على يدي جبريل / عليه السلام معجزات عرفه بها. كما أظهر الله تعالى على يد محمد ﷺ معجزات عرفناه بها. ٢٣/ب

وثانيهما: إن الله تعالى خلق في محمد ﷺ علماً ضرورياً بأن جبريل من عند الله ملك لا جني ولا شيطان، كما أن الله تعالى خلق في جبريل علماً ضرورياً بأن المتكلم معه هو الله تعالى، وأن المرسل له ربه تعالى لا غير.

---

(١) الإمام الحافظ العلامة، أبو القاسم، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ثم الدمشقي الشافعي، المقري النحوي، المتوفى سنة خمس وستين وستمائة، ومولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

(٢) قاله البيضاوي.

• وقول ورقة: يا ليتني فيها جذعاً. الضمير للنبوة، أي: ليتني كنت شاباً عند ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها. وأصل الجذع: من أسنان الدواب، وهو ما كان منها شاباً فتياً.

[سلام الشجر والحجر]

وأخرج البيهقي من طريق العلاء بن جارية الثقفي عن بعض أهل العلم أن[1] رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته وابتداءه بالنبوة كان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة. وهي تحييه بتحية النبوة: السلام عليك يا رسول الله . الحديث.

[رواية أخرى لبدء الوحي]

وعن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: (جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فلم أثبت له، فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني وصبوا علي ماء بارداً فنزلت: **﴿يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر﴾ الآية وذلك قبل أن تفرض الصلاة)**رواه البخاري ومسلم والترمذي[2].

---

(١) في ش: عن بعض أهل رسول. . .

(٢) وكذا النسائي.

أخرجه البخاري برقم ٤٩٢٢ ومسلم في كتاب الإيمان برقم ٢٥٧ والمسند ٣/٣٠٦.

[النبوة ليست اكتساباً]

ولم يكن جواره ﷺ لطلب النبوة، لأنها أجل من أن تنال بالطلب أو الاكتساب، وإنما هي موهبة من الله، وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

[رجفته ﷺ كانت اغتباطاً]

ولم تكن الرجفة المذكورة[1] خوفاً من جبريل عليه السلام، فإنه ﷺ أجل من ذلك، وأثبت جناناً، وإنما رجف غبطة بحاله وإقباله على الله عز وجل، فخشي أن يشغل بغير الله عن الله.

وقيل: خاف من ثقل أعباء النبوة.

[أول ما نزل من القرآن]

وفي رواية البيهقي في الدلائل: أن خديجة قالت لأبي بكر: يا عتيق اذهب به إلى ورقة بن نوفل، فأخذه أبو بكر، فقص عليه ما رأى، فقال ﷺ: إذا خلوت وحدي سمعت نداء: يا محمد، يا محمد، فأنطلق هارباً.. فقال: لا تفعل إذا قال، فاثبت حتى تسمع، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه يا محمد فثبت فقال: قل[2] بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. إلى آخرها. ثم قال: قل لا إله إلا الله. الحديث.

واحتج به من قال بأولية نزول الفاتحة.

والصحيح أن أول ما نزل عليه ﷺ من القرآن «اقرأ» كما صح

(١) في قوله في حديث جابر «فلم أثبت له».

(٢) كلمة (قل) سقطت من (أ، د).

ذلك عن عائشة، وروي ذلك عن أبي موسى الأشعري وعبيد بن عمير[(١)].

قال النووي: وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف.

وأما ما روي عن جابر وغيره: أن أول ما نزل ﴿يا أيها المدثر﴾ فقال النووي: ضعيف، بل باطل، وإنما نزلت بعد فترة الوحي.

وأما حديث البيهقي أنه الفاتحة ـ كقول بعض المفسرين ـ فقال البيهقي: هذا منقطع، فإن كان محفوظاً فيحتمل أن يكون خبراً عن نزولها بعدما نزلت عليه ﴿اقرأ باسم ربك﴾ و﴿يا أيها المدثر﴾.

وقال النووي ـ بعد ذكر هذا القول ـ بطلانه أظهر من أن يذكر. انتهى

وقد روي أن جبريل عليه السلام أول ما نزل بالقرآن على النبي ﷺ أمره بالاستعاذة، كما رواه الإمام أبو جعفر بن جرير عن ابن عباس قال: أول ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمد، استعذ، قال: استعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قال: قل بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال: اقرأ باسم ربك الذي خلق. قال عبد الله: وهي أول سورة أنزلها الله على محمد ﷺ.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير، بعد أن ذكره: وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في اسناده / ضعفاً وانقطاعاً، والله أعلم. ٢٤/أ

---

(١) عبيد بن عمير بن قتادة، أبو عاصم الليثي المكي، قاضيها، الثقة الحافظ، أحد كبار التابعين.

[اختيار حراء دون غيره]

وقد أورد ابن أبي جمرة سؤالاً، وهو أنه: لم اختص ﷺ بغار حراء، فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع؟

وأجاب: بأن هذا الغار له فضل زائد على غيره: من جهة أنه منزوٍ ومجموع لتحنثه وهو يبصر بيت ربه، والنظر إلى البيت عبادة، فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات: الخلوة والتحنث والنظر إلى البيت. وغيره ليس فيه هذه الثلاث.

ولله در المرجاني[1] حيث قال في فضائل حراء وما اختص به:

تأمل حراء في جمال محياه ... فكم من أناس من حلا حسنه تاهوا
فمما حوى من جا لعلياه زائراً ... يفرج عنه الهم في حال مرقاه
به خلوة الهادي الشفيع محمد ... وفيه له غار له كان يرقاه
وقبلته للقدس كانت بغاره ... وفيه أتاه الوحي في حال مبداه
وفيه تجلى الروح بالموقف الذي ... به الله في وقت البداءة سواه
وتحت تخوم الأرض في السبع أصله ... ومن بعد هذا اهتز بالسفل أعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره ... لطور تشظى فهو إحدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة ... كذا قد أتى في نقل تاريخ مبداه
وفي طيبة أيضاً ثلاث فعدها ... فعيراً وورقاناً وأحدا رويناه

(١) عبد الله بن محمد القرشي، الإمام القدوة، الواعظ المفسر، أحد الأعلام في الفقه والتصوف قدم مصر، ووعظ بها، واشتهر في البلاد، وامتحن وأفتى العلماء، بتكفيره، ولم يؤثروا فيه فعملوا عليه الحيلة فقتل بتونس سنة تسع وتسعين وستمائة. ذكره في اللواقح.

ويقبل في ساعة الظهر من دعا — به ينادي من دعانا أجبناه
وفي أحد الأقوال في عقبة حرا — أتى ثم قابيل لهابيل غشاه
ومما حوى سراً حوته صخوره — من التبر إكسيراً يقام سمعناه
سمعت به تسبيحها غير مرة — وأسمعته جمعاً فقالوا سمعناه
به مركز النور الإلهي مثبتاً — فلله ما أحلى مقاماً بأعلاه

[شق الصدر عند بدء الوحي]

وروى أبو نعيم أن جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال: ﴿**اقرأ باسم ربك**﴾، الآيات، الحديث، وفيه: فقال ورقة: أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل.

وكذا روى شق صدره الشريف هنا أيضاً الطيالسي[1] والحارث[2] في مسنديهما.

والحكمة فيه: ليتلقى النبي ﷺ ما يوحي إليه بقلب قوي، في أكمل الأحوال من التطهير.

---

(١) أبو داود، سليمان بن الجارود البصري، الحافظ الثقة كثير الحديث. روى عنه أحمد وابن المديني وغيرهما، علق له البخاري، وأخرج له مسلم والأربعة، توفي سنة ثلاث ومائتين، عن اثنتين وسبعين سنة.

(٢) الحارث بن محمد بن أبي أسامة، واسمه داهر، الحافظ أبو محمد التميمي البغدادي، ولد سنة ست وثمانين ومائه، روى عنه ابن جرير، وثقه ابن حبان، وضعفه الأزدي وابن حزم وقال الدارقطني: صدوق، كان فقيراً كثير البنات توفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

[مراتب الوحي]

قال ابن القيم وغيره: وكمـل الله تعالى لـه عليه السـلام من الوحي مراتب عديدة:

● أحدها: الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

● الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه، كما قال ﷺ: (إن روح القدس نفث في روعي، لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الـطلب) الحديث رواه ابن أبي الدنيا[1] في القناعة[2]، وصححه الحاكم.

والروع ـ بضم الراء ـ أي نفسي، وروح القدس: جبريل عليه السلام.

● الثالثة: كان يتمثل له الملك رجلاً، فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له، فقد كان يأتيه في صورة دحية الكلبي. رواه النسائي[3] بسند صحيح من حديث ابن عمر.

قلت: وكان دحية جميلاً وسيماً، إذا قدم لتجارة خرجت الظعن لتراه.

فإن قلت: إذا لقي جبريل النبي ﷺ في صورة دحيـة، فأين

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد الأموي، مولاهم، أبو بكر، البغدادي، الحافظ، صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، وثقه أبو حاتم وغيره. مات سنة إحدى وثمانين ومائتين.
(٢) كتاب القناعة.
(٣) أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي الخراسلني ثم المصري، الحافظ أحـد الأئمة المـبرزين، والأعلام الـطوافين والحفـاظ المتقنـين، حتى قـال الذهبي: هو أحفظ من مسلم. مات سنة ثلاث وثلاثمائة.

تكون روحه؟ فإن كانت في الجسد الذي له ستمائة جناح، فالذي أتى لا روح جبريل ولا جسده، وإن كانت في هذا الذي هو في صورة دحية فهل يموت الجسد العظيم أم يبقى خالياً من الروح المنتقلة عنه /ب إلى الجسد المشبه بجسد دحية/.

أجيب - كما ذكره العيني[1] - بأنه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجب موته، فيبقى الجسد حياً، لا ينقص من معارفه شيء، ويكون انتقال روحه إلى الجسد الثاني كانتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طير خضر، وموت الأجساد بمفارقة الأرواح ليس بواجب عقلاً، بل بعادة أجراها الله تعالى في بني آدم، فلا تلزم في غيرهم. انتهى.

● الرابعة: كأن يأتيه في مثل صلصلة الجرس، وكان أشده عليه، حتى إن جبينه ليتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد، حتى إن راحلته لتبرك به في الأرض، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت[2]، فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

قلت: وروى الطبراني عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء[3] شديدة، وعرق عرقاً شديداً مثل الجمان، ثم سري عنه. وكنت أكتب وهو يملي

---

(١) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفي، ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وتفقه واشتغل بالفنون، وبرع وولي الحسبة مراراً مات سنة خمس وخمسين وثمانمائة.

(٢) الأنصاري النجاري، أحد كتّاب الوحي، ومن كان يفتي في عصر النبوة، روى أحمد بسند صحيح «أفرضكم زيد» مات سنة اثنتين وأربعين.

(٣) هي شدة أذى الحمى وغيرها.

علي، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تكسر من ثقل الوحي، حتى أقول: لا أمشي على رجلي أبداً.

ولما نزلت عليه سورة المائدة، كادت أن تنكسر عضد ناقته من ثقل السورة، ورواه أحمد[1] والبيهقي في الشعب.

● الخامسة: أن يرى الملك في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه، وهذا وقع له مرتين كما في سورة النجم.

● السادسة: ما أوحاه الله إليه، وهو فوق السماوات من فرض الصلوات وغيرها.

● السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك، كما كلم الله موسى.

● قال: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب. انتهى[2].

[رأي العراقي في كلام ابن القيم]

قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي[3]: وكأن ابن القيم أخذ ذلك من روض السهيلي لكنه لم يذكر نزول إسرافيل إليه بكلمات من الوحي قبل جبريل.

---

(١) المسند ٦/٤٥٥.

(٢) أي كلام ابن القيم.

(٣) أحمد بن عبد الرحيم العراقي، قاضيها، الإمام الحافظ ابن الحافظ، الأصولي الفقيه، ذو الفنون والتصانيف النافعة المشهورة. توفي سنة ست وعشرين وثمانمائة.

فقد ثبت في الطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله ﷺ وكل به إسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي، والشيء، ثم وكل به جبريل فجاء بالقرآن.

وأما قوله ـ أعني ابن القيم ـ: السادسة، ما أوحاه الله إليه فوق السماوات، يعني ليلة المعراج، السابعة كلام الله بلا واسطة. فإن أراد ما أوحاه إليه جبريل فهو داخل فيما تقدم، لأنه إما أن يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الأصلية، أو على صورة الآدمي، وكلاهما قد تقدم ذكره، وإن أراد وحي الله بلا واسطة ـ وهو الظاهر ـ فهي الصورة التي بعدها.

وأما قوله: وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة: وهي تكليم الله له كفاحاً من غير حجاب، فهذا على مذهب من يقول إنه ﷺ رأى ربه تعالى، وهي مسألة خلاف يأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى.

ويحتمل أن ابن القيم رحمه الله تعالى أراد بالمرتبة السادسة وحي جبريل، وغاير بينه وبين ما قبله باعتبار محل الإيحاء، أي كونه فوق السماوات، بخلاف ما تقدم، فإنه كان في الأرض، ولا يقال، يلزم عليه أن تتعدد أقسام الوحي باعتبار البقعة التي جاء فيها جبريل إلى النبي ﷺ وهو غير ممكن، لأنا نقول: الوحي الحاصل في السماء باعتبار ما في تلك المشاهد من الغيب نوع غير نوع الأرض على اختلاف بقاعها. انتهى.

[تتمة مراتب الوحي]

قلت: ويزاد أيضاً:

● كلامه تعالى له في المنام، كما في حديث الزهري (أتاني ربي

في أحسن صورة فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى..) الحديث[1].

● ثم مرتبة اخرى، وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه، وعلى لسانه عند الاجتهاد في الأحكام، لأنـه اتفق على أنـه ﷺ إذا اجتهد أصاب قطعاً، وكان معصوماً من الخطأ، وهذا خرق للعادة في حقه دون [سائر][2] الأمة، وهـو يفارق النفث في الـروع من حيث حصوله بالاجتهاد، والنفث بدونه.

● ومـرتبة أخـرى: وهي مجيء جبريـل في صورة رجـل غـير دحية[3]، لأن دحية كان معروفاً عندهم، ذكره ابن المنير، وإن كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم.

وذكر الحليمي[4] أن الوحي كان يأتيه على ستة / وأربعين نوعاً، فذكرها، وغالبها ـ كما قال في فتح الباري ـ من صفات حامل الوحي، ومجموعها يدخل فيما ذكر والله أعلم. ١/٢٥

---

(١) رواه بتمامه عبد الرزاق وأحمد والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً، والـترمذي وابن مـردويه والـطبراني من حـديث معـاذ. [المسنـد ١/٣٦٨ و٤/٦٦] .

(٢) في (ط، د) .

(٣) كما في حديث الصحيحين عن أبي هريرة (كان النبي ﷺ بارزاً للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان... وفي آخره: هذا جبريل يعلم الناس دينهم. ورواه مسلم أيضاً عن عمر (بينا نحن جلوس..).

(٤) العلامة البارع المحدث: القاضي أبو عبـد الله، الحسين بن الحسـين بن حليم، الشافعي الفقيه، صاحب اليد الطولى في العلوم والأدب والتصانيف المفيدة، مات سنة ثلاث وأربعمائة.

وذكر ابن المنير[1] أن الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه، فإن نزل بوعد وبشارة نزل الملك بصورة الآدمي، وخاطبه من غير كدّ، وإن نزل بوعيد ونذارة كان حينئذٍ كصلصلة الجرس. انتهى.

[عدد مرات نزول جبريل]

وقد ذكر ابن عادل، في تفسيره: أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ أربعة وعشرين ألف مرة، ونزل على آدم اثنتي عشرة مرة، وعلى إدريس أربع مرات وعلى نوح خمسين مرة، وعلى إبراهيم اثنتين وأربعين مرة، وعلى موسى أربعمائة مرة، وعلى عيسى عشر مرات. كذا قال رحمه الله[2].

[أول أمر الصلاة]

وقد روي[3]: أن جبريل تبدى له ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال: يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول لك: أنت رسولي إلى

(١) القاضي ناصر الدين، أحمد بن محمد المعروف بابن المنير الاسكندري، قاضيها وخطيبها المصقع، الإمام العلامة المتبحر في العلوم، ذو التصانيف المفيدة. توفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة، عن ثلاث وستين سنة، قال العز ابن عبد السلام: الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها: ابن دقيق العيد بقوص، وابن المنير بالاسكندرية.

(٢) تبرأ منه لأنه لم يسنده ومثله يحتاج لتوقيف.
[أقول هذا يعني أن النزول بمعدله الوسطي على النبي ﷺ كل يوم ثلاث مرات. وهو أمر فيه نظر] [م].

(٣) طرقه لا تخلو من مقال، لكنها متعددة، فيفيد ذلك أن للحديث أصلاً.

الجن والإنس، فادعهم إلى قول لا إله إلا الله ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ثم أمره أن يتوضأ وقام جبريل يصلي وأمره أن يصلي معه فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج إلى السماء ورجع رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ولا مدر ولاشجر إلا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله، حتى أتى خديجة فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فرضها ركعتين ثم إن الله أقرها في السفر كذلك وأتمها في الحضر.

وقال مقاتل[١]: كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، لقوله تعالى: **﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾**[٢].

قال في فتح الباري: كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعاً، وكذلك أصحابه، ولكن اختلف: هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا؟ فقيل: إن الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، والحجة فيه قوله تعالى: **﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾**[٣]. انتهى.

قال النووي[٤]: أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد، ثم

(١) مقاتل بن سليمان البلخي، المفسر، قال ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، وقال وكيع: كان كذاباً، وقال النسائي: يضع الحديث، مات سنة خمس ومائة.

(٢) سورة غافر، الآية ٥٥ .

(٣) سورة طه، الآية ١٣٠ .

(٤) محيي الدين، أبو زكريا، يحيى بن شرف بن سري، الإمام الفقيه الحافظ، القدوة المتقن البارع الورع الزاهد، الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر،

فرض الله من قيام الليل ما ذكره في أول سورة المزمل، ثم نسخه بما في آخرها، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الإسراء بمكة، وأما ما ذكره في هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره به فيدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الإسراء(١).

[فترة الوحي]

ثم فتر الوحي(٢) فترة شق عليه وأحزنه.

وفترة الوحي: عبارة عن تأخره مدة من الزمان، وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع، وليحصل له التشوق إلى العود(٣).

وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين(٤)، كما جزم به ابن إسحاق(٥)

= التارك لجميع ملاذ الدنيا حتى الزواج، شيخ الإسلام، علم الأولياء، المبارك له في علمه وتصانيفه لحسن قصده، مات سنة ست وسبعين وستمائة، عن ست وأربعين سنة.

(١) قال السهيلي: فالوضوء على هذا مكي بالفرض، مدني بالتلاوة ـ لأن آية الوضوء مدنية ـ ولذا قالت عائشة آية التيمم، وهي هي لأن الوضوء كان مفروضاً قبل.

(٢) ذكر المصنف هذا البحث هنا ليدل على أن الوضوء والصلاة كانا قبل فترة الوحي.
أقول: وقد سبق ذكر فترة الوحي في آخر حديث بدء الوحي، وكذا التعليق عليها [م].

(٣) هذا ما ذكره فتح الباري.

(٤) لم يتفق على مدة الفترة: فقد قيل: كانت سنتين ونصفاً، وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج خمسة عشر يوماً وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام. وفي تفسير ابن عباس: كانت أربعين يوماً.

(٥) قال الشارح: تبع المصنف في ذلك الحافظ، كما تبعه السيوطي، ورد على =

وفي تاريخ الإمام أحمد[1]، ويعقوب بن سفيان عن الشعبي: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة، وكذا رواه ابن سعد والبيهقي[2].

[النبوة والرسالة]

فقد تبين أن نبوته ﷺ كانت متقدمة على إرساله[3]، كما قال أبو

= الثلاثة جميعاً بالصراحة الشامي فقال: هذا وهم بلا شك. وعزو ذلك لابن إسحاق أشد، انتهى. يؤيد هذا قول الشارح قبل ذلك.

وهذا مخالف لقول «العيون» تبعاً «للروض»: وفترة الوحي لم يذكر لها ابن إسحاق مدة معينة. انتهى وهو الصواب.

(١) قال الشارح: ودليل كونها ـ فترة الوحي ـ ثلاث سنين ما في تاريخ.. الخ.

(٢) وأثر الشعبي هذا ـ وإن صح إسناده إليه ـ مرسل أو معضل، وكلاهما من أقسام الضعيف، وقد أنكره الواقدي وقال: لم يكرم به من الملائكة إلا جبريل. قال الشامي: وهو المعتمد. انتهى.

قال الحافظ السيوطي: قد ورد ما يوهي أثر الشعبي، وهو ما أخرجه مسلم والنسائي والحاكم عن ابن عباس قال: (بينما رسول الله ﷺ جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق، فرفع جبريل طرفه إلى السماء فقال: يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط، فجاء إلى النبي ﷺ فسلم عليه فقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة) [مسلم برقم ٨٠٦] قال جماعة من العلماء، هذا الملك إسرافيل. وجاء اسمه صريحاً في رواية للطبراني عن ابن عمر.. فهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحي بسنين..

(٣) في ط: رسالته.

عمر وغيره، كما حكاه أبو أمامة بن النقاش. فكان في نزول سورة «اقرأ» نبوته، وفي نزول سورة المدثر إرساله بالنذارة والبشارة والتشريع، وهذا قطعاً متأخر عن الأول، لأنه لما كانت سورة «اقرأ» متضمنة لذكر أطوار الآدمي: من الخلق والتعليم والإفهام، ناسب أن تكون أول سورة أنزلت، وهذا هو الترتيب الطبيعي، وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه إلى نبيه عليه السلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة، ويمن عليه بذلك في معرض تعريف عباده بما أسداه إليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي، ثم يأمره سبحانه وتعالى بأن يقوم فينذر عباده.

[ذكر أول من آمن]

[إسلام خديجة]

وكان أول من آمن بالله وصدق صديقة النساء خديجة، فقامت بأعباء الصديقية. قال لها ﷺ: خشيت على نفسي، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً. ثم استدلت بما فيه من الصفات والأخلاق / ٢٥/ب والشيم على أن من كان كذلك لا يخزى أبداً.

[إسلام أبي بكر]

وكان أول ذكر آمن من بعدها صديق الأمة، وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر، فآزره في الله. وعن ابن عباس أنه أول الناس إسلاماً، واستشهد له بقول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجوى من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس قدماً صدق الرسلا

رواه أبو عمر[1].

وممن وافق ابن عباس وحسانا على أن الصديق أول الناس

---

(١) أي: ابن عبد البر، وكذا الطبراني في الكبير.

إسلاماً، أسماء بنت أبي بكر، والنخعي[1] وابن الماجشون ومحمد بن المنكدر[2]، والأخنس[3].

[إسلام علي]

وقيل: إن علي بن أبي طالب أسلم بعد خديجة، وكان في حجر النبي ﷺ. فعلى هذا يكون أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ويكون علي أول صبي أسلم، لأنه كان صبياً لم يدرك، ولذا قال:

سبقتكمُ إلى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

وكان سن علي إذ ذاك عشر سنين، فيما حكاه الطبري.

وقال ابن عبد البر: وممن ذهب إلى أن علياً أول من أسلم من الرجال: سلمان وأبو ذر والمقداد وخباب وجابر وأبو سعيد الخدري، وزيد بن الأرقم، وهو قول ابن شهاب وقتادة وغيرهم.

[أقوال في أول من أسلم]

قال[4]: واتفقوا على أن خديجة أول من أسلم مطلقاً.

---

(١) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي، الفقيه الحافظ، التابعي الوسط المتوفى وهو مختف من الحجاج سنة ست وتسعين.

(٢) محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي، التابعي الصغير، كثير الحديث، روى عنه: الزهري ومالك وأبو حنيفة وشعبة والسفيانان. قال ابن عيينة: كان من معادن الصدق، ويجتمع إليه الصالحون. مات سنة ثلاثين ومائة.

(٣) الأخنس بن شريق الثقفي. واسم الأخنس: أبي، حليف بني زهرة، صحابي من مسلمة الفتح، وشهد حنينا، وأعطي مع المؤلفة، وتوفي أول خلافة عمر.

(٤) أي ابن عبد البر.

وقيل: أول رجل أسلم، ورقة بن نوفل. ومن يمنع، يدعى أنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته. لكن جاء في السير، وهو في رواية أبي نعيم المتقدمة أنه قال: أبشر، فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى، وأنك نبي مرسل، وأنك ستؤمر بالجهاد، وإن أدرك ذلك لأجاهدن معك. فهذا صريح بتصديقه برسالة محمد ﷺ.

قال البلقيني[1]: بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال. وبه قال العراقي في نكته[2] على ابن الصلاح. وذكره ابن منده في الصحابة.

وحكى العراقي: كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء[3]، وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه.

وادعى الثعلبي[4] اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة، وأن اختلافهم إنما هو في أول من أسلم بعدها.

قال ابن الصلاح[5]: والأورع أن يقال:

---

(١) سراج الدين، أبو حفص عمر بن رسلان البلقيني، شيخ الإسلام، علامة الدنيا، الحافظ الفقيه البارع المجتهد المصنف، المتوفى سنة خمس وثمانمائة.
(٢) المقصود، نكته على كتاب ابن الصلاح في علوم الحديث.
(٣) في (ط، د، ب): الصحابة
(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، أبو إسحاق، صاحب التفسير، والعرائس في قصص الأنبياء. قال الذهبي: وكان حافظاً رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة والزهادة. مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ويقال له: الثعلبي والثعالبي.
(٥) شيخ الإسلام، تقي الدين، أبو عمرو، عثمان بن الصلاح. الإمام الحافظ =

أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر.
ومن الصبيان أو الأحداث علي.
ومن النساء خديجة.
ومن الموالي زيد[1].
ومن العبيد بلال. والله أعلم، انتهى.

وقال الطبري: الأولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال:

أول من أسلم مطلقاً خديجة.

وأول من أسلم علي بن أبي طالب، وهو صبي لم يبلغ، وكان مستخفياً بإسلامه.

وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر بن أبي قحافة.

وأول من أسلم من الموالي زيد.

قال: وهذا متفق عليه لا خلاف فيه، وعليه يحمل قول من قال: أول من أسلم من الرجال أبو بكر، أي الرجال البالغين الأحرار، ويؤيد هذا ما روي عن الحسن أن علي بن أبي طالب قال: إن أبا بكر سبقني إلى أربع لم أوتهن: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقدم

= المتبحر في الأصول والفروع والتفسير والحديث، الزاهد، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

(١) حب المصطفى، ووالد حبه، أسر في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة، فاستوهبه النبي ﷺ منها. فوهبته له. وجاء أبوه وعمه مكة وطلبا أن يفدياه فخيره عليه السلام بين أن يدفعه إليهما، أو يثبت عنده فاختار البقاء عنده.. ثم أسلم حين بعث عليه السلام.

الهجرة، ومصاحبته في الغار، وإقام الصلاة، وأنا يومئذ بالشعب يظهر إسلامه وأخفيه. الحديث، خرجه صاحب فضائل أبي بكر وخيثمة[1] بمعناه[2].

وأما ما روي: من صحبة الصديق للنبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة، وهم يريدون الشام في تجارة، وحديث بحيرى، وأنه وقع في قلب أبي بكر اليقين، وقول ميمون بن مهران[3]: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرى، فالمراد بهذا الإيمان اليقين بصدقه، وهو ما وقر في قلبه، وإلا فالنبي ﷺ تزوج خديجة وسافر إلى الشام قبل المبعث.

[الرعيل الأول]

ثم أسلم / بعد زيد بن حارثة، عثمان بن عفان[4]، والزبير بن العوام[5]، وعبد الرحمن بن عوف[6]، وسعد بن أبي ١/٢٦

---

(١) خيثمة بن سليمان بن حيدرة، الإمام الحافظ، أبو الحسن القرشي الطرابلسي، أحد الثقات، الرحالة، جمع فضائل الصحابة، ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

(٢) ورواه الدراقطني في الغرائب وضعفه.

(٣) ميمون بن مهران الكوفي، أبو أيوب الجزري، نزيل الرقة، الثقة، الفقيه التابعي الوسط، كثير الحديث، والي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز. مات سنة سبع عشرة ومائة، وله سبع وسبعون سنة.

(٤) أمير المؤمنين، ذو النورين، فضائله جمة..

(٥) الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، الحواري. وهو ابن اثنتي عشرة سنة كان عمه يعلقه في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول: ارجع، فيقول: لا أكفر أبداً.

(٦) القرشي الزهري، أحد العشرة المبشرين بالجنة. والثمانية السابقين إلى الإسلام والستة أصحاب الشورى.

وقاص[1]، وطلحة بن عبيد الله[2]، بدعاء أبي بكر الصديق، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له، فأسلموا وصلوا.

ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس. والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي[3]، وعثمان بن مظعون الجمحي[4]، وأخواه: قدامة[5] وعبد الله، وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب.

وقال ابن سعد: أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس[6]، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة أختها. كذا قاله ابن

---

(١) سعد بن أبي وقاص، أحد العشرة، وآخرهم موتاً، وأحد الستة والثمانية، أسلم بعد ستة وهو سابعهم، وهو ابن تسع عشرة سنة. كما قاله ابن عبد البر وغيره. وأما قوله: لقد رأيتني وأنا ثالث الإسلام، أخرجه البخاري، فحمل على ما اطلع هو عليه.

(٢) أحد العشرة، والثمانية السابقين إلى الإسلام، والستة أصحاب الشورى.

(٣) الأرقم بن أبي الأرقم، عبد مناف بن أسد المخزومي، البدري، شهد أحداً والمشاهد كلها. توفي سنة خمس وخمسين، وهو ابن خمس وثمانين.

(٤) عثمان بن مظعون بن حبيب القرشي الجمحي، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر إلى الحبشة، شهد بدراً، وتوفي بعدها في السنة الثانية. روى الترمذي عن عائشة: قبل ﷺ عثمان بن مظعون وهو ميت، وهو يبكي وعيناه تذرفان. فلما توفي ابنه ابراهيم قال: الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون.

(٥) من السابقين الأولين، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً، وكانت تحته صفية بنت الخطاب، أخت عمر. مات سنة ست وثلاثين وهو ابن ثمانين سنة.

(٦) رد في فتح الباري هذا القول: بأنها وإن كانت قديمة الإسلام، لكنها لا تذكر في السابقين، فقد سبقتها سمية والدة عمار، وأم أيمن.

إسحاق وغيره. وهـو وهم، **لأن** عائشـة لم تكن ولدت بعـد فكيف أسلمت. وكان مولدها سنة أربع من النبوة، قاله مغلطاي وغيره[1].

ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء.

(١) لم يذكر بناته ﷺ لأنه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهديه. وعن عائشة ـ عند ابن **إسحاق** ـ لما أكرم الله نبيه بالنبوة أسلمت خديجة وبناته. وفي الشامية: أسلمت رقية حين أسلمت أمهـا خديجـة، وبايعت حـين بايـع النساء، وأم كلثوم حين أسلمت أخواتها وبايعت معهن.ا هـ. وفاطمة لا يسأل عنها لولادتها بعد النبوة أو قبلها بخمس سنين.

[الجهر بالدعوة]

ثم إن الله تعالى أمر رسوله ﷺ بأن يصدع بما جاء بـه، أي يواجه المشركين به.

[تفسير ﴿فاصدع بما تؤمر﴾]

وقال مجاهد: هو الجهر بالقرآن في الصلاة.

وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود[1]: ما زال النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿فاصدع بما تؤمر﴾[2] فجهر هو وأصحابه.

وقال البيضاوي: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً أو فرق به بين الحق والباطل. وأصله: الإبانـة والتمييز. و«ما» مصدرية أو موصولة، و«الراجع[3]» محذوف، أي بما تؤمر به من الشرائع انتهى.

---

(١) الكوفي الثقة، مشهور بكنيته. قال الحافظ: والأشهر أنه لا اسم له غيرها، ويقال اسمه عامر، والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه. مات بعد سنة ثـمانين.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٤.

(٣) في ش: العائد.

[مدة الدعوة سراً]

قالوا: وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة، وهي المدة التي أخفى فيها رسول الله ﷺ أمره إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره.

[موقف قريش]

فبادى[1] قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله تعالى.

ولم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه، حتى ذكر آلهتهم وعابها، وكان ذلك سنة أربع، كما قاله العتقي. فأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم بالإسلام. وحدب عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه.

فاشتد الأمر، وتضارب القوم، وأظهر بعضهم لبعض العداوة، وتذامرت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

ومنع رسول الله بعمه أبي طالب وبني هاشم -غير أبي لهب- وبني المطلب.

وقال مقاتل: كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب يدعوه إلى الإسلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون بالنبي ﷺ سوءاً، فقال أبو طالب: حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم[2]. وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسد في التراب دفيناً

---

(١) في ط: فنادى.

(٢) سبب قول أبي طالب: أنهم أتوه بعمارة بن الوليد ليتخذه ولداً ويعطيهم النبي ﷺ ليقتلوه.

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة | وأبشر وقر بذاك منك عيوباً
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي | ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
وعرضت ديناً لا محالة إنه | من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذاري سبة | لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

[المستهزئون]

وقد كفى الله تعالى نبيه ﷺ المستهزئين[1]. كما قال تعالى: ﴿**وأعرض عن المشركين**﴾ أي لا تلتفت إلى ما يقولون: ﴿**إنا كفيناك المستهزئين**﴾[2] يعني بقمعهم وإهلاكهم. وقد قيل[3]: إنهم كانوا خمسة من أشراف قريش:

الوليد بن المغيرة.
والعاصي بن وائل.
والحارث بن قيس.
والأسود بن عبد يغوث [4].
والأسود بن المطلب.

وكانوا يبالغون في إيذائه ﷺ والاستهزاء به. فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أمرت أن[5] أكفيكهم. فأومأ إلى ساق الوليد، فمر بنبال

(١) ذكر اليعمري قصتهم بعد ذلك قبل انشقاق القمر. وذكرهم المصنف هنا بعد الصدع لمجيء الآية التي ذكرتهم بعد آية الصدع.
(٢) سورة الحجر. الآية ٩٥.
(٣) قد للتحقيق. فهو قول الجمهور ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه
(٤) هو ابن خاله ﷺ من استهزائه أنه كان يقول: أما كلمت اليوم من السماء يا محمد.
(٥) في ط: أنا أكفيكهم. دون ذكر: أمرت.

فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظيماً لأخذه، فأصاب عرقاً في عقبه فمات، وأومأ إلى أخمص العاصي فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات، وأشار إلى أنف الحارث فـامتخط قيحاً فمات، وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بـالشوك حتى مـات، وإلى عيني الأسود بن عبد المطلب فعمي[1].

[ما لقيه ﷺ من أذى قومه]

وكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول: يا أيها الناس، إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأبو لهب وراءه يقول: يا أيها الناس: إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم[2].

ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر، وتبعه قومه على ذلك[3].

---

(١) هذه الفقرة (المستهزئون) لم ترد في (ب، د).

(٢) رواه عبد الله في زوائد المسند، والحاكم ـ وقال على شرطهما ـ عن ربيعة بن عباد الديلي الكناني الصحابي. [المسند ٣/٤٩١ و٤/٣٤١].

(٣) روى ابن إسحاق والحاكم والبيهقي بإسناد جيد: أنه اجتمع إلى الوليد نفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، فقال لهم: يا معشر قريش، قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقـد سمعوا بـأمر صـاحبكم، فأجمعوا فيه رأياً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنت فأقم لنا رأياً نقوله فيه، قال: بل أنتم فقولوا أسمع. قالوا: نقول كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمـة الكاهن ولا بسجعـه. قالوا: فنقول: مجنون، قـال، والله ما هـو بمجنون، لقـد رأينا المجنـون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا بخابخه ولا وسوسته، قالوا: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعـر كله، رجزه وهزجـه وقريضـه ومقبوضـه ومبسـوطه، قـالوا: سـاحر، قـال: ما هـو بساحـر، لقد رأينـا السحـار =

وآذته قريش ورموه بالشعر والكهانة والجنون.

ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه، ويجعل الدم على بابه.

ووطىء عقبة بن أبي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان. وخنقوه خنقاً / شديداً، فقام أبو بكر دونه، فجذبوا رأسه ولحيته ﷺ حتى سقط أكثر شعره، فقام أبو بكر دونه وهو يقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله.

٢٦/ب

وقال ابن عمرو ـ كما في البخاري(١) ـ: بينا رسول الله ﷺ بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ فلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه

= وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده.

قالوا: فما نقول؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناه، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه؛ أن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته.

فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره.

فصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ. فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها. وفي سيرة الحافظ: فانتشر بذلك ذكره في الآفاق، وانقلب مكرهم عليهم، حتى كان من أمر الهجرة ما كان. وقدم عليه عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم وأقذع في القول. فقالوا: سلام عليكم، وفيهم نزل ﴿**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه**﴾ الآيات. انتهى.

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٥٦.

عن رسول الله ﷺ. وفي رواية ثم قال: ﴿**أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله**﴾[1].

وقد ذكر العلماء، أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل من مؤمن آل فرعون، لأن ذاك اقتصر حيث انتصر على اللسان، وأما أبو بكر فأتبع اللسان يداً، ونصر بالقول والفعل محمداً صلى الله عليه وسلم.

[وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه بالتراب، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه خندقاً من نار، وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، وأنزل الله ﴿**إن الإنسان ليطغى**﴾ إلى آخر السورة[2].

ولما نزلت ﴿**تبت يدا أبي لهب وتب**﴾ جاءت امرأة أبي لهب، فقال أبو بكر: يا رسول الله، لو تنحيت عنها فإنها امرأة بذية، قال: سيحال بيني وبينها، فقالت: يا أبا بكر، هجانا صاحبك، قال: والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله، فاندفعت راجعة، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ما رأتك، قال: كان بيني وبينها ملك سترني بجناحه حتى ذهبت. رواه ابن أبي شيبة وأبو نعيم. وفي رواية البيهقي فقال ﷺ: قل لها: ترين عندي أحداً؟ فإنها لن تراني][3]

(١) سورة غافر، الآية ٢٨.
(٢) رواه مسلم برقم ٢٧٩٧ وفي المسند ٢/ ٣٧٠ .
(٣) ما بين القوسين في ط فقط.

[الدعاء على رؤوس الكفر]

وفي رواية أيضاً: «كان ﷺ يصلي عند الكعبة، وجمع من قريش في مجالسهم، إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي، أيكم يقوم إلى جزور آل فلان، فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها، فيجيء به ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه، فانبعث أشقاهم، فلما سجد ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجداً، فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة وهي جويرية، فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجداً حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللهم عليك بقريش، ثم سمى فقال: اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة ابن أبي معيط، وعمارة بن الوليد.

قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: وأتبع أصحاب القليب لعنة»(١).

[أحكام فقهية]

واستدل بهذا الحديث: على أن من عرض له في صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء لا تبطل صلاته، فلو كانت نجاسة فأزالها في الحال، ولا أثر لها صحت صلاته اتفاقاً.

واستدل به أيضاً: على طهارة فرث ما يؤكل لحمه، وعلى أن إزالة النجاسة ليست بفرض، وهو ضعيف.

وأجاب النووي: بأنه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره،

---
(١) رواه البخاري برقم/ ٥٢٠.

فاستمر في سجوده، استصحاباً لأصل الطهارة.

وتعقب: بأنه مشكل على قولنا بوجوب الإعادة، في مثل هذه الصورة.

وأجيب عنه: بأن الإعادة إنما تجب في الفريضة، فإن ثبت أنها فريضة فالوقت موسع فلعله أعاد.

وتعقب: بأنه لو أعاد لنقل، ولم ينقل، وبأن الله لا يقره على صلاة فاسدة.

[إشكال بشأن عمارة]

وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين، لأنه لم يقتل في بدر، بل ذكر أصحاب المغازي: أنه مات بأرض الحبشة، وله قصة مع النجاشي، إذ تعرض لامرأته فأمر النجاشي ساحراً فنفخ في احليل عمارة من سحره فتوحش، وصار مع البهائم إلى أن مات في خلافة عمر.

وأجيب: بأن كلام ابن مسعود ـ أنه رآهم صرعى في القليب ـ محمول على الأكثر، ويدل عليه: أن عقبة بن أبي معيط لم يطرح في القليب، وإنما قتل صبراً بعد أن رحلوا عن بدر بمرحلة. وأمية بن خلف لم يطرح في القليب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

[إيضاح آخر الحديث]

وقوله: ثم قال رسول الله ﷺ: وأتبع أصحاب القليب لعنة، يحتمل أن يكون من تمام الدعاء الماضي، فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة ويحتمل أن يكون قاله ﷺ بعد أن ألقوا في القليب.

[إسلام حمزة]

ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب[1]، وكان أعز فتى في قريش، وأشده شكيمة، وكان إسلامه ـ فيما قاله العتقي ـ سنة ست، فعزَّ به رسول الله ﷺ، وكفت عنه قريش قليلاً، وقال حمزة حين أسلم:

٢٧/أ

حمدت الله حين هدى فؤادي	إلى الإسلام والدين الحنيف /
لدين جاء من رب عزيز	خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا	تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها	بآيات مبينة الحروف
وأحمد مصطفى فينا مطاع	فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم	ولما نقض فيهم بالسيوف

[مفاوضة]

وعند مغلطاي: وسألوه ـ يعني: النبي ﷺ ـ إن كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه فيك.

فقال لهم عليه السلام: ما بي ما تقولون، ولكن الله بعثني

---

(١) وسبب ذلك ـ كما عند ابن إسحاق ـ أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه، ونال منه بعض ما يكره.. ومولاة لعبد الله بن جدعان تسمع ذلك، فأخبرته ـ وكان عائداً من قنص له ـ.. فاحتمل حمزة الغضب وخرج يسعى حتى لقي أبا جهل في ناد من قريش عند الكعبة، فضربه على رأسه بقوسه فشجه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فرد علي ذلك إن استطعت.. [سيرة ابن هشام ١/٢٩١].

رسولاً، وأنزل علي كتاباً، وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربي، ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم من الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بينيَ وبينكم[1].

والرئي - بفتح الراء، وقد تكسر، ثم همزة، فياء مشددة - جني يرى فيحب، أو المكسورة للمحبوب منها. قاله في القاموس.

[استعانة قريش باليهود]

ثم إن النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط ذهبا إلى أحبار

---

(١) عند ابن إسحاق والبيهقي وغيرهما: أن عتبة قال يوماً - وكان جالساً في نادي قريش، والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده - يا معشر قريش، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه، وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها، فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا؟ فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني، أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها.

فقال ﷺ: قل يا أبا الوليد أسمع.

قال: يا ابن أخي، إن كنت.. فذكر الأمور الأربع.. حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله يسمع منه قال له:

أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم. قال: فاسمع مني، قال: أفعل، قال: ﷺ **﴿بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾** إلى قوله **﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾** [سورة فصلت] فأمسك عتبة على فيه، وناشده الرحم أن يكف، ثم انتهى إلى السجدة فسجد ثم قال: قد سمعت أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.. الحديث [سيرة ابن هشام ١/٢٩٣].

اليهود، فسألاهم عنه ﷺ فقالوا لهما: سلاه عن ثلاثة، فإن أخبركما بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فهو متقول. سلاه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، وعن رجل طواف، وعن الروح ما هو؟

فقال لهم عليه السلام: أخبركم غداً، ولم يقل إن شاء الله تعالى، فلبث الوحي أياماً، ثم نزل قوله تعالى: **﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾**[1] وأنزل الله تعالى ذكر الفتية الذين ذهبوا، وهم أصحاب الكهف، وذكر الرجل الطواف. وهو ذو القرنين[2]. وقال فيما سألوه عن الروح **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾**[3] الآية.

[آية الروح، مكية أم مدنية؟]

وفي البخاري من حديث عبد الله بن مسعود قال:(بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث، وهو متكىء على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، قالوا: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: **﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾**)[4].

قال الحافظ ابن كثير: وهذا يقتضي ـ فيما يظهر من بادىء الرأي ـ

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٣.

(٢) ورد ذكر الفتية والرجل الطواف في سورة الكهف .

(٣) سورة الإسراء. الآية ٨٥ .

(٤) رواه البخاري برقم ١٢٥ وهو في أماكن أخرى منه.

أن هذه آية مدنية، وأنها إنما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة، مع أن السورة كلها مكية[1].

وقد يجاب عن هذا: بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة، كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك. ومما يدل على نزولها بمكة ما رواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فنزلت. الحديث[2]. انتهى.

وهذا الحديث رواه الترمذي أيضاً باسناد رجاله رجال مسلم.

فيحمل على تعدد النزول كما أشار إليه ابن كثير، ويحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك.

[الاختلاف في الروح]

وقد اختلف في المراد بالروح المسؤول عنه في هذا الخبر:

فقيل: روح الإنسان.

وقيل: جبريل.

وقيل: عيسى:

وقيل: ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة.

وقيل غير ذلك[3].

---

(1) أي سورة الإسراء.

(2) المسند ١/٢٥٥.

(3) قال الحافظ: وهذا إنما اجتمع من كلام أهل التفسير في معنى لفظ «الروح» الوارد في القرآن، لا في خصوص هذه الآية، فمنه:

١ - **﴿نزل به الروح﴾** ٢ - **﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً﴾** ٣ - **﴿يلقي** =

وقال القرطبي: الراجح أنهم سألوه عن روح الإنسان لأن اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله، ولا تجهل أن جبريل ملك، وأن الملائكة أرواح.

وقال الإمام فخر الدين: المختار أنهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة، وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه: أن السؤال ٢٧/ب / عن الروح يحتمل عن ماهيته[1]، وهل هي متحيزة أم لا؟ وهل هي حالة في متحيز أم لا؟ وهل هي قديمة أو حادثة، وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد أو تفنى، وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها، وغير ذلك من متعلقاتها.

قال: وليس في السؤال ما يخصص أحد هذه المعاني، إلا أن الأظهر أنهم سألوه عن الماهية. وهل الروح قديمة أو حادثة؟ والجواب يدل على أنها شيء موجود مغاير للطبائع والأخلاط وتركيبها، فهي جوهر بسيط مجرد لا يحدث إلا بمحدث، وهو قوله تعالى: «كن»، فكأنه قال: هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه ولها تأثير في إفادة الحياة للجسد، ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه.

قال: ويحتمل أن يكون المراد بالأمر في قوله تعالى: **﴿من أمر ربي﴾**: الفعل، كقوله تعالى: **﴿وما أمر فرعون برشيد﴾**[2] أي فعله.

= **الروح من أمره﴾** ٤ ـ **﴿وأيدهم بروح منه﴾** ٥ ـ **﴿يوم يقوم الروح﴾** ٦ ـ **﴿تنزل الملائكة والروح﴾**. فالأول: جبريل، والثاني: القرآن، والثالث: الوحي، والرابع: القوة والخامس والسادس: محتمل لجبريل ولغيره.

(١) كذا في (أ) و(ش) وكذا في فتح الباري المنقول عنه. وفي (ط، ب، د): ماهيتها.

(٢) سورة هود. الآية ٩٧.

فيكون الجواب: أنها حادثة.

ثم قال: وقد سكت السلف عن البحث في هذه الأشياء والتعمق فيها. انتهى[1].

وقال في فتح الباري: وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم:

فقيل: هي النفَس الداخل الخارج.
وقيل: جسم لطيف، يحل في جميع البدن.
وقيل: هي الدم.
وقيل: إن الأقوال فيها بلغت المائة.

ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين: أن لكل نبي خمسة أرواح، ولكل مؤمن ثلاثة، ولكل حي واحدة[2].

وقال ابن العربي: اختلفوا في الروح والنفس، فقيل متغايران، وهو الحق، وقيل هما شيء واحد، وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس.

وقال ابن بطال[3]: معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر.

قال: والحكمة في إبهامه: اختبار الخلق، ليعرفهم عجزهم عن

---

(١) أي كلام الفخر الرازي.
(٢) الجملة الأخيرة وردت في (ش) وهي في فتح الباري.
(٣) العلامة أبو الحسن، علي بن خلف بن بطال القرطبي، شارح البخاري، أحد شيوخ ابن عبد البر، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد، مات سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

وقال القرطبي: الحكمة في ذلك إظهار عجز المرء، لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده، كان عجزه عن إدارك حقيقة الحق من باب أولى.

وقال بعضهم: ليس في الآية دلالة على أن الله لم يطلع نبيه ﷺ على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه الله ولم يأمره أن يطلعهم. وقد قالوا في علم الساعة نحو هذا والله أعلم. انتهى(١).

[الاضطهاد والفتنة]

ولما كثر المسلمون، وظهر الإيمان، أقبل كفار قريش على من آمن يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم.

حتى إنه مر عدو الله، أبو جهل، بسمية أم عمار بن ياسر، وهي تعذب فطعنها بحربة في فرجها فقتلها(٢).

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه إذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه منهم وأعتقه، منهم بلال وعامر بن فهيرة.

---

(١) فتح الباري ٤٠٣/٨.

(٢) عذبت سمية وابناها عمار وعبد الله وأبوهما ياسر بن عامر، كما رواه البلاذري عن أم هانىء، قالت: فمر بهم النبي ﷺ فقال: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية لأبي جهل فقتلها، ورمي عبد الله فسقط. وأما عمار ففرج الله عنه بعد طول تعذيبه.

وقد روى ابن سعد ـ بسند صحيح ـ عن مجاهد أن سمية أول شهداء الإسلام.

[أول من أظهر الإسلام]

وعن أبي ذر: كان أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد. فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، وإن بلالاً هانت عليه نفسه في الله عز وجل، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد. رواه أحمد في مسنده[1].

وعن مجاهد مثله، وزاد في قصة بلال: وجعلوا في عنقه حبلاً ودفعوه إلى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه.

[بلال]

فانظر كيف فعل ببلال ما فعل من الإكراه على الكفر، وهو يقول أحد أحد، فمزج مرارة العذاب بحلاوة الإيمان، وهذا كما وقع له أيضاً عند موته، كانت امرأته تقول: واحزناه وهو يقول: واطرباه. غداً ألقى الأحبة محمداً وصحبه، فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء. ولله در أبي محمد الشقراطسي حيث قال:

لاقى بلال بلاء من أمية قد ... أحله الصبر فيه أكرم النزل

إذ أجهدوه بضنك الأسر[2] وهو على ... شدائد الأزل ثبت الأزر لم يزل

ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد ... عالوا عليه صخور جمة الثقل / ١/٢٨

---

(١) المسند ١/٤٠٤.

(٢) في ط: الأمر.

فوحد الله إخلاصاً وقد ظهرت بظهره كندوب الطل في الطلل[1]
إن قدَّ ظهر ولي الله من دبر قد قدَّ قلب عدو الله من قبل

يعني إن كان ظهر ولي الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده، فقد جوزي عدو الله أمية، وَقُدَّ قلبه ببدر، لأنه قتل يومئذ، وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لأخوة كانت بينهما في الجاهلية، فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا فنهشوه بأسيافهم حتى قتلوه.

[عتقاء أبي بكر]

وأخرج البيهقي عن عروة أن أبا بكر أعتق ممن كان يعذب في الله سبعة[2]، منهم: الزنيرة، فذهب بصرها، وكانت ممن تعذب في

(١) الندوب: جمع ندب: أي آثار، وقيل أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد
الطل: المطر الخفيف.
الطلل: ما شخص من آثار الديار على وجه الأرض.

(٢) هم: بلال، وعامر بن فهيرة، وأم عنيس ـ بعين مهملة مضمومة فنون فسين مهملة ـ أمة لبني زهرة، وزنيرة، والنهدية وبنتها، والمؤملية. كما في سيرة ابن هشام.
وذكر ابن إسحاق: أنه أعتق أبا فكيهة
وابن عبد البر وغيره: أنه أعتق أم بلال.
فاقتصار عروة على سبعة باعتبار ما بلغه، فلا ينافي أنهم تسعة.
وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال: يا ابتي إني إنما أريد ما عند الله، فنزلت ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ إلى آخر السورة.

الله، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كلا والله ما هو كذلك فرد الله عليها بصرها.

والزنيرة: بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة. كسكينة: كذا في القاموس.

[الهجرة الأولى الى الحبشة]

ثم أذن رسول الله ﷺ لأصحابه في الهجرة إلى الحبشة[1]، وذلك في رجب سنة خمس من النبوة.

فهاجر إليها ناس ذوو عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه، وكانوا أحد عشر رجلاً[2] ـ وقيل اثنا عشر رجلاً ـ وأربع نسوة ـ وقيل: وخمس نسوة، وقيل وامرأتين ـ.

وأميرهم عثمان بن مظعون، وأنكر ذلك الزهري وقال: لم يكن لهم أمير. وخرجوا مشاة إلى البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار.

وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول

---

(١) وسبب ذلك ـ كما عند ابن إسحاق ـ أنه ﷺ لما رأى المشركين يؤذون أصحابه، ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرجوا إليها مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم. فكانت أول هجرة في الإسلام.

(٢) هم: عثمان بن عفان، وعبد الرحمن، والزبير بن العوام، وأبو حذيفة بن عتبة، ومصعب، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعثمان بن مظعون، وعامر بن ربيعة، وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم، وحاطب بن عمرو.
والنساء: رقية مع زوجها عثمان، وسهلة بنت سهيل مع زوجها أبي حذيفة، وأم سلمة مع زوجها، وليلى العدوية مع زوجها عامر بن ربيعة.

الله ﷺ، وأخرج يعقوب بن سفيان بسند موصول إلى أنس قال: أبطأ على رسول الله ﷺ خبرهما، فقدمت امرأة فقالت: قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار، فقال: إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط.

فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصي، وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي ـ واسمه أصحمة ـ وكان معهما عمارة بن الوليد، ليردهم إلى قومهم، فأبى ذلك وردهما خائبين بهديتهما.

[اسلام عمر بن الخطاب]

وأسلم عمر بن الخطاب بعد حمزة بثلاثة أيام فيما قاله أبو نعيم[١] بدعوته ﷺ: (اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) [٢] وكان المسلمون إذ ذاك بضعة وأربعين رجلاً، وإحدى عشرة امرأة[٣].

[سبب إسلامه]

وكان سبب إسلامه ـ فيما ذكره أسامة بن زيد[٤] عن أبيه[٥] عن

---

(١) وهذا موافق لما حكاه ابن سعد.
وقال ابن إسحاق: أسلم عقب الهجرة الأولى إلى الحبشة.

(٢) رواه الترمذي عن ابن عباس، ورواه أحمد والترمذي ـ وقال حسن صحيح ـ وابن سعد والبيهقي عن ابن عمر رفعه بلفظ (اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب) وصححه ابن حبان.
وفي حديث خباب عن البزار مرفوعاً (اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب).
قال في الدر: اشتهر هذا الحديث على الألسنة بلفظ: بأحب العمرين. ولا أصل له في شيء من طرق الحديث بعد الفحص البالغ.

(٣) في ش لم يذكر عدد النساء.

(٤) اسامة بن زيد بن أسلم، العدوي ـ مولاهم ـ ضعيف من قبل حفظه. مات في خلافة المنصور.

(٥) زيد بن أسلم: الفقية العالم المفسر الثقة الحافظ التابعي، روى له الستة.

جده(١) عن عمر ـ أنه قال: بلغني إسلام أختي(٢)، فدخلت عليها، فقلت يا عدوة نفسها، قد بلغني عنك أنك صبوت، ثم ضربتها، فسال الدم، فلما رأت الدم بكت وقالت: يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل فقد أسلمت.

قال: فدخلت وأنا مغضب، فإذا كتاب في ناحية البيت، فإذا فيه ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي، قال: ثم رجعت إليها فإذا فيها ﴿**سبح لله ما في السموات والأرض**﴾ حتى بلغت ﴿**آمنوا بالله ورسوله**﴾(٣) فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوا مني، فجئت إلى رسول الله ﷺ في بيت في أسفل الصفا، فدخلت وأخذ رجلان بعضدي حتى دنوت من النبي ﷺ فقال أرسلوه، فأرسلوني فجلست بين يديه، فأخذ بمجمع ثيابي فجذبني إليه ثم قال: أسلم يا ابن الخطاب، اللهم اهد قلبه، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة.

وكان الرجل إذا أسلم استخفى ثم خرجت إلى رجل لم يكن

---

(١) اسلم، مولى عمر، اشتراه عمر سنة إحدى عشرة، التابعي الكبير. مات سنة ثمانين.

(٢) هي فاطمة عند الأكثر، وقيل أميمة، قال في الإصابة: فكأن اسمها فاطمة، ولقبها أميمة، وكنيتها أم جميل. وقيل: اسمها رملة.

(٣) سورة الحديد.

وفي رواية ابن عساكر وأبي نعيم عن ابن عباس والدارقطني عن أنس: كان فيها سورة «طه».

يكتم السر[1]، فقلت له إني صبوت، قال فرفع صوته بأعلاه: ألا إن ابن الخطاب قد صبأ، فما زال الناس يضربوني وأضربهم، فقال خالي[2]: ما هذا؟ قالوا: ابن الخطاب، فقام على الحجر وأشار بكمه فقال: ألا إني قد أجرت ابن اختي، فانكشف الناس عني، قال: فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام[3].

---

(١) هو جميل بن معمر بن حبيب، أسلم يوم الفتح وقد شاخ، وشهد حنينا وفتح مصر، ومات في خلافة عمر. فحزن عليه حزناً شديداً.

(٢) يحتمل أنه أبو جهل، أو أخوه الحارث بن هشام، لأنهما خالاه مجازاً، لأن عصبة الأم أخوال الابن، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي، وهاشم وهشام أخوان، فهما ابنا عم أمه. ويحتمل أنه أراد غيرهما من بني مخزوم.

قال البرهان: فالجزم بأنه أبو جهل يحتاج إلى برهان.

(٣) روى حديث أسلم عن عمر بطوله: البزار والطبراني، وأبو نعيم والبيهقي، ورواه الدراقطني من حديث أنس، وابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس، وأبو نعيم عن طلحة وعائشة، كلهم عن عمر نحوه.

فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً، فانجبر ما فيه من ضعف أسامة.

وقد أورده المصنف مختصراً. وأوله: . . كنت من أشد الناس على رسول الله ﷺ فبينا أنا في يوم حار شديد بالهاجرة، في بعض طرق مكة، إذ لقيني رجل من قريش فقال: أين تذهب، إنك تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الأمر في بيتك قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد صبأت، فرجعت مغضباً، وقد كان ﷺ يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه، ويصيبان من طعامه، وقد ضم إلى زوج أختي رجلين، فجئت حتى قرعت الباب، فقيل: من هذا؟ قلت ابن الخطاب. قال: وكان القوم جلوساً يقرؤون صحيفة معهم، فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا، أو قال: نسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي. .

وفيه: فقلت ما هذا الكتاب، أعطنيه، فقالت: لا أعطيكه، لست من أهله، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون، قال: فلم أزل بها حتى أعطتنيه.

قال ابن عباس: لما أسلم عمر قال جبريل للنبي ﷺ / : ٢٨/ب يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر[١]. رواه ابن ماجه[٢][٣].

---

(١) ورواه أيضاً الحاكم وصححه.
ورده الذهبي: بأن فيه عبد الله بن حراش، ضعفه الدارقطني. انتهى. وضعفه أيضاً غيره، ورواه ابن سعد عن الزهري وداود بن الحصين مرسلاً، والله أعلم.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن يزيد القزويني، الثقة المتفق عليه، المحتج به، له معرفة بالحديث، وله مصنفات في السنن والتفسير والتاريخ. مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

(٣) تتمات:
[رواية أخرى في سبب إسلامه]
في رواية عند ابن إسحاق: أنه دخل المسجد يريد الطواف، فرأى النبي ﷺ يصلي، فقال: لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول، فقلت: إن دنوت منه أستمع لأروعنه، فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابه - أي البيت - فجعلت أمشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته، فرق له قلبي فبكيت ودخلني الإسلام فلم أزل قائماً في مكاني ذلك حتى انصرف فتبعته، فلما سمع حسي عرفني فظن أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني - أي زجرني - ثم قال: ما جاء بك في هذه الساعة؟ قلت جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله. قال فحمد الله، ثم قال: قد هداك الله يا عمر، ثم مسح صدري.. [سيرة ابن هشام ١/٣٤٣].
أقول وهناك - عند ابن إسحاق - رواية أخرى مطولة مفصلة، شبيهة بما ذكره المصنف [سيرة ابن هشام ١/٣٤٣]
[رد جوار خاله]
قال: رددت جوار خالي، كراهة أن لا أكون كالمسلمين، وقال خالي: لا تفعل يا ابن اختي، فقلت بل هو ذاك، قال: فما شئت.
- كما في حديث أسلم الذي رواه المصنف - شرح الزرقاني ١/٢٧٦ =

= [خوف عمر]

روى البخاري عن عبد الله بن عمر عن أبيه قال (بينما هو في الدار خائفاً إذ جاءه العاص بن وائل السهمي.. فقال: ما بالك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلونني أن أسلمت، قال: لا سبيل إليك، بعد أن قالها أمنت، فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون، قالوا: نريد هذا ابن الخطاب الذي صبأ. قال: لا سبيل إليه، فكر الناس) وفي رواية أخرى: (فرأيت الناس تصدعوا عنه) [البخاري برقم ٣٨٦٤ و٣٨٦٥]. [المحقق].

[دخول الشعب وخبر الصحيفة]

ولما رأت قريش عزة النبي ﷺ بمن معه، وإسلام عمر، وعزة أصحابه بالحبشة، وفشو الإسلام في القبائل، أجمعوا على أن يقتلوا النبي ﷺ، فبلغ ذلك أبا طالب، فجمع بني هاشم وبني المطلب، فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله، فأجابوه حتى كفارهم، فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية.

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب: أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوا منهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل.

وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة ـ وقيل بغيض بن عامر ـ فشلت يده، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، هلال المحرم سنة سبع من النبوة.

فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه، إلا أبا لهب فكان مع قريش. فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، وقال ابن سعد: سنتين حتى جهدوا وكان لا يصل إليهم شيء إلا سراً.

[قصة الغرانيق]

[ملخص القصة]

وقدم نفر من مهاجرة الحبشة، حين قرأ ﷺ **﴿والنجم إذا هوى﴾** حتى بلغ **﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾** ألقى الشيطان في أمنيته، أي في تلاوته: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فلما ختم السورة سجد ﷺ وسجد معه المشركون، لتوهمهم أنه ذكر آلهتهم بخير، وفشا ذلك في الناس، وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة، ومن بها من المسلمين، عثمان بن مظعون وأصحابه. وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، وصلوا معه ﷺ، وقد أمن المسلمون بمكة، فأقبلوا سراعاً من الحبشة[1].

---

(١) لا خلاف بين العلماء على بطلان هذه القصة ومعارضتها للعقيدة الإسلامية. ولذا صرح أكثرهم ببطلانها ووضعها.

وذهب بعضهم إلى وجود أصل لها بناء على تعدد الأسانيد، ثم ذهبوا يلتمسون تأويلاتها. . على الرغم من ضعف تلك الأسانيد وانقاطعها. وعلى الرغم من اتفاقهم مع الفريق الأول على بطلان متنها.

وقد قام المحقق بدراستها دراسة وافيه وتوصل إلى إبطالها بدليل غير أدلة مناقشة المتن والسند، وهو أن سورة النجم ـ التي تزعم الروايات أن القصة حدثت أثناء تلاوتها ـ لم تكن نزلت في ذلك الوقت. وإنما نزلت بعد حادثة الإسراء، أي بعد خمس سنين من حادثة الهجرة الأولى إلى الحبشة. وهذا دليل قاطع على بطلانها لم أر من ذكره من قبل. وانظر تفصيل ذلك =

[معنى: الغرانيق]

والغرانيق في الأصل: الذكور من طير الماء، واحدها: غرنوق وغرنيق، سمي به لبياضه. وقيل: هو الكركي.

والغرنوق أيضاً: الشاب الأبيض الناعم.

وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله، وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلوا في السماء وترتفع.

[توهم المشركين]

ولما تبين للمشركين عدم ذلك، رجعوا إلى أشد ما كانوا عليه.

[القائلون ببطلان القصة]

● وقد تكلم القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في «الشفاء» على هذه القصة وتوهين أصلها بما يشفي ويكفي، لكن تعقب في بعضه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

● وقال الإمام فخر الدين الرازي ـ مما لخصته من تفسيره ـ هذه القصة باطلة موضوعة، لا يجوز القول بها. قال الله تعالى: ﴿**وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى**﴾[1] وقال الله تعالى: ﴿**سنقرئك فلا تنسى**﴾[2].

= في كتابنا «أضواء على دراسة السيرة» وهو من مطبوعات المكتب الاسلامي.
أما رجوع المهاجرين فيرجع إلى خبر كاذب روجته قريش بأن هدنة قامت بينهم وبين الرسول ﷺ [م].

(١) سورة النجم. الآية ٣.
(٢) سورة الأعلى. الآية ٦.

● وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون.

وأيضاً: فقد روى البخاري في صحيحه أنه ﷺ قرأ سورة النجم وسجد، وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن، وليس فيه حديث الغرانيق[1]. بل روي هذا الحديث من طرق كثيرة، وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق.

ولا شك أن من جوز على الرسول تعظيم الأوثان فقد كفر، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك. ويبطل قوله تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾**[2] فإنه لا فرق في الفعل بين النقصان في الوحي وبين الزيادة فيه.

فبهذه الوجوه، عرفنا على سبيل الإجمال أن هذه القصة موضوعة. وقد قيل: إن هذه القصة من وضع الزنادقة لا أصل لها. انتهى.

[تخريج القصة]

وليس كذلك. بل لها أصل.

فقد خرجها: ابن أبي حاتم[3]، والطبري، وابن المنذر[4]، من

(١) رواه البخاري برقم ٤٨٦٢.

(٢) سورة المائدة. الآية ٦٧.

(٣) الحافظ أبو محمد، عبد الرحمن بن محمد التميمي الرازي، صاحب التصانيف الكثيرة، الثقة، كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وقد ناهز التسعين.

(٤) محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، نزيل مكة، صاحب التصانيف، =

طرق عن شعبة[1] عن ابن بشر[2]، عن سعيد بن جبير.

وكذا ابن مردويه، والبزار، وابن إسحاق في السيرة، وموسى بن عقبة[3] في المغازي[4]، وأبو معشر[5] في السيرة.

كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره، لكن قال: إن طرقها كلها مرسلة وأنه لم يرها مسندة من وجه صحيح. وهذا / ٢٩/ متعقب بما سيأتي:

وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الإسلام الحافظ[6] أبو الفضل العسقلاني فقال: أخرج ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق

= الحافظ، كان غاية في معرفة الخلاف والدليل، فقيهاً مجتهداً لا يقلد أحداً، مات سنة تسع وثلاثمائة.

(١) شعبة بن الحجاج الواسطي، أمير المؤمنين في الحديث، كان من سادات زمانه حفظاً وإتقاناً، وورعاً وفضلاً. قال الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. ولد سنة اثنتين وثمانين ومات بالبصرة سنة ستين ومئة.

(٢) جعفر بن أبي وحشية ـ اسمه إياس ـ الواسطي، الثقة من رجال الصحيح، توفي سنة أربع وعشرين ومائة.

(٣) ابن أبي عياش القرشي ـ مولاهم ـ المدني، التابعي الصغير، الثبت الحافظ الفقيه، توفي سنة إحدى وأربعين ومائة.

(٤) قال مالك: عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي، وقال الشافعي: ليس في المغازي أصح من كتاب موسى، مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره.

(٥) نجيح بن عبد الرحمن الهاشمي، مولاهم، قال أحمد: صدوق لا يقيم الإسناد، وقال ابن معين: ليس بالقوي، وابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه. مات سنة سبعين ومائة.

(٦) في (ط، ش): والحافظ، وفي (ب، د): والحفاظ.

عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة والنجم، فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، فنزلت هذه الآية ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته**﴾[1] الآية.

وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة فقال: في إسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فيما أحسب، ثم ساق الحديث. وقال البزار: لا يروي متصلاً إلا بهذا الإسناد. وتفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور.

قال: وإنما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح[2] عن ابن عباس. انتهى، والكلبي متروك[3] لا يعتمد عليه.

وكذا أخرجه النحاس[4] بسند آخر فيه الواقدي.

---

(١) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٢) باذان، عن مولاته أم هانىء وعلي، وعنه السدي وغيره. أخرج له أصحاب السنن، قال أبو حاتم لا يحتج به، وفي التقريب: إنه مقبول.

(٣) محمد بن السائب، قال ابن الجوزي: إنه من كبار الوضاعين. وقال ابن حبان: يروي الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فلما احتيج إليه أخرجت الأرض أفلاذ كبدها، لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟! مات سنة ست وأربعين ومائة.

(٤) الإمام الحافظ الصدوق: أبو العباس، أحمد بن محمد بن عيسى المصري، ذو الرحلة الواسعة والمعرفة الجيدة، روى عنه الحاكم. مات سنة ست وسبعين وثلاثمائة، عن خمس وثمانين سنة.

وذكرها ابن إسحاق في السيرة مطولاً، وأسندها عن محمد بن كعب، وكذلك عن موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب الزهري.

وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي[1] ومحمد بن قيس وأورده من طريق الطبري.

وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط عن السدي.

ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب[2] عن يحيى بن كثير، عن الكلبي عن أبي صالح، وعن أبي بكر الهذلي[3]، وأيوب[4] عن عكرمة، وعن سليمان التيمي[5] عمن حدثه، ثلاثتهم عن ابن عباس.

(١) محمد بن كعب القرظي، نسبة إلى قريظة، عالم ثقة. ولد سنة أربعين، نزل الكوفة، ومات سنة عشرين ومائة.

(٢) عباد بن صهيب، قال البخاري والنسائي وأبو حاتم: متروك. وابن المديني: ذهب حديثه، وقال ابن حبان، يروي المناكير عن المشاهير، وقال أحمد: ما كان بصاحب كذب.

(٣) قيل اسمه: سلمى، وقيل: روح، ابن عبد الله، الأخباري، متروك الحديث، كما في التقريب. مات سنة سبع وستين ومائة، روى له ابن ماجه.

(٤) أيوب بن كيسان البصري. التابعي الصغير، قال فيه شعبة: أيوب سيد الفقهاء ما رأيت مثله. وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً حجة عدلاً جامعاً. ولد سنة أربع وستين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة.

(٥) سليمان بن بلال التيمي، مولاهم، أحد علماء البصرة. قال ابن سعد: كان بربرياً جميلاً حسن الهيئة، عاقلاً ثقة، كثير الحديث، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة.

وأوردها الطبري أيضاً من طريق العوفي[1] عن ابن عباس. ومعناهم كلهم في ذلك واحد.

[رأي ابن حجر في طرق القصة]

وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإما منقطع. لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً.

مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح.

أحدهما: ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد[2] عن ابن شهاب: حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام[3]، فذكر نحوه.

والثاني: ما أخرجه أيضاً من طريق المعتمر بن سليمان[4]، وحماد

---

(١) عطية بن سعد بن جنادة، الجدلي الكوفي، أبو الحسن، صدوق شيعي مدلس، يخطىء كثيراً. إلا أن الترمذي يحسن حديثه خصوصاً مع الشاهد. مات سنة إحدى عشرة ومائة. أخرج له أبو داود والنسائي والترمذي.

(٢) الحافظ، روى عن الزهري ونافع وغيرهما، وعنه: الليث وابن وهب وغيرهما مات بمصر سنة سبع وخمسين ومائة. روى له الجميع ووثقه الجمهور مطلقاً.

(٣) أبو بكر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، الثقة، أحد الفقهاء السبعة التابعي الكبير، كثير الحديث، من سادات قريش. ولد في خلافة عمر، ومات سنة ثلاث وتسعين.

(٤) ابن طرخان التيمي، الثقة الحافظ، البصري المتوفى بها سنة سبع وثمانين ومائة، روى له الستة.

ابن سلمة[1] كلاهما عن داود بن أبي هند[2]، عن أبي العالية[3].

قال الحافظ ابن حجر[4]: وقد تجرأ ابن العربي[5] ـ كعادته ـ فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها. وهو إطلاق مردود عليه.

وكذا قول القاضي عياض:

«هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، مع ضعف نقلته، واضطراب رواياته وانقطاع إسناده»

وكذا قوله: «ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية».

قال: «وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره، إلا

---

(١) حماد بن سلمة بن دينار المصري، أحد الأئمة الأثبات، العابد الزاهد الحافظ، مجاب الدعوة، احتج به مسلم والأربعة، والبخاري في التاريخ. مات سنة سبع وستين ومائة.

(٢) داود بن أبي هند القشيري، مولاهم، أبو بكر، أو أبو محمد، ثقة متقن أخرج له مسلم والأربعة مات سنة أربعين ومائة.

(٣) رفيع بن مهران الرياحي البصري، التابعي الكبير، أسلم بعد الوفاة النبوية بسنتين قيل فيه: ليس بعد الصحابة أعلم منه بالقرآن، مات سنة تسعين.

(٤) ما زال الكلام لابن حجر، وقد استمر النقل عنه حتى نهاية بحث الغرانيق. فتح الباري ٨/٤٣٩.

(٥) الحافظ المتبحر في العلوم، محمد بن عبد الله الاشبيلي المالكي، القاضي، أبو بكر، له التصانيف الحسنة والمناقب الجمة. توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة.

طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير، مع الشك الذي وقع في وصله. وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه».

«ثم رده من طريق النظر: بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم. قال: ولم ينقل ذلك». انتهى[1].

وجميع ذلك لا يتمشى مع القواعد:

فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلاً.

وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض.

وإذا تقرر ذلك: تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر، وهو قوله: ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى. فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره، لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته.

[تأويل القصة]

وقد سلك العلماء في ذلك مسالك:

٢٩/ب ● فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة، / وهو لا يشعر، فلما علم بذلك أحكم الله آياته، وهذا أخرجه الطبري عن قتادة.

---

(١) انتهى كلام القاضي عياض كما نقله عنه فتح الباري.

ورده القاضي: عياض: بأنه لا يصح، لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم.

● وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره.

ورده ابن العربي بقوله تعالى، حكاية عن الشيطان: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ الآية[1]، قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة.

● وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك، فعلق بحفظه ﷺ فجرى ذلك على لسانه لما ذكرهم سهواً.

وقد رد ذلك القاضي عياض فأجاد.

● وقيل: لعله قال ذلك توبيخاً للكفار.

قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كانت هناك قرينة تدل على المراد، ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت جائزاً في الصلاة.

وإلى هذا نحا الباقلاني[2].

● وقيل: إنه لما وصل إلى قوله: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به فبادروا إلى ذلك الكلام، فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم: (لا تسمعوا لهذا

---

(١) سورة إبراهيم. الآية ٢٢.

(٢) القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب الباقلاني البصري ثم البغداي، الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة، الأصولي الأشعري المالكي. انتهت إليه رياسة المالكية في وقته، وكان حسن الفقه عظيم الجدل. توفي سنة ثلاث وأربعمائة.

القرآن والغوا فيه) ونسب ذلك إلى الشيطان لكونه الحامل لهم على ذلك. أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

● وقيل المراد بالغرانيق العلى، الملائكة، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله، ويعبدونها، فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله: ﴿**ألكم الذكر وله الأنثى**﴾ فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع، وقالوا: إنه عظم آلهتنا ورضوا بذلك، فنسخ الله تينك الكلمتين وأحكم آياته.

● وقيل: كان النبي ﷺ يرتل القرآن، فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمة النبي ﷺ بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله، وأشاعها.

قال[1]: وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ما ورد عن ابن عباس في تفسير «تمنى» بـ «تلا».

وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال: معنى قوله: في أمنيته، أي في تلاوته، فأخبر الله تعالى في هذه الآية أن سنة الله في رسله، إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه، فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي ﷺ، لا أن النبي ﷺ قاله.

وقد سبق إلى ذلك الطبري، مع جلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر، فصوب هذا المعنى. انتهى[2].

---

(١) أي القاضي عياض.

(٢) انتهى كلام فتح الباري ٨/٤٣٩ ـ ٤٤٠.

أقول: كل هذا لا حاجة له بعد أن أبطلنا أصل القصة. انظر تعليقنا في أول الموضوع [المحقق].

[الهجرة الثانية الى الحبشة]

[عدد المهاجرين]

ثم هاجر المسلمون الثانية إلى أرض الحبشة. وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلاً إن كان عمار بن ياسر فيهم، وثماني عشرة امرأة(١).

---

(١) [رسولا قريش إلى النجاشي]
روى أحمد بإسناد حسن عن ابن مسعود قال: بعثت قريش عمرو بن العاصي وعمارة بن الوليد بهدية، فقدما على النجاشي، فدخلا عليه وسجدا له، وابتدراه فقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله، فقالا: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك، ورغبوا عنا وعن ملتنا، قال: وأين هم؟ قال: هم بأرضك. فأرسل في طلبهم، فقال جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه، فدخل فسلم، فقالوا: مالك لا تسجد للملك؟ فقال: إنا لا نسجد إلا لله عز وجل، قالوا: ولم ذلك؟ قال: إن الله أرسل فينا رسولاً، وأمرنا أن لا نسجد إلا لله وأمرنا بالصلاة والزكاة.

قال عمرو: فإنهم يخالفونك في ابن مريم وأمه. قال: فما تقولون فيهما؟ قال: نقول كما قال الله: روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يفرضها ولد.
فرفع النجاشي عوداً من الأرض فقال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيد على الذي نقول فيه ما يسوي هذا. مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، فإنه الذي نجد في الإنجيل... وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما. [المسند ١/٤٦١].

وكان معهم عبيد الله بن جحش مع امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فتنصر هناك ثم توفي على دين النصرانية. وتزوج رسول الله ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان سنة سبع من الهجرة إلى المدينة، وهي بالحبشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في المقصد الثاني عند ذكر أزواجه ﷺ.

[خروج أبي بكر مهاجراً]

وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً إلى الحبشة حتى بلغ برك الغماد[1]، ورجع في جوار سيد القارة، مالك بن الدغنة ـ بفتح الدال المهملة وكسر الغين المعجمة، وتخفيف النون. وبضم الدال والغين وتشديد النون ـ يعبد ربه في داره، وابتنى مسجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقصف[2] عليه نساء المشركين وأبناؤهم، ويعجبون منه. وكان أبو بكر رجلاً بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فقالوا لابن الدغنة: إنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك.

فقال أبو بكر لابن الدغنة: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله. الحديث رواه البخاري[3].

(١) بَرْك الغِماد: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن. هذا ما رجحه ابن حجر.

(٢) قال الحافظ وأطلق «يتقصف» مبالغة، يعني لأنهم لم يصلوا إلى هذه الحالة.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٢٩٧.

[نقض الصحيفة]

ثم قام رجال في نقض الصحيفة[1]، فأطلع / الله نبيه ﷺ على أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم، فلم تدع إلا اسم الله تعالى فقط، فلما أنزلت لتمزق وجدت كما قال ﷺ. وذلك في السنة العاشرة.

---

(١) وأشدهم في ذلك صنيعاً، هشام بن عمرو بن الحارث العامري - أسلم بعد ذلك - وكان يصلهم في الشعب. أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاماً. . .
مشى هشام إلى زهير بن أبي أمية - أسلم بعد -، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال: يا زهير، أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت؟ فقال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟ فإنما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها، فقال: أنا معك، فقال: أبغنا ثالثاً. .
ومشيا جميعاً إلى المطعم بن عدي فقالا له: أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد، فقال: إنما أنا واحد، فقالا إنا معك. فقال: ابغنا رابعاً. فذهب إلى أبي البختري بن هشام، فقال: ابغنا خامساً. فذهب إلى زمعة بن الأسود.
فقعدوا ليلاً بأعلى مكة، وتعاقدوا على ذلك، فلما جلسوا في الحجر تكلموا في ذلك وأنكروه، فقال أبو جهل: أمر قضي بليل.
وفي آخر الأمر قاموا إلى الصحيفة. . فوجدوا الأرضة قد أكلتها إلا «باسمك اللهم». هذا ملخص ما ذكره ابن إسحاق [سيرة ابن هشام ١/ ٣٧٥].

[عام الحزن]

[وفاة أبي طالب]

ولما أتت عليه ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، مات عمه أبو طالب، وله سبع وثمانون سنة.

وقيل في النصف من شوال من السنة العاشرة.

وقال ابن الجزار: قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين.

[دعوته إلى الإسلام]

وروي أنه ﷺ كان يقول له عند موته: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة.

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ قال له: والله يا ابن أخي، لولا مخافة قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها، لا أقولها إلا لأسرك بها. فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه، فأصغى إليه بأذنه فقال: يا ابن أخي، والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها. فقال ﷺ: لم أسمعه. كذا رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت.

ورواه البيهقي في الدلائل من طريق يونس بن بكير عن ابن

إسحاق حدثنا العباس عن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس فذكره، وقال البيهقي: إنه منقطع[1].

وأجيب عنه: بأن شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم كانت مقبولة ولم ترد بقوله ﷺ لم أسمع، لأن الشاهد العدل إذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه: لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع. ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم.

[موت أبي طالب كافراً]

مع أن الصحيح من الحديث قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك، كما روينا في صحيح البخاري من حديث سعيد بن المسيب[2]. حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. قال رسول الله ﷺ والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى: **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى﴾**[3] وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[4].

وأجيب أيضاً بأن أبا طالب لو قال كلمة التوحيد، ما نهى الله

---

(١) هذه الفقرة - رواية البيهقي - ليست في ش.

(٢) رقم الحديث ٤٧٧٢.

(٣) سورة التوبة. الآية ١١٣. وهذه السورة مدنية فلا يشكل بأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة بثلاث سنين. فالآية مستثناة منها كما نقله في الإتقان.

(٤) سورة القصص الآية ٥٦.

ـعالى نبيه ﷺ عن الاستغفار له[1].

وفي الصحيح[2] عن العباس أنه قال لرسول الله ﷺ: إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك، فهل ينفعه ذلك؟ قال: نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح[3].

وفي رواية الصحيح أيضاً أنه ﷺ قال: لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه.[4]

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة فقال: يغلي منه دماغه حتى يسيل على قدميه.

قال السهيلي: من باب النظر في حكمة الله، ومشاكلة الجزاء للعمل؛ أن أبا طالب كان مع رسول الله ﷺ بجملته متحزباً له، إلا أنه كان متثبتاً بقدميه على ملة عبد المطلب، حتى قال عند الموت: أنا على ملة عبد المطلب، فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته إياهما على ملة آبائه. ثبتنا الله على الصراط المستقيم.

وفي شرح التنقيح[5] للقرافي[6]: الكفار أربعة أقسام[7]، فذكر

---

(١) هذه الفقرة من قوله: وأجيب. ليست في ش.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٨٨٣ ومسلم برقم ٢٠٩.

(٣) الضحضاح: ما رق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار [من شرح مسلم].

(٤) رواه البخاري برقم ٣٨٨٥ ومسلم برقم ٢١٠.

(٥) شرح التنقيح في الأصول. المتن والشرح للقرافي.

(٦) العلامة شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن إدريس الصنهاجي، البارع في العلوم ذو التصانيف الشهيرة: كالقواعد والذخيرة وشرح المحصول. مات سنة أربع وثمانين وستمائة. ودفن بالقرافة.

(٧) والأربعة حكاها ابن الأثير في النهاية وكذا البغوي وهي: =

منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم الإذعان للفروع، كما حكي عن أبي طالب أنه كان يقول: إني لأعلم أن ما يقوله ابن أخي لحق، ولولا أني أخاف أن تعيرني نساء قريش لاتبعته. وفي شعره يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... يقينا ولا يعزى لقول الأباطل

فإن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن. انتهى.

[وصية أبي طالب لقريش]

وحكي عن هشام بن السائب / الكلبي، أو أبيه أنه قال: لما ٣٠/ب حضرت أبا طالب الوفاة، جمع إليه وجوه قريش، فأوصاهم فقال:

يا معشر قريش، أنتم صفوة الله من خلقه.. إلى أن قال: وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل الوبر والأطراف، والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته، وصدقوا كلمته، وعظموا أمره، فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذناباً، ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً، وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده، قد محضته العرب ودادها، وأصغت له فؤادها، وأعطته قيادها، يا معشر قريش،

= - كفر إنكار: وهو أن لا يعرف الله بقلبه ولا يعترف باللسان.
- وكفر جحود: وهو من عرفه بقلبه دون لسانه، كإبليس واليهود.
- وكفر نفاق: وهو المقر باللسان دون القلب.
- وكفر عناد: وهو أن يعرفه بقلبه ويعترف بلسانه، ولا يدين به كأبي طالب.

قال البغوي: وجميع الأربعة سواء في أن الله لا يغفر لأصحابها إذا ماتوا.

كونوا له ولاة، ولحزبه حماة، والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي. ثم هلك.

[وفاة خديجة]

ثم بعد ذلك بثلاثة أيام - وقيل: بخمسة - في رمضان، بعد البعث بعشر سنين، على الصحيح، ماتت خديجة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يسمي ذلك العام عام الحزن، فيما ذكر صاعد[1]

وكانت مدة إقامتها معه ﷺ خمساً وعشرين سنة على الصحيح.

ثم بعد أيام من موت خديجة تزوج عليه السلام سودة بنت زمعة.

---

(١) صاعد بن عبيد البجلي، أبو محمد، الحراني. مقبول من كبار العاشرة، كما في التقريب، يعني الطبقة التي أخذت عن تبع التابعين.

[الخروج الى الطائف]

ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر، في ليال بقين من شوال، سنة عشر من النبوة. لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب. وكان معه زيد بن حارثة[1].

فأقام به شهراً، يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه[2] وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه.

قال موسى بن عقبة: ورجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره: وكان إذا أزلقته[3] الحجارة قعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه فيقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، وزيد ابن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شج في رأسه شجاجاً.

---

(١) هذه رواية ابن سعد. وذكر ابن عقبة وابن إسحاق وغيرهما: أنه خرج وحده ماشياً.

(٢) هم عبد ياليل، ومسعود، وحبيب: فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك، والثاني: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك، والثالث: والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسول الله لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك. [كذا عند ابن إسحاق والواقدي وغيرهما].

(٣) أي: آلمته.

وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت للنبي ﷺ، هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد، قال: لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت ـ وأنا مهموم ـ على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[1]. قال ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً[2].

- وعبد ياليل ـ بالتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام ـ ابن عبد كلال ـ بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام ـ وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف.
- وقرن الثعالب: هو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل.

وأفاد ابن سعد: أن مدة إقامته ﷺ بالطائف كانت عشرة أيام.

[إسلام عداس]

ولما انصرف ﷺ عن أهل الطائف، مر في طريقه بعتبة وشيبة

(١) الأخشبان هما جبلا مكة. أبو قبيس والذي يقابله قعيقعان.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٢٣١ ومسلم ـ واللفظ له ـ برقم ١٧٩٥.

ابني ربيعة وهما في حائط لهما، فلما رأيا ما لقي تحركت له رحمهما، فبعثا له مع عداس النصراني ـ غلامهما ـ قطف عنب، فلما وضع ﷺ يده في القطف قال: بسم الله، ثم أكل، / فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: ١/٣١ والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هٰذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت. وما دينك؟ قال نصراني من نينوى. فقال ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال: وما يدريك؟ قال: ذاك أخي، وهو نبي مثلي. فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم [1].

[ذكر الجن]

ولما نزل نخلة ـ وهو موضع على ليلة من مكة ـ صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين ـ مدينة بالشام ـ وكان ﷺ قد قام في جوف الليل يصلي فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن.

وفي الصحيح أن الذي آذنه ﷺ بالجن ليلة الجن شجرة، وأنهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعر علف لدوابكم [2].

وفي هذا رد على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب.

---

(١) رواه ابن إسحاق وغيره، وفيه عند ابن إسحاق: يقول ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي، ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه. [سيرة ابن هشام ١/٤٢١].

(٢) رواه مسلم برقم (٤٥٠).

وذكر صاحب الروض من أسماء السبعة الذين أتوه ﷺ، عن ابن دريد: منشي وناشي وشاصر وماضر والأحقب. لم يزد تسمية على هؤلاء.

قال الحافظ ابن كثير: وقد ذكر ابن إسحاق خروجه عليه السلام إلى أهل الطائف ودعاءه إياهم، وأنه لما انصرف عنهم بات بنخلة، فقرأ تلك الليلة من القرآن، فاستمعه الجن من أهل نصيبين.

قال: وهٰذا صحيح، لٰكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر، فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء، ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال: كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً، فيكون ما سمعوه حقاً وما زادوه باطلاً، وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك، فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب منه، فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هذا إلا من أمر قد حدث، فبعث جنوده فإذا بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض[1].

ورواه النسائي وصححه الترمذي.

قال: وخروجه ﷺ إلى الطائف كان بعد موت عمه.

وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا، فأنزل الله عز وجل: **﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾** الآية[2].

---

(١) المسند ١/٢٧٤، ورواه الشيخان بنحوه ولم يعزه لهما لزيادة فيها ذكر على روايتهما.

(٢) سورة الأحقاف. الآية ٢٩.

فهذا مع رواية ابن عباس تقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسالاً، قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج. انتهى.

[دعاء]

وفي طريقه - عليه السلام - هذه، دعا بالدعاء المشهور:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين، وأنت رب المستضعفين، إلى من تكلني إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكته أمري، إن لم تكن غضبانَ علي[1] فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن ينزل بي غضبك، أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

أورده ابن إسحاق[2]، ورواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبدالله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب، خرج النبي ﷺ ماشياً إلى الطائف، فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إليك أشكو. فذكره.

وقوله: يتجهمني - بتقديم الجيم على الهاء - أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه.

(١) وفي رواية: إن لم يكن بك غضب، وفي أخرى: إن لم تكن ساخطاً..

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٠.

[العودة إلى مكة]

ثم دخل ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي(١).

(١) ذكر ابن إسحاق، وكذا الفاكهي بإسناد حسن مرسل: أنه ﷺ بعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق ليجيره، فقال: أنا حليف، والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بني عامر لا تجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه، فدخل ﷺ فبات عنده، فلما أصبح تسلح المطعم هو وبنوه ـ وهم ستة أو سبعة ـ فقالوا له ﷺ: طف، واحتبسوا بحمائل سيوفهم بالمطاف، فقال أبو سفيان للمطعم: أمجير أم تابع؟ قال: بل مجير، قال: إذن لا تخفر، قد أجرنا من أجرت، فقضى ﷺ طوافه وانصرفوا معه إلى منزله.

[وقت الإسراء[1]]

[ملخص قصة الإسراء]

ولما كان في شهر ربيع الأول أسري بروحه وجسده يقظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى/، ثم عرج به من المسجد الأقصى ٣١/ب إلى فوق سبع سماوات، ورأى ربه بعيني رأسه، وأوحى الله إليه ما أوحى، وفرض عليه الصلوات الخمس، ثم انصرف في ليلته إلى مكة.

فأخبر بذلك، فصدقه الصديق، وكل من آمن بالله.

وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد[2] بيت المقدس، فمثله الله له، فجعل ينظر إليه ويصفه.

[وقت الإسراء]

قال الزهري: وكان ذلك بعد المبعث بخمس سنين.[3] حكاه عنه القاضي عياض، ورجحه القرطبي والنووي. واحتج: بأنه لا

(١) تفصيل الإسراء والمعراج سيأتي إن شاء الله في المقصد الخامس، وإنما ذكر هنا زمن وقوعه مراعاة لالتزامه ترتيب الوقائع.
(٢) سقطت من ط.
(٣) الذي في فتح الباري عن الزهري: قبل الهجرة بخمس سنين [٧/٢٠٣].

خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة إما بثلاث أو بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء.

وتعقب: بأن موت خديجة بعد البعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان، وذلك قبل أن تفرض الصلاة. ويؤيده إطلاق حديث عائشة أن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلوات الخمس. ويلزم منه أن يكون موتها قبل الإسراء وهو المعتمد، وأما التردد في سنة وفاتها فيرده جزم عائشة بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر.

وقيل: قبل الهجرة بسنة. قاله ابن حزم، وادعى فيه الإجماع.

وقيل: قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر، قاله السدي وأخرجه من طريقه الطبري والبيهقي، فعلى هذا كان في شوال.

وقيل: كان في رجب. حكاه ابن عبد البر، وقَبْله ابن قتيبة، وبه جزم النووي في الروضة.

وقيل: كان قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر، فعلى هٰذا يكون في ذي الحجة، وبه جزم ابن فارس[1].

وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، ذكره ابن الأثير

وقال الحربي[2]: إنه كان في سابع عشري ربيع الآخر، وكذا

---

(١) أحمد بن فارس، أبو الحسين الرازي، اللغوي، الإمام في علوم شتى، المالكي الفقيه، غلب عليه علم النحو ولسان العرب، فشهر به، له مصنفات وأشعار جيدة، مات سنة تسعين وثلاثمائة.

(٢) إبراهيم بن إسحاق الحربي - نسبة إلى محلة الحربية ببغداد - البغدادي، =

قال النووي في فتاويه، لكن قال في شرح مسلم: في ربيع الأول.

وقيل: كان ليلة السابع والعشرين من رجب، واختاره الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي[1].

[اليوم التالي ليلة الإسراء]

وأما اليوم الذي يسفر عن ليلتها، فقيل الجمعة، وقيل السبت، وعن ابن دحية: يكون إن شاء الله يوم الإثنين، ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة، فإن هذه أطوار الانتقالات: وجوداً ونبوة ومعراجاً وهجرة ووفاة.

وسيأتي إن شاء الله تعالى في قصة الإسراء والمعراج وما فيهما من المباحث والله الموفق والمعين.

= الحافظ، شيخ الإسلام، الإمام البارع في العلوم، الزاهد، مات سنة خمس وسبعين ومائتين.

(١) عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي - نسبة لجد أبيه - الحنبلي، الإمام، أوحد زمانه في الحديث والحفظ، الزاهد العابد، صاحب العمدة والكمال وغير ذلك، نزل مصر آخر عمره، ومات بها سنة ستمائة، وله تسع وخمسون سنة.

[عرضه ﷺ نفسه على القبائل]

[اللقاء الأول مع الأنصار]

ولما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له، خرج ﷺ في الموسم الذي لقي فيه الأنصار(١) ـ الأوس والخزرج ـ.

فعرض نفسه ﷺ على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم(٢)، فبينما هو عند العقبة، لقي رهطاً من الخزرج، أراد الله بهم

---

(١) جمع ناصر، كأصحاب وصاحب.
وهم الأوس والخزرج الذين سماهم رسول الله ﷺ الأنصار، لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره. [كما في حديث ابن عباس عند الحاكم وأبي نعيم والبيهقي].

(٢) قال موسى بن عقبة عن الزهري: كان قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل، ويكلم كل شريف قوم، لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه، ويقول: لا أكره أحداً منكم على شيء، بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالات ربي، فلا يقبله أحد، بل يقولون: قوم الرجل أعلم به.
وعن جابر ـ عند أحمد وأصحاب السنن ـ كان ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي..
وذكر الواقدي بعض هذه القبائل ومنها: بنو عامر بن صعصعة، ومحارب وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس، وبنو نصر، وكنده وكعب، وعذرة، والحضارمة.

خيراً، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج، قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله، وعرض عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان من صنع الله، أن اليهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب، وكان الأوس والخزرج أكثر منهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا: إن نبياً سيبعث الآن، قد أظل زمانه، نتبعه فنقتلكم معه. فلما كلمهم النبي ﷺ عرفوا النعت، فقال بعضهم لبعض: لا تسبقنا اليهود إليه.

فأجابوه إلى ما دعاهم إليه، وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، فأسلم منهم ستة نفر وكلهم من الخزرج وهم:

أبو أمامة، أسعد بن زرارة.

وعوف بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء.

ورافع بن مالك بن العجلان.

وقطبة بن عامر بن حديدة.

وعقبة بن عامر بن نابي.

وجابر بن عبد الله بن رئاب، وليس بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام.

ومن أهل العلم بالسير، من يجعل/ فيهم عبادة بن الصامت، ويسقط جابر بن رئاب. ١/٣٢

فقال لهم النبي ﷺ: تمنعون ظهري حتى أبلغ رسالة ربي.

فقالوا: يا رسول الله، إنما كانت بعاث[1] عام الأول، يوم من

(١) وقعة بين الأوس والخزرج، قتل فيها كثير منهم، وكان رئيس الأوس: =

أيامنا، اقتتلنا به، فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع، فـدعنا حتى نـرجع إلى عشـائرنـا، لعل الله أن يصلح ذات بيننـا، وندعوهم إلى ما دعوتنا، فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك، ومـوعدك المـوسم العام القابل.

وانصرفوا إلى المدينة. ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ.

[بيعة العقبة الأولى]

فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلاً - وفي الإكليـل[1]: أحد عشر - وهي العقبة الثانية[2]، فيهم خمسة من الستة المذكورين، وهم: أبو أمامة. وعوف بن عفراء، ورافع بن مالك وقطبة بن عامر ابن حديدة، وعقبة بن عامر بن نابي، ولم يكن فيهم جابر بن عبد الله ابن رئاب لم يحضرها. والسبعة تتمة الاثني عشر هم:

معاذ بن الحارث بن رفاعة، وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور.

وذكوان بن عبد قيس الزرقي، وقيل إنه رحل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها معه، فهو مهاجري أنصاري قتل يوم أحد.

وعبادة بن الصامت بن قيس.

= حضير والد أسيد الصحابي. ورئيس الخزرج: عمرو بن النعمان البياضي. وقتلا يومئذ. وكان النصر فيهـا أولاً للخزرج، ثم ثبتهم حضـير فرجعـوا وانتصرت الأوس.

(١) اسم كتاب للحاكم.

(٢) عدها ابن إسحاق وغيره «أولى» باعتبار المبايعة.

وأبو عبد الرحمن، يزيد بن ثعلبة البلوي.
والعباس بن عبادة بن نضلة.

وهؤلاء من الخزرج، ومن الأوس رجلان:
أبو الهيثم بن التيهان، من بني عبد الأشهل.
وعويم بن ساعدة.

فأسلموا وبايعوا على بيعة النساء[1]، أي وفق بيعتهم التي نزلت بعد ذلك عند فتح مكة وهي: أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، والسمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم. قال ﷺ: فإن وفيتم فلكم الجنة، ومن غشي من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه. ولم يفرض يومئذ القتال[2].

ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام.
وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم[3].

---

(١) رجح الحافظ أن المبايعة ليلة العقبة إنما كانت على الإيواء والنصر وما يتعلق بذلك، وأما على الصفة المذكورة فإنما هي بعد فتح مكة، بدليل ما في البخاري من حديث عبادة: أنه ﷺ لما بايعهم قرأ الآية كلها.
وقال المصنف: الراجح أن التصريح بذلك ـ أي بأن بيعة العقبة وقعت على وفق بيعة النساء ـ وهم من بعض الرواة.
(٢) أخرجه الشيخان وغيرهما بألفاظ متقاربة.
(٣) أي يقيم لهم الجمعة، بمعاونة مصعب الذي نزل عليه، فلا تعارض بين هذا وبين حديث الدارقطني الآتي.

[مصعب في المدينة]

وكتبت الأوس والخزرج إلى النبي ﷺ: ابعث إلينا من يقرئنا القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير.

وروى الدارقطني عن ابن عباس أن النبي ﷺ كتب إلى مصعب ابن عمير أن يجمع بهم.. الحديث، وكانوا أربعين رجلاً.

فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الأنصار، وأسلم في جماعتهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير(١)، وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل في يوم واحد، الرجال والنساء، ولم يبق منهم أحد إلا

(١) ومن قصة إسلامهما: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب يريد دار بني عبد الأشهل، فجلسا في حائط لبني ظفر واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وكان سعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدي بني عبد الأشهل. فقال سعد لأسيد انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما.. فذهب أسيد إليهما، فلما رآه أسعد قال لمصعب: هذا سيد قومه، فاصدق الله فيه، قال مصعب إن يجلس أكلمه... فوقف عليهما متشتماً وقال: اعتزلانا إن كان لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته، كف عنك ما تكره؟ قال أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب وقرأ عليه القرآن.. فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام.. ثم أسلم، ثم قال إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ.
وجاء سعد.. وسمع.. وأسلم ثم رجع إلى قومه فقال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم قالوا: سيدنا وأفضلنا.. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.. قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة [ملخصاً. من سيرة ابن هشام ١/٤٣٥ ـ ٤٣٧. المحقق].

أسلم، حاشا الأصيرم، وهو عمرو بن ثابت بن وقش، فإنه تأخر بإسلامه إلى يوم أحد، فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة واحدة، وأخبر رسول الله ﷺ أنه من أهل الجنة[١]. ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة، بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضي الله عنهم.

[بيعة العقبة الثانية]

ثم قدم على النبي ﷺ في العقبة الثالثة في العام المقبل في ذي الحجة، أوسط أيام التشريق منهم سبعون رجلاً ـ وقال ابن سعد: يزيدون رجلاً أو رجلين ـ وامرأتان.

وقال ابن إسحاق: ثلاثة وسبعون وامرأتان[٢].

وقال الحاكم: خمسة وسبعون نفساً.

فكان أول من ضرب على يده الشريفة عليه السلام البراء بن معرور. ويقال: أبو الهيثم[٣]، ويقال أسعد بن زرارة، على أنهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وعلى حرب الأحمر والأسود [٤].

---

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن

(٢) هما: نسيبة بنت كعب المازنية، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، كما قال ابن إسحاق.

(٣) لم يذكر في ش.

(٤) لم يرد ذكر حرب الأحمر والأسود في نص البيعة، ولم تكن الآيات قد نزلت بالإذن بالقتال. وإنما كانت البيعة كما وردت في حديث جابر (وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناكم ولكم الجنة) كما في المسند ٣٢٢/٣ ولذا أطال ﷺ الشورى يوم بدر =

وكانت أول آية نزلت في الإذن بالقتال ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ الآية[1] وفي الإكليل ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾[2] الآية.[3] /٣٢/ب

ونقب عليهم اثني عشر نقيباً[4].

وفي حديث جابر عند أحمد بإسناد حسن، وصححه الحاكم وابن حبان: مكث ﷺ عشر سنين يتتبع الناس في منازلهم في المواسم بمنى وغيرها، يقول: من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ حتى بعثنا الله إليه من يثرب، فذكر الحديث. وفيه: وعلى أن تنصروني إذا قدمت عليكم بيثرب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم

= وكان إنما يريد رأي الأنصار، لأن البيعة كانت على أن يمنعوه لا أن يخرج بهم إلى القتال.

ولعل المصنف وغيره ممن ذكروا أن البيعة كانت على حرب الأحمر والأسود.. لعلهم فهموا ذلك من أقوال بعض الصحابة يوم البيعة من مثل قول أسعد بن زرارة: إن إخراجه اليوم مفارقة للعرب كافة وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف. [المحقق].

(١) سورة الحج. الآية ٣٩.

(٢) سورة التوبة. الآية ١١١.

(٣) ذكر الآيتين استطراداً لمناسبة المبايعة.

(٤) قال ابن إسحاق.

تسعة من الخزرج هم: أسعد بن زرارة، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع. ورافع بن مالك، وأبو جابر عبد الله بن عمرو، والبراء بن معرور، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبادة بن الصامت.

وثلاثة من الأوس هم: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر.

وقال ﷺ للنقباء: أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم.

وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة. الحديث[1].

وحضر العباس العقبة تلك الليلة متوثقاً لرسول الله ﷺ، ومؤكداً على أهل يثرب، وكان يومئذ على دين قومه[2].

---

(١) المسند ٣/٣٢٢.

(٢) وكان أول متكلم فقال: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه، ومنعة في بلده، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.
فقالوا: قد سمعنا ما قلت. فتكلم يا رسول الله، فخذ لربك ولنفسك ما أحببت الحديث - ذكره ابن إسحاق.

[الهجرة الى المدينة]

[الإذن بالهجرة للصحابة]

قال ابن إسحاق: ولما تمت بيعة هؤلاء لـرسول الله ﷺ ليلة العقبة، وكانت سراً عن كفار قريش[١]، أمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة.

فخرجوا أرسالاً، وأقام بمكـة ينتظر أن يؤذن لـه في الخروج، فكان أول من هاجر من مكة إلى المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد، قبل بيعة العقبة بسنة، قدم من الحبشة لمكة، فآذاه أهلها، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار[٢] فخرج إليهم.

ثم عامر بن ربيعة وامرأته ليلى، ثم عبد الله بن جحش. ثم المسلمون أرسالاً، ثم عمر بن الخطاب وأخـوه زيد وعيـاش بن أبي ربيعة في عشرين راكباً، فقدموا المدينة فنزلوا في العوالي.

ثم خرج عثمان بن عفان، حتى لم يبقَ معه ﷺ إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر. كذا قاله ابن إسحاق، قال مغلطاي وفيه نظر لما يأتي بعده[٣].

---

(١) وكذلك عن الكفار من الأوس والخزرج.

(٢) أي الاثنا عشر أصحاب بيعة العقبة الأولى.

(٣) المقصود: لم يبق ممن قدر على الخروج ولم يكن ممن حبس وفتن.

وكان الصديق كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول: لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحباً، فيطمع أبو بكر أن يكون هو.

[شورى قريش]

ثم اجتمع قريش ومعهم إبليس، في صورة شيخ نجدي، في دار الندوة، دار قصي بن كلاب، وكانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيها يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام، فاجتمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك[1].

فإن قيل: لم تمثل الشيطان في صورة نجدي؟

فالجواب[2]: لأنهم قالوا ـ كما ذكره بعض أهل السير ـ لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة، لأن هواهم مع محمد، فلذلك تمثل في صورة نجدي. انتهى.

[علي في الفراش]

ثم أتى جبريل النبي ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه، فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه، فأمر ﷺ عليا فنام مكانه[3]، وغطى ببرد

---

(١) كان رأي أبي البختري بن هشام: أن يحبسوه ويغلقوا عليه الأبواب وكان رأي أبي الأسود ربيعة بن عمرو العامري: أن ينفوه من مكة. ثم كان رأي أبي جهل أن يقتلوه. وأمن على هذا الرأي إبليس. [هذا ملخص رواية ابن إسحاق].

(٢) قاله السهيلي في الروض.

(٣) جاء في الإحياء: إن الله أوحى إلى جبريل وميكائيل: إني آخيت بينكما، =

أخضر، فكان أول من شرى نفسه [في الله ووقى بها رسول الله][1] وفي ذلك يقول [علي][2]:

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر

[المشركون حول بيته ﷺ]

ثم خرج ﷺ، وقد أخذ الله على أبصارهم، فلم يره أحد منهم، ونثر على رؤوسهم كلهم تراباً كان في يده، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿يس﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾. ثم انصرف عليه السلام حيث أراد.

= وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بحياة؟ فاختار كل منهما الحياة، فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله بك الملائكة، وفيه نزل (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) الآية.

قال الحافظ ابن تيمية: إنه كذب باتفاق علماء الحديث والسير.

وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: رواه أحمد مختصراً عن ابن عباس (شرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه.. الحديث، وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل، ولم أقف لهذه الزيادة على أصل، والحديث منكر.

ورد أيضاً: بأن الآية في البقرة وهي مدنية اتفاقاً، وقد صحح الحاكم نزولها في صهيب.

(١، ٢) في ش.

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا: محمداً، قال: قد خيبكم الله، قد والله خرج محمد عليكم، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل يده على رأسه، فإذا عليه تراب.

وفي رواية أبي حاتم، مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس: فما أصاب رجلاً منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً.

وفي هذه نزل قوله تعالى: ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك**﴾[1] الآية.

[الحكمة من هجرته ﷺ]

ثم أذن الله تعالى لنبيه ﷺ في الهجرة. قال ابن عباس: بقوله تعالى: ﴿**وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً**﴾[2] أخرجه الترمذي وصححه الحاكم.

فإن قلت ما الحكمة في هجرته/ ﷺ إلى المدينة وإقامته بها إلى أن انتقل إلى ربه عز وجل؟ ١/٣٣

أجيب: بأن حكمة الله تعالى قد اقتضت أنه عليه السلام تتشرف به الأشياء، لا أنه يتشرف بها، فلو بقي عليه السلام في مكة إلى انتقاله إلى ربه لكان يتوهم أنه قد تشرف بمكة، إذ أن شرفها قد سبق بالخليل وإسماعيل، فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) سورة الإسراء. الآية ٨٠ .

فأمره بالهجرة إلى المدينة، فلما هاجر إليها تشرفت به، حتى وقع الإجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه.

[تحديد يوم الهجرة]

وذكر الحاكم أن خروجه عليه السلام كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريباً منها.

وجزم ابن إسحاق: بأنه خرج أول يوم من ربيع الأول. فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوماً، وكذا جزم الأموي[1] ـ في المغازي ـ عن ابن إسحاق فقال: كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال. قال: وخرج لهلال ربيع الأول وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

قال في فتح الباري: وعلى هذا خرج يوم الخميس. وقال الحاكم: تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين، ودخوله المدينة كان يوم الإثنين، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال: إنه خرج من مكة يوم الخميس. ويجمع بينهما: بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين، لأنه أقام فيه ثلاث ليال: ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد، وخرج أثناء ليلة الإثنين.

وكانت مدة مقامه بمكة من حين النبوة إلى ذلك الوقت بضع

---

(١) يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي الأموي، أبو أيوب الكوفي، نزيل بغداد صدوق يضطرب من كبار التاسعة، مات سنة أربع وتسعين ومائتين.

عشرة سنة، ويدل عليه قول صرمة[1]:

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا[2]

وقيل غير ذلك.

[في بيت أبي بكر]

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر.

وأخبر عليه السلام علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس.

قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة: فبينما نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها. قال أبو بكر: فداء له أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر، قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل، فقال ﷺ لأبي بكر: أخرج من عندك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال السهيلي: وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه ﷺ قبل ذلك.

فقال ﷺ: إنه قد أذن لي في الخروج.

فقال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

قال ﷺ: نعم.

---

(١) صرمة بن أنس الأنصاري البخاري، صحابي له أشعار حسان، فيها حكم ووصايا، وكان قوالاً بالحق، معظماً في قومه، أدرك الإسلام شيخاً كبيراً، عاش عشرين ومائة سنة.

(٢) في ط موافياً.

فقال أبو بكر: فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله إحدى راحلتي [هاتين][1].

قال رسول الله ﷺ: بل بالثمن.

[الراحلة بالثمن]

فإن قلت: لم لم يقبلها إلا بالثمن، وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل؟

أجيب: بأنه إنما فعل ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكمال فضل الهجرة إلى الله، وأن يكون على أتم الأحوال. انتهى.

[ذات النطاقين]

قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، وصنعنا لهما سفرة من جراب[2] فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين.

[وداع مكة]

قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار ثور ـ جبل بأسفل مكة ـ.

وكان من قوله ﷺ حين خرج من مكة، لما وقف على الحزورة[3]، ونظر إلى البيت فقال: والله إنك لأحب أرض الله إلي،

---

(١) في ش.

(٢) كذا في جميع النسخ والذي في البخاري: في جراب.

(٣) سوق كان بمكة أدخل في المسجد.

وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت[1].

وهذا من أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة.

[إلى الغار]

ولم يعلم بخروجه عليه السلام إلا علي وآل أبي بكر.

وروي أنهما خرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ليلاً إلى الغار[2].

ولما فقدت/ قريش رسول الله ﷺ طلبوه بمكة، أعلاها ٣٣/ب وأسفلها، وبعثوا القافة أثره في كل وجه، فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالك، فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى إلى ثور.

وشق على قريش خروجه وجزعوا لذلك، وجعلوا مائة ناقة لمن رده.

ولله در الشيخ شرف الدين الأبوصيري[3] حيث قال:

ويح قوم جفوا نبيا بأرض ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع إليه وقلوه ووده الغرباء

---

(١) أخرجه أحمد والترمذي وصححه. بلفظ قريب [المسند ٤/٣٠٥].

(٢) من رواية الواقدي.

(٣) محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد، المغربي الأصل، البوصيري المنشأ. ولد سنة ثمان وستمائة، وبرع في النظم، قال فيه الحافظ ابن سيد الناس: هو أحسن من الجزار والوراق. مات سنة خمس وتسعين وستمائة. ذكره السيوطي.

أخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

يقال شجرة حصداء: أي كثيرة الورق، فكأنه استعاره للحمامة لكثرة ريشها.

وفي حديث مروي في الهجرة[1]، أنه عليه السلام ناداه ثبير: اهبط عني، فإني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب، فناداه حراء: إلي يا رسول الله [2].

[عند باب الغار]

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل[3] أن رسول الله ﷺ لما دخل الغار وأبو بكر معه، أنبت الله على بابه الراءة. قال قاسم: وهي شجرة معروفة، وهي أم غيلان. وعن أبي حنيفة[4]: تكون مثل قامة الإنسان لها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه، لأنه كالقطن، فحجبت عن الغار أعين الكفار[5].

وفي مسند البزار: أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء. وهذا الخبر ليس في: د.
(٢) الذي في الحديث الصحيح: أنهما وعدا الدليل غار ثور بعد ثلاث ليال. وهذا يقتضي أنهما ما خرجا إلا قاصدين إليه.
(٣) كتاب «الدلائل في شرح ما أغفل أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث» مات قاسم ولم يكمله، فأتمه أبوه ثابت، الحافظ المشهور.
(٤) الدينوري، لا الإمام.
(٥) جاء في كتاب أسنى المطالب للحوت ص ٣٠٤ طبعة إدارة إحياء التراث بقطر: أحاديث الشجرة على الغار لا أصل لها [م].

وجه الغار[1] وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار، وأن ذلك مما صد المشركين عنه، وأن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين.

ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وسيوفهم، فجعل بعضهم ينظر في الغار، فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار، فرجع إلى أصحابه فقالوا له: مالك؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت أنه ليس فيه أحد. وقال آخر: ادخلوا الغار، فقال أمية بن خلف: ما أربكم إلى الغار، إن فيه لعنكبوتاً أقدم من ميلاد محمد.

وقد روي أن الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج العنكبوت، فقالوا: لو دخلا لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت. وهذا أبلغ في الإعجاز من مقاومة القوم بالجنود.

[عبرة]

فتأمل كيف أظلت الشجرة المطلوب وأضلت الطالب، وجاءت العنكبوت فسدت باب الطلب، وحاكت وجه المكان فحاكت ثوب نسجها، فحاكت ستراً حتى عمي على القائف الطلب [ولله در القائل][2]:

والعنكبوت أجادت حوك حلتها فما تخال خلال النسج من خلل

(١) ذكر العنكبوت ورد عن ابن عباس عند أحمد ٣٤٨/١، ولكن أخبار العنكبوت والحمامتين لا تقف أمام الصحيح الآتي: وهو وقوفهم أمام الغار وقول أبي بكر لو نظر أحدهم مكان قدميه لرآنا [م].

(٢) في ط.

ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك، وما أحسن قول ابن النقيب[1]:

ودود القز إن نسجت حريرا يجمل لبسه في كل شي
فإن العنكبوت أجل منها بما نسجت على رأس النبي

وروي أنه ﷺ قال: اللهم أعم أبصارهم، فعميت عن دخوله، وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار. وهذا يشير إليه قول صاحب البردة:

أقسمت بالقمر المنشق إن له من قلبه نسبة مبرورة القسم
وما حوى الغار من خير ومن كرم وكل طرف من الكفار عنه عم
فالصدق في الغار والصديق لم يرما وهم يقولون ما بالغار من أرِم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

أي عموا عما في الغار مع خلق الله ذلك فيهم، لأنهم ظنوا أن الحمام لا يحوم حوله ﷺ وأن العنكبوت لا تنسج عليه لما جرت العادة أن هٰذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معموراً، فمهما أحسا بالإنسان فرا منه، وما علموا أن الله تعالى يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من عباده، وأن وقاية عبده بما شاء/ تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع، وعن التحصن بالعالي من الأطم، وهي الحصون، فلله در الأبو صيري شاعراً، وما أحسن قوله في قصيدته اللامية حيث قال: ١/٣٤

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبي معمور ومأهول

---

(١) محمد بن الحسن الكناني، من مشاهير الشعراء، مات سنة سبع وثمانين وستمائة.

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الـ صديق ليثان قد آواهما غيل
وجلل الغار نسج العنكبوت على وهن فياحبذا نسج وتجليل
عناية ضل كيد المشركين بها وما مكائدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما كأن أبصارهم من زيغها حول

[في الغار]

وفي الصحيح عن أنس قال أبو بكر: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرآنا، فقال له رسول الله ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما [(١)].

وروي أن أبا بكر قال: نظرت إلى قدمي رسول الله ﷺ في الغار وقد تفطرتا دماً فاستبكيت وعلمت أنه ﷺ لم يكن تعود الحفا والجفوة.

وروي أيضاً أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ ليقيه بنفسه، وأنه رأى جحراً فيه، فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله ﷺ فجعلت الحيات والأفاعي يضربنه ويلسعنه، فجعلت دموعه تتحدر. وفي رواية: فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجر أبي بكر فنام، فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: مالك يا أبا بكر؟ فقال

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد. [البخاري ٣٩٢٢ ومسلم ٢٣٨١].

لدغت فداك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ فذهب ما يجده[1]. رواه رزين[2].

وروي أيضاً: أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله ﷺ وقال إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة، فعندها قال له رسول الله ﷺ: لا تحزن إن الله معنا، يعني بالمعونة والنصر، فأنزل الله سكينته ـ وهي أمنة تسكن عندها القلوب ـ على أبي بكر لأنه كان منزعجاً[3]، وأيده ـ يعني النبي ﷺ ـ بجنود لم تروها من الملائكة ليحرسوه في الغار، أو ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته.

[تعليق على موقف أبي بكر]

انظر، لما رأى الرسول حزن الصديق قد اشتد لكن لا على نفسه، قوي قلبه ببشارة «لا تحزن إن الله معنا» وكانت تحفة «ثاني اثنين» مدخرة له دون الجميع، فهو الثاني في الإسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لما وقى الرسول ﷺ بماله ونفسه وجوزي

(١) قال في أسنى المطالب: ما يذكر أن الحية لدغت أبا بكر في الغار. باطل لا أصل له ص ٣٠٤ [م].

(٢) رزين بن معاوية، أبو الحسن العبدري الأندلسي المالكي، مؤلف تجريد الصحاح جمع فيه الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي. قال ابن بشكوال: كان صالحاً فاضلاً عالماً بالحديث وغيره، جاور بمكة أعواماً، وبها مات سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

(٣) الضمير في الآية عائد على صاحبه في قول الأكثر، قال البيضاوي: وهو الأظهر، لأن النبي ﷺ لم تزل السكينة معه. قاله ابن عباس كما رواه ابن مردويه والبيهقي وغيرهما.

بمواراته معه في رمسه، وقام مؤذن التشريف ينادي على منائر الأمصار «ثاني اثنين إذ هما في الغار» ولقد أحسن حسان حيث قال:

وثـاني اثنـين في الغـار المنيـف وقـد ... طـاف العـدو بـه إذ صـاعـد الجبلا
وكـان حب رسـول الله قـد علمـوا ... مـن الخـلائـق لم يـعـدل بـه بـدلا

وتأمل قول موسى عليه السلام لبني إسرائيل: ﴿كلا إن معي ربي سيهدين﴾ [1] وقول نبينا ﷺ للصديق: «إن الله معنـا» فموسى خص بشهود المعية ولم يتعد منه إلى أتباعه، ونبينا تعدى منه إلى الصديق، ولم يقل «معي» لأنه أمد أبا بكر بنوره فشهد سر المعية، ومن ثم سرى سر السكينة على أبي بكر، وإلا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود، وأين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام من معية الإلهية في قصة نبينا ﷺ. قاله العارف شمس الدين بن اللبان[2].

[تكرر نسج العنكبوت في التاريخ]

وأخـرج أبو نعيم في الحليـة عن عـطاء بن ميسرة[3]، قـال: نسجت العنكبوت مرتين، مرة على داود حين كان طالوت/ يطلبه، ٣٤/ب ومرة على النبي ﷺ في الغار.

وكذا نسجت على الغار الذي دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه

(١) سورة الشعراء. الآية ٦٢.
(٢) ابن اللبان، محمد بن أحمد الدمشقي ثم المصري. الشافعي الفقيه الأصولي النحوي الأديب الشاعر. اختصر الروضة ورتب الأم. مات بالطاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة.
(٣) عطاء بن ميسرة، الخراساني: صدوق يهم، ويرسل كثيراً، روى له مسلم والأربعة مات سنة خمس وثلاثين ومائة.

ﷺ لقتل خالد بن نبيح الهذلي بعرنة، فقتله ثم حمل رأسه ودخل في غار فنسجت عليه العنكبوت، وجاء الطلب فلم يجدوا شيئاً فانصرفوا راجعين.

وفي تاريخ ابن عساكر: أن العنكبوت نسجت أيضاً على عورة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لما صلب عرياناً في سنة إحدى وعشرين ومائة.

[مدة المكث في الغار وما حصل فيها]

وكان مكثه ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاث ليال[1]، وقيل بضعة عشر يوماً. والأول هو المشهور.

وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثقف - أي ثابت المعرفة بما يحتاج إليه لقن[2] - فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت معهم، فلا يسمع أمراً يكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامر بن فهيرة - مولى أبي بكر - منحة من غنم، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل[3]، وهو لبن منحتهما، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر، عبد الله بن الأريقط دليلاً -

---

(١) وهو القول الوارد في الصحيح.
(٢) لقن: - بفتح اللام وكسر القاف - أي سريع الفهم.
(٣) لبن طري (أي طازج).

وهو على دين كفار قريش، ولمْ يعرف له إسلام ـ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال.

[إلى خيمة أم معبد]

فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، فأخذ بهم على طريق السواحل، فمروا بقديد على أم معبد ـ عاتكة بنت خالد الخزاعية ـ وكانت برزة جلدة، تحتبي بفناء القبة، ثم تسقي وتطعم.

وكان القوم مرملين مسنتين، فطلبوا لبناً ولحماً يشترونه منها، فلم يجدوا عندها شيئاً، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، خلفها الجهد عن الغنم، فسألها رسول الله ﷺ هل بها من لبن؟ فقالت: لهي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ فقالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها، فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها، وسمى الله، فتفاجت ودرت، ودعا بإناء يربض الرهط ـ أي يشبع الجماعة حتى يربضوا ـ فحلب فيه ثجا وسقى القوم حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه مرة أخرى علا بعد نهل، ثم غادره عندها وذهبوا.

فقل ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد ـ قال السهيلي: لا يعرف اسمه، وقال العسكري: أكثم بن أبي الجون، ويقال: ابن الجون ـ يسوق أعنزاً عجافاً، يتساوكن هزالاً، مخهن قليل.

فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال: ما هذا يا أم معبد؟ أنى لك هذا والشاء عازب حيال، ولا حلوب في البيت؟ فقالت: لا والله،

إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا. فقال: صفيه يا أم معبد.

فقالت: رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة. مليح الوجه حسن الخلق، لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة، وسيم قسيم، في عينيه دعج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته صحل، أحور أكحل، أزج أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع، وفي لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، وكأن منطقه خرزات نظم[1] يتحدرن، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، أجهر الناس وأجمله من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابس ولا مفند.

فقال: هذا والله صاحب قريش، لو رأيته لاتبعته.

[أبو جهل على باب أبي بكر]

قالت أسماء بنت أبي بكر: ولما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ، أتانا نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام، فخرجت إليهم، / ١/٣٥ فقال: أين أبوك؟ فقلت: والله لا أدري أين أبي، قالت: فرفع أبو جهل يده ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة خرج منها قرطي، قالت: ثم انصرفوا.

ولما لم ندر أين توجه رسول الله ﷺ، أتى رجل من الجن

(١) في ط: نظمن وفي ش: نظم طوال.

يسمعون صوته ولا يرونه، وهو ينشد هذه الأبيات:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وسؤدد
ليهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهناً لديها لحالب يرددها في مصدر ثم مورد

فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم.

[شرح كلمات حديث أم معبد]

وقوله: مرملين: أي نفدت أزوادهم.

ومسنتين: أي مجدبين، ويروى: مشتين: دخلوا الشتاء.

وكسر الخيمة: ـ بكسر الكاف وفتحها، وسكون السين ـ جانبها.

وتفاجت: ـ بتشديد الجيم ـ فتحت ما بين رجليها.

ويربض الرهط: ـ بضم المثناة التحتية، وكسر الموحدة ـ أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض. من أربض في المكان يربض: إذا لصق به وأقام.

والثج: السيلان. وفي رواية: فحلب ثجا حتى علاه الثمال ـ بضم المثلثة ـ الرغوة واحده: ثمالة. والبهاء أي بهاء اللبن: وهو وبيص رغوته.

وتساوكن هزالاً: أي تمايلن، ويروى: تشاركن من المشاركة،

أي تساوين في الهزال.

وغادره: - بالغين المعجمة - أبقاه والشاء عازب، أي بعيدة المرعى.

والأبلج: - بالجيم - المشرق الوجه المضيئه.

والحيال: - بكسر الحاء المهملة - جمع حائل، وهي التي ليس بها حمل.

والوضاءة: الحسن.

والثجلة: - بفتح الثاء المثلثة، وسكون الجيم - عظم البطن، ويروى بالنون والحاء: أي نحول ودقة.

والصعلة: - بفتح الصاد - صغر الرأس، وهي أيضاً الدقة والنحول في البدن.

والوسيم: الحسن، وكذلك: القسيم.

وفي عينيه دعج: أي سواد.

والوطف: قال في القاموس: محركة، كثرة شعر الحاجبين والعينين.

وفي صوته صحل: - بالتحريك - وهو كالبحة - بضم الموحدة - أن لا يكون حاد الصوت.

وأحور: قال في القاموس: الحور - بالتحريك - أن يشتد بياض بياض العين، وسواد سوادها.

والكحل: - بفتحتين - سواد في أجفان العين خلقة، والرجل: أكحل وكحيل.

والأزج: الدقيق طرف الحاجبين وفي القاموس: والزجج - محركة - دقة الحاجبين في طول.

والأقرن: المقرون الحاجبين.

وفي عنقه سطع :ـ بفتحتين ـ أي ارتفاع وطول.

وفي لحيته كثاثة: الكثاثة في اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، وفيها كثاثة، يقال: رجل كث اللحية ـ بالفتح ـ وقوم كث ـ بالضم ـ.

وإذا تكلم سما وعلاه البهاء: أي ارتفع وعلا على جلسائه.

وفصل ـ بالصاد المهملة ـ ولا نزر ـ بسكون المعجمة ـ ولا هذر ـ بفتحها ـ: أي بين ظاهر، يفصل بين الحق والباطل.

ولا تشنؤه من طول: كذا جاء في رواية، أي لا يبغض لفرط طوله، ويروى: ولا يشنى من طول: أبدل من الهمزة ياء، يقال: شنيته أشنؤه، شنأ وشنآناً، قاله ابن الأثير.

ولا تقتحمه عين من قصر: أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً، وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته.

ومحفود: أي مخدوم.

والمحشود: الذي عنده حشد وهم الجماعة.

٣٥/ب

ولا عابس: من عبوس/ الوجه.

والمفند: الذي يكثر اللوم وهو التفنيد.

والضرة: لحمة الضرع.

وغادرها: أي خلف الشاة عندها مرتهنة بأن تدر، انتهى.

[شاة أم معبد]

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق الواقدي: حدثني حزام ابن هشام عن أبيه عن أم معبد قالت: بقيت الشاة التي لمس عليه

السلام ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة، زمان عمر بن الخطاب، وكنا نحلبها صبوحاً وغبوقاً[1] وما في الأرض قليل ولا كثير.

[قصة سراقة]

ثم تعرض لهما بقديد سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي[2]، فبكى أبو بكر وقال: يا رسول الله أتينا، قال: كلا، ودعا رسول الله ﷺ بدعوات، فساخت قوائم فرسه، وطلب الأمان، فقال: أعلم أن قد دعوتما علي، فادعوا لي ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما. قال: فوقفا لي، فركبت فرسي حتى جئتهما، قال: ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ، فأخبرتهما أخبار[3] ما

---

(١) الصبوح: ما يشرب بالغداة، والغبوق: الشرب بالعشي.

(٢) وسبب تعرضه لهما ما رواه البخاري عنه قال: جاءنا رسل قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجل منهم حتى قام علينا، ونحن جلوس، فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالسواحل، أراها محمداً وأصحابه، قال سراقة: فعرفت أنهم هم، فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت ساعة ثم قمت، فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت.. الحديث.

وفيه: أنه لما دنا منهم سقط عن فرسه، واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره لا يضرهم، ثم ركبها ثانياً وقرب حتى سمع قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، فساخت يدا فرسه في الأرض إلى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالأزلام، فخرج الذي يكره، فناداهم بالأمان..

[رواه البخاري برقم ٣٩٠٦ وفي المسند ٤/١٧٦].

(٣) في ش: خبر، والذي في البخاري: أخبار.

يريد بهما الناس، وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني.

[قصة العبد الراعي]

واجتاز ﷺ في وجهه ذلك بعبد يرعى غنماً، فكان من شأنه ما رويناه من طريق البيهقي بسنده عن قيس بن النعمان قال: لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفيين، مرا بعبد يرعى غنماً، فاستسقياه اللبن فقال: ما عندي شاة تحلب، غير أن ها هنا عناقا حملت عام أول، فما بقي بها لبن، فقال: ادع بها، فاعتقلها ﷺ ومسح ضرعها، ودعا حتى أنزلت، وجاء أبو بكر بمجن فحلب فسقى أبا بكر، ثم حلب فسقى الراعي، ثم حلب فشرب، فقال الراعي: بالله من أنت، فوالله ما رأيت مثلك. فقال: أو تراك تكتم علي حتى أخبرك؟ قال نعم، قال: فإني رسول الله، فقال أنت الذي تزعم قريش أنك صابىء؟ قال: إنهم ليقولون ذلك، قال: فأشهد أنك نبي، وأن ما جئت به حق، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي، وأنا متبعك، قال: إنك لن تستطيع ذلك يومك، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا.

قال الحافظ مغلطاي ـ بعد ذكره لقصة أم معبد ـ: وفي الإكليل قصة أخرى شبيهة بقصة أم معبد. قال الحاكم: فلا أدري أهي هي، أم غيرها.

[الوصول إلى قباء]

ولما سمع المسلمون بالمدينة خروج رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ

وأصحابه [مبيضين][1] يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودي نفسه فنادى بأعلى صوته يا بني قيلة هذا جدكم - أي حظكم ومطلوبكم - قد أقبل، فخرج إليه بنو قيلة - وهم الأوس والخزرج - سراعاً بسلاحهم فتلقوه، فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف.. الحديث رواه البخاري[2].

وفيه: أن أبا بكر قام للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك.

وظاهر هذا أنه عليه السلام كانت الشمس تصيبه، وما تقدم من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثته، كما هو صريح في موضعه.

[تحديد تاريخ الوصول إلى قباء]

قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب: وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الأول، أي أول يوم منه.

وفي رواية جرير بن حازم[3] عن ابن إسحاق: قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول، ونحوه عند أبي معشر، لكن قال: ليلة الإثنين.

وعن ابن سعد: قدمها لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

---

(١) في ش، وهي في البخاري، ومعنى مبيضين: عليهم ثياب بيض.
(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٠٦.
(٣) ابن زيد بن عبدالله الأزدي البصري، الثقة، المتوفى سنة سبعين ومائة.

وفي «شرف المصطفى»[1] من طريق أبي بكر بن حزم: قدم لثلاث/ عشرة من ربيع الأول. ١/٣٦

وهذا يجمع بينه وبين الذي قبله بالحمل على الاختلاف في رؤية الهلال.

وقيل: كان حين اشتد الضحاء يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة منه. وبه جزم النووي في كتاب السير من الروضة.

وقال ابن الكلبي: خرج من الغار يوم الإثنين أول يوم من ربيع الأول ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتي عشرة منه، وقيل لليلتين منه.

وعند البيهقي: لثنتين وعشرين ليلة.

وقال ابن حزم: خرجا من مكة وقد بقي من صفر ثلاث ليال.

[وصول علي إلى قباء]

وأقام علي بمكة بعد مخرج النبي ﷺ ثلاثة أيام، ثم أدركه بقباء يوم الإثنين سابع - وقيل: ثامن - عشر ربيع، وكانت مدة مقامه مع النبي ﷺ ليلة أو ليلتين.

[التأريخ بالهجرة]

وأمر ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجرة[2].

وقيل: إن عمر أول من أرخ وجعله من المحرم[3].

---

(١) كتاب «شرف المصطفى» لأبي سعد النيسابوري.

(٢) رواه الحاكم في الإكليل عن الزهري، وهو معضل والمشهور خلافه وأن ذلك زمن عمر.

(٣) أخرج أبو نعيم: أن أبا موسى كتب إلى عمر: إنه يأتينا منك كتب ليس لها =

[الإقامة في قباء]

وأقام ﷺ بقباء في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة[1].

وفي صحيح مسلم[2]: أقام فيهم أربع عشرة ليلة.

ويقال: إنه أقام يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس[3].

وأسس مسجد قباء[4]، الذي أسس على التقوى، على الصحيح، وهو أول مسجد بني في الإسلام وأول مسجد صلى فيه ﷺ بأصحابه جماعة ظاهراً، وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة، وإن كان تقدم بناء غيره من المساجد لكن لخصوص الذي بناه.

[من قباء إلى المدينة]

ثم خرج ﷺ من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمن كان معه من المسلمين، وهم مائة، في بطن وادي رانوناء - براء مهملة ونونين ممدوداً، كعاشوراء

= تاريخ، فجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها، وبالمحرم لأنه منصرف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه، وذلك سنة سبع عشرة. ورواه ابن أبي خيثمة عن ابن سيرين بنحوه.

(١) حكاه الزبير بن بكار عن قوم من بني عمرو.

(٢) وكذا البخاري، كلاهما عن أنس.

(٣) قاله ابن إسحاق، وهو المشهور عند أصحاب المغازي.

(٤) أخرج الشيخان عن ابن عمر: كان ﷺ يزور قباء أو يأتي قباء راكباً أو ماشياً. وأخرجا عنه أيضاً رفعه: (من صلى فيه كان كعدل عمرة).
ورروى ابن ماجه رفعه: (من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كأجر عمرة).

وتاسوعاء ـ واسم المسجد «الغبيب» ـ بضم الغين المعجمة، تصغير غب، كما ضبطه صاحب المغانم المطابة[1]، والوادي: ذي صلب ـ ولذا سمي مسجد الجمعة، وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة، وهو على يمين السالك إلى مسجد قباء.

وركب ﷺ على راحلته بعد الجمعة متوجهاً إلى المدينة.

وروى أنس بن مالك أنه ﷺ أقبل إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ[2] يعرف، والنبي ﷺ شاب لا يعرف، قال: فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك، قال: فيقول:هذا الرجل يهديني السبيل، قال:فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير، الحديث رواه البخاري[3].

وقد روى ابن سعد أنه ﷺ قال لأبي بكر: أله عني الناس، فكان إذا سئل من أنت قال:باغي حاجة، فإذا قيل:من هذا معك؟ قال: هذا يهديني السبيل.

وفي حديث الطبراني، من رواية أسماء: فكان أبو بكر رجلاً معروفاً في الناس، فإذا لقيه لاقٍ يقول لأبي بكر: من هذا معك؟ فيقول: هذا يهديني [السبيل][4] يريد الهداية في الدين، ويحسبه الآخر دليلاً[5].

(١) كتاب (المغانم المطابة في فضائل طابة) للمجد الشيرازي صاحب القاموس.
(٢) قد أسرع إليه الشيب، والنبي ﷺ لا شيب فيه.
(٣) رواه البخاري برقم ٣٩١١.
(٤) كذا في د، وفي ش: الطريق، ولم تذكر في النسخ الأخرى.
(٥) سياق هذا الحديث والذين قبله تشعر ـ كما أوردها المصنف ـ أن ذلك كان =

وإنما كان أبو بكر معروفاً لأهل المدينة لأنه كان يمر عليهم في سفره للتجارة، وكان ﷺ لم يشب، وكان ﷺ أسن من أبي بكر. وفي حديث أنس[1]: لم يكن في الذين هاجروا أشمط[2] غير أبي بكر.

[خلوا سبيلها فإنها مأمورة]

وكان ﷺ كلما مرّ على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم: يا رسول الله، هلم إلى القوة والمنعة، فيقول: خلوا سبيلها - يعني ناقته - فإنها مأمورة. وقد أرخى زمامها، وما يحركها، وهي تنظر يميناً وشمالاً، حتى إذا أتت دار مالك ابن النجار، بركت على باب المسجد، وهو يومئذ مربد لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو، وهما يتيمان في حجر معاذ بن عفراء - ويقال أسعد بن زرارة وهو المرجح[3]- ثم ثارت، وهو ﷺ عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول، وألقت جرانها بالأرض - يعني ٣٦/ب باطن عنقها/ أو مقدمه من المذبح - وأزرمت - يعني صوتت من غير أن تفتح فاها - ونزل عنها ﷺ وقال: هذا المنزل إن شاء الله[4].

[في منزل أبي أيوب]

واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله في بيته، ومعه زيد بن حارثة،

= بعد نزول قباء ولكن سياق البخاري برقم ٣٩١١ يبين أن هذا المسلك كان بين مكة والمدينة حيث ساق قصة سراقة بعد ذلك [المحقق].

(١) رواه البخاري برقم ٣٩١١.

(٢) الذي خالط سواد شعره بياض.

(٣) إذ هو الثابت في البخاري وغيره.

(٤) قال ابن المنير: الحكمة البالغة في إحالة الأمر على الناقة أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس، =

وكانت دار بني النجار أوسط دور الأنصار وأفضلها، وهم أخوال عبد المطلب، جده عليه السلام.

وفي حديث أبي أيوب الأنصاري، عند أبي يوسف يعقوب[1] في كتاب الذكر والدعاء له قال: نزل علي رسول الله ﷺ حين قدم المدينة فكنت في العلو، فلما خلوت إلى أم أيوب قلت لها: رسول الله ﷺ أحق بالعلو منا، تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي، فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب، فلما أصبحت، قلت: يا رسول الله، ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب، قال: لم يا أبا أيوب؟ قلت: كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي، لا والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً. الحديث. ورواه الحاكم أيضاً[2].

وقد ذكر[3] أن هذا البيت الذي لأبي أيوب، بناه له عليه السلام تبع الأول لما مر بالمدينة وترك فيها أربعمائة عالم، وكتب كتاباً للنبي ﷺ ودفعه إلى كبيرهم، وسأله أن يدفعه للنبي ﷺ، فتداول الدار الملاك إلى أن صارت لأبي أيوب، وهو من ولد ذلك العالم. قال: وأهل

= وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك في صدر أحد منهم شيئاً.

(١) يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، الإمام العلامة الحافظ، فقيه العراق، صاحب أبي حنيفة. قال ابن معين: ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً ولا أثبت من أبي يوسف، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، عن تسع وستين سنة.

(٢) وعند ابن إسحاق: .. فقال يا أبا أيوب إن الأرفق بنا ومن يغشانا أن نكون في سفل..

(٣) في المبتدأ لابن إسحاق.

المدينة الذين نصروه ﷺ من ولد أولئك العلماء. فعلى هذا: إنما نزل في منزل نفسه، لا في منزل غيره. كذا حكاه في تحقيق النصرة[1].

[الفرح يعم المدينة]

وفرح أهل المدينة بقدومه ﷺ، وأشرقت المدينة بحلوله فيها، وسرى السرور إلى القلوب. قال أنس بن مالك: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير عند قدومه يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

[التحقيق في زمن إنشاد هذين البيتين]

قلت: إنشاد هذا الشعر عند قدومه ﷺ المدينة رواه البيهقي في الدلائل، وأبو الحسن[2] بن المقري في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة، وذكره الطبري في الرياض عن أبي الفضل بن الجمحي قال: سمعت ابن عائشة يقول ـ أراه عن أبيه ـ فذكره. وقال خرجه الحلواني على شرط الشيخين. انتهى.

وسميت ثنية الوداع لأنه ﷺ ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض أسفاره.

---

(١) تحقيق النصرة في تاريخ دار الهجرة، لقاضيها الشيخ زين الدين بن الحسين المراغي. أقول: وهو خبر فيه نظر؟! [المحقق].

(٢) في (ب، ش) أبو بكر المقري.
الحافظ محمد ابراهيم الأصبهاني صاحب المعجم الكبير. مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة.

وقيل: لأنه عليه السلام شيع إليها بعض سراياه، فودعه عندها.
وقيل: لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديماً.
وصحح القاضي عياض هذا الأخير، واستدل عليه بقول نساء الأنصار حين مقدمه صلى الله عليه وسلم:

طلع البدر علينا   من ثنيات الوداع

فدل على أنه اسم قديم.

وقال ابن بطال: إنما سميت ثنية الوداع لأنهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة إليها، ويودعونهم عندها، وإليها كانوا يخرجون عند التلقي. انتهى.

قال شيخ الإسلام الولي العراقي: وهذا كله مردود، ففي صحيح البخاري وسنن أبي داود والترمذي عن السائب بن يزيد قال: لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع. قال: وهذا صريح في أنها من جهة الشام، ولهذا لما نقل والدي رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال: إنه وهم، قال: وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة. انتهى.

وسبقه إلى ذلك ابن القيم في الهدي النبوي فقال: هذا وهم من بعض الرواة، لأن ثنية الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام، / وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك. انتهى. ١/٣٧

لكن قال ابن العراقي أيضاً: ويحتمل أن تكون الثنية التي من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع. انتهى.

[فرح الجواري والغلمان]

وفي «شرف المصطفى» وأخرجه البيهقي عن أنس: لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار بالدفوف يقلن

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فقال ﷺ: أتحببنني، قلن: نعم يا رسول الله. وفي رواية الطبراني في الصغير فقال ﷺ: الله يعلم أن قلبي يحبكم[1].

وقال الطبري: وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد، جاء رسول الله.

[وباء المدينة]

(ووعك أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرىء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن شيبة بن ربيعة[2] وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء.

ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة.

قالت ـ يعني عائشة ـ: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله، فكان

(١) أي يا معشر الأنصار.

(٢) سقط من قلم المصنف: وعتبة بن ربيعة. وهو في البخاري.

بطحان يجري نجلا. تعني: ماء آجنا)[1].

وقال عمر: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك. رواه البخاري[2].

[شرح ألفاظ الحديث المتقدم]

وقوله: يرفع عقيرته: أي صوته، لأن العقيرة الساق، كأن الذي قطعت رجله رفعها وصاح، ثم قيل لكل من صاح ذلك، حكاه الجوهري.

وشامة وطفيل: عينان بقرب مكة، والمراد بالوادي وادي مكة.

وجليل: نبت ضعيف.

[مدة الإقامة في بيت أبي أيوب]

وأقام ﷺ عند أبي أيوب سبعة أشهر[3]. وقيل: إلى صفر من السنة الثانية وقال الدولابي: شهراً.

---

(١) رواه البخاري برقم ١٨٨٩ ورواه أيضاً مسلم وأحمد.

(٢) رواه البخاري برقم ١٨٩٠.

ولعل مناسبة ذكر المصنف له للدلالة على أن الله تعالى استجاب دعاء رسوله ﷺ بشأن حب المدينة، وها هو عمر يطلب الشهادة ويرغب أن يموت بها [م].

(٣) قاله ابن سعد، وجزم به في الفتح. وحكى الأقوال الثلاثة مغلطاي.

[بناء المسجد النبوي]

وكان يصلي حيث أدركته الصلاة، ولما أراد ﷺ بناء المسجد الشريف، قال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم، قالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فأبى ذلك ﷺ وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر رضي الله عنه، وكان قد خرج من مكة بماله كله.

قال أنس[1]: وكان في موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين، فأمر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت، ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ، وبني المسجد وسقف بالجريد، وجعلت عمده خشب النخل، وعمل فيه المسلمون، وكان عمار بن ياسر ينقل لبنتين لبنتين، لبنة عنه ولبنة عن النبي ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: للناس أجر ولك أجران، وآخر زادك من الدنيا شربة لبن، وتقتلك الفئة الباغية.

وروينا أنه ﷺ كان ينقل معهم اللبن ويقول وهو ينقل [اللبن][2]:

هذا الحمال لا حمال خيبر ... هذا أبر ربنا وأطهر

اللهم إن الأجر أجر الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجرة

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٨ و٤٤٧ و٣٩٣٢ ومسلم برقم ٥٢٤.

(٢) سقطت من النسخ وهي في البخاري.

قال ابن شهاب: ولم يبلغنا أنه ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذا[1]. انتهى.

وقد قيل: إن الممتنع عليه ﷺ إنشاء الشعر لا إنشاده، ولا دليل على منع إنشاده متمثلاً.

وقوله: هذا الحمال: - بكسر الحاء المهملة، وتخفيف الميم - أي المحمول من اللبن أبر عند الله من/ حمال خيبر، أي: التي تحمل منها ٣٧/ب من التمر والزبيب ونحو ذلك. وفي رواية المستملي بالجيم. انتهى.

وفي كتاب «تحقيق النصرة» قيل: ووضع عليه السلام رداءه فوضع الناس أرديتهم وهم يقولون:

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك إذاً للعمل المضلل

وآخرون يقولون:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

[وصف المسجد]

وجعلت قبلة المسجد للقدس، وجعل له ثلاثة أبواب: باب في مؤخره، وباب يقال له:باب الرحمة، والباب الذي يدخل منه.

وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع، وفي الجانبين مثل ذلك أو دونه.

وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع، وبنى بيوتاً[2] إلى جنبه

(١) رواه البخاري برقم ٣٩٠٦.
(٢) أي بيتين فقط، كما صرح به غير واحد.

باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد، فلما فرغ من البناء بنى لعائشة في البيت الذي يليه شارعاً إلى المسجد، وجعل سودة بنت زمعة في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان.

ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب إلى مساكنه التي بناها.

وكان قد أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه إلى مكة، فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه.

[الصفة]

وكان في المسجد موضع مظلل، تأوي إليه المساكين، يسمى الصفة، وكان أهله يسمون: أهل الصفة، وكان ﷺ يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه، وتتعشى طائفة منهم معه عليه السلام.

وفي البخاري من حديث أبي هريرة: لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة، ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساق، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته[1].

وهذا يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين، وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم في غزوة بئر معونة، وكانوا من أهل الصفة أيضاً، لكنهم استشهدوا قبل إسلام أبي هريرة.

وقد اعتنى بجمع أصحاب الصفة ابن الأعرابي[2]

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٤٢.

(٢) ابن الأعرابي، أبو سعيد، أحمد بن محمد بن زياد البصري، الصوفي =

والسلمي[1]. والحاكم وأبو نعيم، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر، وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة، قاله في فتح الباري.

[المنبر]

وكان ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جذع في المسجد قائماً، فقال: إن القيام قد شق علي، فصنع له المنبر.

وكان عمله وحنين الجذع في السنة الثامنة - بالميم - من الهجرة، وبه جزم ابن النجار[2] وعورض: بما في حديث الإفك في الصحيحين، قالت عائشة: فثار الحيان - الأوس والخزرج - حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر فنزل فخفضهم حتى سكتوا.

وجزم ابن سعد بأن عمل المنبر كان في السنة السابعة. وعورض: بذكر العباس وتميم فيه، وكان قدوم العباس بعد الفتح في آخر سنة ثمان، وقدوم تميم سنة تسع.

وعن بعض أهل السير: أنه عليه السلام كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذي من خشب. وعورض: بأن الأحاديث الصحيحة أنه كان يستند إلى الجذع إذا خطب.

وستأتي قصة حنين الجذع إن شاء الله تعالى في مقصد المعجزات.

= الورع، الثقة الثبت، العابد الرباني صاحب التصانيف، ولد سنة ست وأربعين ومائتين ومات سنة أربع وثلاثمائة.

(١) أبو عبد الرحمن، محمد بن موسى النيسابوري، الإمام الزاهد الرحال، حدث أكثر من أربعين سنة، صنف نحو مائة، مات سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

(٢) أبو عبد الله، محمد بن محمود بن الحسن البغدادي. الإمام الحافظ المؤرخ، الثقة الدين الورع. ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع ابن الجوزي وطبقته، وله تصانيف. ومات سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

[المؤاخاة بين المهاجرين[1] والأنصار]

ولما كان بعد قدومه بخمسة أشهر، آخى عليه السلام بين المهاجرين والأنصار[2]، وكانوا تسعين رجلاً، من كل طائفة خمسة

(١) قال الشارح: وكانت ـ كما قال ابن عبد البر وغيره ـ مرتين:
الأولى بمكة، قبل الهجرة، بين المهاجرين بعضهم بعضاً، على الحق والمواساة، فآخى بين أبي بكر وعمر، وطلحة والزبير وبين عثمان وعبد الرحمن. رواه الحاكم وهكذا بين كل اثنين منهم إلى أن بقي علي فقال: آخيت بين أصحابك، فمن أخي. قال: أنا أخوك. وجاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبي ﷺ لعلي...
وأنكر ابن تيمية هذه المؤاخاة بين المهاجرين، خصوصاً بين المصطفى وعلي. وزعم أن ذلك من الأكاذيب، وأنه لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري. قال: لأنها شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً ولتتألف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمؤاخاته لأحد، ولا لمؤاخاة المهاجرين.
ورده الحافظ: بأنه رد للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخاة، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة، فآخى بين الأعلى والأدنى، ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر حكمة مؤاخاته لعلي. لأنه هو الذي كان يقوم به من الصبا قبل البعثة واستمر، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد، لأن زيداً مولاهم، فقد ثبتت أخوتهما وهما من المهاجرين، وفي الصحيح في عمرة القضاء أن زيداً قال: إن بنت حمزة ابنة أخي [البخاري ٤٢٥١].
والثانية: هي التي ذكرها المصنف.

(٢) قال السهيلي: ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل =

وأربعون، على الحق والمواساة[1] والتوارث.

وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر **﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾** الآية[2].

[البناء بعائشة]

وبنى بعائشة على رأس تسعة أشهر. وقيل ثمانية[3]، وقيل ثمانية عشر شهراً في شوال.

والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما عز الإسلام.. أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم أخوة يعني في التوادد..

(١) من أمثلة ذلك: ما جاء في الصحيح عن أنس قال: قدم علينا عبد الرحمن ابن عوف، وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ـ وكان كثير المال ـ فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك.. [البخاري ٣٧٨١] [م].

(٢) سورة الأنفال. الآية ٧٥.

(٣) هذا القول سقط في ش.

[خبر الأذان وزيادة الصلاة]

[الاجتماع للصلاة قبل الأذان]

وكان الناس - كما في السير وغيرها - إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحين مواقيتها، من غير دعوة،

وأخرج ابن سعد في الطبقات، من مراسيل سعيد بن المسيب: أن بلالاً كان ينادي للصلاة بقوله: الصلاة جامعة. الحديث[1].

١/٣٨ وشاور/ رسول الله ﷺ أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة - وكان ذلك فيما قيل في السنة الثانية[2] - فقال بعضهم: ناقوس كناقوس النصارى، وقال آخرون: بوق كبوق اليهود، وقال بعضهم: بل نوقد ناراً ونرفعها فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة.

[رؤيا عبد الله بن زيد]

فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه في منامه رجلاً

---

(١) أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر: كان المسلمون لما قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة، ليس ينادي لها، فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم نتخذ ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر أولا تبعثون رجلاً منكم ينادي بالصلاة، فقال ﷺ: يا بلال قم فناد بالصلاة.

(٢) مرضه لقول الحافظ: الراجح أنه شرع في السنة الأولى من الهجرة.

فعلمه الأذان والإقامة، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فأخبره بما رأى، وفي رواية معاذ بن جبل عند الإمام أحمد[١] قال: يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم ـ ولو قلت إني لم أكن نائماً لصدقت ـ رأيت: شخصاً عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة فقال: الله أكبر، الله أكبر، مثنى مثنى، حتى فرغ من الأذان. الحديث، فقال ﷺ إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، قم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتاً منك[٢]. قال: فقمت مع بلال فجعلت ألقيه ويؤذن.

قال: فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته، فخرج يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت مثل ما رأى.

ووقع في الأوسط للطبراني: أن أبا بكر أيضاً رأى الأذان.
وفي الوسيط للغزالي: أنه رآه بضعة عشر رجلاً.
وعبارة الجيلي في شرح التنبيه: أربعة عشر.

وأنكره ابن الصلاح ثم النووي، وفي سيرة مغلطاي: أنه رآه سبعة من الأنصار.

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله: ولا يثبت شيء من ذلك إلا لعبد الله بن زيد، وقصة عمر جاءت في بعض الطرق. انتهى.

---

(١) هذا من رواية الصحابي عن الصحابي، فليس معاذ رائياً ولا قائلاً.
(٢) أي أرفع وأعلى أو أحسن وأعذب. وفي هذا رد للحديث المشهور على الألسنة: سين بلال عند الله شينا. وقد قال الحافظ المزي: لم نره في شيء من الكتب.

[حكمة «رؤيا» الأذان]

قال السهيلي: فإن قلت: ما الحكمة التي خصت الأذان بأن يراه رجل من المسلمين في نومه. ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية، وفي قوله ﷺ له: «إنها لرؤيا حق». ثم بنى حكم الأذان عليها، وهل كان ذلك عن وحي من الله له أم لا؟

وأجاب: بأنه ﷺ قد أريه ليلة الإسراء. فروى البزار عن علي قال: لما أراد الله تعالى أن يعلم رسوله الأذان جاء جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فركبها حتى أتى بها الحجاب الذي يلي عرش[1] الرحمن، فبينما هو كذلك خرج ملك من الحجاب، فقال: يا جبريل من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق، إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هـذه. فقال الملك: الله أكبر، الله أكبر، فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي؛ أنا أكبر، أنا أكبر. . وذكر بقية الأذان.

قال السهيلي: وهذا أقوى من الوحي، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة وأراد إعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى ﷺ فلذلك قال: إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، وعلم حينئذ أن مراد الله بما رآه في السماء أن يكون سنة في الأرض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر للأنصاري. انتهى[2].

وتعقب: بأن حديث البزار في إسناده زياد بن المنذر أبو الجارود، وهو متروك.

---

(١) كلمة (عرش) ليست في (ش،ب،د).

(٢) قال في الفتح تعليقاً على ذلك: تكلف وتعسف، والأخذ بما صح أولى.

[إشكال وجواب]

وقال في فتح الباري: وقد استشكل إثبات حكم الأذان برؤيا عبد الله بن زيد، فإن رؤيا غير الأنبياء لا ينبني عليها حكم شرعي:

وأجيب: باحتمال مقارنة الوحي لذلك. ويؤيده ما رواه عبد الرزاق وأبو داود في المراسيل، من طريق عبيد بن عمير الليثي - أحد كبار التابعين - أن عمر لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي ﷺ فوجد الوحي قد ورد بذلك، فما راعه إلا أذان بلال، فقال له النبي ﷺ: سبقك بذلك الوحي.

وهذا أصح مما حكى الداودي[١] [عن ابن إسحاق][٢]: أن جبريل أتى النبي ﷺ بالأذان قبل أن يخبره عبد الله بن زيد وعمر بثمانية أيام.

[رواية ابن إسحاق]

وقد/ عرفت رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن إسحاق وغيره[٣]: ٣٨/ب وذلك أنه قال:

«طاف بي - وأنا نائم - رجل يحمل ناقوساً في يده، فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة،

---

(١) أحمد بن نصر اليشكري، أبو جعفر، العالم الفاضل، المالكي الفقيه، له حظ من اللسان والحديث والنظر. ألف شرح الموطأ، والواعي في الفقه، وشرح البخاري وسماه: النصيحة، وغير ذلك. توفي بتلمسان سنة ثلاثين وأربعمائة.

(٢) في (ط، ش).

(٣) كأبي داود والترمذي وابن ماجه كلهم من طريقه.

قال: أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك؟ فقلت: بلى، قال: تقول الله أكبر، الله أكبر، وذكر بقية كلمات الأذان. قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: إذا قمت إلى الصلاة فقل: الله أكبر، الله أكبر، إلى آخر كلمات الإقامة». ورواه أبو داود بإسناد صحيح.

ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين رأى النداء، وقد قال: رأيت مثل الذي رأى.

[أحاديث ضعيفة]

وفي مسند الحارث: أول من أذن بالصلاة جبريل، أذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال، فسبق عمر بلالاً إلى رسول الله ﷺ فأخبره بها، فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر، وظاهره: أن عمر وبلالاً سمعا ذلك في اليقظة(١).

وقد وردت أحاديث تدل على أن الأذان شرع بمكة قبل الهجرة:

منها للطبراني من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: لما أسري بالنبي ﷺ أوحى الله إليه الأذان فنزل به وعلمه بلالا.

وفي إسناده طلحة بن زيد وهو متروك.

ومنها: للدارقطني في «الأفراد»، من حديث أنس أن جبريل أمر النبي ﷺ بالأذان حين فرضت الصلاة. وإسناده ضعيف.

ومنها: حديث البزار عن علي، المتقدم.

قال في فتح الباري: والحق أنه لا يصح شيء من هذه الأحاديث.

---

(١) قال الشارح: مروي عن كثير الحضرمي بسند واهٍ.

وقد جزم ابن المنذر بأنه ﷺ كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة، إلى أن وقع التشاور في ذلك. والله سبحانه أعلم.

[هل أذن ﷺ أو اقتدى بغيره؟]

● فإن قلت: هل أذن ﷺ بنفسه قط؟

أجاب السهيلي: بأنه قد روى الترمذي من طريق يدور على عمر ابن الرماح، قاضي بلخ يرفعه إلى أبي هريرة، أنه ﷺ أذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم.. الحديث. قال: فنزع بعض الناس بهذا الحديث إلى أنه ﷺ أذن بنفسه. انتهى.

و[1]ليس هذا الحديث من حديث أبي هريرة، إنما هو من حديث يعلى بن مرة[2].

وكذا جزم النووي بأنه عليه الصلاة والسلام أذن مرة في السفر، وعزاه للترمذي وقواه.

ولكن روى الحديث الدارقطني وقال فيه: أمر بالأذان، ولم يقل: أذن. قال السهيلي: والمفصل يقضي على المجمل المحتمل.

وفي مسند أحمد من الوجه الذي أخرج منه الترمذي هذا الحديث: فأمر بلالاً فأذن[3]، قال في فتح الباري فعرف أن في رواية الترمذي اختصاراً، وأن قوله أذن: أمر، كما يقال: أعطى الخليفة فلاناً

---

(١) في (ط، د): لكن.

(٢) سنن الترمذي باب ما جاء في الصلاة على الدابة رقم الحديث ٤٠٩.

(٣) المسند ٤/١٧٤.

ألفاً، وإنما باشر العطاء غيره، ونسب للخليفة لكونه أمر، انتهى.

● [فإن قلت هل صلى النبي ﷺ خلف أحد من أصحابه؟ قلت][1]:

نعم، ثبت في صحيح مسلم وغيره أنه ﷺ صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، ولفظه: عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله ﷺ تبوك، فتبرز رسول الله ﷺ قبل الغائط، فحمل معه إداوة قبل صلاة الفجر.. الحديث إلى أن قال: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين، فصلى مع الناس الركعة الأخيرة، فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام رسول الله ﷺ يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي ﷺ صلاته أقبل عليهم ثم قال: أحسنتم، أو قال: أصبتم يغبطهم أن صلوا لوقتها[2].

ورواه أبو داود في السنن بنحوه ولفظه: ووجدنا عبد الرحمن وقد ركع بهم ركعة من صلاة الفجر، فقام رسول الله ﷺ فصف مع المسلمين/ فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية، ثم سلم عبد الرحمن، فقام رسول الله ﷺ في صلاته.. الحديث[3]. ١/٣٩

قال النووي: فيه جواز اقتداء الفاضل بالمفضول، وجواز اقتداء النبي ﷺ خلف بعض أمته.

---

(١) هذه الزيادة في ش. وقال الشارح: كذا في نسخ وهو حسن. وفي أكثرها إسقاط السؤال والاقتصار على نعم..

(٢) رواه مسلم برقم ٢٧٤، المسند ٤/٢٤٩.

(٣) رواه أبو داود. باب المسح على الخفين برقم ١٤٩، وقد اختلفت بعض الألفاظ في النسخ ونقلته من سنن أبي داود [م].

قال: وأما بقاء عبد الرحمن في صلاته وتأخر أبي بكر رضي الله عنه ليتقدم النبي ﷺ، فالفرق بينهما أن عبد الرحمن كان قد ركع ركعة، فترك النبي ﷺ التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم، بخلاف صلاة أبي بكر.

نعم في السيرة الهشامية[1]: أن أبا بكر كان الإمام وأن رسول الله ﷺ كان يأتم به. لكنه - كما قال السهيلي - حديث مرسل في السيرة، والمعروف في الصحاح أن أبا بكر كان يصلي بصلاة رسول الله ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبي بكر.

لكن قد روي عن أنس من طريق متصل: أن أبا بكر كان الإمام يومئذ، واختلف فيه خبر عائشة رضي الله عنها. انتهى.

وفي الترمذي مصححاً من حديث جابر: أن آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ في ثوب واحد متوشحاً به خلف أبي بكر.

قال ابن الملقن[2]: وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ: منهم الضياء، وابن ناصر[3]، وقال: صح وثبت أنه ﷺ صلى خلف أبي

---

(١) في (ط، د): الهاشمية وهو خطأ، فهي نسبة إلى ابن هشام صاحب السيرة.

(٢) ابن الملقن، عمر بن علي بن أبي أحمد الأنصاري، أبو حفص، سراج الدين. الإمام الفقيه الحافظ، ذو التصانيف الكثيرة، أحد شيوخ الشافعية وأئمة المحدثين ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ومات سنة أربع وثمانمائة.

(٣) محمد بن ناصر السلامي الإمام الحافظ، محدث العراق، الشافعي ثم الحنبلي، كان ثقة حافظاً ضابطاً من أهل السنة توفي سنة خمسين وخمسمائة. =

بكر مقتدياً[1] به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات، ولا ينكر هذا إلا جاهل لا علم له بالرواية.

وقيل: إنه كان مرتين، جمعا بين الأحاديث، وبه جزم ابن حبان.

وروى الدارقطني من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: ما مات نبي حتى يؤمه رجل من أمته.

[زيادة صلاة الحضر]

ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام لاثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر ـ قال الدولابي: يوم الثلاثاء، وقال السهيلي: بعد الهجرة بعام أو نحوه ـ زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفجر لطول القراءة فيها، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار، وأقرت صلاة السفر.

وفي البخاري عن عائشة (فرضت الصلاة ركعتين [ركعتين] ثم هاجر النبي ﷺ [إلى المدينة] ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى)[2].

= وليس هو الشمس بن ناصر الدمشقي لأن ابن الملقن ولد قبله بستين سنة فلا ينقل عنه.

(١) في (ب، ش) مقتدياً، وفي باقي النسخ: مقتدٍ وهو خطأ.

(٢) رواه البخاري في مواضع والمذكور هنا هو لفظه في الهجرة برقم ٣٩٣٥، وما بين القوسين ليس في نص البخاري ولكنه موجود في النسخ [م].

وقيل: إنما فرضت أربعاً، ثم خفف عن المسافر. ويدل له حديث: (إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة)[1].

وقيل: إنما فرضت في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين، وهو قول ابن عباس، قال رضي الله عنه: (فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر أربعاً، وفي السفر ركعتين)[2] رواه مسلم وغيره.

وسيأتي مزيد لذلك إن شاء الله تعالى في أول الصلاة من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام.

---

(١) رواه أبو داود: باب اختيار الفطر برقم ٢٤٠٨ وهو عند أحمد. المسند ٤/٣٤٧ وكذلك عند النسائي وابن ماجه.

(٢) رواه مسلم برقم ٦٨٧، وهو كذلك عند أبي داود والنسائي.

[ظهور عداوة اليهود والمنافقين]

قال ابن إسحاق وغيره: ونصبت أحبار يهود العداوة للنبي ﷺ بغيا وحسداً، وسحره لبيد بن الأعصم، وهـو من يهود بني زريق، فكان يخيل إليه أنه يفعل الفعل وهو لا يفعله، وجعل سحره في مشط ومشاطة[1]، ودفنـه في بئر ذي أروان ـ وأكـثر أهل الحـديث يقول: ذروان ـ تحت راعوفة[2] البئر، كما ثبت في الصحيح[3].

وليس هذا بقادح في النبوة، فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يبتلون في أبدانهم بالجراحات والسمـوم والقتل غـير ذلك مما جوزه العلماء عليهم.

وانضاف إلى اليهود جماعة من الأوس والخزرج، منافقون، على دين آبـائهم من الشرك والتكذيب بـالبعث، إلا أنهم قهروا بـظهور الإسلام، [فأظهروه][4] واتخذوه جنـة من القتل، ونـافقوا في السر،

---

(١) ما يمشط من الشعر ويخرج من المشط.

(٢) هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت ليجلس عليها المستسقي عند نزحها.

(٣) هو في الصحيحين وغيرهما، وذكره البخاري في مواضع أحدها برقم ٣١٧٥ وعند مسلم برقم ٢١٨٩.

(٤) في ش.

منهم عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأس المنافقين، وهو الذي قال: **﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾**[1] كما سيأتي إن شاء الله في غزوة بني المصطلق.

(١) سورة المنافقين. الآية ٨.

[المغازي]

[الإذن بالقتال]

وأذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالقتال. قال الزهري: أول آية نزلت في الإذن بالقتال ﴿**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير**﴾[1] أخرجه النسائي بإسناد صحيح.

٣٠/ب قال في/ البحر[2]: والمأذون فيه - أي في الآية - محذوف، أي: في القتال، لدلالة «يقاتلون» عليه، وعلل الإذن: بأنهم ظلموا، كانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج، فيقول لهم: اصبروا، فإني لم أومر بالقتال، حتى هاجر فأذن له بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية. انتهى.

وقال غيره: وإنما شرع الله تعالى الجهاد في الوقت اللائق به، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً، فلو أمر المسلمون - وهم قليلون - بقتال الباغين لشق عليهم، فلما بغى المشركون، وأخرجوه ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله، واستقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه، وقاموا بنصره، وصارت المدينة لهم دار إسلام،

(١) سورة الحج. الآية ٣٩.
(٢) أي التفسير الكبير لأبي حيان.

ومعقلاً يلجؤون إليه، شرع الله تعالى جهاد الأعداء، فبعث ﷺ البعوث والسرايا وغزا[1] وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً.

[عدد الغزوات والسرايا]

وكان عدد مغازيه ﷺ التي خرج فيها بنفسه، سبعاً وعشرين. قاتل في تسع منها بنفسه الشريفة ﷺ: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف[2]. وهذا على قول من قال: فتحت مكة عنوة.

وكانت سراياه التي بعث فيها سبعاً وأربعين سرية. وقيل: إنه قاتل في بني النضير.

[معنى سرية، ومصطلحات أخرى]

وأفاد في فتح الباري: أن السرية ـ بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية ـ هي التي تخرج بالليل، والسارية: التي تخرج بالنهار.

قال: وقيل سميت بذلك ـ يعني السرية ـ لأنّه يخفى ذهابها. وهذا يقتضي أنها أخذت من السر، ولا يصح، لاختلاف المادة.

---

(١) جرت عادة المحدثين وأهل السير غالباً أن يسموا كل عسكر حضره النبي ﷺ بنفسه غزوة، وما لم يحضره بل أرسل بعضاً من أصحابه إلى العدو: سرية وبعثا.

(٢) قال ابن تيمية: لا يعلم أنه قاتل في غزاة إلا في أحد، ولم يقتل أحداً إلا أبي بن خلف فيها، فلا يفهم من قولهم قاتل في كذا أنه بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله عليه السلام. انتهى.

وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه، وهي من مائة إلى خمسمائة، فما زاد على خمسمائة يقال له منسر ـ بالنون ثم المهملة ـ فإن زاد على الثمانمائة سمي جيشاً، فإن زاد على أربعة آلاف سمي جحفلاً، والخميس: الجيش العظيم، وما افترق من السرية يسمى بعثاً، والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر، انتهى ملخصاً[1].

[سرية حمزة]

وكان أول بعوثه ﷺ على رأس سبعة أشهر، في [شهر][2] رمضان، وقيل في ربيع الأول سنة اثنتين. بعث عمه حمزة، وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين.

وقيل من الأنصار، وفيه نظر، لأنه لم يبعث أحداً من الأنصار حتى غزا بهم بدرا، لأنهم شرطوا له أن يمنعوه في دارهم.

فخرجوا يعترضون عيراً لقريش، فيها أبو جهل اللعين، فلقيه في ثلاثمائة راكب فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فلما تصافوا حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان عليه السلام قد عقد له لواء أبيض.

[اللواء والراية]

«واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب، يعرف به موضع صاحب الجيش، وقد يحمله أمير الجيش، وقد يدفعه لمقدم المعسكر،

وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية، لكن

(١) فتح الباري ٥٦/٨ في شرح حديث ٤٣٣٨.
(٢) في (ط، ب، د).

روى أحمد والترمذي عن ابن عباس: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء، ولواؤه أبيض، ومثله عند الطبراني عن بريدة، وعند ابن عدي[1] عن أبي هريرة وزاد: مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وهو ظاهر في التغاير، ولعل التفرقة بينهما عرفية.

وذكر ابن إسحاق، وكذا أبو الأسود عن عروة: أن أول ما حدثت الرايات يوم خيبر، وما كانوا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية» انتهى[2].

[سرية عبيدة بن الحارث]

ثم سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ، في شوال، على رأس ثمانية أشهر، في ستين رجلاً، وعقد له لواء أبيض، حمله مسطح بن أثاثة، يلقى أبا سفيان بن حرب. وكان على المشركين ـ وقيل مكرز بن حفص، وقيل عكرمة بن أبي جهل ـ في مائتين/، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم، فكان أول سهم رمي في الإسلام. ١/٤٠

وقال ابن إسحاق: وكانت راية عبيدة ـ فيما بلغنا ـ أول راية عقدت في الإسلام، وبعض الناس يقول: راية حمزة. قال: وإنما أشكل أمرهما لأنه عليه الصلاة والسلام بعثهما معاً، فاشتبه ذلك على الناس. انتهى.

---

(١) الحافظ عبد الله بن أحمد الجرجاني، أحد الأعلام مات سنة خمس وستين وثلاثمائة.

(٢) هذا كلام فتح الباري بدءاً من أول الفقرة ٤٧٧/٧.

وهذا يشكل بقولهم: إن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر، لكن يحتمل أن يكون ﷺ عقد رايتيهما معاً، ثم تأخر خروج عبيدة إلى رأس الثمانية، لأمر اقتضاه، والله أعلم.

[سرية سعد بن أبي وقاص]

ثم سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار ـ بخاء معجمة وراءين مهملتين، وهو واد بالحجاز يصب في الجحفة ـ وكان ذلك في [ذي][1] القعدة، على رأس تسعة أشهر، وعقد له لواء أبيض، حمله المقداد بن عمرو، في عشرين رجلاً، يعترض عيراً لقريش، فخرجوا على أقدامهم، فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس.

[أول الغزوات: ودان]

ثم غزوة ودان، وهي الأبواء، وهي أول مغازيه، كما ذكره ابن إسحاق وغيره. وفي البخاري: أن أولها الأبواء.

خرج ﷺ في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة، يريد قريشاً، في ستين رجلاً، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب. فكانت الموادعة ـ أي المصالحة ـ على أن بني ضمرة لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعاً، ولا يعينون عليه عدواً.

واستعمل على المدينة سعد بن عبادة.

وليس بين ما وقع في سيرة ابن إسحاق وبين ما نقله عنه البخاري اختلاف، لأن الأبواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية.

---

(١) في: أ.

[غزوة بواط]

ثم غزوة بواط ـ بفتح الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو وآخره مهملة ـ وهي الثانية، غزاها ﷺ في شهر ربيع الأول، على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة، حتى بلغها من ناحية رضوى ـ بفتح الراء وسكون المعجمة، مقصور ـ في مائتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش فيهم أمية بن خلف الجمحي.

واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون(١).

فرجع ولم يلقَ كيداً، أي حرباً، قال ابن الأثير(٢): والكيد الاحتيال والاجتهاد، وبه سميت الحرب كيداً.

[غزوة العشيرة]

ثم غزوة العشيرة ـ بالشين المعجمة، والتصغير، آخره هاء. لم يختلف أهل المغازي في ذلك، وفي البخاري: العشيراء، أو: العسيرة، والأولى بالمعجمة بلا هاء، والثانية: بالمهملة وبالهاء ـ وأما غزوة العسرة ـ بالمهملة بغير تصغير ـ فهي غزوة تبوك، وستأتي إن شاء الله تعالى.

ونسبت هذه إلى المكان الذي وصلوا إليه، وهو موضع لبني مدلج بينبع.

---

(١) السائب بن عثمان بن مظعون: أسلم قديماً، وهاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً، واستشهد يوم اليمامة.

(٢) الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكريم بن محمد الشيباني الجزري، أبو السعادات، العالم النبيل، أحد الفضلاء، صاحب التصانيف الشهيرة، ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ومات بالموصل سنة ست وستمائة.

وخرج إليها ﷺ في جمادى الأولى ـ وقيل: الآخرة ـ على رأس ستة عشر شهراً من الهجرة، في خمسين ومائة رجل ـ وقيل في مائتي رجل ـ ومعهم ثلاثون بعيراً يعتقبونها، وحمل اللواء ـ وكان أبيض ـ حمزة، يريد عير قريش التي صدرت من مكة إلى الشام بالتجارة. فخرج إليها ليغنمها فوجدها قد مضت.

ووادع بني مدلج من كنانة.

وكانت نسخة الموادعة فيما ذكره غير ابن إسحاق[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأن لهم النصر على من رامهم[2] أن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة، وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله ورسوله[3].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد.

[غزوة بدر الأولى]

ثم غزوة بدر الأولى. قال ابن إسحاق: ولما رجع عليه الصلاة والسلام ـ أي: من غزوة العشيرة ـ لم يقم إلا ليالي، وقال ابن حزم: بعد العشيرة بعشرة أيام، حتى أغار/ كرز بن جابر الفهري على سرح ٤٠/ب

(١) كما قال السهيلي في الروض.
(٢) في(ط، ب، د): وراءهم.
(٣) قال الشارح: كانت هذه الموادعة في غزوة ودان، وكان الأولى تقديمها، أي أن تذكر بعدها.

المدينة، فخرج ﷺ في طلبه حتى بلغ سفوان - بفتح المهملة والفاء - موضع من ناحيةِ بدر، ففاته كرز بن جابر. وتسمى بدراً الأولى.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

[سرية عبد الله بن جحش]

ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش[1] في رجب على رأس سبعة عشر شهراً، وكان معه ثمانية - وقيل اثنا عشر - من المهاجرين، إلى نخلة على ليلة من مكة، في رجب يترصد قريشاً، فمرت بهم عيرهم تحمل زبيباً وأدماً من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، فتشاور المسلمون وقالوا: نحن في آخر يوم من رجب، فإن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر، وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة، فأجمعوا على قتلهم فقتلوا عمراً واستأسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، وهرب من هرب، واستاقوا العير، وكانت أول غنيمة في الإسلام، فقسمها ابن جحش، وعزل الخمس من ذلك قبل أن يفرض، ويقال: بل قدموا بالغنيمة كلها.

فقال النبي ﷺ: ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام، فأخر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها.

وتكلمت قريش: إن محمداً سفك الدماء، وأخذ المال في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه..**﴾

---

(١) قال اليعمري: سمي في هذه السرية أمير المؤمنين، وقال غيره: سماه ﷺ أمير المؤمنين فهو أول من تسمى به في الإسلام.

الآية[1]. وفي ذلك يقول عبد الله بن جحش:

تعــدون قتــلاً في الحــرام عــظيمــة ... وأعــظم منـه لــو يــرى ذاك راشــد

صــدودكــم عــما يــقــول محــمــد ... وكــفــر بــه والله راء وشــاهــد

سقينــا من ابن الحضرمي رمــاحنــا ... بــنــخــلة لمــا أوقــد الحــرب واقــد

وبعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء الأسيرين، وهما: عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان، ففاداهما رسول الله ﷺ. فأما الحكم فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً، وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافراً.

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢١٧.

[تحويل القبلة]

ثم حولت القبلة إلى الكعبة، وكان رسول الله ﷺ يصلي إلى بيت المقدس بالمدينة ستة عشر شهراً[1].

وقيل سبعة عشر[2]، وقيل ثمانية عشر شهراً[3].

وقال الحربي: قدم ﷺ المدينة في ربيع الأول، فصلى إلى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنتين ستة أشهر. ثم حولت القبلة.

وقيل: كان تحويلها في جمادى، وقيل: كان يوم الثلاثاء في نصف شعبان، وقيل يوم الإثنين نصف رجب.

وظاهر حديث البراء في البخاري: أنها كانت صلاة العصر.

ووقع عند النسائي من رواية سعيد بن المعلى: أنها الظهر.

وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني، كما في الصحيحين عن ابن عمر أنه قال: بينما الناس بقباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أمر أن

---

(١) كما رواه مسلم برقم (٥٢٥) وكذا النسائي.

(٢) كما عند البزار والطبراني.

(٣) كما رواه ابن ماجه. قال الحافظ: وهو شاذ.

يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة[1].

وفي هذا دليل على أن الناسخ لا يلزم حكمه إلا بعد العلم به، وإن تقدم نزوله، لأنهم لم يؤمروا بإعادة العصر والمغرب والعشاء والله أعلم.

وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما: لما هاجر ﷺ إلى المدينة، واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود، فاستقبلها سبعة عشر شهراً، وكان ﷺ يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم، فكان يدعو وينظر/ إلى السماء فنزلت الآية.

١/٤١

قال في فتح الباري وظاهر حديث ابن عباس هذا أن استقبال بيت المقدس إنما وقع بعد الهجرة إلى المدينة. لكن أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان ﷺ يصلي بمكة نحو بيت المقدس، والكعبة بين يديه، قال: والجمع بينهما ممكن: بأن يكون أمر لما هاجر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس.

وأخرج الطبري أيضاً من طريق ابن جريج قال: صلى النبي ﷺ أول ما صلى إلى الكعبة، ثم صرف إلى بيت المقدس وهو بمكة، فصلى ثلاث حجج، ثم هاجر، فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهراً، ثم وجهه الله إلى الكعبة.

وقوله في حديث ابن عباس الأول: «أمره الله تعالى» يرد قول من قال: إنه صلى إلى بيت المقدس باجتهاد.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٣ ومسلم برقم ٥٢٦.

وعن أبي العالية: أنه صلى إلى بيت المقدس يتألف أهل الكتاب. وهذا لا ينفي أن يكون بتوقيف.

[مسجد القبلتين]

واختلفوا في المسجد الذي كان يصلي فيه:

فعند ابن سعد في الطبقات: أنه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار إليه ودار معه المسلمون.

ويقال: إنه ﷺ زار أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة، فصنعت له طعاماً، وكانت الظهر، فصلى عليه الصلاة والسلام بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار، إلى الكعبة، واستقبل الميزاب[1]، فسمي مسجد القبلتين. قال ابن سعد قال الواقدي: هذا عندنا أثبت.

[موقف اليهود والمنافقين]

ولما حول الله تعالى القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار واليهود ارتياب وزيغ عن الهدى وشك، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، أي: ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا، وتارة يستقبلون كذا، فأنزل الله جوابهم في قوله: ﴿**قل لله المشرق والمغرب**﴾ أي الحكم والتصرف، والأمر كله لله، فحيثما توجهنا فالطاعة في امتثال أمره، ولو وجهنا كل يوم مرات إلى جهات متعددة فنحن عبيده، وفي تصريفه وخدامه حيثما وجهنا توجهنا.

---

(١) هذه الجملة ليست في ش.

ولله تعالى بنبينا عليه السلام وبأمته عناية عظيمة، إذ هداهم إلى قبلة خليله، قال عليه السلام فيما رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: إن اليهود لا يحسدوننا على شيء كما يحسدوننا على يوم الجمعة، التي هدانا الله إليها وضلوا عنها. وعلى القبلة التي هدانا الله إليها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين[1].

[أجوبة قرآنية]

وقال بعض المؤمنين: فكيف صلاتنا التي صليناها نحو بيت المقدس؟ وكيف من مات من إخواننا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله **﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾**[2].

وقيل قال اليهود: اشتاق إلى بلد أبيه، وهو يريد أن يرضي قومه، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبي الذي ننتظر أن يأتي. فأنزل الله تعالى: **﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾**[3] يعني أن اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله سيوجهك إليها بما في كتبهم عن أنبيائهم.

[فرض رمضان وزكاة الفطر]

ثم فرض صيام شهر رمضان، بعدما حولت القبلة إلى الكعبة بشهر، في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدمه ﷺ.

وزكاة الفطر قبل العيد بيومين: أن يخرج عن الصغير والكبير

---

(١) المسند ٦/١٣٥.

(٢) سورة البقرة ١٤٣.

(٣) سورة البقرة ١٤٤.

والحر والعبد والذكر والأنثى صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع من شعير أو صاع من بر، وذلك قبل أن تفرض زكاة الأموال. وقيل إن زكاة الأموال فرضت فيها، وقيل: قبل الهجرة والله أعلم.

[غزوة بدر الكبرى]

ثم غزوة بدر الكبرى، وتسمى العظمى، والثانية، وبدر القتال.

/ب وهي قرية مشهورة، نسبت إلى بدر بن يخلد[1] بن النضر/ بن كنانة، كان نزلها، وقيل: بدر بن الحارث، حافر بئرها، وقيل بدر اسم البئر التي بها سميت لاستدارتها، أو لصفائها ورؤية البدر فيها.

[فضل غزوة بدر]

وقال ابن كثير: وهو يوم الفرقان، الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرب محله، وهذا مع قلة عدد المسلمين، وكثرة العدو مع ما كانوا فيه من سوابغ الحديد، والعدة الكاملة، والخيول المسومة، والخيلاء الزائدة، فأعز الله تعالى رسوله وأظهر وحيه وتنزيله، وبيض وجه النبي ﷺ وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله، ولهذا قال تعالى ممتناً على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿**ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة**﴾[2] أي قليل عددكم، لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعدد. انتهى.

فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الإسلام، إذ منها كان

---

(١) في (ط، د): مخلد. وبين الشارح أن الصواب: يخلد.

(٢) سورة آل عمران. الآية ١٢٣.

ظهوره، وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره، ومن حين وقوعها أذل الله الكفار، وأعز من حضرها من المسلمين، فهو عنده من الأبرار[1].

[معلومات عامة]

وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً، ويقال: لثمان خلون منه. قاله ابن هشام.

واستخلف أبا لبابة الأنصاري[2].

وخرج معه الأنصار، ولم تكن قبل ذلك خرجت معه،

وكان عدة من خرج معه ثلاثمائة وخمسة، وثمانية لم يحضروها، إنما ضرب لهم بسهمهم وأجرهم فكانوا كمن حضرها[3].

وكان معهم ثلاثة أفراس: «بعزجة» فرس المقداد، و«العيسوب» فرس الزبير وفرس لمرثد الغنوي، لم يكن لهم خيل يومئذ غير هذه، وكان معهم سبعون بعيراً[4].

---

(١) قال ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: فقد غفرت لكم) رواه البخاري.

(٢) وقد رده من الروحاء.

(٣) وهم: عثمان بن عفان تخلف بسبب مرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد كانا في مهمة استطلاعية تتعلق بالعير وأبو لبابة استخلفه ﷺ على المدينة. وعاصم بن عدي على أهل العالية، والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف. والحارث بن الصمة وقع أثناء الطريق فرد، وخوات بن جبير أصابه حجر في ساقه فرد من الصفراء.

(٤) روى ابن سعد عن ابن مسعود: كنا يوم بدر كل ثلاثة يعتقبون بعيراً. وكان أبو لبابة ـ قبل رده إلى المدينة ـ وعلي مع رسول الله ﷺ فكان إذا =

وكان المشركون ألفاً[1] ويقال: تسعمائة وخمسـون رجلاً، معهم مـائة فرس، وسبعمائة بعير.

وكان قتالهم يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان، وقيل يوم الإثنين وقيل غير ذلك.

[سبب الغزوة]

وكانت من غير قصد من المسلمين إليها ولا ميعاد، كما قال الله تعالى: ﴿**ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾[2].

وإنما قصد ﷺ والمسلمون التعرض لعير قريش. وذلك أن أبا سفيان كان بالشام في ثلاثين راكباً منهم عمرو بن العاصي، فأقبلوا في قافلة عظيمة، فيها أموال قريش، حتى إذا كانوا قريباً من بدر، فبلغ النبي ﷺ ذلـك، فندب أصحـابه إليهم وأخـبرهم بكثرة المـال وقلة العدو، وقال: هذه عير لقريش فيها أموال فاخرجوا إليها، لعل الله أن ينفلكموها.

فلما سمع أبو سفيان بسيره عليه السلام، استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري أن يأتي قريشاً بمكة، فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لعيرهم في أصحابه.

فنهضوا في قريب من ألف ولم يتخلف أحد من أشراف قريش

= كانت عقبة النبي ﷺ قالا: اركب حتى نمشي عنك، فيقول: ما أنتما بأقوى مني على المشي وما أنا بأغنى عن الأجر منكما.

(١) كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عباس.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

إلا أبا لهب، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة[1].

[الشورى]

وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه، حتى بلغ الروحاء، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم، فاستشار النبي ﷺ الناس في طلب العير، أو حرب النفير، وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريش. وكانت العير أحب إليهم.

فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر فقال فأحسن[2].

ثم قام المقداد بن عمرو، فقال: يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد - يعني مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

١/٤٢ فقال له ﷺ: خيراً، ودعا له بخير. ثم قال ﷺ: أيها الناس أشيروا علي، وإنما يريد الأنصار. لأنهم حين بايعوه/ بالعقبة قالوا: يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا، نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا. وكان ﷺ يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم. فلما قال ذلك عليه الصلاة والسلام:

---

(١) هو أخو أبي جهل. كان عليه أربعة آلاف درهم لأبي لهب عجز عن أدائها فاستأجره بها.

(٢) قال الشارح: لم أر من ذكر كلام أبي بكر، وذكر ابن عقبة وابن عائذ أن عمر قال: يا رسول الله، إنها قريش وعزها، والله ما ذلت منذ عزت، ولا =

قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله. قال: أجل.

قال: قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقى عدونا، إنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى.

فسر عليه الصلاة والسلام بقول سعد، ونشطه ذلك، ثم قال: سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم. قال ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: هذا مصرع فلان، ويضع يده على الأرض، ها هنا وها هنا. . قال فما ماط أحدهم ـ أي ما تنحى ـ عن موضع يده عليه الصلاة والسلام.

تنبيه: قال ابن سيد الناس في «عيون الأثر»: روينا من طريق مسلم أن الذي قال ذلك: سعد بن عبادة سيد الخزرج، وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ، كذا رواه ابن إسحاق وغيره.

واختلف في شهود سعد بن عبادة بدرا، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين، وذكره الواقدي والمدائني[1] وابن الكلبي منهم انتهى.

= آمنت منذ كفرت، والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته.

(١) [المدائني] علي بن محمد، أبو الحسن، الأخباري، صاحب تصانيف، وثقة =

[على أرض المعركة]

ثم ارتحل ﷺ قريباً من بدر، ونزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي، ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب، وسبقهم المشركون إلى ماء بدر فأحرزوه، وحفروا القلب لأنفسهم(١).

وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب، وأصابهم الظمأ، وهم لا يصلون إلى الماء، ووسوس الشيطان لبعضهم وقال: تزعمون أنكم على الحق، وفيكم نبي الله. وأنكم أولياء الله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم عطاش، وتصلون محدثين مجنبين، وما ينتظر أعداؤكم إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا.

فأرسل الله عليهم مطراً سال منه الوادي، فشرب المسلمون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وملؤوا الأسقية، وأطفأ الغبار ولبد الأرض حتى ثبتت عليها الأقدام. وزالت عنهم وسوسة الشيطان، وطابت أنفسهم، فذلك قوله تعالى: ﴿**وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به**﴾ أي من الأحداث والجنابة ﴿**ويذهب عنكم رجز الشيطان**﴾ أي وسوسته ﴿**وليربط على قلوبكم**﴾ بالصبر ﴿**ويثبت به**

= ابن معين وقال ابن عدي ليس بالقوي. مات سنة أربع وخمسين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة.

(١) القلب: جمع قليب، البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها، فعلوا ذلك ليجعلوا فيها الماء.

الأقدام﴾[1] حتى لا تسوخ في الرمل، بتلبيد الأرض[2].

وبني لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه[3].

[المبارزة قبل المعركة]

ثم خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، ودعا إلى المبارزة، فخرج فتية من الأنصار وهم: عوف ومعاذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - وعبد الله بن رواحة. فقالوا من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، فقالوا ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج لنا أكفاءنا من قومنا. فقال

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١١.

(٢) قال ابن إسحاق: فخرج ﷺ يبادرهم إلى الماء، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به، فقال الحباب بن المنذر: يا رسول الله، هذا منزل أنزلكه الله لا تتقدمه ولا تتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتنزل فيه ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون قال ﷺ: أشرت بالرأي. وفعل عليه السلام ما أشار به الحباب [سيرة ابن هشام ١/٦٢٠].

(٣) بني العريش بإشارة سعد بن معاذ إذ قال: يا رسول الله، ألا نبني لك عريشاً، تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك، فأثنى عليه ﷺ خيراً ودعا له بخير. [سيرة ابن هشام ١/٦٢٠].
والعريش شبه الخيمة يستظل به.

ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، قم يا علي.

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم؟ فتسموا لهم/، فقالوا: نعم ٤٢/ب أكفاء كرام، فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ـ عتبة بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فقتل علي الوليد. هكذا ذكره ابن إسحاق.

وعند موسى بن عقبة ـ كما نقله في فتح الباري ـ برز حمزة لعتبة، وعبيدة لشيبة وعلي للوليد.

ثم اتفقا: فقتل علي الوليد، وقتل حمزة الذي بارزه، واختلف عبيدة ومن بارزه بضربتين، فوقعت الضربة في ركبة عبيدة ومال علي وحمزة على الذي بارزه عبيدة فأعاناه على قتله.

وعند الحاكم، من طريق عبد خير عن علي: مثل قول موسى بن عقبة.

وعند أبي الأسود عن عروة مثله.

وأورد ابن سعد من طريق عبيدة السلماني: أن شيبة لحمزة، وعبيدة لعتبة، وعليا للوليد، ثم قال: الثبت أن عتبة لحمزة، وشيبة لعبيدة.

وأخرج أبو داود عن علي قال: تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه، فنادى: من يبارز فانتدب له شبان من الأنصار، فقال: من أنتم؟ فأخبروه، فقال: لا حاجة لنا فيكم، إنما أردنا بني عمنا، فقال رسول الله ﷺ: قم يا حمزة، قم يا علي، قم يا عبيدة، فأقبل حمزة إلى عتبة، وأقبلت إلى شيبة، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان، فأثخن كل واحد منهما صاحبه، ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا أصح الروايات، لكن الذي في السير من أن الذي بارزه علي هو الوليد هو المشهور هو اللائق بالمقام، لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة، بخلاف علي والوليد فكانا شابين.

وقد روى الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة، فلم يعب النبي ﷺ علينا ذلك. وهذا موافق لرواية أبي داود. والله أعلم. انتهى.

[استغاثة ودعاء]

قال ابن إسحاق: ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض.

ورسول الله ﷺ في العريش ومعه أبو بكر، ليس معه فيه غيره، وهو ﷺ يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإيمان اليوم فلا تعبد في الأرض أبداً[1]. . وأبو بكر يقول: يا رسول الله، خل بعض مناشدتك ربك، فإن الله منجز لك ما وعدك.

وعند سعيد بن منصور[2] من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم

(١) لفظ ابن إسحاق ـ الذي هو ناقل عنه ـ اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد. وفي حديث عمر عند مسلم: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض وفي البخاري عن ابن عباس: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد.

(٢) الحافظ الثقة، أحد الأعلام، صاحب السنن، أخذ عن مالك والليث، وعنه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم، مات بمكة سنة سبع عشرين ومائتين.

وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه، فقال عليه السلام وهو في صلاته: اللهم لا تخذلني، اللهم أنشدك ما وعدتني.

وروى النسائي والحاكم عن علي قال: قاتلت يوم بدر شيئاً من قتال، ثم جئت فإذا رسول الله ﷺ يقول في سجوده: يا حي، يا قيوم. فرجعت وقاتلت ثم جئت فوجدته كذلك.

وفي الصحيح: أن رسول الله ﷺ لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق، أخذت رسول الله ﷺ سنة من النوم ثم استيقظ متبسماً، فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع ثم خرج من باب العريش وهو يتلو ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

[أبو بكر والدعاء]

فإن قلت: كيف جعل أبو بكر يأمره عليه الصلاة والسلام بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته، ومقام الرسول ﷺ هو المقام الأحمد، ويقينه فوق يقين كل أحد؟

أجاب السهيلي نقلاً عن شيخه[1]: بأن الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجاء، / والنبي ﷺ في مقام الخوف، لأن لله تعالى أن يفعل ما يشاء، فخاف أن لا يعبد الله في الأرض، فخوفه ذلك عبادة انتهى. ١/٤٣

وقال الخطابي: لا يتوهم أحد أن أبا بكر كان أوثق بربه من النبي ﷺ في تلك الحالة، بل الحامل للنبي ﷺ على ذلك شفقته على

---

(١) القاضي أبو بكر بن العربي.

أصحابه وتقوية قلوبهم، فبالغ في التوجه والدعاء والابتهال لتسكن نفوسهم عند ذلك لأنهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة، فلما قال له أبو بكر ما قال، كف عن ذلك وعلم أنه استجيب له لما وجد أبو بكر في نفسه من القوة والطمأنينة، فلهذا عقبه بقوله: سيهزم الجمع [ويولون الدبر](1).

[وقال غيره](2): وكان النبي ﷺ في تلك الحالة في مقام الخوف، وهو أكمل حالات الصلاة، وجاز عنده أن لا يقع النصر يومئذ، لأن وعده بالنصر لم يكن معيناً لتلك الواقعة، وإنما كان مجملاً(3). هذا هو الذي يظهر [من بادىء الرأي](4).

وإنما قال ﷺ: اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد بعد اليوم لأنه علم أنه خاتم النبيين، فلو هلك هو ومن معه حينئذ، لا يبعث أحد ممن يدعو إلى الإيمان.

وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه في الدعاء، فإنه رأى الملائكة تنصب في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون غمرات الموت. والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد

---

(1) زيادة في (د، ش).
(2) في ش.
(3) أقول: يمكن تفسير موقف أبي بكر: بأن شفقته على الرسول ﷺ حينما رآه وقد انهمك في الدعاء حتى سقط الرداء عن منكبيه ـ كما في رواية مسلم الآتية ـ هي التي دعته إلى قولته تلك التي تعني الرجاء والأمل.. وكذلك كان موقف الصحابة رضي الله عنهم مثل قولهم: «ليته سكت» يوم كان يحدثهم عن قول الزور، وإنما قالوا ذلك شفقة عليه ﷺ [المحقق].
(4) في ش.

بالدعاء، ومن سنة الإمام أن يكون وراء الجند لا يقاتل معه، فكان الكل في جهاد واجتهاد، ولم يكن ليريح نفسه من أحد الجدين والجهادين[1] وأنصارِ الله وملائكته يجتهدون، ولا ليؤثر الدعة وحزب الله مع أعدائه يجتلدون. انتهى[2].

[شهود الملائكة غزوة بدر]

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال عمر بن الخطاب: (لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً دخل العريش، فاستقبل القبلة ثم مد يديه[3]، وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني... فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك[4] مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم﴾ مرسل إليكم مدداً لكم ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾[5] أي متتابعين بعضهم في إثر بعض.

---

(١) (والجهادين) لم ترد في (ط ش).

(٢) قول السهيلي، وكلامه في الفقرة الأخيرة يسلم له لو بقي الرسول ﷺ طيلة الوقت في الدعاء ولم يخرج لإدارة المعركة، ولكن النصوص تبين أنه لما رأى جبريل على ثناياه النقع خرج من العريش وهو يتلو﴿سيهزم الجمع..﴾ ليقوم بإدارة المعركة.. فأمر أصحابه: علياً وحمزة والحارث بالخروج للمبارزة.. ثم أوامره الأخرى.. وأدلة جهاده الأخرى تدل أنه ﷺ يكون في مقدمة الصفوف [المحقق].

(٣) كذا في مسلم وفي النسخ: ومد يده.

(٤) كذا في النسخ. والذي في مسلم «كذاك» وهي بمعناها.

(٥) رواه مسلم برقم ١٧٦٣.

وعلى قراءة فتح الدال معناه: أردف الله المسلمين وجاءهم بهم مدداً.

وفي الآية الأخرى ﴿**بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾[1] فقيل معناه: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف. فكان الأكثر مدداً للأقل، وكان الألف مردفين بمن وراءهم. والألف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين، وهم الذين قال لهم: ﴿**فثبتوا الذين آمنوا**﴾ وكانوا في صور الرجال، ويقولون للمؤمنين: اثبتوا فإن عدوكم قليل وإن الله معكم.

وقال الربيع بن أنس[2]: أمد الله المسلمين بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف.

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

وعن عامر الشعبي: أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يمد المشركين فشق عليهم، فأنزل الله: ﴿**ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين**﴾ إلى قوله: ﴿**مسومين**﴾، قال: فبلغت كرزاً الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم تمد المسلمون بالخمسة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين، معه رايته، في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان/ للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم، ٤٣/ب فلما أقبل جبريل والملائكة كانت يده في يد رجل من المشركين فانتزع يده ثم نكص على عقبيه، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك جار؟ فقال إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب.

---

(١) سورة آل عمران. الآية ١٢٤.

(٢) الربيع بن أنس البكري، نزيل خراسان، صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع روى له أصحاب السنن الأربعة مات سنة أربعين ومائة.

وروي أن جبريل نزل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صورة الرجال على خيل بلق، عليهم ثياب بيض، وعلى رؤوسهم عمائم بيض، قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم،

وقال ابن عباس: كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض، ويوم حنين: عمائم خضر.

وعن علي: كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، وكانت سيماهم أيضاً في نواصي خيلهم. رواه ابن أبي حاتم.

وروى ابن مردويه عن ابن عباس رفعه، في قوله تعالى: ﴿مسومين﴾ قال: معلمين، وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود ويوم حنين عمائم خضر[1].

وروى ابن أبي حاتم عن الزبير: أن الملائكة نزلت وعليهم عمائم صفر.

[مشاركة الملائكة في القتال]

قيل: ولم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر من الأيام، وكانوا يكونون فيما سواه عدداً ومدداً، وبذلك صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال: المعروف من قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، ثم روى عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر[2].

وقال ابن مرزوق: ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الأقوال عند بعضهم.

---

(١) في سنده عبد القدوس بن حبيب، وهو متروك.

(٢) تفسير ابن كثير عند الآية ١٢٤ من سورة آل عمران.

وفي نهاية البيان في تفسير القرآن عند تفسير قوله تعالى: ﴿**ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم**﴾ وهل قاتلت الملائكة يومئذ أم لا؟ فيه قولان: أحدهما ـ وهو قول الجمهور ـ أنها لم تقاتل، انتهى.

وهذا يرده حديث مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد ـ يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام ـ يقاتلان كأشد القتال[1].

قال النووي: فيه بيان إكرامه ﷺ بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن قتالهم لم يختص بيوم بدر. قال: وهذا هو الصواب خلافاً لمن زعم اختصاصه، فهذا صريح في الرد عليه. وفيه أن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل يراهم الصحابة والأولياء. انتهى.

[قتلى الملائكة]

قال ابن الأنباري: وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل الآدميون، فعلمهم الله تعالى بقوله: ﴿**فاضربوا فوق الأعناق**﴾ أي الرؤوس ﴿**واضربوا منهم كل بنان**﴾ قال ابن عطية: كل مفصل.

قال السهيلي: جاء في التفسير أنه ما وقعت ضربة يوم بدر إلا في رأس أو مفصل، وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الأعناق والبنان.

وعن ابن عباس قال: حدثني رجل من بني غفار قال: أقبلت

---

(١) رواه مسلم برقم ٤٧ من كتاب الفضائل.

أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر - ونحن مشركان - ننظر الوقعة على من تكون الدبرة، فننهب مع من ينهب، فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً يقول: أقدم حيزوم، فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه في الحال. وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت. رواه البيهقي وأبو نعيم[1].

والدبرة: - بسكون الموحدة - الهزيمة في القتال.

وحيزوم: اسم فرس جبريل. قاله في القاموس.

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال: لقد رأيتنا يوم بدر، وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف. رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم.

[الحكمة في قتال الملائكة]

قال الشيخ تقي الدين السبكي: سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة/ مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه. 1/44

فقلت: ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي ﷺ وأصحابه، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش، رعاية لصور الأسباب [وسنتها][2] التي أجراها الله تعالى في عباده، والله فاعل الجميع انتهى.

[ولكن الله رمى]

ولما التقى الجمعان، تناول رسول الله ﷺ كفاً من الحصباء،

(1) وكذا ابن إسحاق.

(2) في ش.

فرمى به في وجوههم وقال: **شاهت الوجوه**. فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا وقتل الله من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾[1] قال: هذا يوم بدر، أخذ ﷺ ثلاث حصيات، فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم، وبحصاة بين أظهرهم، وقال: **شاهت الوجوه** فانهزموا.

وقد روي عن غير واحد: أن هذه الآية نزلت في رميه ﷺ يوم بدر، وإن كان فعل ذلك يوم حنين أيضاً كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد اعتقد جماعة: أن المراد بالآية سلب فعل الرسول عنه، وإضافته إلى الرب تعالى، وجعلوا ذلك أصلاً في الجبر، وإبطال نسبة الأفعال إلى العباد، وتحقيق نسبتها إلى الرب وحده!!

وهذا غلط منهم في فهم القرآن، ولو صح ذلك لوجب طرده، فيقال: ما صليت إذ صليت، ولا صمت إذ صمت، ولا فعلت كذا إذ فعلت ولكن الله فعل ذلك، فإن طردوا ذلك لزمهم في أفعال العباد طاعتهم ومعاصيهم إذ لا فرق، وإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله جميعها، أو برميه وحده ناقضوا. فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية.

ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه ﷺ مبدأ الرمي، وهو الحذف، ومن الرب تعالى نهايته وهو الإيصال،

---

(١) سورة الأنفال. الآية ١٧.

فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته.

ونظير هذا في الآية نفسها قوله تعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ ثم قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فأخبر أنه تعالى وحده هو الذي انفرد بإيصال الحصباء إلى أعينهم، ولم يكن برسوله ﷺ، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسباباً تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتال والنصر مضافاً إليه وبه وهو خير الناصرين.

[معجزتان]

قال ابن إسحاق: وقاتل عكاشة بن محصن الأسدي يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده، فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب فقال له قاتل به، فهزه فعاد في يده سيفاً طويل القامة، شديد المتن، أبيض الحديد، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين، وكان ذلك السيف يسمى العون، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قتل وهو عنده.

وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ ـ فيما ذكره القاضي عياض عن ابن وهب[1] ـ معاذ بن عمرو[2] يحمل يده، ضربه عكرمة عليها فتعلقت بجلدة، فبصق ﷺ عليها فلصقت. قال ابن إسحاق: ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان.

---

(١) عبد الله بن وهب الفهري ـ مولاهم ـ الحافظ الإمام الزاهد، من أجلة الناس وثقاتهم، ورجال الجميع، مات سنة سبع وتسعين ومائة.

(٢) الذي في «الشفاء»: معوذ بن عفراء.

[أمام القليب]

وعن عروة بن الزبير، عن عائشة: لما أمر ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب، فطرحوا فيه، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها، فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة.

وإنما ألقوا في القليب ولم يدفنوا، لأنه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم، / فكان جرهم إلى القليب أيسر عليهم[1].

٤٤/ب

وفي الطبراني عن أنس بن مالك قال: أنشأ [عمر بن الخطاب يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس من بدر،][2] يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدود التي حدها ﷺ، حتى انتهى إليهم فقال: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً؟! فإني وجدت ما وعدني الله حقاً.

---

(١) جاء في (ط) وكذلك على هامش الأصل بعد هذه الفقرة ما يأتي: وفي مختصر الروضة للحجازي: وتحرم الصلاة على الكافر ولا يجب على المسلم غسله، ويجوز، وقريبه الكافر أولى، ويجب علينا تكفين الذمي ودفنه، لا حربي ومرتد، بل يجوز إغراء الكلاب عليه، فإن دفن فلئلا يتأذى بريحه. اهـ.

(٢) ما بين القوسين في ش، ومكانه في النسخ: [رسول الله ﷺ يحدثنا عن أهل بدر]. قال الشارح: في أكثر النسخ ما ظاهره أن الحديث من مسند أنس والذي في الطبراني ما ذكرناه وتلك النسخ فيها سقط يدل عليه قوله: قال عمر.

وفي رواية[1] فنادى: يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام. .، وفي بعضه نظر، لأن أمية ابن خلف لم يكن في القليب لأنه كان - كما تقدم - ضخماً وانتفخ فألقوا عليه من الحجارة والتراب ما غيبه. لكن يجمع بينهما بأنه كان قريباً من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم.

وقال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قال: يا أهل القليب، بئس العشيرة كنتم، كذبتموني وصدقني الناس.

فقال عمر رضي الله عنه[2]: يا رسول الله، كيف تكلم أجساداً لا روح فيها، فقال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئاً.

[رأي عائشة في سماع أهل القليب]

وتأولت عائشة ذلك فقالت: إنما أراد النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم حق. ثم قرأت ﴿**إنك لا تسمع الموتى**﴾ الآية[3]، فقولها يدل على أنها كانت تنكر ذلك مطلقاً، لقولها: إنهم الآن ليعلمون.

وقال قتادة: أحياهم الله تعالى توبيخاً وتصغيراً، ونقمة وحسرة.

وفيه رد على من أنكر أنهم يسمعون، كما روي عن عائشة رضي الله عنها.

---

(١) أخرجها ابن إسحاق وأحمد ومسلم وغيرهم عن أنس.
(٢) قول عمر هذا تتمة رواية الطبراني عن أنس، وقد جاءت رواية ابن إسحاق والتي قبلها معترضة بين قسمي الحديث.
(٣) سورة النمل. الآية ٨٠ .

ومن الغريب، أن في المغازي ـ لابن إسحاق ـ من رواية يونس ابن بكير، بإسناد جيد عن عائشة حديثاً وفيه: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. وأخرجه الإمام أحمد بإسناد حسن. فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة.

وقال الإسماعيلي: كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله، يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن، لأن قوله تعالى: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ لا ينافي قوله عليه السلام: إنهم الآن ليسمعون، لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت النبي ﷺ بذلك. وأما جوابها بأنه إنما قال: إنهم ليعلمون، فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيدها.

وقال السهيلي ما محصله: إن في نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك لنبيه ﷺ لقول الصحابة له: أتخاطب أقواماً قد جيفوا؟! فأجابهم بما أجابهم. قال: وإذا جاز أن يكونوا في تلك الحالة عالمين جاز أن يكونوا سامعين، وذلك إما بآذان رؤوسهم إذا قلنا إن الروح تعاد إلى الجسد، أو إلى بعضه عند المسألة، وهو قول أكثر أهل السنة، وإما بآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد أو إلى بعضه.

قال: وقد روي عن عائشة أنها احتجت بقوله تعالى: ﴿وما أنت

بمسمع من في القبور إن أنت إلا نذير﴾[1] وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي﴾[2] أي إن الله هو الذي يهدي ويوفق ويوصل الموعظة إلى آذان القلوب لا أنت. وجعل الكفار أمواتاً وصماً على جهة التشبيه/ بالأموات وبالصم، فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة إذا شاء، لا نبيه ولا أحد، فإذاً لا تعلق بالآية من وجهين: ١/٤٥

أحدهما: أنها إنما نزلت في دعاء الكفار إلى الإيمان.

الثاني: أنه إنما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم، وصدق الله فإنه لا يسمعهم إذا شاء إلا هو، يفعل ما يشاء وهو على كل شيء قدير. انتهى ولقد أحسن العلامة ابن جابر[3] حيث قال:

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله	كواكب في أفق الكواكب تنجلي
وجبريل في جند الملائك دونه	فلم تغن أعداد العدو المخذل
رمى بالحصى في أوجه القوم رمية	فشردهم مثل النعام المجفل[4]
وجاد لهم بالمشرفي فسلموا	فجاد له بالنفس كل مجندل
عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع	حديثهم في ذلك اليوم من علي
فهم عتبوا بالسيف عتبة إذ غدا	فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفاً تبادرت	إليه العوالي بالخضاب المعجل

(١) سورة فاطر. الآية (٢٢).

(٢) سورة الزخرف. الآية (٤٠).

(٣) محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية. أبو عبدالله الشهير بالأعمى والبصير.

(٤) كذا في (ط، د) وفي بقية النسخ: بمجهل.

وجـال أبـو جـهـل فحـقـق جـهـله ... غـداة تـردى بـالـردى عن تـذلـل
فـأضحى قليبـاً في القليب وقـومـه ... يـؤمـونـه فـيـهـا إلى شر مـنهـل
وجـاء لهـم خـير الأنـام مـوبـخـاً ... ففتـح من أسـماعهـم كـل مقـفـل
وأخـبر مـا أنـتـم بـأسـمـع مـنهـم ... ولـكـنهـم لا يهـتـدون لمـقـول
سـلا عنهم يوم السـلا إذا تضـاحكـوا ... فـعـاد بـكـاء عـاجـلاً لم يـؤجـل
ألم يعلمـوا عـلم اليـقـين بصـدقـه ... ولـكنهـم لا يـرجـعـون لمـعقـل
فيـا خـير خلق الله جـاهـك ملجئي ... وحبـك ذخـري في الحسـاب ومـوئـلي
عليـك صـلاة يشمـل الآل عـرفهـا ... وأصحـابـك الأخيـار أهـل التفضـل

[خبر وقصة]

وحكى العلامة ابن مرزوق أن ابن عمر رضي الله عنهما مر مرة ببدر فإذا رجل يعذب ويئن، فلما اجتاز به ناداه: يا عبد الله، قال ابن عمر، رضي الله عنهما: فلا أدري أعرف اسمي أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يـا عبد الله، فـالتفت إليه، فقـال: اسقني، فأردت أن أفعل، فقال الأسود الموكل بتعذيبه: لا تفعل يا عبد الله، فإن هذا من المشركين الـذين قتلهم رسـول الله ﷺ ببـدر. ورواه الـطبراني في الأوسط[1].

قال: ومن آيات بدر الباقية، ما كنت أسمعه من غير واحد من

(١) هذه الجملة في (ا) و(ط) قال الشارح: ورواه ابن أبي الدنيـا وابن منده وغيرهم عن ابن عمر. . وفيه: فأتيت النبي ﷺ مسرعاً فأخبرته بذلك فقال لي قد رأيته قلت نعم قال: ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه إلى يوم القيامة.

الحجاج أنهم إذا اجتازوا بذلك الموضع يسمعون كهيئة طبل ملوك الوقت، ويرون أن ذلك لنصر أهل الإيمان، قال: وربما أنكرت ذلك، وربما تأولته بأن الموضع لعله صلب فتستجيب فيه حوافر الدواب، فكان يقال لي: إنه دهس رمل غير صلب، وغالب ما يسير هناك الإبل وأخفافها لا تصوت في الأرض الصلبة، فكيف بالرمال؟ قال ثم لما منَّ الله علي بالوصول إلى ذلك الموضع المشرف، نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بأم غيلان، وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع، فما راعني وأنا أسير في الهاجرة إلا وواحد من عبيد الأعراب الجمالين يقول: أتسمعون الطبل، فأخذتني - لما سمعت كلامه - قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به، وكان في الجو بعض ريح، فسمعت صوت الطبل، وأنا دهش مما أصابني من الفرح أو الهيبة، أو ما الله/ أعلم به، فشككت، وقلت: لعل الريح ٤٥/ب سكنت في هذا العود الذي في يدي وحدث مثل هذا الصوت، وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة، فألقيت العود من يدي، وجلست على الأرض، أو وثبت قائماً، أو فعلت جميع ذلك، فسمعت صوت الطبل سماعاً محققاً، أو صوتاً لا أشك فيه أنه صوت طبل، وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون إلى مكة المشرفة، ثم نزلنا إلى بدر، فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع، المرة بعد المرة.

قال: لقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس ا هـ.

[أمر الأسرى]

وروى الطبراني من حديث أبي اليسر[1]، أنه أسر العباس، وقيل

(١) كعب بن عمرو الأنصاري السلمي، شهد العقبة وبدراً والمشاهد، ومات سنة خمس وخمسين بالمدينة.

للعباس - وكان جسيماً - كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم، ولو شئت لجعلته في كفك، فقال: ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة - وهي بالخاء المعجمة - جبل من جبال مكة، قاله في القاموس.

ولما ولي عمر بن الخطاب وثاق الأسرى شد وثاق العباس، فسمعه النبي ﷺ وهو يئن فلم يأخذه النوم، فبلغ الأنصار، فأطلقوا العباس، فكأن الأنصار فهموا رضى رسول الله ﷺ بفك وثاقه، وسألوه أن يتركوا له الفداء طلباً لتمام رضاه فلم يجبهم.

وفي حديث أنس عند الإمام أحمد: استشار ﷺ الناس في الأسرى يوم بدر فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله، اضرب أعناقهم، فأعرض عنه عليه السلام، ثم عاد ﷺ فقال: يا أيها الناس، إن الله قد أمكنكم منهم. فقال عمر: يا رسول الله، اضرب أعناقهم، فأعرض عنه عليه السلام، فعل ذلك ثلاثاً، فقام أبو بكر فقال يا رسول الله، أرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء، فذهب من وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم، فعفا وقبل منهم الفداء. قال: وأنزل الله ﴿**لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم، فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً**﴾ الآية. ويأتي الكلام عليها في النوع العاشر في إزالة الشبهات من الآيات المشكلات من المقصد السادس إن شاء الله تعالى.

وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس أنه ﷺ قال: يا عباس، افد نفسك وابني أخيك، عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث، وحليفك عتبة بن عمرو. قال إني كنت مسلماً ولكن القوم استكرهوني. قال: الله تعالى أعلم بما تقول، إن يكن ما تقول حقاً

فإن الله يجزيك، ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا.

وذكر موسى بن عقبة أن فداءهم كان أربعين أوقية ذهباً.

وعند أبي نعيم في الدلائل بإسناد حسن من حديث ابن عباس أنه جعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: أللقرابة صنعت هذا؟ فأنزل الله تعالى **﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم﴾**[1] الآية. فقال العباس: وددت لو أخذ مني أضعافها لقوله تعالى: **﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾**.

[شهداء المسلمين]

وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين[2]، وثمانية من الأنصار، ستة من الخزرج[3]، واثنان من الأوس[4].

تنبيه: لا يقدح في وعد الله أن استشهد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم، وإنما هذا الوعد كقوله تعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾** إلى قوله: **﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**[5]، فقد

---

(١) سورة الأنفال. الآية ٧٠.

(٢) هم: عبيدة بن الحارث، ومهجع مولى عمر، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص، وعاقل بن البكير الليثي، وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي.

(٣) وهم: عوف بن عفراء، وشقيقه معوذ بن عفراء، وحارثة بن سراقة، ويزيد ابن الحارث ورافع بن المعلى، وعمير بن الحمام.

(٤) هما: سعد بن خيثمة أحد النقباء بالعقبة، ومبشر بن عبد المنذر.

(٥) سورة التوبة. الآية ٢٩.

نجز الموعود وغلبوا كما وعدوا، فكان وعد الله مفعولاً ونصره للمؤمنين ناجزاً والحمد لله.

[قتلى المشركين وأسراهم]

وقتل من المشركين سبعون، وأسر سبعون[1]، وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكل أسلم.

[إسلام العباس]

وكان العباس رضي الله عنه - فيما قاله أهل العلم بالتاريخ - قد أسلم قديماً، وكان يكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبي ﷺ: من لقي العباس فلا يقتله، فإنه خرج مستكرهاً، ففادى نفسه ورجع إلى مكة.

وقيل إنه أسلم يوم بدر، فاستقبل النبي ﷺ يوم الفتح بالأبواء، وكان معه حين فتح مكة، وبه ختمت الهجرة.

وقيل أسلم يوم فتح خيبر.

وقيل كان يكتم إسلامه وأظهره يوم فتح مكة[2]، وكان إسلامه قبل بدر، وكان يكتب بأخبار المشركين إلى النبي ﷺ، وكان يحب القدوم على رسول الله ﷺ، فكتب إليه عليه الصلاة والسلام: إن مقامك بمكة خير لك.

---

(١) في البخاري أنه ﷺ قال في أسرى بدر: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له).

(٢) قوله أظهره يوم فتح مكة فيه نظر، فقد اتجه العباس مهاجراً إلى المدينة قبل فتح مكة، وهجرته إعلان عن إسلامه.

وقيل إن سبب إسلامه، أنه خرج لبدر بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين، فأُخذت منه في الحرب، فكلم النبي ﷺ أن يحسب العشرين أوقية من فدائه، فأبى وقال: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك، فقال العباس تركتني أتكفف قريشاً، فقال له ﷺ: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة، فقال العباس: وما يدريك؟ فقال: أخبرني ربي، فقال: أشهد أنك صادق، فإن هذا لم يطلع عليه أحد إلا الله، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله.

[بشارة النصر ودفن رقية]

ولما فرغ ﷺ من بدر في آخر رمضان وأول يوم من شوال، بعث زيدبن حارثة بشيراً فوصل المدينة ضحى، وقد نفضوا أيديهم من تراب رقية بنت رسول الله ﷺ، وهذا هو الصحيح في وفاة رقية.

وقد روي أنه ﷺ شهد دفن بنته رقية، فقعد على قبرها ودمعت عيناه، وقال: أيكم لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة أنا، فأمره أن ينزلها قبرها.

وأنكر البخاري هذه الرواية، وخرج الحديث في الصحيح فقال فيه: عن أنس: شهدنا دفن بنت رسول الله ﷺ وذكر الحديث ولم يسم رقية ولا غيرها.

وذكر الطبراني[1] أنها أم كلثوم فحصل في حديث الطبراني التبيين. ومن قال: كانت رقية فقد وهم.

---

(١) في ش: الطبري. وقال: وكذا الطحاوي والواقدي وابن سعد والدولابي.

وكان عثمان قد تخلف لأجل رقية زوجته فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره.

[في الطريق إلى المدينة]

وأمر ﷺ عند انصرافه عاصم بن ثابت - وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب - بقتل عقبة بن أبي معيط، فقتله صبراً.

ثم أقبل عليه السلام قافلاً إلى المدينة ومعه الأسرى من المشركين، واحتمل النفل الذي أصيب منهم، وجعل عليه عبد الله بن كعب من بني مازن. فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين على السواء.

وأمر علياً بالصفراء بقتل النضر بن الحارث.

ثم مضى ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسرى بيوم. فلما قدموا فرقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بهم خيراً.

[الحكم الفقهي في الأسرى]

وقد استقر الحكم في الأسرى عند الجمهور من العلماء: أن الإمام مخير فيهم، إن شاء قتل كما فعل ﷺ ببني قريظة، وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر، وإن شاء استرق من أسر. هذا مذهب الشافعي وطائفة من العلماء، وفي المسألة خلاف مقرر في كتب الفقه والله أعلم.

[خبر النصر في مكة]

ولما قدم أبو سفيان بن الحارث من بدر لمكة، سأله أبو لهب عن خبر قريش. فقال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا

يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيم الله ـ مع ذلك ـ ما لمت الناس. لقينا رجالٌ بيض على خيل بلق بين السماء والأرض، والله لا يقوم لها شيء.

قال أبو رافع ـ مولى رسول الله ﷺ وكان غلاماً للعباس بن عبد المطلب/ قال: وكان الإسلام قد دخلنا ـ فقلت: والله تلك الملائكة. ٤٦/ب فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة، فقامت أم الفضل إلى عمود فضربت به في رأس أبي لهب وقالت: استضعفته أن غاب عنه سيده.

قال: فوالله ما عاش إلا سبع ليال، حتى رماه الله بالعدسة، وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها. وقيل إنها تعدي أشد العدوى، فتباعد عنه بنوه حتى قتله الله، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه. فلما خافوا السبة في تركه حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته، وقذفوا بالحجارة من بعيد حتى واروه.

وقال ابن عقبة: أقام النوح على قتلى قريش شهراً.

[الأحداث بين بدر وأحد]

[قتل عمير عصماء]

ثم سرية عمير بن عدي الخطمي، وكانت لخمس ليال بقين من رمضان، على رأس تسعة عشر شهراً من الهجرة، إلى عصماء بنت مروان[1] - زوج يزيد بن زيد الخطمي - وكانت تعيب الإسلام، وتؤذي رسول الله ﷺ، فجاءها ليلاً، وكان أعمى، فدخل عليها بيتها، وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه، فجسها بيده، ونحى الصبي عنها، ووضع سيفه على صدرها، حتى أنفذه من ظهرها. ثم صلى الصبح معه ﷺ بالمدينة وأخبره بذلك، فقال: لا ينتطح فيها عنزان، أي لا يعارض فيها معارض ولا يسأل عنها فإنها هدر[2].

قالوا: وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ، الذي لم يسبق إليه ﷺ، وسيأتي لذلك نظائر إن شاء الله تعالى.

[صلاة عيد الفطر]

وفي أول شوال صلى صلاة الفطر[3].

---

(١) امرأة يهودية.

(٢) وسبب ذلك - كما ذكر ابن سعد - أنه لما كان ﷺ في بدر قالت في الإسلام وأهله أبياتاً فسمعها عمير بن عدي، فنذر إذا رد الله رسوله من بدر سالماً ليقتلنها.

(٣) قال الشارح: وهذا يعطي مع ما مر، أنه صلاها ببدر.

[غزوة بني سليم بالكدر]

وفي أول شوال أيضاً - وقيل بعد بـدر بسبعة أيـام، وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث - خرج ﷺ يريد بني سليم. فبلغ ماء يقال له الكدر، وتعرف بغزوة قرقرة، وهي أرض ملساء.

والكدر: طير في ألوانها كدرة عرف بها ذلك الموضع.

فأقام بها عليه السـلام ثلاثـاً، وقيل عشـراً، فلم يلق أحداً. وكانت غيبته ﷺ خمس عشرة ليلة، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة، وقيل ابن أم مكتوم. وحمل اللواء علي بن أبي طالب.

وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق.

[قتل أبي عفك اليهودي]

ثم سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي - وكان شيخاً كبيراً، قد بلغ عشرين ومائة سنـة - وكان يحـرض على النبي ﷺ، ويقول فيه الشعر، فأقبل إليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش في الفراش، فصاح عدو الله أبو عفك، فثار[1] إليه أناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله فقتل[2].

وكـانت هذه السريـة في شوال عـلى رأس عشرين شهـراً من الهجرة.

---

(١) في (ط، د): ثاب.

(٢) أي مات، وسببها - كما عند ابن سعد وغيره - أنه كان يهجو النبي ﷺ، فقال عليه السلام: من لي بهذا الخبيث، فقال سالم: علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه.

[غزوة بني قينقاع]

ثم غزوة بني قينقاع ـ بتثليث النون، والضم أشهر ـ بطن من يهود المدينة، لهم شجاعة وصبر.

وكانت يوم السبت نصف شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة.

وقد كانت الكفار بعد الهجرة مع النبي ﷺ على ثلاثة أقسام:

- قسم وادعهم ﷺ على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا عليه عدوه وهم طوائف اليهود الثلاثة: قريظة والنضير وبنو قينقاع.
- وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش.
- وقسم تاركوه، وانتظروا ما يؤول إليه أمره، كطوائف من العرب. فمنهم من كان يحب ظهوره في الباطن كخزاعة. وبالعكس كبني بكر. ومنهم من كان معه ظاهراً ومع عدوه باطناً، وهم المنافقون.

وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، فحاربهم ﷺ في شوال بعد وقعة بدر. قال الواقدي بشهر.

وأغرب الحاكم، فزعم أن إجلاء بني قينقاع وإجلاء بني النضير كان في زمن واحد، ولم يوافق على ذلك، لأن إجلاء بني النضير/ كان بعد بدر بستة أشهر، على قول عروة، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق.

١/٤٧

وكان من أمر بني قينقاع، أن امرأة من العرب جلست إلى صائغ يهودي، فراودها على كشف وجهها، فأبت فعمد إلى طرف ثوبها

فعقـده إلى ظهرهـا، فلما قامت انكشفت سـوأتهـا، فضحكـوا منهـا فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع[1].

فسار إليهم النبي ﷺ بعد أن استخلف أبا لبابة بن عبد المنذر.

فحاصرهم أشد الحصار، خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة، وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب، وكان أبيض، فقـذف الله في قلوبهم الـرعب، ونزلـوا عـلى حكم رسـول الله ﷺ، عـلى أن لهم أموالهم، وأن لهم النساء والذرية.

فأمر عليه الصلاة والسلام المنذر بن قدامة بتكتيفهم.

وكلم عبد الله بن أُبي بن سلول رسول الله ﷺ فيهم، وألح عليه من أجلهم. فأمر ﷺ أن يجلوا، وتركهم من القتـل، وأمر أن يجلوا من المدينة، فلحقوا بأذرعات. فما كان أقل بقاءهم فيها. وأخذ من حصنهم سلاحاً وآلة كثيرة.

وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي، وعبادة بن الصامت،

---

(١) علق الأستاذ محمد رضا على هذه الحادثة بقوله: ولم يرو هذه الحادثة ابن إسحاق وكذا لم يذكرها الطبري في تاريخه ولا ابن سعد في طبقاته، وإن ذكـرها ابن هشـام . وليس في هذه القصـة ذكـر لاسم المـرأة ولا اسم الصائغ. . ولا اسم القاتل المسلم. . لذلك نشك في صحة هذه القصة. . (كتاب: محمد رسول الله ص ١٨٢).
أقول: يؤيد هذا الشك: أن الحجاب لم يكن قد فرض، ولذا فالسبب هو نقضهم للعهد الذي ظهر من قولهم للرسول ﷺ. . لو قاتلناك لعرفت أنا الرجال. وذلك بعد أن جمعهم في السوق. . كما ذكر ذلك ابن إسحاق. [المحقق].

فتبرأ عبادة من حلفهم، فقال: يا رسول الله، أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم. ففيه وفي عبد الله أنزل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض**﴾ إلى قوله: ﴿**فإن حزب الله هم الغالبون**﴾[1].

[غزوة السويق]

ثم غزوة السويق في ذي الحجة، يوم الأحد لخمس خلون منها، على رأس اثنين وعشرين شهراً من الهجرة، وقال ابن إسحاق في صفر.

وسميت: غزوة السويق، لأنه كان أكثر زاد المشركين، وغنمه المسلمون.

واستخلف أبا لبابة.

وكان سبب هذه الغزوة أن أبا سفيان حين رجع بالعير من بدر إلى مكة نذر أن لا يمس النساء والدهن حتى يغزو محمداً - عليه السلام - فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه، حتى أتوا العريض - ناحية من المدينة على ثلاثة أميال - فحرقوا نخلاً وقتلوا رجلاً من الأنصار. فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه، فانصرف بقومه راجعين.

وخرج ﷺ في طلبهم، في مائتين من المهاجرين والأنصار، وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق - وهي عامة أزوادهم

---

(١) سورة المائدة. الآية ٥٦.

ـ يتخففون للهرب، فيأخذها المسلمون، ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام، فرجع إلى المدينة.

وكانت غيبته خمسة أيام.

[من أحداث السنة الثانية]

وفي ذي الحجة صلى رسول الله ﷺ صلاة العيد وأمر بالأضحية.

وفيه مات عثمان بن مظعون.

وفي شوال ولد عبد الله بن الزبير.

[زواج علي من فاطمة]

وفي هذه السنة تزوج علي فاطمة رضي الله عنهما، كما قاله الحافظ مغلطاي.

وقال الطبري[1] في كتابه «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى»: تزوجها في صفر في السنة الثانية، وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهراً من التاريخ.

وقال أبو عمر بعد وقعة أحد،

وقال غيره: بعد بنائه ﷺ بعائشة رضي الله عنها بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجها بسبعة أشهر ونصف.

وتزوجها وهي ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ـ أو ستة ونصف ـ وسنه يومئذ إحدى وعشرون سنة وخمسة/ أشهر. ولم يتزوج عليها حتى ماتت. ٤٧/ب

---

(١) أحمد بن عبد الله، الحافظ محب الدين، المكي.

وعن أنس قال: جاء أبو بكر ثم عمر يخطبان فاطمة إلى النبي ﷺ فسكت ولم يرجع إليهما شيئاً، فانطلقا إلى علي يأمرانه بطلب ذلك. قال علي: فنبهاني لأمر، فقمت أجر ردائي حتى أتيت النبي ﷺ فقلت: تزوجني فاطمة؟ قال: وعندك شيء؟ قلت: فرسي وبدني[1]، فقال: أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها، فبعتها بأربعمائة [درهم][2] وثمانين[3]، فجئته بها، فوضعها في حجره، فقبض منها قبضة وقال: أي بلال: ابتع لنا بها طيباً. وأمرهم أن يجهزوها، فجعل لها سرير مشرَّط[4]، ووسادة من أدم حشوها ليف. وقال لعلي: إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك.

فجاءت أم أيمن حتى قعدت في جانب البيت وأنا في جانب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: ها هنا أخي، قالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال: نعم. ودخل ﷺ فقال لفاطمة ائتني بماء، فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها: تقدمي، فتقدمت، فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. ثم قال لها أدبري فأدبرت فصب بين كتفيها. ثم فعل مثل ذلك بعلي. ثم قال ادخل بأهلك بسم الله والبركة. أخرجه أبو حاتم، وأحمد في المناقب بنحوه.

وفي حديث أنس عند أبي الخير القزويني الحاكمي: خطبها علي بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر فقال ﷺ: قد أمرني ربي بذلك.

---

(١) أي: درعي.

(٢) في ط.

(٣) وقد اشترى عثمان الدرع ثم أهداها لعلي.

(٤) أي فيه شرائط. والشريط خوص مفتول.

قال أنس: ثم دعاني عليه السلام بعد أيام فقال لي يا أنس: ادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعـدة من الأنصار، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً فقال صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله المحمود بنعمتـه، المعبود بقـدرته، المـطاع بسلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته، النافذ أمره في سمائه وأرضه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ. إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً، أوشج به الأرحام، وألزم به الأنام، فقال عز من قائل **﴿وهو الذي خلق من المـاء بشراً فجعله نسبـاً وصهراً وكـان ربك قديراً﴾**[1] فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. ثم إن الله عز وجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب، فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي.

ثم دعا ﷺ بطبق من بسر ثم قال: انتهبوا، فانتهبنا[2].

ودخل علي فتبسم النبي ﷺ في وجهه ثم قال: إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة، أرضيت بذلك؟ فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله، فقال عليه السلام: جمع الله شملكما وأعز جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً.

قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥٤.

(٢) الانتهاب: هو أخذ الجماعة الشيء على غير اعتدال.

والعقد لعلي وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر، أو على أنه لم يرد به العقد، بل إظهار ذلك، ثم عقد معه لما حضر، أو على تخصيصه بذلك، جمعا بينه وبين ما ورد، مما يدل على شرط القبول على الفور.

وأخرج الدولابي، عن أسماء قالت: لقد أولم علي على فاطمة، فما كان وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته، رهن درعه عند يهودي/ بشطر شعير، وكانت وليمته آصعاً من شعير وتمر وحيس. والحيس: التمر والأقط. ١/٤٨

وأخرج أحمد في المناقب عن علي: كان جهاز فاطمة خميلة وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف.

[قتل كعب بن الأشرف]

ثم سرية محمد بن مسلمة وأربعة معه إلى كعب بن الأشرف اليهودي، لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهراً من الهجرة.

روى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب[1] بن مالك عن أبيه: أن كعب بن الأشرف كان شاعراً، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش. وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط، فأراد استصلاحهم، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى، فأمر رسول الله ﷺ بالصبر.

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذاه، أمر رسول الله

(١) كذا في (ب، ش) وكذلك في سنن أبي داود. وفي بقية النسخ: وهب.

ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه[1].

وفي رواية قال ﷺ: من لنا بابن الأشرف[2]؟ - وفي أخرى: «من لكعب بن الأشرف»[3] أي من ينتدب لقتله - فقد استعلن بعداوتنا وهجانا، وقد خرج إلى قريش فجمعهم إلى قتالنا. وقد أخبرني الله بذلك. ثم قرأ على المسلمين ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً، أولئك الذين لعنهم الله**﴾[4].

وفي الإكليل: فقد آذانا بشعره، وقوى المشركين.

وفي رواية ابن إسحاق: فقال محمد بن مسلمة، أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: فافعل إن قدرت على ذلك. قال: يا رسول الله إنه لا بد لنا أن نقول، قال: قولوا ما بدا لكم فأنتم في حل من ذلك.

فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وأبو نائلة - بنون وبعد الألف تحتانية - سلكان بن سلامة - وكان أخا كعب من الرضاعة - وعباد بن بشر، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر. وهؤلاء الخمسة من الأوس.

وفي رواية ابن سعد: فلما قتلوه وبلغوا بقيع الغرقد كبروا، وقد

(١) رواه أبو داود في كتاب الإمارة برقم (٣٠٠٠).

(٢) عند ابن عائذ.

(٣) ما بين المعترضتين رواية البخاري برقم ٤٠٣٧ وشرحها من الفتح. وما بعده تتمة الرواية قبلها. رواية ابن عائذ.

(٤) سورة النساء، الآية ٥١.

قام عليه السلام تلك الليلة يصلي، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إليه فقال: أفلحت الوجوه. قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، ورموا برأسه بين يديه، فحمد الله على قتله.

وفي كتاب «شرف المصطفى» أن الذين قتلوا كعباً حملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة، فقيل إنه أول رأس حمل في الإسلام.

وأصاب ذباب السيف الحارث بن أوس فجرح ونزف الدم فتفل عليه السلام على جرحه فلم يؤذه بعد.

[غزوة غطفان]

غزوة غطفان، وهي غزوة ذي أمر - بفتح الهمزة والميم - وسماها الحاكم غزوة أنمار. وهي بناحية نجد.

وكانت لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول على رأس خمس وعشرين شهراً من الهجرة.

وسببها: أن جمعاً من بني ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الإغارة، جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي - وسماه الخطيب: غورث، وغيره: غورك - وكان شجاعاً.

فندب ﷺ المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين فارساً، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان. فلما سمعوا بمهبطه ﷺ عليهم هربوا في رؤوس الجبال، فأصابوا رجلاً منهم يقال له: حبان من بني ثعلبة، فأدخل على رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم، وضمه إلى بلال[1].

(1) وذلك ليعلمه الشرائع.

وأصاب النبي ﷺ مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا، واضطجع تحتها، وهم ينظرون، فقالوا/ لدعثور: قد انفرد محمد فعليك به، فأقبل ومعه سيف حتى قام على رأسه ﷺ فقال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال ﷺ: الله. فدفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. ثم أتى قومه فدعاهم إلى الإسلام. وأنزل الله **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم﴾** الآية[1]. ٤٨/ب

ويقال كان ذلك في ذات الرقاع.

ثم رجع ﷺ ولم يلق كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة.

[غزوة بحران]

غزوة بحران وتسمى غزوة بني سليم، من ناحية الفرع ـ بفتح الفاء والراء ـ كما قيده السهيلي، وقال في القاموس: وبحران موضع بناحية الفرع، كذا رأيته بخطه بضم الفاء لا غير.

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كبيراً من بني سليم، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه، فوجدهم قد تفرقوا في مياههم، فرجع ولم يلق كيداً.

وكان قد استعمل على المدينة ابن أم مكتوم، كما قاله ابن هشام، وكانت غيبته عشر ليال.

---

(١) سورة المائدة. الآية ١١.

[سرية زيد بن حارثة إلى القردة]

سرية زيد بن حارثة إلى القردة ـ بالقاف المفتوحة وسكون الراء، وقيل بالفاء وكسر الراء، كما ضبطه ابن الفرات[1] ـ اسم ماء من مياه نجد.

وسببها: ـ كما قال ابن إسحاق ـ أن قريشاً خافوا من طرقهم التي يسلكون إلى الشام، حين كان من وقعة بدر ما كان، فسلكوا طريق العراق، فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب، ومعهم فضة كثيرة.

وعند ابن سعد: بعثه ﷺ لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً من الهجرة، في مائة راكب يعترض عيراً لقريش فيها صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى، ومعهم مال كثير وآنية فضة. فأصابوها وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ، وخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم.

وعند مغلطاي: خمسة وعشرين ألف درهم.

وذكرها ابن إسحاق قبل قتل ابن الأشرف.

(١) محمد بن العباس بن محمد بن الفرات، الحافظ البارع، أبو الحسن، سمع ابن مخلد وطبقته وجمع فأوعى، قال الخطيب، كان غاية في ضبطه، حجة في نقله، مات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

[غزوة أحد]

[أحد]

وهو جبل مشهور بالمدينة على أقل من فرسخ منها.

وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، ويقال له: ذو عينين، قال في القاموس: بكسر العين وبفتحها مثنى، جبل بأحد. انتهى.

وهو الذي قال فيه ﷺ: «أحد جبل يحبنا ونحبه»[1].

وقيل: وفيه قبر هارون، أخي موسى، عليهما السلام.

[تاريخ الغزوة]

وكانت عنده الوقعة المشهورة، في شوال سنة ثلاث بالاتفاق، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه ـ وقيل لسبع ليال خلون منه، وقيل في نصفه ـ.

وعن مالك: بعد بدر بسنة، وعنه أيضاً: كانت على أحد وثلاثين شهراً من الهجرة.

[سببها:]

وكان سببها، كما ذكره ابن إسحاق عن شيوخه، وموسى بن

(١) متفق عليه.

عقبة عن ابن شهاب، وأبو الأسود عن عروة، وابن سعد، قالوا ـ أو من قال منهم ـ ما حاصله:

إن قريشاً لما رجعوا من بدر إلى مكة، وقد أصيب أصحاب القليب، ورجع أبو سفيان بعيره، قال عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة ابن أبي جهل، في جماعة ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يوم بدر: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه ـ يعنون عير أبي سفيان، ومن كانت له في تلك العير تجارة ـ لعلنا أن ندرك به ثأرنا. فأجابوا لذلك، فباعوها وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار.

وفيهم ـ كما قال ابن إسحاق وغيره ـ أنزل الله ﴿**إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فيسنفقونها/ ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون**﴾(1).

1/49

[خروج قريش]

واجتمعت قريش لحرب رسول الله ﷺ. وكتب العباس بن عبد المطلب كتاباً يخبر رسول الله ﷺ بخبرهم، وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة.

[رؤيا النبي ﷺ]

وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر.

وأري ﷺ ليلة الجمعة رؤيا، فلما أصبح قال: إني والله قد رأيت خيراً، رأيت بقراً تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني

---

(1) سورة الأنفال. الآية ٣٦.

أدخلت يدي في درع حصينة، فأما البقر فناس من أصحابي يقتلون، وأما الثلم الذي أريت في سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل.

وقال ابن عقبة، ويقول رجال: كان الذي بسيفه ما قد أصاب وجهه، فإن العدو أصابوا وجهه الشريف ﷺ يومئذ، وكسروا رباعيته، وجرحوا شفته.

وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: وأولت الدرع الحصينة بالمدينة فامكثوا، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم، ورموا من فوق البيوت.

[رغبة بعض الصحابة في الخروج]

فقال أولئك القوم: يا رسول الله، كنا نتمنى هذا اليوم، اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم.

فصلى ﷺ بالناس الجمعة، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر ماصبروا، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم، ففرح الناس بذلك.

ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا، وحضر أهل العوالي، ثم دخل ﷺ بيته ومعه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فعمماه وألبساه.

وصف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام، فقال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ على الخروج، فردوا الأمر إليه، فخرج ﷺ وقد لبس لأمته ـ وهي بالهمزة وقد يترك تخفيفاً: الدرع ـ وتقلد سيفه، فندموا جميعاً على ما صنعوا، فقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت. فقال: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن

يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والنسائي والطبراني، وصححه الحاكم: نحو حديث ابن إسحاق، وفيه إشارة النبي ﷺ إليهم أن لا يبرحوا من المدينة، وإيثارهم الخروج لطلب الشهادة، ولبسه للأمته، وندامتهم على ذلك وقوله ﷺ: لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل، وفيه: إني رأيت أني في درع حصينة. الحديث.

[عقد الألوية والمسير إلى أحد]

وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية:

- لواء بيد أسيد بن حضير[١].
- ولواء للمهاجرين بيد علي بن أبي طالب وقيل بيد مصعب بن عمير[٢].
- ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة.

وفي المسلمين مائة دارع. وخرج السعدان أمامه يعدوان: سعد ابن معاذ وسعد بن عبادة، دارعين.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة.

وأدلج عليه السلام في السحر، وكان قد رد جماعة من المسلمين

---

(١) وهو لواء الأوس.

(٢) كان اللواء بيد علي ثم بيد مصعب لأنه ﷺ قال:من يحمل لواء المشركين؟ فقيل طلحة بن أبي طلحة، فقال: نحن أحق بالوفاء منهم فأخذه من علي ودفعه إلى مصعب لأنه من بني عبد الدار.

لصغرهم، منهم: أسامة، وابن عمر، وزيـد بن ثابت، وأبـو سعيد الخدري. والنعمان بن بشير. قال مغلطاي: وفيه نظر[1].

وكان المسلمون ألف رجل، ويقال: تسعمائة، والمشركون ثلاثة آلاف رجل فيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس، وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة.

ونزل عليه السلام بأحد ورجع عنه عبد الله بن أبي في ثلاثمائة ممن تبعه من قومـه من أهل النفـاق. ويقال: إن النبي ﷺ أمـرهم بالانصراف لكفرهم بمكان يقال له الشوط، / وقيل بأحد. ٤٩/ب

[وصف المعسكرين]

ثم صف المسلمون بأصل أحد، وصف المشركون بالسبخة.

قال ابن عقبة: وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

وجعل ﷺ على الرماة ـ وهم خمسون رجلاً ـ عبد الله بن جبير، وقال: إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هـذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحـوا حتى أرسل إليكم. كذا في البخاري من حديث البراء.

وفي حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم: أنـه ﷺ أقامه في موضع ثم قال: احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا.

---

(١) أي النعمان بن بشير لأنه ولد في السنة الثانية قبل أحد بسنة.

[أبـو دجانة]

قال ابن إسحاق: وقال رسول الله ﷺ: من يأخذ هذا السيف بحقه، فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم، حتى قام إليه أبو دجانة سماك، فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به في وجه العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه، وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، فلما رآه ﷺ يتبختر قال: إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن.

قال الزبير بن العوام[1] - فيما قاله ابن هشام[2] - فقلت والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة. فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيّول ... أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحداً من المشركين إلى قتله.

وقوله: في الكيول - بفتح الكاف وتشديد المثناة التحتية - مؤخر الصفوف. وهو: فيعول من كال الزند يكيل كيلاً إذا كبا ولم يخرج ناراً، فشبه مؤخر الصفوف به لأن من كان فيه لا يقاتل. قال أبو عبيدة[3]: ولم يسمع إلا في هذا الحديث.

---

(١) طلب الزبير هذا السيف ثلاث مرات فأمسكه ﷺ عنه.. كما عند ابن راهويه، ولذلك أحب أن يعرف صنع أبي دجانة.

(٢) عبد الملك بن هشام الحميري، وأصله من البصرة، العلامة في النسب والنحو، المشهور بحمل العلم، مهذب سيرة ابن إسحاق التي رواها عن زياد البكائي عنه. المتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين.

(٣) في (أ، د): أبو عبيد وهو خطأ.

[انتصار المسلمين]

وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطأة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف.

والتقى حنظلة الغسيل وأبو سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله فقال ﷺ:إن حنظلة لتغسله الملائكة، فسألوا امرأته جميلة أخت عبدالله ابن أبي فقالت: خرج وهو جنب فقال عليه السلام: لذلك غسلته الملائكة.

وبذلك تمسك من قال من العلماء: إن الشهيد يغسل إذا كان جنباً.

وقتل علي طلحة بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين، ثم حمل لواءهم عثمان بن أبي طلحة، فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه..

ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر وكانت الهزيمة، فولى الكفار لا يلوون على شيء، ونساؤهم يدعون بالويل، وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم. ووقعوا ينهبون العسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم.

[نزول الرماة وتغير الموقف].

وفي البخاري: قال البراء: فقال أصحاب عبد الله بن جبير: أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن

= وأبو عبيدة هو: معمر بن المثنى، ولد سنة اثنتي عشرة ومائة، ومات سنة تسع ومائتين.

من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين.

وفي حديث عائشة عند البخاري أيضاً: لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة، فصاح إبليس: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت مع أخراهم.

وعند أحمد والحاكم من حديث ابن عباس: أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين والتبس العسكران فلم يتميزوا، فوقع القتل/ في المسلمين بعضهم في بعض. ١/٥٠

وفي رواية غيرهما[١]: ونظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكر بالخيل، وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من النفر الرماة فقتلوهم وأميرهم عبد الله بن جبير.

وفي البخاري: أنهم لما اصطفوا للقتال، خرج سباع فقال: هل من مبارز، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فشد عليه فكان كأمس الدابر، وكان وحشي كامناً تحت صخرة، فلما دنا منه رماه بحربته حتى خرجت من بين وركيه فكان آخر العهد به. انتهى.

وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله ﷺ حتى قتل، وكان الذي قتله ابن قمئة، وهو يظنه رسول الله ﷺ فصاح ابن قمئة إن محمداً قتل. ويقال كان ذلك أزب العقبة، ويقال: بل هو إبليس لعنه الله تصور في صورة جعال.

وقال قائل: أي عباد الله أخراكم، أي: احترزوا من جهة أخراكم فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضاً وهم لا يشعرون،

---

(١) أي رواية ابن سعد.

وانهزمت طائفة منهم جهة المدينة، وتفرق سائرهم، ووقع فيهم القتل.

قال موسى بن عقبة: ولما فقد عليه السلام، قال رجل منهم: إن رسول الله ﷺ قد قتل، فارجعوا إلى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فإنهم داخلو البيوت. وقال رجال منهم: إن كان رسول الله ﷺ قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء. منهم أنس بن مالك بن النضر شهد له بها عند رسول الله ﷺ سعد بن معاذ.

قال في «عيون الأثر»: كذا وقع في هذا الخبر: أنس بن مالك، وإنما هو أنس بن النضر عم أنس بن مالك بن النضر. انتهى[1].

وثبت رسول الله ﷺ حتى انكشفوا عنه، وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلاً، سبعة من المهاجرين، فيهم أبو بكر الصديق، وسبعة من الأنصار.

وفي البخاري: لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا اثنا عشر رجلاً. فأصابوا منا سبعين، وكان ﷺ وأصحابه أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً.

[جراح النبي ﷺ]

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد، ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاث مرات، ثم

---

(١) كان عمر أنس بن مالك يوم أحد ثلاث عشرة سنة، وإن صح أنه حضر فإنما حضر لخدمة النبي ﷺ. فالكلمة من قول أنس بن النضر رضي الله عنهم جميعا.

قال:أفي القوم ابن الخطاب ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وبقي لك ما يسوؤك، قال: يوم بيوم، والحرب سجال[١].

وتوجه ﷺ يلتمس أصحابه، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رباعيته، والذي جرح وجهه عبد الله بن قمئة، وعتبة ابن أبي وقاص أخو سعد هو الذي كسر رباعيته، ومن ثم لم يولد من نسله ولد يبلغ الحنث إلا وهو أبخر أو أهثم ـ أي مكسور الثنايا من أصلها ـ يعرف ذلك في عقبه[٢].

وقال ابن هشام؛ في حديث أبي سعيد الخدري: إن عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله ﷺ يومئذ فكسر رباعيته اليمنى السفلى، وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن هشام الزهري شجه في جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت خلقتان من المغفر في وجنته، ووقع ﷺ
٥٠/ب في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق/ يكيد بها المسلمين.

وفي رواية: وهشموا البيضة على رأسه ـ أي كسروا الخوذة ـ ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه في حفرة من الحفر التي حفرها أبو عامر، فأخذ علي بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً، ونشبت حلقتان من المغفر في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: في الحديث منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ وخصوصيتهما به، بحيث كان أعداؤهم لا يعرفون غيرهما، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما، ولم يسأل عن هؤلاء الثلاثة إلا لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم.

(٢) ذكره السهيلي في الروض.

الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه.

وامتص مالك بن سنان - والد أبي سعيد الخدري - الدم من وجنته ثم ازدرده، فقال له ﷺ: من مس دمي دمه لم تصبه النار، وسيأتي إن شاء الله تعالى حكم دمه عليه السلام.

وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أحد فشج وجهه وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل[1] فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة.

وروى ابن إسحاق عن حميد الطويل[2] عن أنس قال: كسرت رباعيته ﷺ يوم أحد وشج وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسحه ويقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله تعالى: **﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾**[3]. ورواه أحمد والترمذي والنسائي من طريق حميد به.

وعند ابن عائذ[4] من طريق الأوزاعي[5]: بلغنا أنه لما جرح

---

(١) تيس جبل: هو ذكر الظباء، فإن لم يضف للجبل فذكر المعز.

(٢) حميد الطويل الخزاعي، ثقة تابعي صغير حافظ توفي وهو قائم يصلي سنة أربعين ومائة وله خمس وسبعون سنة.

(٣) سورة آل عمران. الآية ١٢٨.

(٤) محمد بن عائذ، الحافظ الدمشقي، الكاتب صاحب المغازي وغيرها، وثقه ابن معين وغيره، مات سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

(٥) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، إمام أهل زمانه، قال ابن سعد: ثقة =

ﷺ يوم أحد، أخذ شيئاً فجعل ينشف دمه وقال: لو وقع منه شيء على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء، ثم قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

وروى عبد الرزاق عن معمر[1] عن الزهري قال: ضرب وجه النبي ﷺ يومئذ بالسيف سبعين ضربة، ووقاه الله شرها كلها. قال في فتح الباري: وهذا مرسل قوي، ويحتمل أن يكون أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة. انتهى.

[قتال دون النبي ﷺ]

وقاتلت أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد ـ فيما قاله ابن هشام ـ فخرجت أول النهار حتى انتهت إلى رسول الله قالت: فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة إلي، أصابني ابن قمئة ـ أقمأه الله تعالى ـ لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول: دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا، قالت فاعترضت له، فضربني هذه الضربة، ولكن ضربته ضربات[2] على ذلك، ولكن عدو الله عليه درعان.

قالت أم سعد بن الربيع: فرأيت على عاتقها جرحاً أجوف له غور.

= صدوق فاضل كثير الحديث والعلم والفقه، ولد سنة ثمان وثمانين ومات سنة سبع وخمسين ومائة.

(١) معمر بن راشد الأزدي، الحافظ المتقن الورع، توفي سنة اثنتين وخمسين ومائة.

(٢) في ش: ثلاث ضربات. قال الشارح ثبت لفظ ثلاث عند ابن هشام وسقط من أكثر نسخ المصنف.

وتترس[1] دون رسول الله ﷺ - فيما قاله ابن إسحاق - أبو دجانة بنفسه، يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر عليه النبل وهو لا يتحرك.

ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله ﷺ. قال سعد: فلقد رأيته يناولني النبل ويقول: ارم فداك أبي وأمي، حتى إنه ليناولني السهم ماله نصل فيقول: ارم به.

[معجزات]

وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته، فأتى بها إلى رسول الله ﷺ فأخذها رسول الله بيده وردها إلى موضعها وقال: اللهم اكسه جمالاً، فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظراً. ورواه الدارقطني بنحوه، ويأتي لفظه إن شاء الله تعالى في مقصد المعجزات.

ورمي أبو رهم كلثوم بن الحصين بسهم فوقع/ في نحره فبصق عليه ﷺ فبرىء. ١/٥١

وانقطع سيف عبد الله بن جحش، فأعطاه ﷺ عرجوناً فعاد في يده سيفاً، فقاتل به وكان ذلك السيف يسمى العرجون، ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من أمراء المعتصم بالله في بغداد بمائتي دينار.

وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر إلا أن سيف عكاشة كان يسمى العون، وهذا يسمى العرجون.

---

(١) أي جعل نفسه كالترس المانع من وصول السهام إليه.

[الصعود إلى الشعب وقتل أُبي]

واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم، يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنهم أصابوا رسول الله ﷺ وأشراف أصحابه.

وكان أول من عرف رسول الله ﷺ كعب بن مالك، قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، هذا رسول الله ﷺ، فلما عرفوه نهضوا ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر وعمر وعلي ورهط من المسلمين، فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا، فقالوا: يا رسول الله، يعطف عليه رجل منا؟ فقال ﷺ: دعوه، فلما دنا تناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه عليه السلام انتفض بها انتفاضة تطايرنا[1] عنه تطاير الشعراء[2] عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله عليه الصلاة والسلام، فطعنه طعنة وقع بها عن فرسه ولم يخرج له دم فكسر ضلعاً من أضلاعه.

فلما رجع إلى قريش قال: قتلني والله محمد، أليس قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق علي لقتلني. فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة. رواه البيهقي وأبو نعيم ولم يذكر: فكسر ضلعاً من أضلاعه.

قال الواقدي: وكان ابن عمر يقول: مات أبي بن خلف ببطن

(١) في (ا. ب): تطايروا. والمقصود أنهم بعدوا.
(٢) ذباب صغير له لذع.

رابغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوي من الليل إذا نار تأجج لي لهبها فهبتها، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يصيح العطش، وإذا رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ، هذا أبي بن خلف، ورواه البيهقي.

[بعد المعركة]

ولما انتهى ﷺ إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب درقته من المهراس ـ وهو صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء، وقيل هو اسم ماء بأحد ـ فجاء به إلى رسول الله ﷺ وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من رمى وجه نبيه.

وصلى النبي ﷺ الظهر يومئذ قاعداً من الجراح التي أصابته، وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

قال ابن إسحاق: ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الآذان والآنف، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل، ثم صرخ بأعلى صوته: أنعمت فعال، إن الحرب سجال، يوم بيوم بدر، اعل هبل.

وكان أبو سفيان حين أراد الخروج إلى أحد، كتب على سهم نعم، وعلى آخر: لا، وأجالها عند هبل، فخرج سهم نعم، فخرج إلى أحد، فلما قال: اعل هبل، أي زد علواً.

فقال رسول الله ﷺ لعمر أجبه فقل: الله أعلا وأجل.

فقال أبو سفيان: أنعمت فعال، أي اترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وأنعمت، أي أجابت بنعم.

فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.
فقال: إن لنا عزى/ ولا عزى لكم. ٥١/ب
فقال ﷺ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

ولما انصرف أبو سفيان وأصحابه نادى: إن موعدكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لرجل من أصحابه: قل نعم، هو بيننا وبينكم موعد.

وذكر الطبراني: أنه لما انصرف المشركون، خرج النساء إلى الصحابة يعنهم فكانت فاطمة فيمن خرج، فلما لقيت النبي ﷺ اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته بالماء فيزداد الدم، فلما رأت ذلك أخذت شيئاً من حصير أحرقته بالنار وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم.

ثم أرسل عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة ـ كما ذكره الواقدي ـ فنادى في القتلى: يا سعد بن الربيع، مرة بعد أخرى، فلم يجبه، حتى قال إن رسول الله ﷺ أرسلني إليك، فأجابه بصوت ضعيف، فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق فقال: أبلغ رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: يقول لك، جزاك الله عنا خير ما جزى به نبياً عن أمته، وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم: لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى نبيكم وفيكم عن تطرف، ثم مات.

[نزول ﴿وإن عاقبتم﴾]

وقتل أبو جابر، فما عرف إلا ببنانه ـ أي أصابعه، وقيل

أطرافها، واحدتها. بنانه.

وخرج ﷺ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وأذناه، فنظر عليه السلام إلى شيء لم ينظر إلى شيء أوجع لقلبه منه فقال: رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك، قال: فنزلت عليه خواتيم سورة النحل ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾[1] الآية، فصبر وكفر عن يمينه وأمسك عما أراد.

وممن مثل به كما مثل بحمزة عبد الله بن جحش، ابن أخت حمزة، ولذا يعرف بالمجدع في الله، وكان حين قتل ابن بضع وأربعين سنة، ودفن مع حمزة في قبر واحد.

[نزول ﴿ولا تحسبن﴾]

ولما أشرف ﷺ على القتلى قال أنا شهيد على هؤلاء، وما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القامة يدمى جرحه، اللون لون دم والريح ريح المسك.

وفي رواية عبد الله بن ثعلبة[2] قال ﷺ لقتلى أحد: زملوهم بجراحهم.

وروى أبو بكر بن مردويه[3] أن رسول الله ﷺ قال: يا جابر ألا أخبرك: ما كلم الله تعالى أحداً قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم

---

(١) سورة النحل. الآية ١٢٦.

(٢) في ط: ابن شيبة وهو غلط.

(٣) وكذا الترمذي وحسنه وابن ماجه، كلهم عن جابر.

أباك كفاحاً، فقال سلني أعطك، فقال أسألك أن أرد إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية، فقال الرب عز وجل: إنه سبق مني أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قال: أي رب فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً**﴾[1] الآية.

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، قال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل هذه الآيات: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا**﴾ رواه أحمد[2].

قال بعض من تكلم على هذا الحديث[3]: قوله: ثم تأوي إلى قناديل، يصدقه قوله تعالى: ﴿**والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم**﴾[4]/ وإنما تأوي إلى تلك القناديل ليلاً وتسرح نهاراً، وبعد دخول الجنة في الآخرة لا تأوي إلى تلك القناديل، وإنما ذلك في البرزخ. ١/٥٢

وقال مجاهد: الشهداء يأكلون من ثمر الجنة وليسوا فيها.

وقد رد هذا القول، ويشهد له ما وقع في مسند ابن أبي شيبة

---

(١) آل عمران. الآية ١٦٩.

(٢) المسند ١/٢٦٦ وكذا عند أبي داود برقم ٢٥٢٠، قال الشارح وأخرجه مسلم عن مسروق.

(٣) هو الإمام السهيلي في الروض.

(٤) سورة الحديد الآية ١٩.

وغيره[1]: أن رسول الله ﷺ قال: الشهداء بنهر أو على نهر يقال له بارق عند باب الجنة، في قباب خضر يأتيهم رزقهم منها بكرة وعشياً.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: كأن الشهداء أقسام، منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك، ويغدى عليهم برزقهم هناك ويراح.

قال: وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثاً فيه بشرى لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة أيضاً وتسرح فيها وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور وتشاهد ما أعد الله لها من الكرامة.

قال: وهو إسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة، أصحاب المذاهب المتبعة، فإن الإمام أحمد رواه عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه يرفعه: نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه[2].

وقوله يعلق، أي يأكل، وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة، وأما أرواح الشهداء ففي حواصل طير خضر، فهي كالراكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين، فإنها تطير بأنفسها. فنسأل الله الكريم المنان أن يميتنا على الإيمان.

[عدد الشهداء والقتلى]

وقد استشهد يوم أحد من المسلمين سبعون ـ فيما قاله مغلطاي.

---

(١) كالإمام أحمد والطبراني والحاكم كلهم عن ابن عباس.

(٢) المسند ٣/٤٥٥.

وغيره ـ وقيل خمسة وستون أربعة من المهاجرين.

وروى ابن منده من حديث أبي بن كعب قال: استشهد من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه.

وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون رجلاً، وقتل ﷺ بيده أبي بن خلف.

[حضور الملائكة]

وحضرت الملائكة يومئذ، ففي حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم في صحيحه: أنه رأى عن يمين رسول الله ﷺ وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعني جبريل وميكائيل يقاتلان كأشد القتال[1].

وفيه ـ كما قدمناه في غزوة بدر ـ أن قتال الملائكة معه ﷺ لا يختص بيوم بدر، خلافاً لمن زعمه، كما نص عليه النووي في شرح مسلم كما قدمته والله أعلم.

[المنافقون واليهود]

ولما بكى المسلمون على قتلاهم سر بذلك المنافقون وظهر غش اليهود.

[تنبيه]

ذكر القاضي عياض في الشفاء عن القاضي أبي عبد الله بن

(١) صحيح مسلم رقم ٤٧ من كتاب الفضائل.

المرابط[١] من المالكية أنه قال: من قال إن النبي ﷺ هزم يستتاب فإن تاب وإلا قتل، لأنه تنقص، إذ لايجوز ذلك عليه في خاصته، إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته[٢]. انتهى.

وهذا موافق لمذهبنا[٣]. لكن قال العلامة البساطي[٤] من المالكية: هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة، أعني حكم الساب، فله وجه، وإن وافق على أن الساب لا تقبل توبته فمشكل انتهى.

[الحكمة من أحد]

وقد كان في قصة أحد، وما أصيب به المسلمون من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة:

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم رسول الله ﷺ أن لا يبرحوا منه.

ومنها: أن عادة/ الرسل أن تبتلى ثم تكون لهم العافية، ٥٢/ب

---

(١) محمد بن خلف بن سعيد، المعروف بابن المرابط الإفريقي، فقيه بلده ومفتيه وقاضيه كان من أهل الفضل والفقه، شرح البخاري شرحاً حسناً ورحل إليه الناس، توفي بعد الثمانين وأربعمائة.

(٢) قال الشارح: وهو ضعيف وإن مشى عليه صاحب المختصر لأنه خلاف قول مالك..

(٣) أي الشافعية.

(٤) شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان، شيخ الإسلام قاضي القضاة المالكية بمصر. ولد سنة ستين وسبعمائة، وبرز في الفنون، وصنف تصانيف، مات سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة.

والحكمة في ذلك أن لو انتصروا دائماً لدخل في المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين ليتميز الصادق من الكاذب. وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفياً عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول حتى عاد التلويح تصريحاً، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دارهم، واستعدوا لهم وتحرزوا منهم.

ومنها: أن في تأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختها فلما ابتلى المسلمون صبروا وجزع المنافقون.

ومنها: أن الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها.

ومنها: أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء فساقهم إليها.

ومنها: أنه أراد هلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها ذلك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في إيذاء أوليائه، فمحص ذنوب المؤمنين ومحق بذلك الكافرين.

[بعد أحد]

غزوة حمراء الأسد

وهي على ثمانية أميال من المدينة على يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة.

وكانت صبيحة يوم الأحد لست عشرة، أو لثمان خلون من شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة لطلب عدوهم بالأمس، ونادى مؤذن رسول الله ﷺ أن لا يخرج معنا أحد إلا من حضر يوماً بالأمس، أي من شهد أحداً.

وإنما خرج عليه الصلاة والسلام مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.

وأقام ﷺ بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمساً.

وظفر ﷺ في مخرجه ذلك بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص فأمر بضرب عنقه صبراً.

[تحريم الخمر]

قال الحافظ مغلطاي: وحرمت الخمر في شوال، ويقال في سنة أربع. انتهى.

قال أبو هريرة فيما رواه أحمد: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر، ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله ﷺ عنهما فأنزل الله ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر. قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس**﴾[1] إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا، إنما قال: فيهما إثم كبير.

وكانوا يشربون الخمر حتى كان يوماً من الأيام صلى رجل من المهاجرين أم أصحابه في المغرب خلط في قراءته، فأنزل الله آية أغلظ منها ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾[2].

وكان الناس يشربون ثم نزلت آية أغلظ منها ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر**﴾ إلى قوله: ﴿**لعلكم تفلحون**﴾[3] قال[4]: انتهينا ربنا[5].

والميسر: القمار وقيل غيره.

* * *

وولد الحسن بن علي في هذه السنة.

[سرية أبي سلمة]

ثم سرية عبد الله بن عبد الأسد، هلال المحرم على رأس خمس

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٩.

(٢) سورة النساء. الآية ٤٣.

(٣) سورة المائدة. الآية ٩٠.

(٤) في المسند: قالوا.

(٥) المسند ٢/٣٥١.

وثلاثين شهراً من الهجرة، إلى قطن - جبل بناحية فيد - ومعه مائة وخمسون رجلاً من الأنصار والمهاجرين، لطلب طليحة وسلمة ابني خويلد، فلم يجدهما، ووجد إبلاً وشاء فأغار عليهما ولم يلق كيداً.

[سرية عبد الله بن أنيس]

ثم سرية عبد الله بن أنيس وحده، يوم الإثنين لخمس خلون من المحرم، على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة، إلى سفيان بن خالد الهذلي بعرنة - وادي عرفة - لأنه / بلغه ﷺ أنه جمع الجموع لحربه. ١/٥٣

فلما وصل إليه قال له ممن الرجل؟ قال: من بني خزاعة، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك، قال: أجل. فمشى معه ساعة، ثم اغتره وقتله، وأخذ رأسه، فكان يسير الليل ويتوارى النهار، حتى قدم المدينة، فقال ﷺ: أفلح الوجه، قال: أفلح وجهك يا رسول الله، ووضع رأسه بين يديه.

وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة، وقدم يوم السبت لسبع بقين من محرم.

[يوم الرجيع]

ثم سرية عاصم بن ثابت، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة إلى الرجيع - بفتح الراء وكسر الجيم، اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان - بناحية الحجاز، وكانت الوقعة بالقرب منه فسميت به.

وحديث[1] عضل والقارة - بفتح الضاد المعجمة بعدها لام - بطن من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ينسبون إلى عضل بن الديش. وأما القارة، فبالقاف وتخفيف الراء، بطن من الهون ينسبون إلى الديش المذكور، قال ابن دريد: القارة: أكمة سوداء فيها حجارة، كأنهم نزلوا عندها فسموا بها.

[التفريق بين الرجيع وبئر معونة]

وقصة عضل والقارة كانت في بعث الرجيع، لا في سرية بئر معونة، وقد فصل بينهما ابن إسحاق، فذكر بعث الرجيع في أواخر سنة ثلاث، وبئر معونة أوائل سنة أربع.

وذكر الواقدي أن خبر بئر معونة وخبر أصحاب الرجيع جاءا إلى النبي ﷺ في ليلة واحدة.

(١) كلمة (حديث) معطوفة على (سرية) في بدء الموضوع.

وسياق ترجمة البخاري يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد، وليس كذلك، لأن بعث الرجيع كان سرية عاصم وخبيب وأصحابهما، وهي مع عضل والقارة. وبئر معونة كانت سرية القراء، وهي مع رعل وذكوان، وكأن البخاري أدمجها معها لقربها منها.

ويدل على قربها منها ما في حديث أنس من تشريك النبي ﷺ بين بني لحيان وبين عصية وغيرهم في الدعاء.

ولم يرد البخاري ـ رحمه الله ـ أنهما قصة واحدة، ولم يقع ذكر عضل والقارة عنده صريحاً.

[روايات حادثة الرجيع]

وإنما وقع ذلك عند ابن إسحاق. فإنه بعد أن استوفى قصة أحد قال: ذكر يوم الرجيع: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال: قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا: يا رسول الله، إن فينا إسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وأمر ﷺ على القوم مرثد بن أبي مرثد الغنوي. كذا في السيرة له ـ وفي الصحيح: وأمر عليهم عاصم بن ثابت، كما سيأتي، وهو أصح ـ فخرجوا مع القوم حتى أتوا على الرجيع ـ ماء لهذيل ـ غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلاً فلم يرع القوم، وهم في رحالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، وقد غشوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم، فقالوا لهم: إنا والله لا نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة، ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم، فأبوا، فأما مرثد وخالد وعاصم، فقالوا: والله لا نقبل من مشرك عهداً وقاتلوا حتى قتلوا.

وفي البخاري: وأمر عليهم عاصم بن ثابت، حتى إذا كانوا بالهدأة - بين عسفان ومكة - ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم في مائتي رجل. وعند بعضهم[1] فتبعوهم بقريب من مائة رام.

والجمع بينهما واضح، بأن تكون المائة الأخرى غير رماة.

وفي رواية أبي معشر في مغازيه: فنزلوا بالرجيع/ سحراً، فأكلوا تمر عجوة، فسقط نواه بالأرض، وكانوا يسيرون الليل ويكمنون بالنهار، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً، فرأت النواءات وأنكرت صغرهن، وقالت هذا تمر يثرب فصاحت في قومها قد أتيتم، فجاؤوا في طلبهم، فوجدوهم قد كمنوا في الجبل، وتبعوا آثارهم حتى لحقوهم. ٥٣/ب

وفي رواية ابن سعد: [فلم يرع القوم إلا الرجال بأيدهم السيوف قد غشوهم][2].

فلما أحس بهم عاصم وأصحابه[3] لجؤوا إلى فدفد - بفاءين مفتوحتين، ومهملتين، الأولى ساكنة - وهي الرابية المشرفة، فأحاط بهم القوم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلاً، فقال عاصم بن ثابت أيها القوم: أما أنا فلا أنزل في ذمة

---

(١) أي الرواة وهو معمر عن الزهري في صحيح البخاري.

(٢) هذه الزيادة في ش. قال الشارح: أعاده وإن مر عن ابن إسحاق، لأن ذاك مرسل وهذا مسند، ويقع سقوطه في نسخ وهو خطأ، لإبهامه أن ما بعده رواية ابن سعد مع أنه من جملة حديث البخاري.

(٣) هذا وما بعده تتمة رواية البخاري السابقة.

كافر، ثم قال اللهم أخبر عنا رسولك، فاستجاب الله لعاصم فأخبر رسول الله خبرهم يوم أصيبوا.

فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصماً، ونزل إليهم على العهد والميثاق: خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة - بفتح الدال المهملة، وكسر المثلثة، والنون المفتوحة المشددة - وعبد الله بن طارق[1].

فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة، فابتاع بنو الحارث بن عامر خبيباً، فلبث خبيب عندهم أسيراً، حتى إذا أجمعوا على قتله استعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها - يعني يحلق عانته - فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل إليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله، ففزعت، فقال خبيب: ما كنت لأغدر.

قال قالت: والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الرجل، وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وما كان إلا رزقاً رزقه الله[2].

[الكرامة]

وهذه كرامة جعلها الله تعالى لخبيب، آية على الكفار، وبرهاناً لنبيه لتصحيح رسالته.

والكرامة للأولياء ثابتة مطلقاً عند أهل السنة. لكن استثنى بعض المحققين منهم كالعلامة الرباني أبي القاسم القشيري[3] ما وقع

---

(١) التسمية ليست في البخاري وهي عند ابن إسحاق.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٩٨٩ و٤٠٨٦.

(٣) عبد الكريم بن هوازن، أبو القاسم، الحافظ المفسر الفقيه، النحوي =

به التحدي لبعض الأنبياء فقال: ولا يصلون[1] إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك. وهذا أعدل المذاهب في ذلك.

وإن إجابة الدعوة في الحال، وتكثير الطعام والمكاشفة بما يغيب عن العين، والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً، حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة.

فانحصر الخارق الآن في نحو ما قاله القشيري، وتعين تقييد من أطلق، بأن كل معجزة لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي.

ووراء ذلك: أن الذي استقر عند العامة، أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك يكون من أولياء الله، وهو غلط. فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله إلى فارق، وأولى ما ذكروه: أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكاً بالأوامر الشرعية والنواهي، كان علامة على ولايته، ومن لا فلا. والله أعلم انتهى ملخصاً من الفتح[2].

[تتمة الروايات السابقة]

ولما خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه[3] قال: دعوني أصلي

= اللغوي الأديب الكاتب، الشجاع البطل، المجمع على إمامته، ولد سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وسمع الحديث من الحاكم وغيره. وصنف التصانيف الشهيرة، توفي سنة خمس وستين وأربعمائة.

(١) أي الأولياء.

(٢) فتح الباري ٧/٣٨٣.

(٣) هذا تتمة رواية البخاري السابقة.

ركعتين ـ وعند موسى بن عقبة: أنه صلاهما في موضع مسجد التنعيم ـ وقال: اللهم أحصهم عدداً، ولا تبق منهم أحداً، واقتلهم بدداً ـ يعني متفرقين، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي ـ.

وفي رواية[1] بريدة بن سفيان[2]، فقال خبيب: اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك مني السلام فبلغه.

وفي رواية [أبي][3] الأسود عن عروة، جاء جبريل إلى النبي ﷺ فأخبره بذلك.. الحديث.

ثم أنشأ يقول/: 1/54

فلست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع[4]

والأوصال جمع: وصل، وهو العضو. والشلو ـ بكسر المعجمة ـ الجسد ويطلق على العضو. لكن المراد به هنا الجسد. والممزع ـ بالزاي، ثم المهملة ـ المقطع. ومعنى الكلام: أعضاء جسد مقطع.

وعند أبي الأسود عن عروة زيادة في هذا الشعر:

لقد أجمع الأحزاب في وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

وفيه أيضاً:

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي

---

(1) عند سعيد بن منصور.
(2) ليس بالقوي وفيه رفض روى له النسائي.
(3) سقطت من النسخ وهي في ش.
(4) البيتان في رواية البخاري.

وساق ابن إسحاق هذه الأبيات ثلاثة عشر بيتاً، قال ابن هشام: ومن الناس من ينكرها لخبيب.

[ركعتان قبل القتل]

وكان خبيب أول من سن الركعتين عند القتل لكل مِسلم قتل صبراً، كذا قال ابن إسحاق، وقوله هذا يدل على أنها سنة جارية.

وإنما صار فعل خبيب سنة ـ والسنة إنما هي أقوال رسول الله ﷺ وأفعاله وتقريره ـ لأنه فعله في حياته ﷺ، فاستحسن ذلك من فعله واستحسنها المسلمون. والصلاة خير ما ختم به عمل العبد.

وقد صلى هاتين الركعتين زيد بن حارثة، مولى رسول الله ﷺ، وذلك في حياته عليه الصلاة والسلام، كما رويناه من طريق السهيلي بسنده إلى الليث بن سعد قال: بلغني أن زيد بن حارثة اكترى بغلاً من رجل بالطائف، فاشترط عليه المكري أن ينزله حيث شاء. قال: فمال به إلى خربة، فقال له انزل فنزل، فإذا في الخربة قتلى كثيرة، قال فلما أراد أن يقتله قال له دعني أصلي ركعتين، قال: صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئاً، فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت: يا أرحم الراحمين، قال: فسمع صوتاً: لا تقتله، فهاب ذلك، فخرج يطلبه[1] فلم ير شيئاً، فرجع إلي، فناديت: يا أرحم الراحمين، فعل ذلك ثلاثاً، فإذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار، فطعنه بها فأنفذها من ظهره فوقع ميتاً. ثم قال: لما دعوت المرة الأولى: يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة، فلما دعوت

(١) كذا في ط، وفي النسخ: يطلب.

المرة الثانية يا أرحم الراحمين كنت في سماء الدنيا، فلما دعوت الثالثة أتيتك. انتهى.

[تتمة خبر الرجيع]

ووقع في رواية أبي الأسود عن عروة: فلما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب ـ يعني خبيباً ـ نادوه وناشدوه: أتحب أن محمداً مكانك؟ قال: لا والله، ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه.

ويقال[1]: إن الذي قال ذلك زيد بن الدثنة، وأن أبا سفيان قال له: يا زيد، أنشدك الله أتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك تضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وإني لجالس في أهلي. قال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً.

ثم قتله نسطاس ـ بكسر النون ـ.

وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، وكان عاصم قتل عظيماً من عظمائهم يوم بدر، ولعل العظيم المذكور: عقبة ابن أبي معيط، فإن عاصماً قتله صبراً بأمر النبي ﷺ بعد أن انصرفوا من بدر. ووقع عند ابن إسحاق وكذا في رواية بريدة بن سفيان: أن عاصماً لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من/ سلافة بنت سعد[2]، وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري، وكان عاصم ٥٤/ب

(١) هو الذي عند ابن إسحاق.
(٢) كذا في ش: سعد وفي النسخ: سعيد وهو خطأ.

قتلهما يوم أحد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه ـ بكسر القاف، وهو ما انفلق من الجمجمة فبان ـ.

قال الطبري: وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة.

فمنعهم منه الدبر ـ بفتح المهملة وسكون الموحدة: الزنـابير ـ فلم يقدروا منه على شيء.

وكان عاصم بن ثابت قد أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً. فكان عمر لما بلغـه خبره يقـول: يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته، كما حفظه في حياته.

وإنما استجاب الله تعالى له في حماية لحمـه من المشركين، ولم يمنعهم من قتله لما أراد من إكرامه بالشهادة، ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه.

[بئر معونة]

[الموقع والتاريخ]

سرية المنذر بن عمرو[1] - بفتح العين المهملة - إلى بئر معونة - بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو بعدها نون - موضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان. في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من الهجرة، على رأس أربعة أشهر من أحد.

بعث معه المطلب السلمي ليدلهم على الطريق.

وكانت مع رعل - بكسر الراء وسكون العين المهملة - بطن من بني سليم، ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك. وذكوان بطن من بني سليم أيضاً ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة. فنسبت الغزوة إليها[2].

[تفصيل الواقعة]

وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء، وكان من أمرها - كما قاله ابن إسحاق - أنه قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام، فلم يسلم ولم يبعد عن الإسلام. وقال: يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل

---

(١) المنذر بن عمرو الخزرجي العقبي البدري النقيب من أكابر الصحابة.

(٢) أي إلى بئر معونة لنزولهم بها.

نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك. فقال ﷺ: إني أخشى أهل نجد عليهم. قال أبو براء: أنا لهم جار فابعثهم.

فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو، ومعه القراء وهم سبعون[1] - وقيل أربعون[2] وقيل: ثلاثون -

وقد بين قتادة في روايته أنهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل[3]. وفي رواية ثابت: يشترون به الطعام لأهل الصفة، ويتدارسون القرآن بالليل[4].

فساروا حتى نزلوا بئر معونة، بعثوا حرام بن ملحان بكتابه ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل العامري، ومات كافراً - وليس هو عامر ابن الطفيل الأسلمي الصحابي - فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر فلم يجيبوه، وقالوا: لن نخفر أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم: عصية ورعلاً فأجابوه إلى ذلك، ثم خرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا إلى آخرهم، إلا كعب بن زيد فإنهم تركوه وبه رمق، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً.

وأسر عمرو بن أمية الضمري، فلما أخبرهم أنه من مضر أخذه عامر بن الطفيل وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه.

---

(١) كما في البخاري ومسلم.

(٢) هذه رواية ابن إسحاق وموسى بن عقبة. قال الحافظ: قول الثلاثين وهم.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٠٩٠.

(٤) رواه مسلم برقم ١٤٧ من كتاب الإمارة، قال الشارح: قوله لأهل الصفة، لا يفهم أنهم ليسوا من أهلها، فهم من أهلها يشتري بعضهم لبعض.

فلما بلغ النبي ﷺ خبرهم، قال: هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً، فبلغ ذلك أبا براء فمات أسفاً على ما صنع عامر ابن الطفيل.

وقتل عامر بن فهيرة يومئذ فلم يوجد جسده، دفنته الملائكة(1).

[حزن النبي ﷺ]

قال ابن سعد عن أنس بن مالك: ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة.

وفي صحيح مسلم عن أنس أيضاً: (دعا ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين/ صباحاً، يدعو على رعل ولحيان وعصية عصت الله ورسوله، قال أنس: أنزل الله في الذين قتلوا يوم بئر معونة قرآناً قرأناه ثم نسخ بعد - أي نسخت تلاوته - [أن](2) بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا، فرضي عنا ورضينا عنه)(3). /٥٥

كذا وقع في هذه الرواية(4)، وهو يوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة، وليس كذلك. وإنما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع. وإنما أتى الخبر إلى رسول الله ﷺ عنهم كلهم في وقت واحد، فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاء واحداً والله أعلم.

---

(١) رواه ابن المبارك عن عروة.

(٢) ليست في النسخ وهي في صحيح مسلم.

(٣) صحيح مسلم رقم ٦٧٧.

(٤) أي يدعو على رعل ولحيان وعصية.

غزوة بني النضير

[تاريخ الغزوة]

ثم غزوة بني النضير - بفتح النون وكسر الضاد المعجمة - قبيلة كبيرة من اليهود، في ربيع الأول سنة أربع. وذكرها ابن إسحاق هنا.

قال السهيلي: وكان ينبغي أن يذكرها بعد بدر، لما روى عقيل ابن خالد وغيره عن الزهري قال: كانت غزوة بني النضير على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد.

ورجح الداودي ما قاله ابن إسحاق من أن غزوة بني النضير بعد بئر معونة، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿**وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم**﴾[1].

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: وهو استدلال واه، فإن الآية نزلت في شأن بني قريظة، فإنهم هم الذين ظاهروا الأحزاب، وأما بنو النضير فلم يكن لهم في الأحزاب ذكر، بل كان من أعظم الأسباب في جمع الأحزاب ما وقع من إجلائهم، فإنه كان من رؤوسهم حيي بن أخطب، وهو الذي حسن لبني قريظة الغدر، وموافقة الأحزاب حتى كان من هلاكهم ما كان فكيف يصير السابق لاحقاً. انتهى[2].

---

(١) سورة الأحزاب. الآية ٢٦.

(٢) ثم قال ابن حجر: وإذا ثبت أن سبب إجلاء بني النضير همهم بالفتك به، =

[سبب الغزوة]

وقد تقدم قريباً أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية لما قتل أهل بئر معونة عن رقبة عن أمه، فخرج عمرو إلى المدينة فصادف رجلين من بني عامر معهما عقد وعهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به عمرو، فقال لهما عمرو من أنتما؟ فذكرا له أنهما من بني عامر، فتركهما حتى ناما فقتلهما عمرو، وظن أنه ظفر ببعض ثأر أصحابه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: لقد قتلت قتيلين لأدينهما.

قال ابن إسحاق وغيره: ثم خرج ﷺ إلى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية، للجوار الذي كان ﷺ عقده لهما، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف.

فلما أتاهم ﷺ يستعينهم في ديتهما قالوا: يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوه على مثل هذا الحال. وكان ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم.

وقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه الصخرة ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم.

قال ابن سعد: فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، والله ليخبرن بما هممتم، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

= وهو إنما وقع عندما جاء إليهم يستعين في دية قتيلي عمرو تعين ما قاله ابن إسحاق، لأن بئر معونة كانت بعد أحد بالاتفاق.

قال ابن إسحاق: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام ﷺ مظهراً أنه يقضي حاجته، وترك أصحابه في مجلسهم، ورجع مسرعاً إلى المدينة.

٥/ب واستبطأ النبي ﷺ/ أصحابه، فقاموا في طلبه حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما أرادت يهود من الغدر به.

قال ابن عقبة: ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم**﴾ الآية[1].

[حصار بني النضير]

قال ابن إسحاق: فأمر ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

ثم سار بالناس حتى نزل بهم فحاصرهم ست ليال. قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون فقطع النخل وحرقها وخرب. فنادوه: يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها.

قال السهيلي: قال أهل التأويل: وقع في نفوس بعض المسلمين من هذا الكلام شيء حتى أنزل الله: ﴿**ما قطعتم من لينة**﴾ إلى قوله: ﴿**وليخزي الفاسقين**﴾[2] واللينة: ألوان التمر ما عدا العجوة والبرني. ففي هذه الآية أنه ﷺ لم يحرق من نخلهم إلا ما ليس بقوت الناس،

---

(١) سورة المائدة. الآية ١١.

(٢) سورة الحشر. الآية ٥.

وكانوا يقتاتون العجوة، وفي الحديث (العجوة من الجنة وتمرها يغذو أحسن غذاء)[1] والبرني أيضاً كذلك. ففي قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ ولم يقل من نخلة على العموم، تنبيه على كراهة قطع ما يقتات ويغذو من شجر العدو إذا رجي أن يصل إلى المسلمين.

قال ابن إسحاق: وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أُبي بن سلول بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم. فتربصوا، فقذف الله في قلوبهم الرعب، فلم ينصروهم. فسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم.

وعند ابن سعد: أنهم حين هموا بغدره ﷺ وأعلمه الله بذلك، بعث إليهم محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجلتكم عشراً، فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه.

فمكثوا على ذلك أياماً يتجهزون، وتكاروا من أناس من أشجع إبلاً، فأرسل إليهم عبد الله بن أُبي: لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حيي فيما قاله ابن أبي، فأرسل إلى رسول الله ﷺ، إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فأظهر ﷺ التكبير، وكبر المسلمون بتكبيره، وسار إليهم ﷺ في

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما.

أصحابه، فصلى العصر بفناء بني النضير، وعلي يحمل رايته، فلما رأوا رسول الله ﷺ قاموا على حصونهم، ومعهم النبل والحجارة، واعتزلهم ابن أبي ولم يمنعهم، وكذا حلفاؤهم من غطفان، فيئسوا من نصرهم، فحاصرهم ﷺ وقطع نخلهم، وقال لهم عليه الصلاة والسلام: اخرجوا منها، ولكم دماؤكم وما حملت الإبل إلا الحلقة. - وهي بإسكان اللام قال في القاموس: الدرع - فنزلت يهود على ذلك فحاصرهم خمسة عشر يوماً، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم.

ثم أجلاهم عن المدينة وولي إخراجهم محمد بن مسلمة. وحملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير فلحقوا بخيبر. وحزن عليهم المنافقون حزناً شديداً[1].

[الغنائم]

وقبض ﷺ الأموال، ووجد من الحلقة خمسين درعاً وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً.

وكانت بنو النضير صفياً لرسول الله ﷺ حبساً لنوائبه، ولم يسهم منها لأحد، لأن المسلمين لم يوجفوا عليها/ بخيل ولا ركاب، وإنما قذف في قلوبهم الرعب، وأجلوا عن منازلهم إلى خيبر، ولم يكن ذلك عن قتال من المسلمين لهم، فقسمها ﷺ بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار، إذ كانوا قد قاسموهم في الأموال والديار، غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما. وفي الإكليل: وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق، وكان سيفاً له ذكر عندهم.

١/٥٦

---

(١) قال ابن اسحاق: ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها.

[غزوة ذات الرقاع]

[القول في تاريخها]

واختلف فيها متى كانت:

فعند ابن إسحاق: بعد بني النضير سنة أربع، في شهر ربيع الآخر، وبعض جمادى.

وعند ابن سعد وابن حبان: في المحرم سنة خمس.

وجزم أبو معشر: بأنها بعد بني قريظة في ذي القعدة سنة خمس، فتكون ذات الرقاع في آخر السنة الخامسة وأول التي تليها.

قال في فتح الباري: قد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، واستدل لذلك بأمور، ومع ذلك فذكرها قبل خيبر، فلا أدري: هل تعمد ذلك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها، أو أن ذلك من الرواة عنه، أو إشارة إلى احتمال أن تكون ذات الرقاع اسماً لغزوتين مختلفتين كما أشار إليها البيهقي. على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها. انتهى[1].

والذي جزم به ابن عقبة تقدمها، لكن تردد في وقتها فقال: لا ندري كانت قبل بدر أو بعدها؟ أو قبل أحد أو بعدها؟

---

(١) لا حاجة لقوله: «انتهى» لأن الكلام التالي لابن حجر.

قال الحافظ ابن حجر: وهذا التردد لا حاصل له، بل الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة، لأن صلاة الخوف في غزوة الخندق لم تكن شرعت، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع. فدل على تأخرها بعد الخندق.

ثم قال عند قول البخاري: «وهي بعد خيبر» لأن أبا موسى جاء بعد خيبر، وإذا كان كذلك وثبت أن أبا موسى شهد غزوة ذات الرقاع لزم أنها كانت بعد خيبر(١).

قال: وعجبت من ابن سيد الناس كيف قال: جعل البخاري حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر. قال: وليس في خبر أبي موسى ما يدل على شيء من ذلك، انتهى كلام ابن سيد الناس.

قال: وهذا النفي مردود، والدلالة على ذلك واضحة كما قررته.

قال: وأما الدمياطي: فادعى غلط الحديث الصحيح، وأن جميع أهل السير على خلافه. وقد تقدم أنهم مختلفون في زمانها. فالأولى الاعتماد على ما ثبت في الصحيح(٢).

وأما قول الغزالي: إنها آخر الغزوات. فهو غلط واضح، وقد بالغ ابن الصلاح في إنكاره.

وقال بعض من انتصر للغزالي: لعله أراد آخر غزوة صليت فيها صلاة الخوف.

---

(١) فتح الباري ٤١٧/٧.
(٢) فتح الباري ٤١٨/٧.

وهو انتصار مردود، بما أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان من حديث أبي بكرة: أنه صلى مع النبي ﷺ صلاة الخوف. وإنما أسلم أبو بكرة بعد غزوة الطائف بالاتفاق. انتهى[1].

[سبب تسميتها]

وأما تسميتها بذات الرقاع:

فلأنهم رقعوا فيها راياتهم، قاله ابن هشام.

وقيل: لشجرة في ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع.

وقيل: الأرض التي نزلوا بها فيها بقع سود وبقع بيض، كأنها مرقعة برقاع مختلفة، فسميت ذات الرقاع لذلك.

وقيل: إن خيلهم كان بها سواد وبياض. قاله ابن حبان.

وقال الواقدي: سميت بجبل هناك فيه بقع. قال الحافظ ابن حجر: وهذا لعله مستند ابن حبان، ويكون قد تصحف عليه بخيل.

قال: وأغرب/ الداودي فقال: سميت ذات الرقاع لوقوع صلاة ٥٦/ب الخوف فيها، فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها. انتهى[2].

قال السهيلي: وأصح من هذه الأقوال كلها، ما رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبه، فنقبت أقدامنا، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف على أرجلنا الخرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا)[3].

---

(١) فتح الباري ٧/٤٢٤.

(٢) هذه الأقوال كلها في فتح الباري ٧/٤١٩.

(٣) رواه البخاري برقم ٤١٢٨.

[أحداث الغزوة]

وكان من خبر هذه الغزوة، كما قاله ابن إسحاق: أنه ﷺ غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة - بالمثلثة - من غطفان - بفتح الغين المعجمة والمهملة - لأنه ﷺ بلغه أنهم جمعوا الجموع. فخرج في أربعمائة من أصحابه - وقيل: سبعمائة - واستعمل على المدينة عثمان بن عفان، وقيل أبا ذر. حتى نزل نخلاً - بالخاء المعجمة - موضعاً من نجد من أراضي غطفان.

قال ابن سعد: فلم يجد في محالهم إلا نسوة فأخذهن.

وقال ابن إسحاق: فلقي جمعاً منهم فتقارب الناس، ولم يكن بينهم حرب، وقد أخاف الناس بعضهم بعضاً، حتى صلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة الخوف، ثم انصرف الناس.

قال ابن سعد: وكان ذلك أول ما صلاها.

وقد رويت صلاة الخوف من طرق كثيرة وسيأتي إن شاء الله تعالى الكلام على ما تيسر منها في مقصد عباداته ﷺ.

وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة خمس عشرة ليلة[1].

[من يمنعك مني؟]

وفي البخاري عن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيف النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه - يعني سله من غمده - فقال تخافني قال: لا، قال: فمن يمنعك مني؟ قال: الله[2]

(١) قاله ابن سعد.
(٢) رواه البخاري برقم ٤١٣٦.

وعند أبي عوانة: فسقط السيف من يده فأخذه ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال الأعرابي: أعاهدك أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. قال: فخلى سبيله. فجاء إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس[١].

وفي رواية عند البخاري: ولم يعاقبه[٢].

وإنما لم يؤاخذه ﷺ بما صنع، وعفا عنه، لشدة رغبته عليه الصلاة والسلام في استئلاف الكفار ليدخلوا في الإسلام.

وفي رواية أبي اليمان عند البخاري[٣] - في الجهاد - قال: من يمنعك مني ثلاث مرات. وهو استفهام إنكاري، أي لا يمنعك مني أحد.

وقد كان الأعرابي قائماً على رأسه والسيف في يده والنبي ﷺ جالس لا سيف معه.

ويؤخذ من مراجعة الأعرابي له في الكلام أن الله سبحانه منع نبيه، وإلا فما الذي أحوجه إلى مراجعته مع احتياجه إلى الحظوة عند قومه بقتله. وفي قوله ﷺ في جوابه: الله، أي يمنعني منك، إشارة إلى ذلك، ولذلك لما أعادها الأعرابي فلم يزده على ذلك الجواب، وفي ذلك غاية التهكم وعدم المبالاة به.

وذكر الواقدي في نحو هذه القصة أنه أسلم، ورجع إلى قومه

---

(١) ذكره في فتح الباري ٧/٤٢٨.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٣٥ و٢٩١٠.

(٣) رواه البخاري برقم ٢٩١٠.

فاهتدى به خلق كثير. وقال فيه: إنه رمي بالزلخة حين هم بقتله ﷺ، فندر السيف من يده وسقط إلى الأرض. والزلخة ـ بضم الزاي وتشديد اللام ـ وجع يأخذ في الصلب.

وقال البخاري: قال مسدد عن أبي عوانة عن أبي بشر: اسم الرجل غورث بن الحارث[1]، / أي على وزن جعفر. ١/٥٧

وحكى الخطابي فيه: غويرث، بالتصغير. وقد تقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور، وأنه قام على رأسه ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال ﷺ: الله، ودفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده وأنه أسلم.

قال في عيون الأثر: والظاهر أن الخبرين واحد.

وقال غيره من المحققين[2]: الصواب أنهما قصتان في غزوتين.

وفي هذه القصة: فرط شجاعته، وقوة يقينه وصبره على الأذى، وحلمه على الجهال صلى الله عليه وسلم.

[قصة جمل جابر]

وفي انصرافه ﷺ من هذه الغزوة، أبطأ جمل جابر بن عبد الله فنخسه ﷺ فانطلق متقدماً بين يدي الركاب، ثم قال: أتبيعنيه؟ فابتاعه منه وقال: لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها أعطاه الثمن وأرجح، ووهب له الجمل. والحديث أصله في البخاري[3].

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٣٦.

(٢) كابن كثير.

(٣) قال الشارح: في عشرين موضعاً. لكن لم يقع فيه أن ذلك في ذات الرقاع =

ولا حجة فيه لجواز بيع وشرط، لما وقع فيه من الاضطراب. وقيل غير ذلك مما يطول ذكره والله أعلم.

[غزوة بدر الآخرة]

وهي الصغرى، وتسمى: بدر الموعد.

وكانت في شعبان، بعد ذات الرقاع. قال ابن إسحاق: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها جمادى الأولى إلى آخر رجب، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان. ويقال: كانت في هلال ذي القعدة.

وميعاد أبي سفيان: هو ما سبق أن أبا سفيان قال يوم أحد: الموعد بيننا وبينكم بدر العام القابل، فقال ﷺ لرجل من أصحابه: قل: نعم هو بيننا وبينكم موعد.

فخرج ﷺ ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه، وعشرة أفراس، واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة، فأقاموا على بدر ينتظرون أبا سفيان.

وخرج أبو سفيان حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران، ويقال: عسفان، ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب، ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب، وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس. فسماهم أهل مكة: جيش السويق يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

= ولذا لم يذكره في غزاتها، بل في بعضها أنه في تبوك.
ومن هذه المواضع الحديث رقم ٢٠٩٧.

وأقام ﷺ ببدر ثمانية أيام، وباعوا ما معهم من التجارة، فربحوا الدرهم درهمين. وأنزل الله في المؤمنين: ﴿**الذين استجابوا لله والرسول**﴾ إلى قوله: ﴿**فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء**﴾[1] الآية.

والصحيح أن هذه الآية نزلت في شأن حمراء الأسد، كما نص عليه العماد بن كثير.

غزوة دومة الجندل

وهي بضم الدال من «دومة» هي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال، وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة. قال أبو عبيد البكري: سميت بدومي بن إسماعيل، كان نزلها.

وكانت في شهر ربيع الأول، على رأس تسعة وأربعين شهراً من الهجرة، وكان سببها أنه بلغه ﷺ أن بها جمعاً كثيراً يظلمون من مر بهم، فخرج عليه الصلاة والسلام لخمس ليال بقين من شهر ربيع، في ألف من أصحابه، فكان يسير الليل ويكمن النهار.

واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة.

فلما دنا منهم، لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب، وهرب من هرب في كل وجه. وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا، ونزل ﷺ بساحتهم فلم يلق بها أحداً، فأقام بها أياماً، وبث السرايا وفرقها، فرجعوا، ولم يصب منهم أحد. ودخل ٥٧/ب المدينة في العشرين/ من ربيع الآخر.

---

(١) سورة آل عمران ١٧٢.

غزوة بني المصطلق

[الموقع والتاريخ]

غزوة المريسيع: ـ بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة وآخره عين مهملة ـ وهو ماء لبني خزاعة، بينه وبين الفرع يومان[1].

وتسمى غزوة بني المصطلق ـ بضم الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة، وكسر اللام بعدها قاف ـ وهو لقب واسمه: جذيمة بن سعد بن عمرو، بطن من خزاعة.

وكانت لليلتين خلتا من شعبان، سنة خمس، وفي البخاري قال ابن إسحاق سنة ست، وقال موسى بن عقبة: سنة أربع انتهى.

قالوا: وكأنه سبق قلم[2]، أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع، والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق أخرجها الحاكم وأبو سعيد النيسابوري والبيهقي في الدلائل وغيرهم سنة خمس.

[سبب الغزوة وما حدث فيها]

وسببها أنه بلغه ﷺ أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في

---

(١) هكذا في النسخ قال الشارح في الفتح: مسيرة يوم.

(٢) أي من البخاري.

قومه ومن قدر عليه من العرب، فدعاهم إلى حرب رسـول الله ﷺ فأجابوه، وتهيؤوا للمسير معه إليه.

فبعث ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي يعلم علم ذلك، فأتاهم ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه، ورجع إلى رسول الله ﷺ.

وخرج عليه السلام مسرعاً في بشر كثير من المنافقين، لم يخرجوا في غزاة قط مثلها. واستخلف على المدينـة زيد بن حـارثة. وقـادوا الخيل، وكانت ثلاثين فرساً. وخرجت عائشة وأم سلمة.

وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام فسيء بذلك هو ومن معه، وخافوا خوفاً شديداً، وتفرق عنهم من كان معهم من العرب.

وبلغ عليـه السلام المـريسيع، وصف أصحـابـه، ودفـع رايـة المهاجرين إلى أبي بكر، وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة، فترامـوا بالنبل ساعة ثم أمر عليه السلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد، وقتلوا عشرة وأسروا سائرهم، وسبوا النساء والرجال والذرية والنعم والشـاء. ولم يقتل من المسلمـين إلا رجـل واحـد، كـذا ذكـره ابن إسحاق.

والذي في صحيح البخاري من حديث ابن عمر يدل على أنه أغار عليهم على حين غفلة منهم فأوقـع بهم ولفظه: أغـار على بني المصطلق وهم غارون، وأنعامهم تستقي على المـاء، فقتل مقـاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء[1].

فيحتمل أن يكون حين الإيقاع بهم ثبتوا قليلاً، فلما كثر فيهم

---

(١) رواه البخاري برقم ٢٥٤١.

القتل انهزموا بأن يكونوا لما دهمهم وهم على الماء وتصافوا وقع القتال بين الطائفتين، ثم بعد ذلك وقعت الغلبة عليهم[1].

[نزول آية التيمم]

قيل وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم. وفي الصحيحين من حديث عائشة: أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فذكر حديث التيمم[2].

قال في فتح الباري:«قوله في بعض أسفاره» قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزوة بني المصطلق. وجزم بذلك في الاستذكار. وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان، وغزوة بني المصطلق هي غزوة المريسيع.

وفيها كانت قصة الإفك لعائشة، وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عقدها أيضاً.

فإن كان ما جزموا به ثابتاً، حمل على أنه سقط منها في تلك السفرة مرتين، لاختلاف القصتين، كما هو بين من سياقهما.

قال: واستبعد بعض شيوخنا ذلك، لأن المريسيع من ناحية مكة بين قديد والساحل، وهذه القصة كانت من ناحية خيبر لقولها في الحديث: حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، وهما بين مكة وخيبر كما جزم به النووي.

قال: وما جزم به مخالف لما جزم به ابن/ التين فإنه قال: ١/٥٨

---

(١) انظر في بيان هذه القضية وملابساتها كتابنا «أضواء على دراسة السيرة» [المحقق].

(٢) رواه البخاري برقم ٣٣٤.

البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، وذات الجيش وراء ذي الحليفة.

وقال أبو عبيد البكري في معجمه: البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا، ثم قال: وذات الجيش من المدينة على بريد. قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال. والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر، فاستقام ما قاله ابن التين[1].

وقد قال قوم بتعدد ضياع العقد، ومنهم محمد بن حبيب الأخباري فقال: سقط عقد عائشة في غزوة ذات الرقاع وفي غزوة بني المصطلق.

وقد اختلف أهل المغازي في أي هاتين الغزوتين كانت أولاً.

وقال الداودي: كانت قصة التيمم في غزوة الفتح ثم تردد في ذلك.

وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال: لما نزلت آية التيمم لم أدر كيف أصنع. فهذا يدل على تأخرها عن غزوة بني المصطلق، لأن إسلام أبي هريرة كان في السنة السابعة، وهي بعدها بلا خلاف.

وكان البخاري يرى أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد قدوم أبي موسى، وقدومه كان وقت إسلام أبي هريرة.

ومما يدل على تأخر القصة أيضاً عن قصة الإفك ما رواه الطبراني من طريق يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا،

(١) فتح الباري ١/٤٣٢.

خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى، فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: يا بنية في كل سفرة تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة.

وفي إسناده محمد بن حميد الرازي. وفيه مقال.

وفي سياقه من الفوائد: بيان عتاب أبي بكر الذي أبهم في حديث الصحيح، والتصريح بأن ضياع العقد كان مرتين في غزوتين. انتهى(١).

[الذي أوفى لله بأذنه]

وفي هذه الغزوة قال ابن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فسمعه زيد بن أرقم، ذو الأذن الواعية، فحدث رسول الله ﷺ بذلك فأرسل إلى ابن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فأنزل الله تعالى: ﴿**إذا جاءك المنافقون**﴾ فقال له رسول الله ﷺ: إن الله قد صدقك يا زيد(٢). رواه البخاري.

وكانت غيبته ﷺ في هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوماً.

---

(١) فتح الباري ١/٤٣٤ ـ ٤٣٥ وخلاصته أن السفر المبهم في قول عائشة هو: المريسيع أو ذات الرقاع أو الفتح أقوال. وأن العقد سقط مرتين في غزوة واحدة أو في غزوتين.

(٢) عند ابن إسحاق وأهل المغازي أن هذه الحادثة كانت في غزوة تبوك.

غزوة الخندق

[سبب التسمية]

وهي الأحزاب: جمع حزب، أي طائفة.

فأما تسميتها بالخندق: فلأجل الخندق الذي حفر حول المدينة بأمره ﷺ، ولم يكن اتخاذ الخندق من شأن العرب، ولكنه من مكايد الفرس. وكان الذي أشار بذلك سلمان، فقال: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفره، وعمل فيه بنفسه ترغيباً للمسلمين.

وأما تسميتها بالأحزاب، فلاجتماع طوائف من المشركين على حرب المسلمين، وهم: قريش وغطفان واليهود ومن معهم. وقد أنزل الله تعالى في هذه القصة صدراً من سورة الأحزاب.

[تاريخها]

واختلف في تاريخها:

فقال موسى بن عقبة: كانت في شوال سنة أربع.

وقال ابن إسحاق: كانت في شوال سنة خمس، وبذلك جزم غيره من أهل المغازي.

ومال البخاري إلى قول موسى بن عقبة، وقواه بقول ابن عمر:

أن رسول الله ﷺ عرضه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة فلم يجزه، وعرضه يوم الخندق وهو ابن خمس عشرة فأجازه[1]. فيكون بينهما سنة واحدة، وأحد/ كانت سنة ثلاث، فتكون الخندق سنة أربع. ٥٨/ب

ولا حجة فيه إذا ثبت لنا أنها كانت سنة خمس، لاحتمال أن يكون ابن عمر في أحد كان أول ما طعن في الرابعة عشر، وكان في الأحزاب استكمل الخمس عشرة، وبهذا أجاب البيهقي.

وقال الشيخ ولي الدين بن العراقي: والمشهور أنها في السنة الرابعة.

[اليهود يجمعون الأحزاب]

وكان من حديث هذه الغزوة: أن نفراً من يهود قدموا على قريش بمكة وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له.

ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حربه عليه الصلاة والسلام، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد بايعوهم على ذلك واجتمعوا معهم.

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في فزارة، والحارث بن عوف المري في مرة.

[عدد كل من الفريقين]

وكان عدتهم - فيما ذكره ابن إسحاق - عشرة آلاف. والمسلمون

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٩٧.

ثلاثة آلاف وقيل غير ذلك.

وذكر ابن سعد أنه كان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً.

[حفر الخندق]

ولما سمع رسول الله ﷺ بالأحزاب، وبما أجمعوا عليه من الأمر، ضرب على المسلمين الخندق، فعمل فيه ﷺ ترغيباً [للمسلمين في][1] الأجر، وعمل معه المسلمون، فدأب ودأبوا.

وأبطأ على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين في عملهم ذاك ناس من المنافقين، وجعلوا يورون بالضعف عن العمل،

وفي البخاري: عن سهل بن سعد قال: كنا مع النبي ﷺ في الخندق، وهم يحفرون ونحن ننقل التراب على أكتادنا، فقال رسول الله ﷺ: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار[2].

والأكتاد: - بالمثناة الفوقية - جمع كتد - بفتح أوله وكسر المثناة - وهو ما بين الكاهل إلى الظهر، وفي بعض نسخ البخاري: أكبادنا بالموحدة، وهو موجه على أن يكون المراد به مما يلي الكبد من الجنب.

وفي البخاري أيضاً: عن أنس: فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال:

اللهم إن العيش عيش الآخرة[3] ... فاغفر للأنصار والمهاجرة

---

(١) كذا في ش وعند ابن إسحاق، وفي النسخ: ترغيباً للأجر.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٠٩٨.

(٣) كذا في البخاري، وفي النسخ: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.

فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا[1]

قال ابن بطال: وقوله اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، هو من قول ابن رواحة تمثل به ﷺ. وعند الحارث بن أبي أسامة من مرسل طاووس[2] زيادة في آخر الرجز:

والعن عضلاً والقارة هم كلفونا نقل الحجارة

وفي البخاري من حديث البراء قال: (لما كان يوم الأحزاب، وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه، وكان كثير الشعر، فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة، وهو ينقل التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: يمد بها صوته..)[3] وفي رواية له أيضاً:

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا[4]

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٩٩.

(٢) طاووس بن كيسان اليماني الفارسي، تابعي ثقة فقيه كثير الحديث. مات سنة ست ومائة.

(٣) رواه البخاري برقم ٤١٠٦.

(٤) من رواية البخاري برقم ٤١٠٤.

١/٥٩ / وفي حديث سليمان التيمي[١] عن أبي عثمان النهدي[٢] أنه ﷺ حين ضرب في الخندق قال:

بسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا
فحبذا ربا وحب دينا[٣]

قال في النهاية: يقال بديت بالشيء - بكسر الدال - أي بدأت به، فلما خفف الهمزة كسر الدال، فانقلبت الهمزة ياء، وليس هو من بنات الياء. انتهى.

[معجزات]

وقد وقع في حفر الخندق آيات من أعلام بنوته ﷺ. منها ما في الصحيح عن جابر قال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة - وهي بضم الكاف وتقديم الدال المهملة على التحتانية، وهي القطعة الصلبة - فجاؤوا النبي ﷺ فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً فأخذ النبي ﷺ المعول فضرب فعاد كثيباً أهيل أو أهيم[٤].

كذا بالشك من الراوي، وفي رواية الاسماعيلي باللام من غير شك، والمعنى: أنه صار رملاً يسيل ولا يتماسك.

---

(١) سليمان بن طرخان التيمي. الثقة العابد المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة، روى له الجميع.

(٢) أبو عثمان النهدي، عبد الرحمن بن مل، ثقة عابد روى له الستة مات سنة خمس وتسعين.

(٣) كذا في فتح الباري ٣٩٧/٧ وهو موزون عروضياً، والذي في النسخ: حبذا رباً وحبذا ديناً، وهو غير موزون.

(٤) رواه البخاري برقم ٤١٠١.

وأهيم: بمعنى أهيل. وقد قيل في قوله تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾[1]. المراد: الرمال التي لا يرويها الماء.

وقد وقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها، وقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر، فقال: الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، وإني والله لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة فقال بسم الله فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة [2].

ومن أعلام نبوته ما ثبت في الصحيح من حديث جابر من تكثير الطعام القليل يوم حفر الخندق[3]، كما سيأتي إن شاء الله تعالى مستوفى في مقصد المعجزات مع غيره.

[مدة حفر الخندق]

وقد وقع عند موسى بن عقبة أنهم أقاموا في عمل الخندق قريباً من عشرين ليلة.

---

(١) سورة الواقعة. الآية ٥٥.

(٢) المسند ٤/٣٠٣.

(٣) رواه البخاري برقم ٤١٠١.

وعند الواقدي: أربعاً وعشرين.
وفي الروضة للنووي: خمسة عشر يوماً.
وفي الهدي النبوي لابن القيم: أقاموا شهراً.

[وصف المعسكرين]

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم[1] ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة.

ونزل عيينة بن حصن في غطفان ومن تبعهم من أهل نجد إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين حتى جعلوا أظهرهم إلى سلع، وكانوا ثلاثة آلاف رجل. فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم. وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة. وكان ﷺ يبعث الحرس إلى المدينة خوفاً على الذراري من بني قريظة.

[قريظة تنقض العهد]

قال ابن إسحاق: وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده، فأغلق كعب دونه باب حصنه، وأبى أن يفتح له، وقال ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقاً. فقال: ويلك افتح، ولم يزل به حتى فتح له، فقال: ويلك يا

---

(١) هم الحلفاء، التحبيش: التجميع.

كعب، جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال، ومن دونه غطفان/ وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى ٥٩/ب نستأصل محمداً ومن معه، ولم يزل به حتى نقض عهده، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

وعن عبد الله بن الزبير قال: كنت يوم الأحزاب أنا وعمرو بن أبي سلمة مع النساء في أطم حسان، فنظرت فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف، قال: رأيتني يا بني قلت: نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: فداك أبي وأمي. أخرجه الشيخان والترمذي وقال: حديث حسن.

وفي رواية أصحاب المغازي: فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ومعهما ابن رواحة وخوات بن جبير ليعرفوا الخبر، فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم، نالوا من رسول الله ﷺ وتبرؤوا من عقده وعهده، ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله ﷺ وقالوا: عضل والقارة، أي: كغدرهما بأصحاب الرجيع.

[معسكر المسلمين بعد غدر قريظة]

فعظم عند ذلك البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن.

ونجم النفاق من بعض المنافقين، وأنزل الله تعالى: ﴿وإذ يقول

المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ الآيات[1].

وقال رجال ممن معه[2]: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، وقال أوس بن قيظي: يا رسول الله، إن بيوتنا عورة من العدو، فائذن لنا فنرجع إلى ديارنا، فإنها خارج المدينة.

وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فقتله الله. وكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ إنا نعطيك الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه، فرد إليهم النبي ﷺ: إنه خبيث خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته، ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته.

قال ابن إسحاق: وأقام ﷺ والمسلمون وعدوهم يحاصرهم، ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل، لكن كان عمرو بن عبد ود العامري اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق، حتى صاروا بالسبخة، فبارزه علي فقتله، وبرز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة.

ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الأكحل ـ وهو بتفح الهمزة والمهملة بينهما كاف ساكنة ـ عرق في وسط الذراع. قال الخليل: هو عرق الحياة يقال إن في كل عضو منه شعبة فهو في اليد الأكحل وفي الظهر الأبهر وفي الفخذ النسا، إذا قطع لم يرفأ الدم.

---

(١) سورة الأحزاب. الآية ١٢.

(٢) أي مع عبد الله بن أبي كبير المنافقين. وهو مفهوم من السياق، ويمكن إعادة الضمير إلى النفاق [م].

وكان الذي رمى سعداً، ابن عرقة، أحد بني عامر بن لؤي، قال: خذها مني وأنا ابن العرقة، فقال له سعد: عرق الله وجهك في النار. ثم قال سعد: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه.

وأقام عليه الصلاة والسلام وأصحابه بضع عشرة ليلة. فمشى نعيم بن مسعود الأشجعي - وهو مخف إسلامه - فثبط قوماً عن قوم وأوقع بينهم شراً لقوله ﷺ: (الحرب خدعة) فاختلفت كلمتهم.

[ليلة الأحزاب]

وروى الحاكم عن حذيفة قال: لقد رأيتنا ليلة الأحزاب وأبو سفيان ومن معه من فوقنا، وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة أشد ظلمة ولا ريحاً منها، فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون بيوتنا عورة، فمر بي النبي ﷺ وأنا جاث على ركبتي، ولم يبق معه إلا ثلاثمائة فقال/: اذهب فائتني بخبر القوم، ودعا لي، فأذهب الله عني القر والفزع، فدخلت عسكرهم فإذا الريح فيه لا تجاوز شبراً، فلما رجعت رأيت فوارس في طريقي فقالوا: أخبر صاحبك أن الله كفاه القوم. ١/٦٠

وفي رواية[١]: أن حذيفة لما أرسله ﷺ ليأتيه بالخبر سمع أبا سفيان يقول: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الخف والكراع، واختلفنا وبنو قريظة، ولقينا من هذا

---

(١) رواية ابن اسحاق.

الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقال يده إلا وهو قائم.

[مهمة الزبير ومهمة حذيفة]

ووقع في البخاري أنه ﷺ قال يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم. فقال الزبير: أنا، فقال: من يأتينا بخبر القوم، فقال الزبير: أنا، فقال: من يأتينا بخبر القوم؟ قالها ثلاثاً[١].

وقد استشكل ذكر الزبير في هذه.

فقال ابن الملقن: وقع هنا أن الزبير هو الذي ذهب والمشهور أنه حذيفة بن اليمان.

قال الحافظ بن حجر: وهذا الحصر مردود، فإن القصة التي ذهب لكشفها غير القصة التي ذهب حذيفة لكشفها، فقصة الزبير كانت لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشاً على محاربة المسلمين؟ وقصة حذيفة كانت لما اشتد الحصار على المسلمين بالخندق، وتمالأت عليهم الطوائف، ثم وقع بين الأحزاب الاختلاف، وحذرت كل طائفة من الأخرى، وأرسل الله عليهم الريح واشتد البرد تلك الليلة، فانتدب عليه السلام من يأتيه بخبر قريش فانتدب له حذيفة بعد تكراره طلب ذلك، وقصته في ذلك مشهورة لما دخل بين قريش في الليل وعرف قصتهم[٢].

[دعاء]

وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال: دعا رسول

(١) رواه البخاري برقم ٤١١٣.
(٢) فتح الباري ٧/٤٠٦.

الله ﷺ على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم[1].

وروى أحمد عن أبي سعيد قال: قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال: نعم، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا. قال: فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح.

وفي «ينبوع الحياة»[2] لابن ظفر: قيل إنه ﷺ دعا فقال: يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي. فأتاه جبريل فبشره بأن الله سبحانه يرسل عليهم ريحاً وجنوداً، فأعلم أصحابه ورفع يديه قائلاً: شكراً شكراً، وهبت ريح الصبا ليلاً فقلعت الأوتاد وألقت عليهم الأبنية وكفأت القدور وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصى، وسمعوا في أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هراباً في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من متاعهم. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها**﴾[3].

[انشغال المسلمين عن الصلاة]

وفي البخاري عن علي أن رسول الله ﷺ قال يوم الخندق: (ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)[4] ومقتضى هذا أنه استمر اشتغاله بقتال المشركين حتى غابت الشمس.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١١٥.

(٢) اسم لكتاب في تفسير القرآن الكريم.

(٣) سورة الأحزاب. الآية ٩.

(٤) رواه البخاري برقم ٢٩٣١.

ويعارضه ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود أنه قال: حبس المشركون رسول الله ﷺ عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله ﷺ: شغلونا عن الصلاة الوسطى. الحديث[1]. ومقتضى هذا أنه لم يخرج الوقت بالكلية.

قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، الحبس انتهى إلى ذلك الوقت، أي الحمرة أو الصفرة، ولم تقع الصلاة إلا بعد المغرب انتهى.

وفي البخاري عن عمر بن الخطاب: أنه جاء يوم الخندق وجعل يسب كفار قريش قال: يا رسول الله، ما كدت أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب فقال ﷺ: والله ما صليتها، فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا، / فصلى العصر بعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب[2]. ٦٠/ب

وقد يكون ذلك للاشتغال بأسباب الصلاة أو غيرها، ومقتضى هذه الرواية المشهورة أنه لم يفت غير العصر.

وفي الموطأ: الظهر والعصر.

وفي الترمذي عن ابن مسعود أن المشركين شغلوا رسول الله ﷺ عن أربع صلوات يوم الخندق. وقال: ليس بإسناده بأس إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبد الله، فمال ابن العربي إلى الترجيح وقال: الصحيح أن التي اشتغل عنها ﷺ واحدة وهي العصر.

وقال النووي: طريق الجمع بين هذه الروايات، أن وقعة

---

(١) رواه مسلم برقم ٦٢٨.

(٢) رواه البخاري برقم ٥٩٦.

الخندق بقيت أياماً فكان هذا في بعض الأيام وهذا في بعضها. قال: وأما تأخيره ﷺ صلاة العصر حتى غربت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف.

قال العلماء: يحتمل أن يكون أخرها نسياناً لا عمداً، وكان السبب في النسيان الاشتغال بأمر العدو، ويحتمل أنه أخرها عمداً للاشتغال بالعدو قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو والقتال، بل يصلي صلاة الخوف على حسب الحال.

وقد اختلف في المراد بالصلاة الوسطى. وجمع الحافظ الدمياطي في ذلك مؤلفاً مفرداً سماه: كشف المغطى عن الصلاة الوسطى، فبلغ تسعة عشر قولاً، وهي: الصبح أو الظهر، أو العصر، أو المغرب، أو جميع الصلاة وهو يتناول الفرائض والنوافل واختاره ابن عبد البر، أو الجمعة وصححه القاضي حسين في صلاة الخوف من تعليقه، أو الظهر في الأيام والجمعة يوم الجمعة، أو العشاء لأنها بين صلاتين لا تقصران، أو الصبح والعشاء، أو الصبح والعصر لقوة الأدلة. فظاهر القرآن الصبح، ونص السنة العصر، أو صلاة الجماعة أو الوتر أو صلاة الخوف أو صلاة عيد الأضحى أو الفطر أو صلاة الضحى، أو واحدة من الخمس غير معينة، أو الصبح أو العصر على الترديد وهو غير القول السابق أو التوقف انتهى.

[انتهاء غزوة الخندق]

وانصرف ﷺ من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة، وكان قد أقام بالخندق خمسة عشر يوماً، وقيل أربعة وعشرين يوماً.

وقال ﷺ: لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا[1].

وفي ذلك علم من أعلام النبوة[2]. فإنه ﷺ اعتمر في السنة التي صدته قريش عن البيت، ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها فكان ذلك سبب فتح مكة فوقع الأمر كما قال عليه الصلاة والسلام. وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقد أخرج البزار من حديث جابر بإسناد حسن شاهداً لهذا ولفظه: إن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب، وقد جمعوا له جموعاً كثيرة: لا يغزونكم بعدها أبداً، ولكن أنتم تغزونهم.

(١) روى البخاري في كتاب المغازي برقم ٤١١٠ عن سليمان بن صرد قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب عنه: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم)،

(٢) هذا الكلام من فتح الباري وحتى نهاية الفقرة كلها ٧/٤٠٥.

[غزوة بني قريظة]

[الخروج إلى بني قريظة]

ولما دخل ﷺ المدينة يوم الأربعاء هو وأصحابه ووضعوا السلاح جاء جبريل عليه السلام معتجراً بعمامة من استبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج.

وفي رواية البخاري من حديث عائشة أنه لما رجع ﷺ ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال له: قد وضعت السلاح، والله ما وضعناه. فاخرج إليهم.. وأشار إلى بني قريظة[1].

وعند ابن إسحاق: إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم. فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة.

وعند ابن عائذ: قم فشد عليك سلاحك، فوالله لأدقنهم دق البيض على/ الصفا، وبعث يومئذ منادياً ينادي يا خيل الله اركبي. ١/٦١

وعند الحاكم والبيهقي: وبعث علياً على المقدمة، وخرج ﷺ في أثره.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١١٧.

وعند ابن سعد: ثم سار إليهم في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً، وذلك يوم الأربعاء لسبع بقـين من ذي القعدة.

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قاله ابن هشام.

[الصلاة في بني قريظة]

ونزل ﷺ على بئر من آبار بني قريظة وتلاحق به الناس. فأتى رجال منهم بعد العشـاء الآخرة، ولم يصلوا العصر، لقـوله ﷺ: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسول الله ﷺ.

وفي البخاري عن ابن عمر: فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم[1].

كذا وقع في جميع النسخ من البخاري: أنها العصر. واتفق عليه جميع أهل المغازي.

ووقع في مسلم أنها الظهر مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد وبإسناد واحد. ووافق مسلماً أبو يعلى وآخرون.

وجمع بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم ـ قبل الأمر ـ كان صلى الظهر، وبعضهم لم يصلها، فقيل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.

وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة،

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١١٩.

فقيل للطائفة الأولى: الظهر، وللطائفة التي بعدها العصر[1]، والله أعلم.

[الحصار]

قال ابن إسحاق: وحاصرهم ﷺ خمساً وعشرين ليلة، حتى أجهدهم الحصار.

وعند ابن سعد: خمس عشرة. وعند ابن عقبة: بضع عشرة ليلة.

وقذف الله في قلوبهم الرعب. فعرض عليهم رئيسهم كعب بن أسد أن يؤمنوا فقال لهم: يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني أعرض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي:

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين أنه لنبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم. فأبوا.

فقال: إذا أبيتم علي هذه، فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ما نخشى عليه.

فقالوا: أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا.

فقال: إن أبيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت، وعسى أن

---

(١) نقلاً عن فتح الباري ٧/٤٠٩.

يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة.

قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا، إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

[أبو لبابة]

وأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة - وهو رفاعة ابن عبد المنذر - نستشيره في أمرنا.

فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقَّ لهم، وقالوا يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه: إنه الذبح.

قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله.

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده، وقال: لا أبرح من مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله/ أن لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. ٦١/ب

فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه قال: أما لو جاءني لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل، فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

قال: وأقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته في وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع.

وقال أبو عمر: روى وهب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر أن أبا لبابة ارتبط بسلسلة ثقيلة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه، فما كاد يسمع، وكاد يذهب بصره، وكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة، أو أراد أن يذهب لحاجة، فإذا فرغ أعادته.

وعن [يزيد بن][1] عبد الله بن قسيط: أن توبة أبي لبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة. قالت أم سلمة: فسمعت رسول الله ﷺ من السحر وهو يضحك، فقالت: قلت مم تضحك، أضحك الله سنك. قال: تيب على أبي لبابة. قالت: قلت أفلا أبشره يا رسول الله، قال: بلى إن شئت. قال: فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك. قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه، فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده، فلما مر عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه.

وروى البيهقي في دلائله بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾[2] قال: هو أبو لبابة إذ قال لبني قريظة ما قال وأشار إلى حلقه إن محمداً يذبحكم إن نزلتم على حكمه. قال البيهقي وترجم محمد بن إسحاق بن يسار أن ارتباطه كان حينئذ.

وقد روينا عن ابن عباس ما دل على أن ارتباطه بسارية المسجد كان لتخلفه عن غزوة تبوك، كما قال ابن المسيب قال: وفي ذلك نزلت هذه الآية.

---

(١) كذا في ش، وقد سقطت من النسخ وهو خلاف ما عند ابن إسحاق وغيره، أنه عن يزيد، وهو الصواب.

(٢) سورة التوبة. الآية ١٠٢.

[حكم سعد بن معاذ]

ولما اشتد الحصار ببني قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فحكم فيهم سعد بن معاذ، وكان قد جعله في خيمة في المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوي الجرحى، فلما حكمه أتاه قومه فحملوه على حمار وقد وطؤوا له بوسادة من أدم ـ وكان رجلاً جسيماً ـ ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ.

فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال عليه الصلاة والسلام: قوموا إلى سيدكم. فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار، وأما الأنصار فيقولون: عم بها رسول الله ﷺ المسلمين.

فقالوا: إن رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم.

فقال سعد: فإني أحكم فيهم، أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء.

فقال ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

والرقيع: السماء سميت بذلك لأنها رقعت بالنجوم.

ووقع في البخاري: قال: قضيت فيهم بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك[1] ـ بكسر اللام ـ.

وفي رواية محمد بن صالح[2] لقد حكمت اليوم فيهم بحكم الله الذي حكم به من فوق سبع سموات[3].

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٢١.

(٢) محمد بن صالح بن دينار المدني، صدوق يخطىء مات سنة ثمان وستين ومائة، خرج له أصحاب السنن.

(٣) أخرجه الترمذي.

وفي حديث جابر - عند ابن عائذ - فقال: احكم فيهم يا سعد، فقال: الله ورسوله أحق بالحكم/، قال: قد أمرك الله أن تحكم فيهم. ١/٦٢

وفي هذه القصة: جواز الاجتهاد في زمنه ﷺ وهي مسألة اختلف فيها أهل أصول الفقه. والمختار: الجواز، سواء كان في حضرته ﷺ أم لا، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتماد على الظن مع إمكان القطع، ولا يضر ذلك لأنه بالتقرير يصير قطعياً، وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ كما في هذه القصة وغيرها. انتهى.

[تنفيذ الحكم]

وانصرف ﷺ يوم الخميس لسبع ليال - كما قال الدمياطي، أو لخمس كما قاله مغلطاي - خلون من ذي الحجة.

وأمر ﷺ ببني قريظة فأدخلوا المدينة، وحفر لهم أخدود في السوق، وجلس ﷺ ومعه أصحابه، وأخرجوا إليه فضربت أعناقهم، وكانوا ما بين ستمائة إلى سبعمائة، وقال السهيلي: المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل.

فيحتمل في طريق الجمع أن يقال: إن الباقين كانوا أتباعاً.

واصطفى ﷺ لنفسه الكريمة ريحانة فتزوجها، وقيل كان يطؤها بملك اليمين، وأمر بالغنائم فجمعت، وأخرج الخمس من المتاع والسبي ثم أمر بالباقي فبيع فيمن يريد وقسمه بين المسلمين، فكانت على ثلاثة آلاف واثنتين وسبعين سهماً، للفرس سهمان ولصاحبه سهم، وصار الخمس إلى محمية بن جزء الزبيدي[1]، فكان النبي ﷺ يعتق منه

---

(١) صحابي قديم الإسلام، كان عامل رسول الله ﷺ على الأخماس.

ويهب ويخدم منه من أراد، وكذلك صنع بما صار إليه من الرثة ـ وهو السقط من المتاع ـ.

[موت سعد بن معاذ]

وانفجر جرح سعد بن معاذ، فمات شهيداً.

وفي البخاري أنه دعا: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلى أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك [وأخرجوه](١)، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب فافجرها واجعل موتي فيها، فانفجرت من لبته، فلم يرعهم ـ وفي المسجد خيمة لامرأة من بني غفار ـ إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً فمات منها(٢).

وقد كان ظن سعد مصيباً، ودعاؤه في هذه القصة مجاباً، وذلك أنه لم يقع بين المسلمين وبين قريش من بعد وقعة الخندق حرب يكون ابتداء القصد فيه من المشركين، فإنه ﷺ تجهز إلى العمرة فصدوه عن دخول مكة، وكاد الحرب أن يقع بينهم فلم يقع كما قال تعالى: ﴿**وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم**﴾(٣) ثم وقعت الهدنة واعتمر عليه السلام من قابل، واستمر ذلك إلى أن نقضوا العهد فتوجه إليهم غازياً ففتحت مكة، فعلى هذا:

---

(١) في ش وهي في البخاري.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٢٢.

(٣) سورة الفتح الآية ٢٤. قال الشارح: وهو الصحيح في نزول الآية لحديث مسلم أنه طاف من المشركين ثمانون بعسكر المسلمين فأخذوا.. وعفا عنهم النبي ﷺ.

فالمراد بقوله: أظن أنك قد وضعت الحرب، أي: أن يقصدونا محاربين. وهو كقوله ﷺ: نغزوهم ولا يغزونا ـ كما تقدم ـ.

وقد بين سبب انفجار جرح سعد في مرسل حميد بن هلال ـ عند ابن سعد ـ ولفظه: أنه مرت به عنز، وهو مضطجع، فأصاب ظلفها موضع النحر[1] فانفجرت حتى مات.

[واهتز عرش الرحمن]

وحضر جنازته سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن. رواه الشيخان[2].

قال النووي: اختلف العلماء في تأويله:

فقالت طائفة: هو على ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فرحاً بقدوم سعد، وجعل الله تعالى في العرش تمييزاً حصل به هذا، ولا مانع منه، كما قال تعالى: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾[3]. وهذا القول هو ظاهر الحديث. وهو المختار. قال المازري: قال بعضهم: هو على حقيقته، وأن العرش تحرك لموته، وهذا لا ينكر من جهة العقل، لأن العرش جسم/ من الأجسام، يقبل الحركة ٦٢/ب والسكون. قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته.

وقال آخرون: المراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول. ومنه قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته،

---

(١) في (ط، د): الفجر، وكلاهما صحيح في معناه.

(٢) رواه البخاري برقم ٣٨٠٣ ومسلم في فضائل الصحابة ١٢٣ ـ ١٢٥.

(٣) سورة البقرة. الآية ٧٤.

وإنما يريدون ارتياحه إليها، وإقباله عليها.

وقال الحربي: هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت لموت فلان الأرض، وقامت له القيامة.

وقال جماعة: المراد اهتزاز سرير الجنازة. وهو النعش. وهذا القول باطل يرده صريح الروايات التي ذكرها مسلم «اهتز لموته عرش الرحمن» وإنما قال هؤلاء هذا التأويل لكونهم لم تبلغهم هذه الروايات التي ذكرها مسلم والله أعلم. انتهى.

وقيل المراد باهتزاز العرش حملة العرش، وصحح الترمذي من حديث أنس قال: لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون لرسول الله ﷺ ما أخف جنازته، فقال النبي ﷺ: إن الملائكة كانت تحمله.

وعن البراء قال: أهديت للنبي ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها، فقال ﷺ: أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين. هذا لفظ رواية أبي نعيم في مستخرجه على مسلم[1].

والمناديل: جمع منديل ـ بكسر الميم في المفرد ـ وهو معروف.

قال العلماء: وهذا إشارة إلى عظم منزلة سعد في الجنة، وأن أدنى ثيابه فيها خير من هذه، لأن المنديل أدنى الثياب، لأنه معد للوسخ والامتهان، فغيره أفضل. انتهى.

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٨٠٢ ومسلم برقم ٢٤٦٨، ولم يعزه المصنف لهما، لزيادة «في الجنة» وقد زادها البخاري في كتاب الهبة لكن من حديث أنس.

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم، من طريق محمد بن المنكدر عن محمد بن شرحبيل بن حسنة قال: قبض إنسان يومئذ بيده من تراب قبره قبضة فذهب بها، ثم نظر إليها بعد ذلك فإذا هي مسك، فقال رسول الله ﷺ: سبحان الله، سبحان الله، حتى عرف ذلك في وجهه، فقال: الحمد لله، لو كان أحد ناجياً من ضمة القبر لنجا منها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه.

وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري قال: كنت ممن حفر لسعد قبره، فكان يفوح علينا المسك كلما حفرناه.

★ ★ ★

[فرض الحج]

قال الحافظ مغلطاي وغيره: وفي هذه السنة فرض الحج. وقيل: سنة ست وصححه غير واحد، وهو قول الجمهور.

وقيل: سنة سبع، وقيل: سنة ثمان ورجحه جماعة من العلماء.

وسيأتي البحث في ذلك إن شاء الله تعالى في ذكر وفد عبد القيس في المقصد الثاني، وفي ذكر حجه عليه الصلاة والسلام من مقصد عباداته.

[بين قريظة والحديبية]

[سرية محمد بن مسلمة]

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء، بطن من بني بكر بن كلاب وهم ينزلون بناحية ضربة بالبكرات، وبين ضربة والمدينة سبع ليال. لعشر ليال خلون من المحرم سنة ست على رأس تسعة وخمسين شهراً من الهجرة.

بعثه في ثلاثين راكباً، فلما أغار عليهم هرب سائرهم.

وعند الدمياطي: فقتل نفراً منهم وهرب سائرهم. واستاق نعماً وشاء، وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً.

فربط بأمره ﷺ بسارية من سواري المسجد، ثم أطلق بأمره ﷺ، فاغتسل وأسلم وقال: يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي. وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي ﷺ، وأمره أن يعتمر. / ١/٦٣

فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع رسول الله ﷺ، ولا والله يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ. ذكر قصته البخاري[1].

غزوة بني لحيان

ثم غزوة بني لحيان ـ بكسر اللام وفتحها، لغتان ـ في ربيع الأول سنة ست من الهجرة. وذكرها ابن إسحاق في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من قريظة. قال ابن حزم: الصحيح أنها في الخامسة.

قالوا: وجد رسول الله ﷺ على عاصم بن ثابت وأصحابه وجداً شديداً، فأظهر أنه يريد الشام، وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرساً. واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران ـ واد بين أمج وعسفان، وبينها وبين عسفان خمسة أميال ـ حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا ببئر معونة، فترحم عليهم ودعا لهم.

فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر منهم على أحد، فأقام يوماً أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية. ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع به قريش فيذعرهم، فأتوا كراع الغميم، ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً.

وانصرف ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً وهو يقول: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون. وغاب عن المدينة أربع عشرة ليلة.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٧٢ ومسلم برقم ١٧٦٤ .

غزوة الغابة

وتعرف بذي قرد ـ بفتح القاف والراء وبالدال المهملة ـ وهو ماء على بريد من المدينة. في ربيع الأول سنة ست، قبل الحديبية.

وعند البخاري أنها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفي مسلم نحوه.
قال مغلطاي: وفي ذلك نظر لإجماع أهل السير على خلافهما. انتهى.

قال القرطبي شارح مسلم: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية.

وقال الحافظ ابن حجر: ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكر أهل السير. انتهى.

وسببها: أنه كان لرسول الله ﷺ عشرون لقحة ـ وهي ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة ـ ترعى بالغابة، وكان أبو ذر فيها، فأغار عليهم عيينة بن حصن الفزاري ليلة الأربعاء، في أربعين فارساً فاستاقوها، وقتلوا ابن أبي ذر.

وقال ابن إسحاق: وكان فيها[1] رجل من بني غفار وامرأة[2]، فقتلوا الرجل وسبوا المرأة، فركبت ناقة للنبي ﷺ ليلاً حين غفلتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها، فلما قدمت على النبي ﷺ أخبرته بذلك فقال: لا نذر في معصية، ولا لأحد فيما لا يملك.

ونودي: يا خيل الله اركبي، وكان أول ما نودي بها.

---

(١) كذا في ش وابن هشام. وفي النسخ: وكان فيهم. وهو خطأ.
(٢) الرجل: ابن أبي ذر، والمرأة امرأة أبي ذر.

وركب رسول الله ﷺ في خمسمائة وقيل: سبعمائة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وخلف سعد بن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة.

وكان قد عقد للمقداد بن عمرو لواء في رمحه وقال له امض حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك. فأدرك أخريات العدو. وقتل أبو قتادة مسعدة فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه. وقتل عكاشة بن محصن أبان بن عمرو. وقتل من المسلمين محرز بن نضلة قتله مسعدة.

وأدرك سلمة بن الأكوع القوم، وهو على رجليه، فجعل يرميهم بالنبل ويقول:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

يعني هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع، أي راضع اللؤم في بطن أمه، وقيل معناه: اليوم يعرف من أرضعته الحرب من صغره وتدرب بها، ويعرف غيره. / ٦٣/ب

ولحق رسول الله ﷺ الناس والخيول عشاء، قال سلمة: فقلت يا رسول الله إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم. فقال ﷺ: ملكت فأسجح - وهي بهمزة قطع ثم سين مهملة ثم جيم مكسورة ثم حاء مهملة - أي فارفق وأحسن، والسجاحة: السهولة، أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق. فقد حصلت النكاية في العدو ولله الحمد. ثم قال: إنهم ليقرون في غطفان.

وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف فجاءت الأمداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى الإبل حتى انتهوا إلى

رسول الله ﷺ بذي قرد فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي وهي عشر.

وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف، وأقام يوماً وليلة ورجع. وقد غاب خمس ليال، وقسم في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها.

[سرية الغمر]

سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى غمر مرزوق - بالغين المعجمة المفتوحة[1] - وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد، في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة، في أربعين رجلاً، فخرج سريعاً، فنذر به القوم - بكسر الذال المعجمة كفرح - فهربوا فنزلوا علياء بلادهم. فاستاقوا مائتي بعير وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً.

[سرية محمد بن سلمة إلى ذي القصة]

ثم سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة - بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحتين - موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة. ومعه عشرة إلى بني ثعلبة.

فورد عليهم ليلاً فأحدق به القوم، وهم مائة رجل فتراموا ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن

---

(١) في(ا، ب، ط) المكسورة. قال الشارح: وفي نسخة المكسورة والصواب المذكور في العيون وغيرها المفتوحة.

مسلمة فوقع جريحاً، وجردوهم من ثيابهم. فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله حتى ورد به المدينة.

فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ربيع الآخر في أربعين رجلاً إلى مصارعهم، فأغاروا عليهم، فأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم وتركه، وأخذ نعماً من نعمهم فاستاقه، ورثة من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله ﷺ وقسم ما بقي عليهم.

قال في القاموس: الرث: السقط من متاع البيت، كالرثة بالكسر.

[سرية زيد إلى الجموم]

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم ـ ويقال: الجموح ـ ناحية ببطن نخل من المدينة على أربعة أميال. في شهر ربيع الآخر سنة ست، فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها حليمة، فدلتهم على محلة من محال بني سليم، فأصابوا نعماً وشاء وأسرى، فكان فيهم زوج حليمة المزنية، فلما قفل زيد بما أصاب، وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها وزوجها.

[سرية زيد إلى العيص]

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً إلى العيص، موضع على أربع ليال من المدينة، في جمادى الأولى سنة ست، ومعه سبعون راكباً، لما بلغه ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام يتعرض لها، فأخذها وما فيها، وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية، وأسر منهم ناساً،

منهم أبو العاصي بن الربيع[1]، وقدم بهم المدينة، فأجارته زوجته زينب ابنة النبي ﷺ ونادت في الناس - حين صلى رسول الله ﷺ الفجر - إني قد/ أجرت أبا العاصي. ١/٦٤

فقال رسول الله ﷺ: ما علمت بشيء من هذا، وقد أجرنا من أجرت. ورد عليه ما أخذ منه.

وذكر ابن عقبة: أن أسره كان على يد أبي بصير بعد الحديبية.

وكانت هاجرت قبله وتركته على شركه، وردها النبي ﷺ بالنكاح الأول، قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين، وقيل قبل انقضاء العدة.

وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: ردها له بنكاح جديد سنة سبع.

[سرية زيد إلى الطرف]

ثم سرية زيد بن حارثة أيضاً إلى الطرف، وهو ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة، في جمادى الآخرة سنة ست.

فخرج إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فأصاب نعماً وشاء، وهربت الأعراب، وصبح زيد بالنعم المدينة، وهي عشرون بعيراً، ولم يلق كيداً، وغاب أربع ليال.

---

(١) الذي ذكره ابن هشام أن أبا العاصي بن الربيع أعجزهم هارباً. ثم جاء تحت ظلام الليل حتى دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ فاستجار بها فأجارته، ولو كان أسيراً لما استطاع أن يستجير بها، ولما كان لها أن تجيره. (انظر سيرة ابن هشام ١/٦٥٧) [المحقق].

[سرية زيد إلى حسمى]

ثم سرية زيد أيضاً إلى حسمى - بكسر المهملة - وهي وراء وادي[1] القرى، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست.

وسببها أنه أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر، وقد أجازه وكساه، فلقيه الهنيد في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق، فسمع بذلك نفر من بني الضبيب فنفروا إليهم فاستنقذوا لدحية متاعه،

وقدم دحية على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة وخمسمائة رجل، ورد معه دحية. فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار، فأقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فأغاروا عليهم، فقتلوا فيهم فأوجعوا، وقتلوا الهنيد وابنه، وأغاروا على ماشيتهم ونعمهم ونسائهم. فأخذوا من النعم ألف شاة، ومائة من النساء والصبيان.

فرحل زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه، فدفع إلى رسول الله ﷺ كتابه الذي كان كتب له ولقومه ليالي قدم عليه فأسلم،

وبعث ﷺ علياً إلى زيد بن حارثة يأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم، فرد عليهم.

[سرية زيد إلى وادي القرى]

ثم سرية زيد أيضاً إلى وادي القرى أيضاً، في رجب سنة ست، فقتل من المسلمين قتلى، وارتث زيد، أي حمل من المعركة رثيثاً، أي جريحاً وبه رمق - وهو مبني للمجهول، قاله في القاموس -.

(١) كذا في د وهو الصواب وفي بقية النسخ: ذات القرى.

[سرية ابن عوف إلى دومة الجندل]

ثم سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، في شعبان سنة ست.

قالوا: دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف، فأقعده بين يديه، وعممه بيده، وقال: اغز، باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، ولا تغدر، ولا تقتل وليداً، وبعثه إلى كلب بدومة الجندل، وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم.

فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل، فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانياً، وكان رئيسهم، وأسلم معه ناس كثير من قومه، وأقام من أقام على إعطاء الجزية.

وتزوج عبد الرحمن تماضر - بضم المثناة الفوقية، وكسر الضاد المعجمة - بنت الأصبغ، وقدم بها المدينة فولدت له أبا سلمة.

[سرية علي إلى بني سعد]

ثم سرية علي بن أبي طالب في شعبان سنة ست من الهجرة، ومعه مائة رجل إلى بني سعد بن بكر، لما بلغه ﷺ أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر.

فأغاروا عليهم [بالغمج][1] بين فدك وخيبر، فأخذوا خمسمائة بعير وألفي شاة، وهربت بنو سعد، وقدم علي ومن معه المدينة ولم يلقوا كيداً.

---

(١) زيادة في ش.

[سرية زيد إلى أم قرفة]

ثم سرية زيد بن حارثة/ إلى أم قرفة فاطمة بنت ربيعـة بن ٦٤/ب بدر[١] الفزارية، بناحية وادي القرى، على سبع ليال من المدينة في رمضان سنة ست من الهجرة.

وكان سببها: أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام. ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ، فلما كان بوادي القرى لقيـه ناس من فزارة من بني بدر، فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم.

وقدم على رسول الله ﷺ فأخبره، فبعثه عليـه السلام إليهم، فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل، ثم صبحهم زيد وأصحابه، فكبروا وأحاطوا بالحاضر، وأخذوا أم قرفة ـ وكانت ملكة رئيسـة ـ وأخذوا ابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر.

وعمد قيس بن المحسر إلى أم قرفة ـ وهي عجوز كبيرة ـ فقتلها قتلاً عنيفاً، وربط بين رجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها[٢].

---

(١) في (ب، ش) وكذا عند ابن هشام. وفي النسخ: ابن زيد.

(٢) وسبب ذلك هو سبها لرسول الله ﷺ. وقال بعضهم: إن هذا الخبر منكر. وفي صحيح مسلم برقم ١٧٧٥ حديث فيه سبي امرأة وابنتها وأنهما سيقا إلى أبي بكر الذي كان قائـد تلك السرية. قـال الزرقـاني هي أم قرفـة وابنتها، وليس فيه ما يشير إلى قتل أم قرفة. انظر شرح الزرقاني ١٦٤/٢ أقول: لا شك بأن هذا الخبر عن قتل أم قرفة خبر منكر، ولو وقع شيء من هذا لبلغ الرسول ﷺ ولكان له فيه رأي، ولم ينقل عنه ﷺ شيء ثم إن تربية زيد في بيت رسول الله ﷺ تمنعه من مثل هذا التصرف الذي =

وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك، فقرع باب النبي ﷺ، فقام إليه عرياناً يجر ثوبه، حتى اعتنقه وقبله، وسأله فأخبره بما أظفره الله به.

[قتل أبي رافع]

ثم سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبي رافع، عبد الله - ويقال سلام - بن أبي الحقيق اليهودي، وهو الذي حزب الأحزاب يوم الخندق.

وكانت هذه السرية في شهر رمضان سنة ست، كذا ذكره ابن سعد هاهنا وذكر في ترجمة عبد الله بن عتيك: أنه بعثه في ذي الحجة إلى أبي رافع سنة خمس بعد وقعة بني قريظة. وقيل في جمادى الآخرة سنة ثلاث.

وفي البخاري: قال الزهري: بعد قتل كعب بن الأشرف.

وأرسل معه أربعة[1]: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبا قتادة والأسود بن خزاعي، ومسعود بن سنان، وأمرهم بقتله.

فذهبوا إلى خيبر، فكمنوا، فلما هدأت الرجل جاؤوا إلى منزله فصعدوا درجة له، وقدموا عبد الله بن عتيك لأنه كان يرطن باليهودية، فاستفتح وقال: جئت أبا رافع بهدية، ففتحت له امرأته، فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فأشار إليها بالسيف فسكتت، فدخلوا عليه فما عرفوه إلا ببياضه، فعلوه بأسيافهم.

= ينهى عنه الإسلام ففي الحديث الشريف: (وإذا قتلتم فأحسنوا القتلة) [المحقق].

(١) أي فصار المجموع خمسة.

وفي البخاري: وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له.. فلما دنوا منه وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم، قال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهتف البواب: يا عبد الله إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأغاليق فأخذتها ففتحت الباب.

وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل، فانتهيت إليه فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف، وأنا دهش، فما أغنيت شيئاً، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب[1] السيف في بطنه، حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته.

وفي رواية له[2]: ثم جئت كأني أغيثه فقلت: مالك يا أبا رافع؟ ـ وغيرت الصوت ـ فقال/: لأمك الويل، دخل علي رجل فضربني، ٦٥/ب

---

(١) قال في الفتح: قال الخطابي هكذا يروى وما أراه محفوظاً إنما هو ظبة السيف، وهو حده ٧/٣٤٤.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٠٤٠.

قال: فعمدت له أيضاً فأضربه أخرى، فلم تغن شيئاً، فصاح وقام أهله، قال: ثم جئت وغيرت صوتي، كهيئة المغيث، فإذا هو مستلق على ظهره، فأضع السيف في بطنه، ثم أنكفىء عليه، فسمعت صوت العظم.

فجعلت أفتح الأبواب حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع.

فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فحدثته فقال: أبسط رجلك، فمسحها النبي ﷺ، فكأنما لم أشتكها قط. هذا لفظ رواية البخاري(١).

وفي رواية محمد بن سعد: أن الذي قتله عبد الله بن أنيس. والصواب: أن الذي دخل عليه وقتله عبد الله بن عتيك وحده، كما في البخاري.

[سرية ابن رواحة إلى ابن رزام]

وكان سببها أنه لما قتل أبو رافع سلام بن أبي الحقيق، أمرت يهود عليها أسيراً، فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه ﷺ.

وبلغه ذلك فوجه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر، في شهر رمضان سراً، فسأل عن خبره وغرته، فأخبر بذلك، فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٠٣٩.

فندب عليه السلام الناس، فانتدب له ثلاثـون رجلاً، فبعث عليهم عبد الله بن رواحة، فقدموا عليه وقالـوا: إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه، يستعملك على خيبر ويحسن إليك، فطمع في ذلك فخرج وخرج معه ثلاثون رجلاً من اليهود، مع كل رجل رديف من المسلمين، حتى إذا كانوا بقرقرة ضربه عبد الله بن أنيس - وكان في السرية - بالسيف فسقط عن بعيره ومالوا على أصحابه فقتلوهم غير رجل، ولم يصب من المسلمين أحد، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فقال: قد نجاكم الله من القوم الظالمين[1].

[قصة عكل وعرينة]

سرية كرز - بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي - ابن جابر الفهري، إلى العرنيين - بضم العين وفتح الراء المهملتين - حي من قضاعة، وحي من بجيلة، والمراد هنا الثاني، كذا ذكره ابن عقبة في المغازي.

وذكر ابن اسحاق: أن قدومهم كان بعد غزوة ذي قرد، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست.

وذكرها البخاري بعد الحديبية، وكانت في ذي القعدة منها.

وعند الواقدي: في شوال منها، وتبعه ابن سعد وابن حبان.

وفي البخاري - في كتاب المغازي - عن أنس أن ناساً من عكل

(١) في رواية ابن إسحاق وغيره بيان سبب ذلك قال: حتى إذا كانوا بالقرقرة.. ندم أسير على مسيره إلى رسول الله ﷺ ففطن له عبد الله بن أنيس وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف. سيرة ابن هشام ٦١٨/٢ وعند ابن سعد: أهوى أسير بيده إلى سيفي ففطنت له، فدفعت بعيري وقلت: غدراً أي عدو الله مرتين.. [م].

- يعني بضم العين وسكون الكاف - وعرينة قدموا على رسول الله ﷺ وتكلموا بالإسلام، فقالوا يا نبي الله، إنا كنا أهل ضرع، ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود[1] وراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه فيشربوا من ألبانها وأبوالها.

فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة، كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الذود. فبلغ النبي ﷺ فبعث الطلب في آثارهم، فأمر بهم فسمروا أعينهم، وقطعوا أيديهم، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم[2].

وفي لفظ: وسمر أعينهم، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا.

وفي لفظ: ولم يحسمهم، أي لم يكو مواضع القطع فينحسم الدم.

وقال أنس: إنما سمل رسول الله ﷺ أعينهم لأنهم سملوا أعين الرعاة رواه مسلم. فيكون ما فعل بهم قصاصاً.

٦٥/ب وفي رواية/ أنهم كانوا ثمانية.

وعند البخاري أيضاً - في المحاربين - أنهم كانوا في الصفة قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل[3]

وفي رواية قال أنس: فلقد رأيت أحدهم يكدم الأرض بفيه حتى مات.

وعند الدمياطي - كابن سعد[4] - أن اللقاح كانت خمسة عشر[5]

---

(١) من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة.
(٢) رواه البخاري برقم ٤١٩٢.
(٣) قوله: إلى الإبل سقط من ط.
(٤) سقط من (ط، ب، د).
(٥) الأولى: خمس عشرة لقحة.

لقحة - بكسر اللام وسكون القاف - ويقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر.

وفي صحيح مسلم: أن السرية كانت قريباً من[1] عشرين فارساً من الأنصار.

وروى ابن مردويه عن سلمة بن الأكوع قال: كان للنبي ﷺ مولى يقال له: يسار، فنظر إليه يحسن الصلاة فأعتقه، وبعثه في لقاح له بالحرة، فكان بها. قال: فأظهر قوم الإسلام من عرينـة، وجاؤوا - وهم مرضى موعوكون قد عظمت بطونهم - وعدوا على يسار فذبحوه وجعلوا الشوك في عينيه، ثم طردوا الإبل، فبعث النبي ﷺ في آثارهم خيلاً من المسلمين، أميرهم كرز بن جابر الفهري، فلحقهم فجاء بهم إليه، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمر أعينهم. قال ابن كثير: غريب جداً.

وروى ابن جرير عن محمد بن إبراهيم عن جرير بن عبد الله البجلي قال: قدم على رسول الله ﷺ قوم من عرينة الحديث.. وفيه قال جرير: فبعثني رسول الله ﷺ ونفراً من المسلمين حتى أدركناهم، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم، فجعلوا يقولون: الماء، ورسول الله ﷺ يقول: النار، حتى هلكوا. قال: وكره الله عز وجل سمل الأعين، فأنزل الله هذه الآية: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**﴾ إلى آخر الآية. وهو حديث غريب ضعيف. وفيه: أن أمير السرية جرير بن عبد الله البجلي. قال مغلطاي: وفيه نظر، لأن إسلام جرير كان بعد هذه بنحو أربع سنين.

وفي مغازي ابن عقبة: أن أمير هذه السرية سعيد بن زيد، كذا عنده - بزيادة ياء - وعند غيره: أنه سعد - بسكون العين - ابن زيد

---

(١) قوله: قريباً من. سقط من ط.

الأشهلي، وهذا أنصاري، فيحتمل أنه كان رأس الأنصار، وكان كرز أمير الجماعة.

وأما قوله: فكره الله سمل الأعين فأنزل الله هذه الآية، فإنه منكر. فقد تقدم أن في صحيح مسلم أنهم سملوا أعين الرعاة، فكان ما فعل بهم قصاصاً والله أعلم.

تنبيه: قال في فتح الباري: وزعم ابن التين تبعاً للداودي أن عرينة هم عكل وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان، وعرينة من قحطان.

[بعث عمرو بن أمية لقتل أبي سفيان]

ثم سرية عمرو بن أمية الضمري إلى أبي سفيان بن حرب بمكة، لأنه أرسل للنبي ﷺ من يقتله غدراً، فأقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله، فلما رآه النبي ﷺ قال: إن هذا يريد غدراً. فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر، فسقط في يده. فقال ﷺ: أصدقني ما أنت؟ قال: وأنا آمن؟ قال: نعم، فأخبره بخبره فخلى عنه ﷺ.

وبعث عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم، ويقال: جبار بن صخر إلى أبي سفيان وقال: إن أصبتما منه غرة فاقتلاه،

ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلاً، فرآه معاوية بن أبي سفيان، فأخبر قريشاً بمكانه، فخافوه وطلبوه، وكان فاتكاً في الجاهلية، فحشد له أهل مكة وتجمعوا له.

فهرب عمرو وسلمة، فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله، وقتل آخر، ولقي رسولين لقريش بعثتها يتحسسان الخبر، فقتل أحدهما وأسر الآخر، فقدم به المدينة. فجعل عمرو يخبر رسول الله ﷺ خبره، وهو عليه السلام/ يضحك. ١/٦٦

صلح الحديبية

ثم الحديبية - بتخفيف الياء وتشديدها - وهي بئر سمي المكان بها، وقيل شجرة، وقال المحب الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم، وهي على تسعة أميال من مكة.

[عدد أصحاب الحديبية]

خرج ﷺ يوم الإثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة، وأخرج معه زوجته أم سلمة، في ألف وأربعمائة. ويقال ألف وخمسمائة وقيل ألف وثلاثمائة[1].

والجمع بين هذا الاختلاف: أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال: ألف وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألف وأربعمائة ألغاه، ويؤيده رواية البراء: ألف وأربعمائة أو أكثر.

واعتمد على هذا الجمع النووي. وأما رواية ألف وثلاثمائة فيمكن حملها على ما اطلع هو عليه، واطلع غيره على زيادة مائتين لم يطلع هو عليهم، والزيادة من الثقة مقبولة.

وأما قول ابن إسحاق: إنهم كانوا سبعمائة، فلم يوافقه أحد عليه، لأنه قاله استنباطاً من قول جابر: نحرنا البدنة عن عشرة، وكانوا نحروا سبعين بدنة، وهذا لا يدل على أنهم ما كانوا نحروا غير

(١) جميع هذه الروايات في البخاري.

البدن، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً.

وجزم موسى بن عقبة: بأنهم كانوا ألفاً وستمائة.

وعند ابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع: ألف وسبعمائة.

وحكى ابن سعد: ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين.

[في الطريق إلى مكة]

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب.

وفي البخاري - في المغازي - عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم، قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي، وأشعر وأحرم منها - وفي رواية: أحرم منها بعمرة - وبعث عيناً له من خزاعة. وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال: إن قريشاً جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك.

فقال: أشيروا عليَّ أيها الناس، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت..

وفيه: قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد، ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، قال: امضوا على اسم الله[1].

وزاد أحمد: كان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤١٧٨ .

وفي رواية للبخاري: (حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش).

(وسار النبي ﷺ، حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت راحلته، فقال الناس: حل حل[1] فألحت - يعني تمادت على عدم القيام - فقالوا: خلأت القصواء[2] خلأت القصواء. فقال النبي ﷺ ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل).

أي حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها، ومناسبة ذلك أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة، وصدتهم قريش لوقع بينهم القتال المفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال، كما لو قدر دخول الفيل، لكن سبق في علم الله أنه سيدخل في الإسلام/ ٦٦/ منهم خلق، ويستخرج من أصلابهم ناس يسلمون ويجاهدون. انتهى

(ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها).

(ثم زجرها فوثبت. قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء - يعني حفرة فيها ماء قليل - يتبرضه الناس تبرضاً - أي يأخذونه قليلاً قليلاً - فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه).

---

(١) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير .

(٢) الخلاء للإبل كالحران للخيل.

[مع بديل بن ورقاء]

(فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة. ـ وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة ـ فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت).

والعوذ: بالذال المعجمة: جمع عائذ ـ وهي الناقة ذات اللبن.
والمطافيل: الأمهات اللاتي معها أطفالها.

يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل ليتزودوا بألبانها، ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال. والمراد أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون أدعى إلى عدم الفرار.

(فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس [إن شاؤوا]،[1] فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا ـ يعني استراحوا ـ وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ـ أي صفحة العنق، كنى بذلك عن القتل ـ ولينفذن الله أمره).

(فقال بديل: سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشاً فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم

(١) كذا في النسخ وليست في البخاري. قال الشارح: كذا عزاه المصنف لأبي ذر عن المستملي والكشميهني، وسقط للباقين، فكان ذكرها مجرد تأكيد.

أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول. قال سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ).

[مع عروة بن مسعود]

(فقام عروة بن مسعود، فقال: أي قوم، ألستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي - وهو بالحاء المهملة، أي تمنعوا من الإجابة - جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد - أي خصلة خير وصلاح - اقبلوها، ودعوني آته، قالوا ائته).

(فأتاه، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك: أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لا أرى[1] وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك).

(فقال له أبو بكر: امصص بظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟).

قال العلماء: وهذا مبالغة من أبي بكر في سب عروة، فإنه أقام معبود عروة، وهو صنمه مقام أمه، وحمله على ذلك ما أغضبه به من نسبته إلى الفرار.

---

(١) في النسخ لأرى: بالإثبات. وفي البخاري: لا أرى، والمعنى أنه لا يرى بين أصحابه رجالاً عظاماً يمكن الاعتماد عليهم وإنما هم أشواب أي =

والبظر: - بالباء الموحدة المفتوحة والظاء المعجمة الساكنة - قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة. واللات: اسم صنم. والعرب تطلق هذا اللفظ في معرض الذم. انتهى.

(فقال - أي عروة -: من هذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت/ لك عندي لم أجزك بها لأجبتك). ٦١/١

(قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ).

قال العلماء: وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه، لا سيما عند الملاطفة، وفي الغالب إنما يصنع ذلك النظير بالنظير، لكن كان ﷺ يغضي لعروة استمالة له وتأليفاً. والمغيرة يمنعه إجلالاً للنبي ﷺ وتعظيماً. انتهى

قال (فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي غدر، ألست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء).

(ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا

= أخلاط. قال في القاموس: الوجه سيد القوم. والملاحظ أن الزرقاني أكد ما في النسخ فقال: هكذا هو في البخاري بالإثبات. وفي قوله نظر [م].

يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له).

قال في فتح الباري: فيه إشارة إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، فكأنهم قالوا بلسان الحال: من يحبه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه، بل هم أشد اغتباطاً به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم والله أعلم. انتهى[1].

قال: (فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم. والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له. وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها.).

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت).

(١) فتح الباري ٥/٣٤١.

[سهيل وعقد الصلح]

(فقام رجل منهم يقال له مكرز[1] بن حفص، فقال دعوني آته.. فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز، وهو رجل فاجر. فجعل يكلم النبي ﷺ).

(فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو، قال معمر فأخبر أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي ﷺ قد سهل لكم من أمركم).

وفي رواية ابن إسحاق: فدعت قريش سهيل بن عمرو فقالت: اذهب إلى هذا الرجل فصالحه، فقال النبي ﷺ: قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا، فلما انتهى إلى النبي ﷺ جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين/ وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا. /ب

(وقال معمر قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتب. فقال له النبي ﷺ اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: أما الرحمن الرحيم[2] فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن

(١) في الأصل هنا بعد مكرز: بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي.
(٢) كذا في النسخ: الرحمن الرحيم. والذي في البخاري: الرحمن.

الرحيم، فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله - وفي حديث عبد الله بن مغفل عند الحاكم: هذا ما صالح محمد رسول الله أهل مكة. الحديث - فقال سهيل: لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك. ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني)[1]

وفي رواية له - يعني البخاري - ولمسلم: فقال النبي ﷺ لعلي: امحه، فقال ما أنا بالذي أمحاه، وهي لغة في أمحوه[2].

قال العلماء: وهذا الذي فعله علي من باب الأدب المستحب، لأنه لم يفهم من النبي ﷺ تحتم محو علي نفسه، ولهذا لم ينكر عليه، ولو حتم محوه لنفسه لم يجز لعلي تركه انتهى.

ثم قال ﷺ أرني مكانها فأراه مكانها فمحاها وكتب: ابن عبد الله.

وفي رواية البخاري - في المغازي - فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب - وليس يحسن يكتب - فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله[3].

وكذا أخرجه النسائي وأحمد ولفظه: فأخذ الكتاب - وليس يحسن أن يكتب - فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله.

---

(١) كل ما سبق من الفقرات التي بين قوسين هي من رواية البخاري برقم ٢٧٣١.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٦٩٨.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٥١.

[أمية الرسول ﷺ]

قال في فتح الباري: وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي[1] فادعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن أن يكتب.

فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة، وأن الذي قاله يخالف القرآن حتى قال قائلهم:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة وقال إن رسول الله قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال [للأمير]:[2]

هذا لا ينافي القرآن، بل يؤخذ من مفهوم القرآن، لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن، قال تعالى: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾**[3] وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته، وأمن الارتياب في ذلك، لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم، فيكون معجزة أخرى.

وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي على ذلك،

---

(١) سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجي نسبة إلى باجة مدينة بالأندلس. العلامة الحافظ ذو الفنون، ولد سنة ثلاث وأربعمائة، وأخذ عن جمع جم، وسمع بمصر والشام والعراق والحجاز وبرع في الحديث وعلله وصنف في الجرح والتعديل والتفسير والفقه والأصول. أجر نفسه ببغداد لحراسة دربه فكان يستعين بالأجرة على نفقته، ثم رجع إلى الأندلس ففشا علمه واشتهرت تآليفه. مات سنة أربع وسبعين واربعمائة.

(٢) في ش وهي في فتح الباري.

(٣) سورة العنكبوت. الآية ٤٨.

منهم شيخه أبو ذر الهروي[١] وأبو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية.

واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة [وعمر بن شبة[٢]][٣] من طريق مجالد[٤] عن عون بن عبد الله قال: ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ.

قال مجالد: فذكرته للشعبي فقال صدق، قد سمعت من يذكر ذلك.

وقال القاضي عياض: وردت آثار تدل على معرفته حروف الخط وحسن تصويرها، كقوله لكاتبه: ضع القلم على أذنك فإنه أذكر لك، وقوله لمعاوية: ألق الدواة وحرف القلم وفرق السين ولا تعور الميم إلى غير ذلك. قال: وهذا وإن لم يثبت أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة، فإنه أوتي علم كل شيء[٥].

---

(١) أبو ذر الهروي، عبد بن أحمد بن محمد الأنصاري، العلامة الإمام الحافظ، المالكي شيخ الحرم صاحب التصانيف، الزاهد الورع العابد مات سنة أربع وثلاثين وأربعمائة.

(٢) عمر بن شبة بن عبيدة النميري، نزيل بغداد، صدوق له تصانيف، مات سنة اثنتين وستين ومائتين، وقد جاوز التسعين.

(٣) ذكره في (ش.ب) وهو في فتح الباري.

(٤) كذا في جميع النسخ مجالد. وفي فتح الباري: مجاهد.

قال الشارح: مجالد بن سعد بن عمير الهمداني، أبو عمرو الكوفي. ليس بالقوي وتغير في آخر عمره، مات سنة أربع وأربعين ومائتين.

(٥) إن مثل هذا التجاوز في الألفاظ يخالف ما عليه أهل التحقيق من علماء الأمة والرسول ﷺ أوتي من العلم ما أوحىٰ به الله إليه، فالتعميم بأنه أوتي علم كل شيء تجاوز واضح [المحقق].

وأجاب الجمهور.

بضعف هذه الأحاديث.

وعن قصة الحديبية: بأن القصة واحدة، والكاتب فيها علي بن أبي طالب، وقد صرح في حديث المسور بن مخرمة بأن علياً هو الذي كتب فيحمل على أن النكتة في قوله «فأخذ الكتاب، وليس يحسن يكتب» لبيان أن قوله «أرني إياها» أنه إنما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي/ امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة. ١/٦٨

وعلى أن قوله بعد ذلك «فكتب» فيه حذف تقديره: فمحاها فأعادها لعلي فكتب:

أو أطلق «كتب» بمعنى: أمر بالكتابة، وهو كثير، كقوله: كتب إلى كسرى وقيصر.

وعلى تقدير حمله على ظاهره، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم ـ وهو لا يحسن الكتابة ـ أن يصير عالماً بالكتابة، ويخرج عن كونه أمياً، فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف صور بعض الكلمات، ويحسن وضعها بيده، وخصوصاً الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً ككثير من الملوك.

ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ، وهو لا يحسنها، فخرج المكتوب على وفق المراد، فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً. وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني[1] أحد أئمة الأصول من الأشاعرة وتبعه ابن الجوزي.

وتعقب ذلك السهيلي وغيره:

---

(١) أبو جعفر السمناني، محمد بن أحمد بن محمد، الفقيه الحنفي سكن بغداد =

بأن هذا وإن كان ممكناً، ويكون آية أخرى لكنه يناقض كونه أمياً لا يكتب، وهي الآية التي قامت بها الحجة، وأفحم الجاحد، وانحسمت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة، وقال المعاند: كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك.

[قال السهيلي][1]: والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً، والحق: أن معنى قوله «فكتب» أمر علياً أن يكتب انتهى.

قال: وفي دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة، وتثبت كونه غير أمي نظر كبير، والله أعلم، انتهى[2].

[الحكمة من موافقة سهيل]

وأما قوله: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم وقوله: أما الرحمن[3] فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم.. الخ

فقال العلماء: وافقهم ﷺ في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب: باسمك اللهم، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله، وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح.

مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور: أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد، وكذا قوله: محمد بن عبد الله، هو أيضاً رسوله،

= وسمع الدارقطني وغيره، كان ثقة عالماً فاضلاً، ولد سنة إحدى وستين وثلاثمائة، ومات بالموصل ـ وهو قاض بها ـ سنة أربع وأربعين وأربعمائة.

(١) في ش، وهو في فتح الباري.

(٢) نقلاً عن فتح الباري ٧/٥٠٣ ـ ٥٠٤، وذلك كامل هذه الفقرة.

(٣) كذا في النسخ وفي ط: الرحمن الرحيم.

وليس في ترك وصف الله تعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصفه ﷺ هنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك. انتهى.

[كتــابـة الشروط]

(قال في رواية البخاري: فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله.

فقال ﷺ: على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به.

فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة. ولكن ذلك في العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ـ وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا.

قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟)[1]

والضغطة: بالضم، قال في القاموس: الضيق والإكراه والشدة. انتهى.

[حكمة الموافقة على الشروط]

فإن قلت: ما الحكمة في كونه ﷺ وافق سهيلاً على أنه لا يأتيه منهم رجل وإن كان على دين الإسلام إلا ويرده إلى المشركين.

---

(١) من رواية البخاري برقم ٢٧٣١.

فالجواب: إن المصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاؤوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة، وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا/ ٦٨/ب بأنفسهم كثيراً من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام.

فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم من الميل.

وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي. قال الله تعالى ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً**﴾ فالله ورسوله أعلم. انتهى.

[قصة أبي جندل]

قال في رواية البخاري: (فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، قد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي.
فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد.
قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً.
قال النبي ﷺ: فأجزه لي، قال: ما أنا بمجيز ذلك.
قال: بلى فافعل. قال: ما أنا بفاعل.
قال مكرز: بلى، قد أجزناه لك[1].

قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً)[2]

زاد ابن إسحاق: فقال ﷺ: يا أبا جندل اصبر واحتسب، فإنا لا نغدر، وإن الله جاعل لك فرجاً ومخرجاً. ووثب عمر يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر إنما هم المشركون، وإن دم أحدهم كدم كلب.

[من فقه قصة أبي جندل]

قال الخطابي: تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جندل على وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى قد أباح التقية للمسلم إذا خاف الهلاك، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك، مع وجود السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية.

---

(١) لم يلب سهيل طلب مكرز، وربما كانت إجازة مكرز المقصود بها تأمينه من التعذيب.

(٢) من رواية البخاري برقم ٢٧٣١.

والوجه الثاني: إنما رده لأبيه، والغالب أن أباه لا يبلغ به إلى الهلاك. وإن عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضاً.

وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله تعالى يبتلي به صبر عباده المؤمنين.

واختلف العلماء: هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلماً من عندهم، أم لا؟

فقيل: نعم، على ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير.

وقيل: لا، وإن الذي وقع في القصة منسوخ. وإن ناسخه حديث (أنا بريء من مسلم بين مشركين)[1] وهو قول الحنفية.

وعند الشافعية: نفصيل بين العاقل والمجنون والصبي، فلا يردان. وقال بعض الشافعية: ضابط جواز الرد أن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب. والله أعلم. قاله في فتح الباري[2].

[موقف عمر يوم الحديبية]

قال في رواية البخاري: (فقال عمر بن الخطاب: فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلمَ نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصري. قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتك أنا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الضياء عن جرير مرفوعاً.

(٢) فتح الباري ٥/ ٣٤٥.

قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر، أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل، إنه رسول الله، وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه[1]، فوالله إنه على الحق. قلت: أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف/ به.)[2]. ١/٦٩

قال العلماء: لم يكن سؤال عمر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكاً، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، وظهور الإسلام، كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين، وإذلال المبطلين.

وأما جواب أبي بكر لعمر رضي الله عنهما بمثل جواب النبي ﷺ فهو من الدلائل الظاهرة على عظم فضله وبارع علمه، وزيادة عرفانه ورسوخه، وزيادته في ذلك على غيره.

[مدة الصلح وشروطه]

وكان الصلح بينهم عشر سنين، كما في السير. وأخرجه أبو داود من حديث ابن عمر.

ولأبي نعيم في مسند عبيد الله بن دينار كانت أربع سنين. وكذا

---

(١) الغرز للإبل بمنزل الركب للفرس، والمراد به: التمسك بأمره وترك المخالفة له.

(٢) من رواية البخاري برقم ٢٧٣.

أخرجه الحاكم في البيوع من المستدرك. والأول أشهر[1].

وكان الصلح على وضع الحرب، بحيث يأمن الناس فيها، ويكف بعضهم عن بعض،

وأن لا يدخل البيت إلا العام القابل ثلاثة أيام.

ولا يدخلوها إلا بجلبان[2] السلاح، وهو القراب بما فيه.

والجلبان - بضم الجيم وسكون اللام - شبه الجراب من الأدم، يوضع فيه السيف مغموداً. ورواه القتيبي[3]: بضم الجيم واللام وتشديد الباء، وقال: هو أوعية السلاح بما فيها.

وفي بعض الروايات: لا يدخلها إلا بجلبان السلاح: السيف والقوس.

وإنما اشترطوا ذلك ليكون علماً وأمارة للسلم، إذ كان دخولهم صلحاً.

[بيعة الرضوان]

وقال مكي بن أبي طالب القيرواني[4] في تفسيره:

---

(١) بل هو المعتمد الصحيح. والقول الآخر مع ضعف إسناده فهو منكر مخالف للصحيح.

(٢) في ط: بجلباب وهو خطأ.

(٣) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري مؤلف غريب الحديث وأدب الكاتب.

(٤) مكي بن أبي طالب القيرواني، أبو محمد القيسي المالكي، الفقيه الأديب المقرىء، صنف كثيراً في علوم القرآن وغيره مات سنة سبع وثلاثين وأربعمائة.

وبعث عليه الصلاة والسلام بالكتاب[1] إليهم مع عثمان بن عفان. وأمسك سهيل بن عمرو عنده، فأمسك المشركون عثمان فغضب المسلمون[2].

وقال مغلطاي: فاحتبسته قريش عندها. فبلغ النبي ﷺ أن عثمان قد قتل، فدعا الناس إلى بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت، وقيل على أن لا يفروا، انتهى.

ووضع النبي ﷺ شماله في يمينه وقال: هذه عن عثمان. وفي البخاري: (فقال ﷺ بيده اليمنى هذه بيعة عثمان، فضرب بها على يده

---

(١) ليس المراد كتاب الصلح كما يوهم سياق المصنف. بل هذا الكتاب أرسله لأشراف قريش، كما أخرجه البيهقي والحاكم في الإكليل عن عروة، وابن إسحاق من وجه آخر وابن سعد والواقدي قالوا ما محصله: لما نزل ﷺ الحديبية أحب أن يبعث إلى قريش يعلمهم أنه إنما قدم معتمراً فبعث خراش بن أمية.. فعقروا جمله وأرادوا قتله.. ثم دعا عمر.. فاعتذر بأنه ليس له من يحميه وأشار بإرسال عثمان، فدعاه وكتب له كتاباً إلى قريش وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريباً.. فقرأ عليهم عثمان الكتاب واحداً واحداً، فما أجابوا، وقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف فطف. فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ.

(٢) يوهم الكلام هنا أن الرسول ﷺ هو الذي أمسك سهيل بن عمرو فقابله المشركون بإمساك عثمان وليس الأمر كذلك. ففي تفسير ابن كثير: أن قريشاً بعثوا ـ وعندهم عثمان ـ سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ فبينما هم عنده إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة.. وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل. ـ في تفسير سورة الفتح ـ [م].

اليسرى[1])[2].

ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا وبعثوا عثمان وجماعة من المسلمين.

وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعون إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين**﴾[4].

[التحلل والعودة]

وحلق الناس مع النبي ﷺ، ونحروا هداياهم بالحديبية[5]، قال مغلطاي: وأرسل الله ريحاً حملت شعورهم فألقتها في الحرم[6].

وأقام ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوماً، وقيل عشرين يوماً، ثم قفل وفي نفوس بعضهم شيء، فأنزل الله سورة الفتح يسليهم بها

---

(١) الذي في البخاري (فقال ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان).

(٢) رواه البخاري برقم ٣٦٩٨ و٤٠٦٦.

(٣) سورة الفتح. الآية ١٠.

(٤) سورة الفتح. الآية ١٨.

(٥) جاء في البخاري (فلما فرغ من قضية الكتاب قال ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً..) الحديث رقم ٢٧٣١

(٦) رواه ابن سعد مرسلاً.

ويذكرهم نعمه، فقال تعالى: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾**.

قال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب: الفتح هنا فتح الحديبية، ووقوع الصلح بعد أن كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، أي حسبوا أنهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم.

وأما قوله تعالى: **﴿وأثابهم فتحاً قريباً﴾**(١) فالمراد فتح خيبر على الصحيح، لأنها وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين.

وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية قال: (شهدنا الحديبية، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم، وقد جمع الناس فقرأ عليهم: **﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾** الآية فقال رجل: يا رسول الله، أو فتح هو؟ فقال: إي والذي نفسي بيده إنه لفتح.)(٢).

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) الحديبية، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وتبايعوا بيعة الرضوان وأطعموا نخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وفرح المسلمون بنصر الله. /

٦٠/ب وأما قوله تعالى: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾** وقوله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح) فالمراد فتح مكة باتفاق.

قال الحافظ ابن حجر: فبهذا يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال والله أعلم.

ثم رجع ﷺ إلى المدينة.

---

(١) سورة الفتح. الآية ١٨.

(٢) المسند ٣/٤٢٠.

[أحداث وقعت في السنة السادسة]

وفي هذه السنة كسفت الشمس.

وظاهر أوس بن الصامت من امرأته خولة.

وفي هذه السنة أيضاً استسقى في رمضان ومطر الناس، فقال النبي ﷺ: أصبح الناس مؤمناً بالله وكافراً بالكواكب[1].

[تحريم الخمر والمفترات]

[تاريخ تحريم الخمر]

قال مغلطاي: وجزم الدمياطي في سيرته: بأن تحريم الخمر كان في سنة الحديبية.

وذكر ابن إسحاق: أنه كان في وقعة بني النضير، وهي بعد أحد، وذلك سنة أربع على الراجح.

وفيه نظر: لأن أنساً كان الساقي يوم حرمت، وأنه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فأراقها، فلو كان ذلك سنة أربع، لكان أنس يصغر عن ذلك.

(١) جاء في حديث البخاري رقم ٤١٤٧ (قال الله: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بي).

وأخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح عن ابن عباس: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصار شربوا، فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل يرى في وجهه ورأسه الأثر فيقول: صنع هذا أخي فلان ـ وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن ـ فيقول: والله لو كان بي رحيماً ما صنع بي هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر**﴾ إلى ﴿**منتهون**﴾. فقال ناس من المتكلفين: هي رجس، وهي في بطن فلان وفلان وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله تعالى ﴿**ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا**﴾ إلى ﴿**المحسنين**﴾.

وآية تحريم الخمر نزلت في عام الفتح قبل الفتح.

والخمر في الأصل مصدر خمره: إذا ستره، سمي به عصير العنب إذا اشتد وغلا كأنه يخمر العقل، كما يسمى مسكراً لأنه يسكره، أي يحجره.

وهي حرام مطلقاً، وكذا كل ما أسكر عند أكثر العلماء. وقال أبو حنيفة: نقيع الزبيب والتمر إذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر انتهى.

[المخدرات وحكمها]

وأما الحشيشة وتسمى القنب الهندي والحيدرية والقلندرية فلم يتكلم فيها الأئمة الأربعة ولا غيرهم من علماء السلف، لأنها لم تكن في زمنهم، وإنما ظهرت في أواخر المائة السادسة وأول السابعة.

واختلف هل هي مسكرة فيجب فيها الحد، أو مفسدة للعقل

فيجب التعزير، والذي أجمع عليه الأطباء أنها مسكرة، وبه جزم الفقهاء وصرح به الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتاب التذكرة في الخلاف، والنووي في شرح المهذب، ولا نعرف فيه خلافاً عندنا.

ونقل عن ابن تيمية أنه قال: الصحيح أنها مسكرة كالشراب، فإن أكلتها ينشون عنها ولذلك يتناولونها بخلاف البنج وغيره فإنه لا ينشي ولا يشتهى.

قال الزركشي: ولم أر من خالف في هذا إلا القرافي في قواعده فقال: نص العلماء بالنبات في كتبهم أنها مسكرة، والذي يظهر لي أنها مفسدة.. في كلام تعقبه الزركشي يطول ذكره.

وقد تضافرت الأدلة على حرمتها: ففي صحيح مسلم (كل مسكر حرام) وقد قال تعالى: ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾ وأي خبيث أعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرائع على إيجاب حفظها. ولا ريب أن متناول الحشيشة يظهر به أثر التغير في انتظام الفعل والقول المستمد كماله من نور العقل. وقد روى أبو داود ـ بإسناد حسن ـ عن ديلم الحميري قال: (سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إنا بأرض باردة نعالج فيها عملاً شديداً وإنا نتخذ شراباً من هذا القمح نتقوى به على أعمالنا وعلى برد بلادنا، قال: فهل يسكر؟ قلت: نعم، قال: فاجتنبوه، قلت: فإن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه فقاتلوهم.)[1].

وهذا/ منه ﷺ تنبيه على العلة التي لأجلها حرم المزر[2]. ١/٧٠

(١) رواه أبو داود برقم ٣٦٨٣.

(٢) المِزْر: نبيذ الذرة والشعير، كما في القاموس.

فوجب أن كل شيء عمل عمله يجب تحريمه، ولا شك أن الحشيشة تعمل ذلك وفوقه.

وروى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه عن أم سلمة قالت: (نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر)[1].

قال العلماء: المفتر كل ما يورث الفتور والخدر[2] في الأطراف. وهذا الحديث أدل دليل على تحريم الحشيشة وغيرها من المخدرات، فإنها إن لم تكن، مسكرة كانت مفترة، ولذلك يكثر النوم من متعاطيها، وتثقل رؤوسهم بواسطة تبخيرها في الدماغ.

وقد نقل الإجماع على تحريمها غير واحد، منهم القرافي وابن تيمية وقال: إن من استحلها فقد كفر.

وتعقبه الزركشي: بأن تحريمها ليس معلوماً من الدين بالضرورة، سلمنا ذلك، لكن لا بد أن يكون دليل الإجماع قطعياً على أحد الوجهين، وقد ذكر أصحابنا أن المسكر من غير عصير العنب، كعصير العنب في وجوب الحد، لكن لا يكفر مستحله لاختلاف العلماء فيه.

واختلف: هل يحرم تعاطي اليسير الذي لا يسكر؟

فقال النووي في شرح المهذب إنه لا يحرم أكل القليل الذي لا يسكر من الحشيش، بخلاف الخمر، حيث حرم قليلها الذي لا يسكر. والفرق أن الحشيش طاهر والخمر نجس فلا يجوز شرب قليله للنجاسة.

وتعقبه الزركشي بأنه صح في الحديث: ما أسكر كثيره فقليله

---

(١) المسند ٦/٣٠٩ وعند أبي داود برقم ٣٦٨٦.

(٤) الخدَر: الاسترخاء.

حرام، قال: والمتجه أنه لا يجوز من الحشيش لا قليل ولا كثير[1].

وأما قول النووي: إنها طاهرة وليست بنجسة، فقطع به ابن دقيق العيد وحكى الإجماع عليه. قال: والأفيون وهو لبن الخشخاش، أقوى فعلاً من الحشيش، لأن القليل منه يسكر جداً، وكذلك السيكران[2] وجوز الطيب مع أنه طاهر بالإجماع. انتهى.

[مضار الحشيش]

وقد جمع بعضهم في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية وبدنية، حتى قال بعضهم كل ما في الخمر من المذمومات موجود في الحشيش وزيادة. فإن أكثر ضرر الخمر في الدين لا في البدن[3]. وضررها فيهما.

فمن ذلك: فساد العقل، وعدم المروءة، وكشف العورة، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات، وقطع النسل، والبرص والجذام والأسقام والرعشة والأبنة[4]، ونتن الفم وسقوط شعر الأجفان، وحفر الأسنان وتسويدها، وتضييق النفس وتصفير الألوان، وتنقيب الكبد، وتجعل الأسد كالجعل، وتورث الكسل والفشل، وتعيد العزيز ذليلاً، والصحيح عليلاً، والفصيح أبكماً، والصحيح[5] أبلماً[6]. وتذهب

---

(١) في ش جاءت هذه الفقرة من قوله واختلف.. قبل قوله: وقد نقل الإجماع، وما في النسخ الأخرى هو الصواب لترابط الموضوع بعضه ببعض.

(٢) نبت دائم الخضرة يؤكل حبه.

(٣) قد ثبت من مضار الخمر على البدن الشيء الكثير [م].

(٤) الأبنة: العيب في الكلام - كما في لسان العرب - [م].

(٥) في (ط، ش): الذكي.

(٦) أبلم الرجل: سكت، كما في المعجم الوسيط [م].

السعادة وتنسي الشهادة، فصاحبها بعيد عن السنة طريد عن الجنة، موعود من الله باللعنة إلا أن يقرع من الندم سنه ويحسن بالله ظنه.
ولقد أحسن القائل:

قـل لمن يـأكـل الحشيشـة جهـلاً ... يـا خسيسـاً[1] قـد عشت شر معيشـة
ديـة الـعـقـل بـدرة فـلماذا ... يـا سفيهـاً قـد بعتهـا بـحشـيشـة

(١) في ط: يا خبيثاً.

[غزوة خيبر]

[مكانها وتاريخها]

وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع، على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام.

قال ابن إسحاق: خرج النبي ﷺ في بقية شهر المحرم سنة سبع، فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها.

وقيل: كانت في آخر سنة ست، وهو منقول عن مالك، وبه جزم ابن حزم.

٧٠/ب

قال الحافظ ابن حجر: والراجح ما ذكره ابن إسحاق/، ويمكن الجمع بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول.

وأغرب ابن سعد وابن أبي شيبة فرويا من حديث أبي سعيد الخدري: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر لثمان عشرة من رمضان، وإسناده حسن، لكنه خطأ ولعلها كانت إلى حنين فتصحفت. وتوجيهه: بأن غزوة حنين كانت ناشئة عن غزوة الفتح، وغزوة الفتح خرج فيها ﷺ في رمضان جزماً.

قال: وذكر الشيخ أبو حامد في التعليقة: أنها كانت سنة خمس،

وهو وهم، ولعلها انتقال من الخندق إلى خيبر[1].

[عدد الصحابة فيها]

وكان معه ﷺ ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس، ومعه أم سلمة زوجته.

[حداء في الطريق إلى خيبر]

وفي البخاري من حديث سلمة بن الأكوع قال: خرجنا مع النبي إلى خيبر فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر، ألا تسمعنا من هنيهاتك[2] وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا[3] ... وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا ... إنا إذا صيحَ بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا[4]

وفي رواية إياس بن سلمة عن أبيه عند أحمد في هذا الرجز من الزيادة:

إن الذين قد بغوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا[5]

---

(١) فتح الباري ٧/٤٦٤ ـ ٤٦٥.
(٢) أي: أراجيزك.
(٣) معناه: ما تركنا من الأوامر. وفي رواية: ما أبقينا: أي ما أبقيناه من الذنوب.
(٤) أي قصدونا بالدعاء بالصوت العالي واستعانوا علينا.
(٥) المسند ٤/٥٢.

فقال رسول الله ﷺ - كما في رواية البخاري - من هذا السائق؟ قالوا: عامر بن الأكوع، قال: يرحمه الله. قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به. الحديث[1].

وفي رواية أحمد: فجعل عامر يرتجز ويسوق الركاب، وهذه كانت عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير ينزل بعضهم فيسوقها، ويحدو في تلك الحال.

وقوله: «اللهم لولا أنت ما اهتدينا» كذا الرواية، قالوا: وصوابه في الوزن: لا هم، أو: تالله، كما في الحديث الآخر.

وقوله: «فداء لك» قال المازري[2]: هذه اللفظة مشكلة، فإنه لا يقال للباري سبحانه: فديتك، لأن ذلك إنما يستعمل في مكروه يتوقع حلوله بالشخص، فيختار شخص آخر أن يحل ذلك به ويفديه منه. قال: ولعل هذا وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه، كما يقال: قاتله الله، ولا يريد بذلك حقيقة الدعاء عليه، وكقوله عليه السلام: تربت يداك، وتربت يمينك، وفيه كله ضرب من الاستعارة لأن المفادي مبالغ في طلب رضا المفدى حين بذل نفسه عن نفسه للمكروه، فكان مراد الشاعر: أي أبذل نفسي في رضاك. وعلى كل حال فإن المعنى وإن أمكن صرفه إلى جهة صحيحة فإطلاق اللفظ واستعارته والتجوز فيه يفتقر إلى ورود الشرع بالإذن فيه.

---

(١) هو تتمة الحديث الوارد في بدء الفقرة وهو عند البخاري برقم ٤١٩٦ و٦١٤٨.

(٢) المازري: محمد بن علي بن عمر التميمي، الإمام الفقيه الأصولي ذو الفنون في علوم عديدة. مات سنة ست وثلاثين وخمسمائة وله ثلاث وثمانون سنة. والمازري: نسبة إلى مازر: بليدة بجزيرة صقلية.

قال: وقد يكون المراد بقوله: «فداء لك» رجلاً يخاطبه، وفصل بين الكلام بذلك، ثم عاد إلى الأول فقال: ما اتقينا. وهذا تأويل يصح معه اللفظ والمعنى لولا أن فيه تعسفاً اضطرنا إليه تصحيح الكلام. انتهى.

وقيل: إنه يخاطب بهذا الشعر النبي ﷺ. والمعنى: لا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقك ونصرك. وعلى هذا فقوله: «اللهم» لم يقصد بها الدعاء وإنما افتتح بها الكلام. والمخاطب بقول الشاعر: «لولا أنت» النبي، لكن يعكر عليه بعد ذلك:

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فإنه دعاء لله تعالى.

١/٧١ ويحتمل/ أن يكون المعنى فاسأل ربك أن ينزل ويثبت والله أعلم.

وقوله: «إذا صيح بنا أتينا» أي إذا صيح بنا للقتال ونحوه من المكاره أتينا ولم نتأخر عنه. وفي رواية أيضاً بالموحدة بدل المثناة، أي أبينا الفرار. وقوله: «وبالصياح عولوا علينا» أي استعانوا بنا واستفزعونا للقتال. قيل: هو من التعويل على الشيء وهو الاعتماد عليه، وقيل: هو من العويل، وهو الصوت.

وقوله: «من هذا السائق؟ قالوا: عامر، قال: يرحمه الله، قال رجل من القوم وجبت»: أي ثبتت له الشهادة وستقع قريباً، وكان معلوماً عندهم أن من دعا له النبي ﷺ هذا الدعاء في هذا الموطن استشهد، فقالوا: هلا أمتعتنا به؟ أي: وددنا أنك أخرت الدعاء له بهذا إلى وقت آخر لنتمتع بمصاحبته ورؤيته مدة.

[على أبواب خيبر]

وفي البخاري من حديث أنس أنه ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم[1] حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[2].

وفي رواية: فرفع يديه وقال الله أكبر خربت خيبر[3].

والخميس: الجيش: سمي به لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب.

ومحمد: خبر مبتدأ، أي هذا محمد.

قال السهيلي: يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل، لأنه ﷺ لما رأى آلة الهدم عرف أن مدينتهم ستخرب. انتهى.

ويحتمل - كما قاله في فتح الباري - أن يكون قال: خربت خيبر بطريق الوحي، ويؤيده قوله بعد ذلك: إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

وفي رواية: أنه ﷺ صلى الصبح قريباً من خيبر بغلس ثم قال: الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين[4]

---

(١) كذا في ط وفي البخاري، من القرب، وفي باقي النسخ: لم يغر بهم، من الإغارة وفي فتح الباري: للأكثر من الإغارة، ولأبي ذر عن المستملي: لم يقربهم اهـ.

(٢) رواه البخاري برقم ٤١٩٧ .

(٣) رواية البخاري في كتاب الجهاد.

(٤) رواه البخاري برقم (٤٢٠٠) .

[عقد الرايات]

وقال مغلطاي وغيره: وفرق ﷺ الرايات[1]، ولم تكن الرايات إلا بخيبر، وإنما كانت الألوية[2]

وقال الدمياطي: وكانت راية النبي ﷺ السوداء من برد لعائشة.

وفي البخاري: وكان علي بن أبي طالب تخلف عن النبي ﷺ وكان رمداً.. فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت قال: لأعطين الراية غداً - أو ليأخذن الراية غداً - رجل يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه.

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرىء، حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية. فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن تكون لك حمر النعم. الحديث[3].

[استشهاد عامر بن الأكوع]

ولما تصاف القوم، كان سيف عامر قصيراً، فتناول ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر فمات منه. فلما

---

(١) فدفع رايته العقاب إلى الحباب بن المنذر، وراية لسعد بن عبادة، ولواءه وهو أبيض لعلي.

(٢) في المصباح: لواء الجيش علمه، وهو دون الراية.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٠٩ و٤٢١٠.

قفلوا، قال سلمة: قلت يا رسول الله، فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبي ﷺ كذب من قال، وإن له أجرين، وجمع بين إصبعيه، إنه لجاهد مجاهد. رواه البخاري أيضاً[1].

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة بساق سلمة، فقلت ما هذه الضربة؟ قال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر... فأتيت/ النبي ﷺ فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة. أخرجه البخاري[2]. ٧١/ب

[لا يدخل الجنة إلا مؤمن]

وعنده أيضاً عن أبي هريرة: شهدنا خيبر فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج منها سهماً فنحر نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال: قم يا فلان فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[3].

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة - فيما يبدو للناس - وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار - فيما يبدو للناس - وهو من أهل الجنة. الحديث[4].

---

(١) رواه البخاري برقم ٦١٤٨.
(٢) رواه البخاري برقم: ٤٢٠٦.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٠٣.
(٤) رواه البخاري برقم ٤٢٠٢.

[فتح خيبر]

وقاتل النبي ﷺ أهل خيبر، وقاتلوه أشد القتال، واستشهد من المسلمين خمسة عشر، وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون.

وفتحها الله حصناً حصناً، وهي: النطاة، وحصن الصعب، وحصن ناعم، وحصن قلعة الزبير، والشق، وحصن أبي، وحصن البريء، والقموص والوطيح والسلالم، وهو حصن بني أبي الحقيق.

وأخذ كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك[1] الحمار، وكانوا قد غيبوه في خربة، فدل الله رسوله عليه فاستخرجه.

[هل حمل علي باب خيبر؟]

وقلع علي باب خيبر، ولم يحركه سبعون رجلاً إلا بعد جهد.

وفي رواية ابن إسحاق: سبعة، وأخرجه من طريق البيهقي في الدلائل، ورواه الحاكم، وعنه البيهقي من جهة ليث بن أبي سليم عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن جابر: أن علياً حمل الباب يوم خيبر، وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً. وليث ضعيف.

وفي رواية البيهقي: أن علياً لما انتهى إلى الحصن اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه.

قال شيخنا[2]: وكلها واهية، ولذا أنكره بعض العلماء. انتهى.

---

(١) أي: جلد.

(٢) أي السخاوي في كتابه: المقاصد الحسنة.

[صفية.. أم المؤمنين]

وفي البخاري: وتزوج ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب، وكان قد قتل زوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وكانت عروساً، فذكر له جمالها، فاصطفاها لنفسه فخرج بها حتى بلغت سد الصهباء حلت له - يعني طهرت من الحيض - فبنى بها ﷺ فصنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لأنس: آذن من حولك، فكانت تلك وليمته على صفية. قال: ثم خرجنا إلى المدينة فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة. ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب[1].

وفي رواية له: فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ قالوا إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطأ لها ومد الحجاب[2].

وفي رواية أنه ﷺ قتل المقاتلة وسبى الذرية، وكان في السبي صفية فصارت إلى دحية الكلبي ثم صارت إلى النبي ﷺ فجعل عتقها صداقها[3].

وفي رواية: فأعتقها وتزوجها[4].

وفي رواية: قال ﷺ لدحية: خذ جارية من السبي غيرها.

وفي رواية لمسلم: أنه ﷺ اشترى صفية منه بسبعة أرؤس.

وإطلاق الشراء على ذلك، على سبيل المجاز، وليس في قوله/

(١) رواه البخاري برقم ٤٢١١.
(٢) رواه البخاري برقم ٤٢١٣.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٠٠.
(٤) رواه البخاري برقم ٤٢٠١.

١/٧٢ سبعة أرؤس ما ينافي قوله في رواية البخاري: خذ جارية من السبي غيرها، إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة والله أعلم.

وإنما أخذ ﷺ صفية لأنها بنت ملك من ملوكهم، وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان من الصحابة مثل دحية وفوقه، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه، واختصاصه ﷺ بها، فإن في ذلك رضا الجميع، وليس ذلك من الرجوع في الهبة في شيء. انتهى[١].

قال مغلطاي وغيره: وكانت صفية قبل رأت أن القمر سقط في حجرها، فتؤول بذلك. قال الحاكم: وكذا جرى لجويرية.

[تحريم لحوم الحمر الأهلية]

وفي هذه الغزوة حرم ﷺ لحوم الحمر الأهلية. كما في البخاري ولفظه: فلما أمسى الناس مساء اليوم الذي فتحت عليهم - يعني خيبر - أوقدوا نيراناً كثيرة، فقال النبي ﷺ: ما هذه النيران، على أي شيء توقدون؟ قالوا: على لحم، قال على أي لحم؟ قالوا: لحم الحمر الإنسية، فقال النبي ﷺ: أهريقوها واكسروها. فقال رجل: يا رسول الله، أو نهريقها ونغسلها، قال: أو ذاك[٢].

والمشهور في الإنسية: كسر الهمزة، منسوبة إلى الإنس، وهم بنو آدم. وحكي: ضم الهمزة، ضد الوحشية، ويجوز فتحها والنون أيضاً، مصدر أنست به، آنس أنساً وأنسة.

---

(١) عن فتح الباري ٧/٤٧٠.
(٢) رواه البخاري برقم ٤١٩٦.

وفي رواية: نهى يوم خيبر عن أكل الثوم، وعن لحوم الحمر الأهلية[1].

وفي رواية: نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ورخص في الخيل [2].

قال ابن أبي أوفى: فتحدثنا أنه إنما نهى عنها لأنها لم تخمس، وقال بعضهم: نهى عنها ألبتة لأنها كانت تأكل العذرة.

قال العلماء: وإنما أمر بإراقتها لأنها نجسة محرمة، وقيل: إنما نهى عنها للحاجة إليها، وقيل: لأخذها قبل القسمة، وهذان التأويلان للقائلين بإباحة لحومها. والصواب ما قدمناه.

وأما قوله ﷺ: «اكسروها» فقال رجل: أو نهريقها ونغسلها قال: أو ذاك.

فهذا محمول على أنه ﷺ اجتهد في ذلك فرأى كسرها ثم تغير اجتهاده، أو أوحي إليه بغسلها.

[بحث في حكم لحوم الخيل]

وأما لحوم الخيل فاختلف العلماء في إباحتها:

فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف: أنه مباح لا كراهة فيه، وبه قال عبد الله بن الزبير وأنس بن مالك وأسماء بنت أبي بكر. وفي صحيح مسلم عنها قالت: نحرنا فرساً على عهد رسول الله

---

(١) رواه البخاري برقم٤٢١٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢١٩.

ﷺ فأكلناه ونحن بالمدينة، وفي رواية الدارقطني: فأكلناه نحن وأهل بيت النبي ﷺ.

قال في فتح الباري: ويستفاد من قولها: «ونحن بالمدينة» أن ذلك بعد فرض الجهاد، فيرد على من استند إلى منع أكلها لعلة أنها من آلات الجهاد.

وفي قولها: «وأهل بيت النبي ﷺ» الرد على من زعم أنه ليس فيه أن النبي ﷺ اطلع على ذلك، مع أن ذلك لو لم يرد لم يظن بآل أبي بكر أنهم يقدمون على فعل شيء في زمنه ﷺ إلا وعندهم العلم بجوازه لشدة اختلاطهم به ﷺ وعدم مفارقتهم له، هذا مع توفر داعية الصحابة إلى سؤاله عليه السلام عن الأحكام.

ومن ثم كان الراجح أن الصحابي إذا قال: كنا نفعل كذا على عهده ﷺ كان له حكم الرفع، لأن الظاهر اطلاعه ﷺ على ذلك وتقريره، وإذا كان ذلك في مطلق الصحابة فكيف بآل أبي بكر.

وقال الطحاوي: ذهب أبو حنيفة إلى كراهة أكل الخيل، وخالفه صاحباه وغيرهما. واحتجوا بالأخبار/ المتواترة في حلها. انتهى. ٧٢/ب

وقد نقل بعض التابعين: الحل عن الصحابة مطلقاً من غير استثناء أحد، فأخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح ـ على شرط الشيخين ـ عن عطاء قال: لم يزل سلفك يأكلونه. قال ابن جريج: قلت له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: نعم.

وأما ما نقل في ذلك عن ابن عباس من كراهتها: فأخرجه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق بسندين ضعيفين.

وقال أبو حنيفة في الجامع الصغير: أكره لحوم الخيل، فحمله أبو

بكر الرازي على التنزيه، وقال: لم يطلق أبو حنيفة فيه التحريم، وليس هو عنده كالحمار الأهلي، وصحح أصحاب المحيط والهداية والذخيرة عنه التحريم، وهو قول أكثرهم.

وقال القرطبي في شرح مسلم: مذهب مالك الكراهة، وقال الفاكهاني: المشهور عند المالكية الكراهة، والصحيح عند المحققين منهم التحريم.

وقال ابن أبي جمرة: الدليل على الجواز مطلقاً واضح، لكن سبب كراهة مالك لأكلها لكونها تستعمل غالباً في الجهاد، فلو انتفت الكراهة لكثر استعماله، ولو كثر استعماله لأفضى إلى فنائها، فيؤول إلى النقص من إرهاب العدو الذي وقع الأمر به في قوله تعالى: **﴿ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾**(١) فعلى هذا فالكراهة لسبب خارج، وليس البحث فيه، فإن الحيوان المتفق على إباحته لو حدث أمر يقتضي أن لو ذبح لأفضى إلى ارتكاب محذور لامتنع، ولا يلزم من ذلك القول بتحريمه. انتهى.

وأما قول بعض المانعين: لو كانت حلالاً لجازت الأضحية بها. فمنتقض بحيوان البر، فإنه مأكول ولم تشرع الأضحية به. وأما حديث خالد بن الوليد عند أبي داود والنسائي: نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الخيل والبغال والحمير، فضعيف، ولو سلم ثبوته، لا ينهض معارضاً لحديث جابر الدال على الجواز، وقد وافقه حديث أسماء. وقد ضعف حديث خالد بن الوليد أحمد والبخاري والدارقطني والخطابي وابن عبد البر وعبد الحق وآخرون.

---

(١) سورة الأنفال. الآية ٦٠.

وزعم بعضهم: أن حديث جابر دال على التحريم لقوله «رخص» لأن الرخصة استباحة المحظور مع قيام المانع، فدل على أنه رخص لهم بسبب المخمصة التي أصابتهم بخيبر، فلا يدل ذلك على الحل المطلق.

وأجيب: بأن أكثر الروايات جاء بلفظ الإذن، كما رواه مسلم، وفي رواية له: أكلنا زمن خيبر الخيل وحمر الوحش، ونهانا النبي ﷺ عن الحمار الأهلي. وعند الدارقطني من حديث ابن عباس: نهانا ﷺ عن الحمر الأهلية وأمر بلحوم الخيل. فدل على أن المراد بقوله: «رخص» أذن. ونوقض أيضاً بالإذن في أكل الخيل، ولو كان رخصة لأجل المخمصة لكانت الحمر الأهلية أولى بذلك لكثرتها وعزة الخيل حينئذ، فدل على أن الإذن في أكل الخيل إنما كان للإباحة العامة لا لخصوص الضرورة.

وقد نقل عن مالك وغيره من القائلين بالتحريم: أنهم احتجوا للمنع بقوله تعالى: ﴿**والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة**﴾[1] وقرروا ذلك بأوجه:

أحدها: أن اللام للتعليل، فدل على أنها لم تخلق لغير ذلك، لأن العلة المنصوصة تفيد الحصر. فإباحة أكلها تقتضي خلاف ظاهر الآية.

ثانيها: عطف البغال والحمير، فدل على اشتراكها معها في حكم التحريم، فيحتاج من أفرد حكم ما عطف عليها إلى دليل.

ثالثها: أن الآية سيقت مساق الامتنان، فلو كان ينتفع بها في

---

(١) سورة النحل. الآية ٨ .

الأكل لكان الامتنان به أعظم، والحكيم لا يمتن بأدنى النعم ويترك أعلاها، ولا سيما وقد وقع الامتنان بالأكل في المذكورات قبلها.

رابعها: لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة/ بها فيما وقع به الامتنان من الركوب والزينة. 1/73

وأجيب: بأن آية النحل مكية اتفاقاً، والإذن في أكل الخيل كان بعد الهجرة من مكة بأكثر من ست سنين، فلو فهم النبي ﷺ من الآية المنع لما أذن في الأكل.

وأيضاً: فآية النحل ليست نصاً في منع الأكل والحديث صريح في جوازه.

وأيضاً: فلو سلمنا أن اللام للتعليل، لم نسلم إفادة الحصر في الركوب والزينة، فإنه ينتفع بالخيل في غيرهما، وفي غير الأكل اتفاقاً، وإنما ذكر الركوب والزينة لكونهما أغلب ما تطلب له الخيل. ونظيره حديث البقرة المذكورة في الصحيحين حين خاطبت راكبها فقالت لم أخلق لهذا وإنما خلقت للحرث[1]، فإنه مع كونه أصرح في الحصر، ما يقصد به إلا الأغلب، وإلا فهي تؤكل وينتفع بها في أشياء غير الحرث اتفاقاً.

وقال البيضاوي: واستدل بها - أي بآية النحل - على حرمة

(1) جاء في الحديث المتفق عليه من رواية أبي هريرة قال: (قال رسول الله ﷺ: بينما رجل يسوق بقرة له، قد حمل عليها، التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجباً وفزعاً، أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ: فإني أومن به وأبو بكر وعمر) واللفظ لمسلم برقم 2388.

لحومها، ولا دليل فيها، إذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالباً أن لا يقصد منه غيره أصلاً. انتهى.

وأيضاً: فلو سلم الاستدلال للزم منع حمل الأثقال على الخيل والبغال والحمير ولا قائل به. وأما عطف البغال والحمير، فدلالة العطف إنما هي دلالة اقتران وهي ضعيفة.

وأما أنها سيقت مساق الامتنان، فالامتنان إنما قصد به غالب ما كان يقع به انتفاعهم بالخيل، فخوطبوا بما ألفوا وعرفوا، ولم يكونوا يعرفون أكل الخيل لعزتها في بلادهم، بخلاف الأنعام، فإن أكثر انتفاعهم بها كان لحمل الأثقال والأكل، فاقتصر في كل من الصنفين على الامتنان بأغلب ما ينتفع به، فلو لزم من ذلك الحصر في هذا الشق لأضر.

وأما قولهم: لو أبيح أكلها لفاتت المنفعة بها الخ..

فأجيب عنه: بأنه لو لزم من الإذن في أكلها أن تفنى، للزم مثله في البقر وغيرها مما أبيح أكله ووقع الامتنان به.

وإنما أطلت في ذلك لأمر اقتضاه، والله أعلم.

وفي هذه الغزوة أيضاً نهى ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع، وعن بيع المغانم حتى تقسم، وأن لا توطأ جارية حتى تستبرأ.

[شاة مسمومة]

وفي هذه الغزوة أيضاً سمت النبي ﷺ زينب بنت الحارث، امرأة سلام بن مشكم، كما في البخاري من حديث أبي هريرة ولفظه: (لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ، اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم

رسول الله ﷺ إني سائلكم عن شيء، فهل أنتم صادقوني عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: من أبوكم؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ: كذبتم، بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقت وبررت، فقال هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا، كما عرفته في أبينا. فقال لهم رسول الله ﷺ: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: اخسؤوا فيها. والله لا نخلفكم فيها أبداً، ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا: نعم. فقال: هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟ فقالوا: نعم، فقال: ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك)[1].

وفي حديث جابر عند أبي داود: أن يهودية/ من أهل خيبر ٧٣/ب سمت شاة مصلية ثم أهدتها إلى رسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، فقال رسول الله ﷺ: ارفعوا أيديكم، وأرسل إلى اليهودية فقال: سممت هذه الشاة؟ فقالت: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه في يدي، للذراع. قالت نعم، قلت: إن كان نبياً فلن يضره، وإن لم يكن نبياً استرحنا منه. فعفا عنها ﷺ ولم يعاقبها، وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة، واحتجم رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة[2].

وفي رواية غيره: جعلت زينب بنت الحارث امرأة ابن مشكم تسأل أي الشاة أحب إلى محمد فيقولون الذراع فعمدت إلى عنز لها

---

(١) رواه البخاري برقم ٥٧٧٧ و٣١٦٩.

(٢) رواه أبو داود برقم ٤٥١٠.

فذبحتها وصلتها، ثم عمدت إلى سم لا يبطىء - يعني لا يلبث أن يقتل من ساعته - وقد شاورت يهود في سموم فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه، فسمت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء، وتناول ﷺ الذراع فانتهس منها، وتناول بشر بن البراء عظماً آخر، فلما ازدرد ﷺ لقمته، ازدرد بشر بن البراء ما في يده وأكل القوم، فقال ﷺ ارفعوا أيديكم، فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة. وفيه: أن بشر بن البراء مات، وفيه أنه دفعها ﷺ إلى أولياء بشر بن البراء فقتلوها. رواه الدمياطي.

وقد اختلف هل عاقبها صلى الله عليه وسلم:

فعند البيهقي من حديث أبي هريرة: فأعرض عنها، ومن طريق أبي نضرة عن جابر نحوه قال: فلم يعاقبها. وقال الزهري: أسلمت فتركها.

قال البيهقي: يحتمل أن يكون تركها أولاً ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها. وبذلك أجاب السهيلي وزاد: أنه تركها لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصاً.

ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت. وإنما أخر قتلها حتى مات بشر، لأن بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه.

وفي مغازي سليمان التيمي: أنها قالت: إن كنت كذاباً أرحت الناس منك. وقد استبان لي الآن أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: فانصرف عنها حين أسلمت. وفيه: موافقة الزهري على إسلامها، فالله أعلم.

[وناموا عن صلاة الفجر]

وفي هذه الغزوة أيضاً: نام ﷺ عن صلاة الفجر، لما وكل به بلالاً كما في حديث أبي هريرة عند مسلم (أن رسول الله ﷺ حين قفل من غزوة خيبر، سار ليلته حتى أدركه الكرى عرس[1]، وقال لبلال: إكلأ لنا الليل[2]، فصلى بلال ما قدر له، ونام رسول الله ﷺ وأصحابه فلما قارب[3] الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر[4]، فغلبت بلالاً عيناه وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً، فقال: أي بلال! فقال بلال: أخذ بنفسي الذي أخذ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ بنفسك. قال: اقتادوا[5] فاقتادوا رواحلهم شيئاً، ثم توضأ رسول الله ﷺ وأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلى بهم الصبح، فلما قضى الصلاة قال: من نسي الصلاة فليصلها إذا ذكرها، فإن الله قال: «أقم الصلاة لذكري»)[6].

[قدوم جعفر]

وفيها قدم جعفر ومن/ معه من الحبشة. ١/٧٤

واختلف في فتح خيبر هل كان عنوة أو صلحاً؟

(١) الكرى: النعاس، والتعريس: نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة.
(٢) إكلأ: أي ارقبه واحفظه.
(٣) الذي في صحيح مسلم: تقارب.
(٤) أي مستقبل الجهة التي يطلع منها.
(٥) أي قودوا رواحلكم.
(٦) رواه مسلم برقم ٦٨٠.

وفي حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس[1] التصريح بأنه كان عنوة، وبه جزم ابن عبد البر، ورد على من قال فتحت صلحاً. قال: وإنما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحاً بالحصنين اللذين أسلمهما أهلهما لتحقن دماؤهما، وهو ضرب من الصلح، لكن لم يقع ذلك إلا بحصار وقتال. انتهى.

[فتح وادي القرى]

ثم فتح وادي القرى، في جمادى الآخرة بعدما أقام أربعاً يحاصرهم، ويقال: أكثر من ذلك.

وأصاب «مدعماً» مولاه سهم فقال ﷺ: إن الشملة التي غلها من خيبر لتشتعل عليه ناراً.

وصالحه أهل تيماء على الجزية، قاله الحافظ مغلطاي.

---

(١) عند البخاري وأبي داود والنسائي.

[سرايا بعد خيبر]

[سرية عمر]

ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فخرج معه دليل من بني هلال، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر إلى هوازن فهربوا، وجاء عمر بن الخطاب، إلى محالهم فلم يلق منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة.

[سرية أبي بكر]

ثم سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب [بنجد][1] ناحية ضربة، سنة سبع، ويقال إلى فزارة، فسبى منهم جماعة وقتل آخرين.

وفي صحيح مسلم: فزارة، وهو الصواب.

[سرية بشير بن سعد]

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مرة بفدك[2]، في شعبان سنة سبع، ومعه ثلاثون رجلاً، فقتلوا، وقاتل بشير حتى ارتث وضرب كعبه، وقيل قد مات.

---

(١) في (ش، د).

(٢) أي قريباً منها.

وقدم علبة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ ثم قدم بعده بشير بن سعد.

[سرية غالب الليثي]

ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة بناحية نجد من المدينة، على ثمانية برد، في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة، في مائتين وثلاثين رجلاً، فهجموا عليهم في وسط محالهم، فقتلوا من أشرف لهم، واستاقوا نعماً وشاء إلى المدينة.

قالوا: وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد نهيك بن مرداس بعد أن قال: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: ألا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب؟ فقال أسامة: لا أقاتل أحداً يشهد أن لا إله إلا الله.

وفي الإكليل: فعل ذلك أسامة في سرية كان هو أميراً عليها سنة ثمان.

وفي البخاري: (عن أبي ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد يقول: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة، فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكف الأنصاري عنه، وطعنته برمحي حتى قتلته. فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال: يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ قلت: كان متعوذاً. فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.)[١].

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٦٩.

[سرية بشير بن سعد]

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري أيضاً إلى يمن وجبار - بفتح الجيم - وهي أرض لغطفان، ويقال لفزارة وعذرة، في شوال سنة سبع من الهجرة، وبعث معه ثلاثمائة رجل لجمع تجمعوا للإغارة على المدينة، فساروا الليل وكمنوا النهار، فلما بلغهم مسير بشير هربوا.

وأصاب لهم نعماً كثيرة فغنمها، وأسر رجلين وقدم بهما إلى المدينة إلى رسول الله ﷺ فأسلما.

عمرة القضاء

[سبب التسمية]

ثم عمرة القضية، وتسمى عمرة القضاء، لأنه قاضى فيها قريشاً، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها، لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها. بل كانت عمرة تامة، ولهذا عدوا عُمَر النبي ﷺ أربعاً، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقال آخرون: بل كانت قضاء عن العمرة الأولى. وعدوا عمرة الحديبية في/ العمر لثبوت الأجر فيها، لا لأنها كملت. ١/ب

وهذا الخلاف مبني على الاختلاف في وجوب القضاء على من اعتمر فصد عن البيت.

فقال الجمهور: يجب عليه الهدي ولا قضاء عليه.

وعند أبي حنيفة: عكسه.

وعن أحمد رواية أنه لا يلزمه هدي ولا قضاء. وأخرى: يلزمه القضاء والهدي.

فحجة الجمهور: قوله تعالى: ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٩٦.

وحجة أبي حنيفة: أن العمرة تلزم بالشروع، فإذا أحصر جاز له تأخيرها، فإذا زال الحصر أتى بها، ولا يلزم من التحلل بين الإحرامين سقوط القضاء.

وحجة من أوجبها: ما وقع للصحابة، فإنهم نحروا الهدي حيث صدوا واعتمروا من قابل وساقوا الهدي.

وحجة من لم يوجبها: أن تحللهم بالحصر لم يتوقف على نحر الهدي، بل أمر من معه هدي أن ينحر، ومن ليس معه هدي أن يحلق[1].

[قصة العمرة]

قال الحاكم في الإكليل: تواترت الأخبار أنه ﷺ لما هلَّ ذو القعدة ـ يعني سنة سبع ـ أمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية، وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف منهم إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا.

وخرج معه ﷺ من المسلمين ألفان، واستخلف على المدينة أبا رهم الغفاري، وساق ﷺ ستين بدنة، وحمل السلاح والبيض والدرع[2] والرماح، وقاد مائة فرس، فلما انتهى إلى ذي الحليفة قدم الخيل أمامه، عليها محمد بن مسلمة، وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد.

وأحرم ﷺ ولبى، والمسلمون يلبون معه، ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه

(١) عن فتح الباري ٧/٥٠٠ [م].
(٢) في ش: الدروع.

فقال: هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى. فأتوا قريشاً فأخبروهم ففزعوا.

ونزل رسول الله ﷺ بمر الظهران وقدم السلاح إلى بطن يأجج - كيسمع وينصر ويضرب - موضع بمكة، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم[1]، وخلف عليه أوس بن خولى الأنصاري في مائتي رجل.

وخرجت قريش من مكة إلى رؤوس الجبال.

وقدم رسول الله ﷺ الهدي أمامه، فحبس[2] بذي طوى، وخرج رسول الله ﷺ على راحلته القصواء، والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله ﷺ يلبون، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون، وابن رواحة آخذ بزمام راحلته.

وفي رواية الترمذي في الشمائل، من حديث أنس أنه ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ تقول شعراً؟ فقال ﷺ: خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل.

ورواه عبد الرزاق من حديث أنس أيضاً من وجهين بلفظ

خلوا بني الكفار عن سبيله ... قد أنزل الرحمن في تنزيله

بأن خير القتل في سبيله ... نحن قتلناكم على تأويله

كما قتلناكم على تنزيله

---

(١) أي أعلام حدوده.

(٢) أي: ترك.

وأخرجه الطبراني والبيهقي في الدلائل وفيه: / 1/75

اليوم نضربكم على تنزيله ضرباً يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله يا رب إني مؤمن بقيله

وعن ابن عقبة في المغازي بعد قوله:

قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسوله

لكنه لم يذكر أنساً، وزاد ابن إسحاق بعد قوله:

يا رب إني مؤمن بقيله إني رأيت الحق في قبوله

وقال ابن هشام: إن قوله:

نحن ضربناكم على تأويله

إلى آخر الشعر من قول عمار بن ياسر قاله يوم صفين[1].

قالوا: ولم يزل رسول الله ﷺ يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه وطاف على راحلته، والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم.

[الرمل في الطواف]

وفي البخاري، عن ابن عباس (... قال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب. فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين، ولم يمنعهم[2] أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم.)[3].

(1) كذا في ش، وهو كذلك في فتح الباري، وهو الأصل المنقول عنه. وفي بقية النسخ: يوم حنين وهو غلط.

(2) كذا في النسخ وهو رواية مسلم والذي في البخاري: ولم يمنعه أن يأمرهم..

(3) رواه البخاري برقم ٤٢٥٦.

وفي رواية: (قال: ارملوا ليرى المشركون قوتكم[1] والمشركون من قبل قعيقعان)[2]

ومعنى قوله: «إلا الإبقاء عليهم» أي لم يمنعه من أمرهم بالرمل في جميع الطوفات إلا الرفق بهم، والإشفاق عليهم.

[السعي والتحلل]

ثم طاف رسول الله ﷺ بين الصفا والمروة على راحلته، فلما كان الطواف السابع عند فراغه ـ وقد وقف الهدي عند المروة ـ قال: هذا المنحر، وكل فجاج مكة منحر.

فنحر عند المروة. وحلق هناك، وكذلك فعل المسلمون.

وأمر رسول الله ﷺ ناساً منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج، فيقيموا على السلاح، ويأتي الآخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا.
وأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً.

وفي البخاري من حديث البراء (.. فلما دخلها ـ يعني مكة ـ ومضى الأجل، أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل)[3].

[خروج ابنة حمزة]

(فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم يا عم، فتناولها

---

(١) كذا في الأصل، وكذلك في البخاري، وفي بقية النسخ: ليري المشركين قوتهم.
(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٥٦.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٥١.

علي فأخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك، فحملتها[1]، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر، قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي. وقال جعفر: ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد ابنة أخي[2] فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم) الحديث[3].

وإنما أقرهم النبي ﷺ على أخذها مع اشتراط المشركين أن لا يخرج بأحد من أهلها أراد الخروج، لأنهم لم يطلبوها.

وقوله: «الخالة بمنزلة الأم» أي في هذا الحكم الخاص، لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء إلى ما يصلح الولد. ويؤخذ منه أن الخالة في الحضانة مقدمة على العمة، لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء، فهي مقدمة على غيرها. ويؤخذ منه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب انتهى[4].

[ميمونة. . أم المؤمنين]

قال ابن عباس: وتزوج ﷺ ميمونة وهو محرم وبنى بها وهو حلال[5].

وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه، قال سعيد بن

(١) كذا في النسخ وفي البخاري: حمليها.
(٢) كان ﷺ آخى بين حمزة وبين زيد حين آخى بين المهاجرين.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٥١.
(٤) نقلاً عن فتح الباري ٧/٥٠٦.
(٥) رواه البخاري برقم ٤٢٥٨.

المسيب: وهل ابن عباس وإن كانت خالته، ما تزوجها ﷺ إلا بعد ما حل. ذكره البخاري.

و«وهل» بكسر الهاء أي غلط.

وقال يزيد بن الأصم عن ميمونة: تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف. رواه مسلم.

وسيأتي في الخصائص من مقصد معجزاته إن شاء الله تعالى: أن له ﷺ النكاح في حال الإحرام على أصح الوجهين عند الشافعية.

[بين العمرة ومؤته]

[سرية ابن أبي العـوجاء]

ثم سرية ابن أبي العوجاء السلمي إلى بني سليم، في ذي الحجة سنة سبع، في خمسين رجلاً، فأحدق بهم الكفار من كل ناحية، وقاتل القوم قتالاً شديداً، حتى قتل عامتهم وأصيب ابن أبي العوجاء/ جريحاً مع القتلى، ثم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ في أول صفر سنة ثمان. ٧٥/ب

[سرية غالب الليثي]

ثم سريـة غالب بن عبـد الله الليثي إلى بني الملوح - بالحـاء المهملة - بالكديد - بفتح الكاف - قال في القاموس: الكديد بفتح الكاف ماء بين الحرمين شرفهما الله تعالى. والبطن الواسع من الأرض الغليظة، كالكدة بالكسر، ويوم الكديد معروف.

في صفر سنة ثمان من مهاجره، فغنم.

[قـدوم خالد وصاحبيه]

وفي هذا الشهر قـدم خالـد بن الوليـد وعثمان بن أبي طلحـة وعمرو بن العاصي المدينة فأسلموا. وقال ابن أبي خيثمة: كان ذلك سنة خمس، وقال الحاكم: سنة سبع.

[سرية غالب أيضاً]

ثم سرية غالب أيضاً إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان، ومعه مائتا رجل، فأغاروا عليهم مع الصبح وقتلوا منهم قتلى وأصابوا نعماً.

[سرية شجاع بن وهب]

ثم سرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر، بالسيء؛ ماء من ذات عرق إلى وجرة على ثلاثة مراحل من مكة إلى البصرة، وخمس مراحل من المدينة.

في شهر ربيع الأول سنة ثمان، ومعه أربعة وعشرون رجلاً إلى جمع من هوازن، وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم، فأصابوا نعماً وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة، وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة، واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً وعدلوا البعير بعشر من الغنم.

[سرية كعب الغفاري]

ثم سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح، وراء ذات القرى[١]، في ربيع الأول سنة ثمان، في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى انتهوا إلى ذات أطلاح، فوجدوا جمعاً كثيراً فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلى. قال مغلطاي: قيل هو الأمير. فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

---

(١) هي وادي القرى.

غزوة مؤتة

[الموقع والتاريخ]

ثم سرية مؤتة ـ بضم الميم وسكون الواو ـ بغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد، وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين.

وهي من عمل البلقاء بالشام، دون دمشق. في جمادى الأولى سنة ثمان.

[سبب الغزوة]

وذلك أن رسول الله ﷺ كان أرسل الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره.

فأمر ﷺ زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف وقال: إن قتل فجعفر ابن أبي طالب فإن قتل فعبد الله بن رواحة فإن قتل فليرتض المسلمون برجل من بينهم يجعلونه عليهم.

وفي حديث عبد الله بن جعفر عند أحمد والنسائي. بإسناد صحيح: إن قتل زيد فأميركم جعفر. الحديث.

قالوا: وعقد لهم ﷺ لواء أبيض، ودفعه إلى زيد بن حارثة، وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى

الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعينوا عليهم بالله وقاتلوهم.

[مغادرة المدينة]

وخرج مشيعاً لهم، حتى إذا بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم، فلما ساروا نادى المسلمون: دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فجمعوا لهم، وقام شرحبيل بن عمرو فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه.

وقد نزل المسلمون معان ـ بفتح الميم ـ موضع من أرض الشام، وبلغ الناس كثرة العدو وتجمعهم، وأن هرقل نزل بأرض البلقاء في مائة ألف من المشركين. فأقاموا ليلتين لينظروا في أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي، فمضوا إلى مؤتة.

[المعركة]

١/٧٦ ووافاهم المشركون فجاء/ منهم ما لا قبل لأحد به من العدد والعدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب.

والتقى المسلمون والمشركون. فقاتل الأمراء يومئذ على أرجلهم، فأخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعناً بالرماح.

ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب، فنزل عن فرس له شقراء وقاتل حتى قتل، ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين، فوجد في أحد

نصفيه بضعة وثمانون جرحاً وفيما أقبل من بدنه اثنتان وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح.

قال في رواية البخاري: ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية[1].

وفي رواية: أن ابن عمر وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل قال: فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره،[2]

وذكر ابن إسحاق بإسناد حسن، وهو عند أبي داود من طريقه عن رجل من مرة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب، حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

قالوا: ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قتل.

فأخذ اللوء ابن أقرم العجلاني، إلى أن اصطلح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين.

وقال الحاكم: قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة.

وقال ابن سعد: إنما انهزم بالمسلمين.

وقال ابن إسحاق: انحازت كل طائفة من غير هزيمة.

ورفعت الأرض لرسول الله ﷺ حتى نظر إلى معترك القوم.

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٦١.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٢٦٠).

[ذو الجناحين]

وعن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: حدثني أبي الذي أرضعني ـ وكان أحد بني مرة قال: شهدت مؤتة مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه، فرأيت جعفراً حين التحم القتال اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها وقاتل القوم حتى قتل، خرجه البغوي في معجمه.

وقطعت في تلك الوقعة يداه جميعاً ثم قتل، فقال رسول الله ﷺ: إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، خرجه أبو عمر.

وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها: لما جاء قتل ابن رواحة وابن حارثة وجعفر بن أبي طالب جلس رسول الله ﷺ يعرف فيه[1] الحزن[2].

وأخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن جعفر قال قال لي رسول الله ﷺ :هنيئاً لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: رأيت جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة، أخرجه الترمذي والحاكم، وفي إسناده ضعف، لكن له شاهد من حديث علي عند ابن سعد.

وعن أبي هريرة أيضاً عن النبي ﷺ قال: مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم، أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد على شرط مسلم.

---

(١) كذا في ش وفي البخاري، وفي النسخ: منه.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٦٣.

وأخرج أيضاً هو والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: دخلت البارحة الجنة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة.

وفي طريق أخرى عنه: إن جعفراً يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان، عوضه الله من يديه. وإسناد هذا جيد.

فقد عوضه الله تعالى عن قطع يديه في هذه الوقعة، حيث أخذ اللواء بيمينه فقطعت ثم أخذه بشماله فقطعت ثم احتضنه فقتل.

[المقصود بالأجنحة]

قال السهيلي: له جناحان، ليسا كما يسبق إلى الوهم كجناحي الطائر وريشه، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها، فالمراد بالجناحين صفة ملكية/ وقوة روحانية أعطيها جعفر. وقد عبر القرآن عن العضد[1] بالجناح توسعاً في قوله تعالى: ﴿**واضمم يدك إلى جناحك**﴾[2]. وقال العلماء في أجنحة الملائكة إنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة، فقد ثبت أن لجبريل ستمائة جناح، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلاً عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبر في بيان كيفيتها فنؤمن بها من غير بحث عن حقيقتها. انتهى. ٧٦/ب

قال الحافظ ابن حجر: وهذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي حكاه عن العلماء ليس صريحاً في الدلالة لما ادعاه.

ولا مانع من الحمل على الظاهر، إلا من جهة ما ذكره من المعهود، وهو قياس الغائب على الشاهد وهو ضعيف.

---

(١) كذا في ش وفي فتح الباري، وفي النسخ: العضو.

(٢) سورة طه. الآية ٢٢.

وكون الصورة البشرية أشرف الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره، لأن الصورة باقية. وقد روى البيهقي في الدلائل من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة: أن جناحي جعفر من ياقوت. وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ. أخرجه ابن منده في ترجمة ورقة (١).

[وصول خبرهم إلى المدينة]

وذكر موسى بن عقبة في المغازي، أن يعلى بن أمية قدم بخبر أهل مؤتة، فقال له رسول الله ﷺ إن شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك، قال: أخبرني، فأخبره خبرهم فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره.

وعند الطبراني من حديث أبي اليسر الأنصاري: أن أبا عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي ﷺ بمصابهم.

[سرايا قبل الفتح]

[سرية ذات السلاسل]

ثم سرية عمرو بن العاصي إلى ذات السلاسل. وسميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا. وقيل لأن بها ماء يقال له السلسل، وراء ذات القرى، من المدينة على عشرة أيام.

وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان، وقيل: كانت سنة سبع، وبه جزم ابن أبي خالد في كتاب صحيح التاريخ. ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤته، إلا أن ابن إسحاق قال قبلها.

---

(١) عن فتح الباري ٧/٥١٥.

وسببها: أنه بلغه ﷺ أن جمعاً من قضاعة قد تجمعوا للإغارة، فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة[1] المهاجرين والأنصار. ومعهم ثلاثون فرساً.

فسار الليل وكمن النهار، فلما قرب منهم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافع بن مكيث - بفتح الميم - الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهم، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو: إنما قدمت علي مدداً، وأنا الأمير، فأطاع له بذلك أبو عبيدة، فكان عمرو يصلي بالناس.

وسار حتى وصل إلى العدو: بلي وعذرة، فحمل عليهم المسلمون، فهربوا في البلاد وتفرقوا.

[سرية سيف البحر]

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح. وسماها البخاري: غزوة سيف البحر، وتعرف بسرية الخبط.

وبعث معه ﷺ ثلاثمائة، كما في الصحيحين وغيرهما وهو المشهور، لكن في رواية النسائي: وبضع عشرة، فإن صحت هذه الرواية فلعله اقتصر في الرواية المشهورة على الثلاثمائة استسهالاً لأمر الكسر، والأخذ بالزيادة مع صحتها واجب.

---

(١) سراة: جمع سري، وهو النفيس وقيل السخي ذو المروءة.

وكان فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

يتلقى عيراً لقريش. رواه مسلم، وعنده أيضاً: إلى أرض جهينة.

ولا منافاة بينهما: فالجهة أرض جهينة، والقصد تلقي عير قريش - وهي الإبل المحملة للطعام وغيره -.

لكن في كتب السير: أن البعث إلى حي من جهينة بالقبلية - بفتح القاف والموحدة - مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين/ المدينة خمس ليال. ١/٧٧

ولعل البعث لمقصدين: رصد عير قريش، ومحاربة حي من جهينة.

وقال ابن سعد: وكانت في رجب سنة ثمان.

وفيه نظر: فإن تلقي عير قريش ما يتصور أن يكون في هذه المدة، لأنهم حينئذ كانوا في الهدنة، فالصحيح أن تكون هذه السرية سنة ست أو قبلها، قبل هدنة الحديبية.

نعم يحتمل أن يكون تلقيهم العير ليس لمحاربتهم بل لحفظهم من جهينة، ولهذا لم يقع في شيء من طرق الخبر أنهم قاتلوا أحداً. بل فيه أنهم أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد. فالله أعلم. قاله الحافظ ابن حجر[١].

لكن قال شيخ الإسلام ابن العراقي في شرح التقريب، قالوا: وكانت هذه السرية في شهر رجب سنة ثمان من الهجرة وذلك بعد

---

(١) فتح الباري ٧٨/٨.

نكث قريش العهد وقبل الفتح، فإنه كان في رمضان من السنة المذكورة انتهى.

قالوا: وزودهم ﷺ جراباً من التمر، فلما فني أكلوا الخبط ـ وهو بفتح المعجمة والموحدة بعدها مهملة ـ ورق السلم. وفي رواية أبي الزبير: وكنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله[1]، وهذا يدل على أنه كان يابساً، خلافاً لمن زعم أنه كان أخضر رطباً.

وقد كان معهم تمر غير الجراب النبوي، ويدل عليه حديث البخاري ـ في الجهاد ـ خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل زادنا على رقابنا ففني زادنا، حتى كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة[2].

وابتاع قيس بن سعد جزوراً ونحرها لهم[3].

وأخرج الله لهم من البحر دابة تسمى العنبر فأكلوا منها، وتزودوا ورجعوا ولم يلقوا كيداً.

وفي رواية جابر عند الأئمة الستة: بعثنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجراح، فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا، حتى أكلنا الخبط ثم إن البحر ألقى لنا دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منها نصف شهر، حتى صلحت أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعها فنصبه ونظر إلى أطول بعير فجاز تحته. الحديث[4].

زاد الشيخان في رواية: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم برقم ١٩٣٥.

(٢) رواه البخاري برقم ٢٩٨٣.

(٣) رواه البخاري برقم ٤٣٦١.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٦١ ومسلم في كتاب الصيد برقم ١٨.

فذكرنا ذلك له فقال: هو رزق أخرجه الله لكم، فهل معكم شيء من لحمه فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكل[1].

[سريتا أبي قتادة]

ثم سرية أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة، وهي أرض محارب بنجد، في شعبان سنة ثمان، وبعث معه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، فقتل من أشرف منهم، وسبى سبياً كثيراً، واستاق النعم، وكانت الإبل مائتي بعير، والغنم ألفي شاة، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

ثم سرية أبي قتادة أيضاً إلى بطن إضم - فيما بين ذي خشب وذي المروة - على ثلاثة برد من المدينة، في أول شهر رمضان سنة ثمان.

وذلك أنه ﷺ لما هم أن يغزو أهل مكة، بعث أبا قتادة في ثمانية نفر، سرية إلى بطن إضم، ليظن ظان أنه ﷺ توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار.

فلقوا عامر بن الأضبط، فسلم عليهم بتحية الإسلام، فقتله محلم بن جثامة، فأنزل الله تعالى: **﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾** إلى آخر الآية[2] رواه أحمد[3]، وهو عند ابن جرير من حديث ابن عمر بنحوه وزاد: فجاء محلم بن جثامة في بردين فجلس بين يدي رسول الله ﷺ ليستغفر له، فقال رسول الله ﷺ: لا غفر الله لك، فقام يتلقى دموعه ببرديه، فما مضت له سابعة حتى مات

---

(١) عند البخاري برقم ٤٣٦٢ وعند مسلم برقم ١٩٣٥.

(٢) سورة النساء. الآية ٩٤.

(٣) عن عبدالله بن أبي حدرد قال بعثنا ﷺ في نفر من المسلمين فخرجنا.. مر =

فلفظته/ الأرض. وعند غيره: ثم عادوا به فلفظته الأرض، فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين[1] فسطحوه ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه. ٧٧/ب

وفي رواية ابن جرير: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله يريد أن يعظكم.

ونسب ابن إسحاق هذه السرية لابن أبي حدرد ومعه رجلان إلى الغابة، لما بلغه ﷺ أن رفاعة بن قيس يجمع لحربه، فقتلوا رفاعة وهزموا عسكره، وغنموا غنيمة عظيمة، حكاه مغلطاي والله أعلم.

= بنا عامر بن الأضبط على قعود له ومعه متيع.. فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره.. الحديث المسند ١١/٦.

(١) أي جبلين.

[فتح مكة]

ثم فتح مكة زادها الله شرفاً. وهو كما قال في زاد المعاد:

«الفتح الأعظم، الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين، واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجاً».

[سبب الفتح]

خرج له ﷺ بكتائب الإسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذي وقع بالحديبية. فإنه كان قد وقع الشرط: أنه من أحب أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فعل، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فعل. فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده.

وكان بين بني بكر وخزاعة حروب وقتلى في الجاهلية، فتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام، فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يقال له الوتير. فأصاب منهم رجلاً يقال له منبه، واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال.

وأمدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل بعضهم معهم ليلاً في خفية.

وخرج عمرو بن سالم الخزاعي في أربعين راكباً من خزاعة، فقدموا على رسول الله ﷺ يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه. فقام وهو يجر رداءه وهو يقول: لا نصرت إن لم أنصركم بما أنصر منه نفسي.

وفي المعجم الصغير للطبراني، من حديث ميمونة أنها سمعته ﷺ يقول في متوضئه ليلاً: لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت ثلاثاً، فلما خرج قلت: يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك: لبيك لبيك ثلاثاً، نصرت نصرت ثلاثاً، كأنك تكلم إنساناً، فهل كان معك أحد؟ فقال ﷺ: هذا راجز بني كعب يستصرخني ويزعم أن قريشاً أعانت عليهم بني بكر.

ثم خرج عليه السلام فأمر عائشة أن تجهزه ولا تعلم أحداً. قالت: فدخل عليها أبو بكر فقال: يا بنية، ما هذا الجهاز؟ فقالت: والله ما أدري، فقال: والله ما هذا زمان غزو بني الأصفر، فأين يريد رسول الله ﷺ؟ قالت: والله لا علم لي. قالت فأقمنا ثلاثاً ثم صلى الصبح بالناس فسمعت الراجز ينشده:

يا رب إني ناشد محمداً   حلف أبينا وأبيه الأتلدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا   ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا أن لست تدعو أحدا[1]   فانصر هداك الله نصراً أبدا
وادع عباد الله يأتوا مددا   فيهم رسول الله قد تجردا[2]

---

(١) أي لست تدعو أحداً لنصرتنا.

(٢) أي شمر وتهيأ لحربهم.

/ إن سيم خسفاً وجهه تربدا

قال في القاموس: وتربد - يعني بالراء - تغير. انتهى. وزاد ابن إسحاق:

هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا وهم أذل وأقل عددا

فقال له رسول الله ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم.

فكان ذلك ما هاج فتح مكة. وقد ذكر البزار من حديث أبي هريرة بعض الأبيات المذكورة.

[أبو سفيان في المدينة]

وقدم أبو سفيان بن حرب على رسول الله ﷺ المدينة يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة. فأبى عليه، فانصرف إلى مكة.

[رسالة حاطب إلى قريش]

فتجهز رسول الله ﷺ من غير إعلام أحد بذلك
فكتب حاطب كتاباً وأرسله إلى مكة يخبر بذلك. فأطلع الله نبيه على ذلك.

فقال عليه السلام لعلي بن أبي طالب والزبير والمقداد: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها. قال فانطلقنا. . حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب. قلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله ﷺ. فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم

ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش - يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾ إلى قوله: ﴿**فقد ضل سواء السبيل**﴾[1]. رواه البخاري[2].

قال في فتح الباري: وإنما قال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله ﷺ لحاطب فيما اعتذر به، لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض المنافقين، فظن أن من خالف ما أمر به النبي ﷺ استحق القتل. لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن في قتله. وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر. وعذر حاطب ما ذكره، فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه.

وعند الطبراني من طريق الحارث عن عليّ في هذه القصة فقال: (أليس قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فأرشد إلى علة ترك قتله.

وعند الطبري أيضاً: عن عروة: فإني غافر لكم. وهذا يدل على أن المراد: بـ «غفرت» أغفر، على طريق التعبير عن الآتي بالواقع مبالغة في تحققه.

---

(١) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٧٤ و٤٨٩٠.

قال: والذي يظهر أن هذا الخطاب خطاب إكرام وتشريف، تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا أن يغفر لهم ما يستأنف من الذنوب اللاحقة. وقد أظهر الله تعالى صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك، فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريقة/ المثلى، يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم. قاله القرطبي[١].

٧٨/ب

وذكر بعض أهل المغازي ـ وهو في تفسير يحيى بن سلام ـ أن لفظ الكتاب الذي كتبه حاطب: أما بعد: يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له، فانظروا لأنفسكم والسلام. هكذا حكاه السهيلي.

وروى الواقدي بسند له مرسل: أن حاطباً كتب إلى سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة: أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد. انتهى[٢].

[مغادرة المدينة]

وبعث رسول الله ﷺ إلى من حوله من العرب فجلبهم: أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم، فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق.

---

(١) فتح الباري ٨/٦٣٤ ـ ٦٣٥.
(٢) عن فتح الباري ٧/٥٢١.

فكان المسلمون في غزوة الفتح: عشرة آلاف.

وفي «الإكليل» و«شرف المصطفى» اثني عشر ألفاً.

ويجمع بينهما أن العشرة آلاف خرج بها من نفس المدينة، ثم تلاحق به الألفان.

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم الغفاري.

وخرج ﷺ يوم الأربعاء لعشر ليال خلون من رمضان، بعد العصر، سنة ثمان، قاله الواقدي.

وعند أحمد بإسناد صحيح عن أبي سعيد قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الفتح لليلتين خلتا من شهر رمضان.

فما قاله الواقدي ليس بقوي لمخالفته ما هو أصح منه. وفي تعيين هذا التاريخ أقوال أخر منها عند مسلم: لست عشرة، ولأحمد: ثماني عشرة، وفي أخرى: لثنتي عشرة. والذي في المغازي: لتسع عشرة مضت. وهو محمول على الاختلاف في أول الشهر، وفي أخرى: تسع عشرة أو سبع عشرة على الشك.

ولما بلغ ﷺ الكديد ـ بفتح الكاف ـ الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر فلم يزل مفطراً حتى انسلخ الشهر. رواه البخاري، وفي أخرى: أفطر وأفطروا، الحديث[1].

[لقاءات في الطريق]

وكان العباس قد خرج قبل ذلك بأهله وعياله مسلماً مهاجراً، فلقي رسول الله ﷺ بالجحفة، وكان قبل ذلك مقيماً بمكة على سقايته،

---

(١) الرواية الأولى برقم ٤٢٧٥ والثانية برقم ٤٢٧٦.

ورسول الله ﷺ عنه راض.

وكان ممن لقيه في الطريق أبو سفيان بن الحارث، ابن عمه، وأخوه من رضاع حليمة السعدية، ومعه ولده جعفر بن أبي سفيان. وكان أبو سفيان يألف رسول الله ﷺ، فلما بعث عاداه وهجاه. وكان لقاؤهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخول مكة.

وقيل: بل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية، ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا والعرج، فأعرض ﷺ عنهما لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو، فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك، وقال علي: لأبي سفيان - فيما حكاه أبو عمر[1] وصاحب ذخائر العقبى[2] -: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال أخوة يوسف ليوسف: «تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين» فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولاً، ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له ﷺ: «لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين».

ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياء منه.

[دخول مكة]

قالوا: ثم سار ﷺ فلما كان بقديد عقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل.

1/79 ثم نزل مر الظهران عشاء، فأمر أصحابه فأوقدوا/ عشرة آلاف

---

(1) أي: ابن عبد البر.

(2) كتاب (ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى) وهو للمحب الطبري.

نار، ولم يبلغ قريشاً مسيره وهم مغتمون لما يخافون من غزوه إياهم، فبعثوا أبا سفيان بن حرب وقالوا: إن لقيت محمداً فخذلنا منه أمانا، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء حتى أتوا مر الظهران، فلما رأوا العسكر أفزعهم.

وفي البخاري: (فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنها نيران عرفة، فقال له بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو[1] أقل من ذلك. فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم فأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان.

فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ: تمر[2] كتيبة كتيبة على أبي سفيان. فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار؟ قال: مالي ولغفار؟ ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار)[3] بالمعجمة المكسورة: الهلاك.

قال الخطابي: تمنى أبو سفيان أن تكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم. وقيل: هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم

(١) كذا في ش وفي البخاري، وفي بقية النسخ: بنو عمرو.
(٢) كذا في البخاري وفي (ب، د) وفي النسخ بدونها.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٢٨٠.

لمن قدر عليه، وقيل: هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي من أن ينالني مكروه[1].

[أخذ الراية من سعد]

وقال ابن إسحاق: زعم بعض أهل العلم أن سعداً قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فسمعها رجل من المهاجرين فقال: يا رسول الله، ما آمن أن يكون لسعد في قريش صولة. فقال لعلي: أدركه فخذ الراية منه فكن أنت تدخل بها.

وقد روى الأموي في المغازي: أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ لما حاذاه: أمرت بقتل قومك؟ قال: لا، فذكر له ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم، فقال: يا أبا سفيان: اليوم يوم المرحمة، اليوم يعز الله قريشاً، وأرسل إلى سعد فأخذ الراية منه فدفعها إلى ابنه قيس.

وعند ابن عساكر من طريق أبي الزبير عن جابر قال: لما قال سعد بن عبادة ذلك عارضت امرأة من قريش رسول الله ﷺ فقالت:

يا نبي الهدى إليك لجا حي قريش ولات حين لجائي
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله السماء
إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ر بأهل الحجون والبطحاء

فلما سمع هذا الشعر دخلته رأفة لهم ورحمة. فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت إلى ابنه قيس.

وعند أبي يعلى من حديث الزبير أن النبي ﷺ دفعها إليه فدخل

---

(١) فتح الباري ٨/٨.

مكة بلواءين، وإسناده ضعيف جداً. لكن جزم موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري أنه دفعها إلى الزبير بن العوام.

فهذه ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزعت من سعد.

والذي يظهر في الجمع أن علياً أرسل لينزعها ويدخل بها، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه قيس، ثم إن سعداً خشي أن يقع من ابنه شيء يكرهه النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير[1].

[تتمة الحديث عن دخول مكة]

قال في رواية البخاري (.. ثم جاءت كتيبة[2] فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي/ ﷺ مع الزبير، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: ما قال؟ قال: قال كذا وكذا فقال: كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسي فيه الكعبة. قال وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون. ٧٩/ب

قال وقال عروة أخبرني نافع بن جبير بن مطعم قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبدالله، ها هنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: نعم[3].

وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى

(١) عن فتح الباري ٨/٨ ـ ٩.
(٢) نص البخاري (ثم جاءت كتيبة ـ وهي أقل الكتائب ـ فيهم..).
(٣) قوله (قال: نعم) ليست في البخاري.

مكة من كداء - أي بالفتح والمد - ودخل النبي ﷺ من كدى - أي بالضم والقصر - فقتل من خيل خالد يومئذ رجلان: حبيش بن الأشعر وكرز بن جابر الفهري)[1].

قال الحافظ ابن حجر: وهذا[2] مخالف للأحاديث الصحيحة الآتية في البخاري أيضاً أن خالداً دخل من أسفل مكة والنبي ﷺ من أعلاها.

يعني حديث ابن عمر: أنه ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد، وحديث عائشة أنه ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة وغيرهما.

[دخول مكة عند ابن عقبة]

قال: وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقاً واضحاً فقال:

وبعث ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء من أعلى مكة، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه.

وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وأن يغرز رايته عند أدنى البيوت.

وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الأنصار في مقدمة رسول الله ﷺ وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا إلا من قاتلهم.

واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة، وقد تجمع

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٨٠.

(٢) الإشارة إلى مرسل عروة.

بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناف، وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش، فقاتلوا خالداً فقاتلهم فانهزموا، وقتل من بني بكر نحو من عشرين رجلاً، ومن هذيل ثلاثة أو أربعة، حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة إلى باب المسجد حتى دخلوا الدور، فارتفعت طائفة منهم على الجبال.

وصاح أبو سفيان: من أغلق بابه وكف يده فهو آمن.

قال: ونظر رسول الله ﷺ إلى البارقة فقال: ما هذا[1]؟ وقد نهيت عن القتال. فقالوا: نظن أن خالداً قوتل وبدىء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتلهم.

قال: وقال رسول لله ﷺ - بعد أن اطمأن - لخالد بن الوليد: لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟ فقال هم بدؤونا بالقتال، وقد كففت يدي ما استطعت، قال: قضاء الله خير[2].

[رواية ابن إسحاق في دخول مكة]

وعند ابن إسحاق: فلما نزل ﷺ مر الظهران، رقت نفس العباس لأهل مكة، فخرج ليلاً راكباً بغلة النبي ﷺ لكي يجد أحداً فيعلم أهل مكة بمجيء النبي ﷺ ليستأمنوه، فسمع صوت أبي سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء، فأردف أبا سفيان خلفه وأتى به إلى النبي ﷺ فأسلم وانصرف الآخران ليعلما أهل مكة.

ويمكن الجمع: بأن الحرس لما أخذوه استنقذه العباس.

(١) كذا في (ب، د) وفي فتح الباري. وفي بقية النسخ: ما هذه.
(٢) عن فتح الباري ٨/١٠ و١١.

وروى أن عمر رضي الله عنه لما رأى أبا سفيان رديف العباس دخل على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، هذا أبو سفيان، دعني أضرب عنقه، فقال العباس: يا رسول الله، إني قد أجرته. فقال ﷺ: إذهب يا عباس به/ إلى رحلك، فإذا أصبحت فأتني به، فذهب فلما أصبح غدا به على رسول الله ﷺ فلما رآه رسول الله ﷺ قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ فقال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغني عني شيئاً. ثم قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شيء.

١/٨٠

فقال له العباس: ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. فأسلم وشهد شهادة الحق. فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً، قال: نعم. وأمر ﷺ فنادى مناديه: من دخل المسجد فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن إلا المستثنين.

[لا أمان لهؤلاء]

وهم كما قال مغلطاي:

عبد الله بن سعد بن أبي سرح. أسلم.

وابن خطل: قتله أبو برزة.

وقينتاه وهما: فرتنى ـ بالفاء المفتوحة، والراء الساكنة والتاء المثناة الفوقية والنون ـ وقريبة ـ بالقاف والراء والموحدة مصغراً ـ أسلمت إحداهما وقتلت الأخرى. وذكر غير ابن إسحاق أن التي أسلمت فرتنى

وأن قريبة قتلت.

وسارة: مولاة لبني المطلب، أسلمت، ويقال كانت مولاة عمرو ابن صيفي بن هشام.

وأرنب ـ علم امرأة ـ،[1].

وقريبة: قتلت

وعكرمة بن أبي جهل: أسلم

والحويرث[2] بن نقيد: قتله علي

ومقيس بن صبابة ـ بمهملة وموحدتين الأولى خفيفة ـ قتله نميلة الليثي.

وهبار بن الأسود: أسلم، وهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت فنخس بها [بعيرها][3] حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها.

وكعب بن زهير: أسلم

وهند بنت عتبة: أسلمت

ووحشي بن حرب: أسلم انتهى.

وابن خطل: بفتح الخاء والطاء المهملة.

وابن نقيد: بضم النون وفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخره دال مهملة مصغراً.

ومقيس: بكسر الميم وسكون القاف وفتح المثناة التحتية آخره مهملة.

---

(١) قال في الفتح: مولاة ابن خطل أيضاً، قتلت.

(٢) كذا في (ط، ش) والفتح، وفي (ا، ب، د): الحارث.

(٣) في ط.

وقد جمع الواقدي عن شيوخه أسماء من لم يؤمن يوم الفتح وأمر بقتله عشرة أنفس، ستة رجال، وأربع نسوة.

[هل كان الفتح صلحاً أم حرباً؟]

وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أبي هريرة قال: لما أقبل رسول الله ﷺ وقد بعث على أحد المجنبتين خالد بن الوليد، وبعث الزبير على الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحسر - بضم المهملة وتشديد السين المهملة، أي الذين بغير سلاح - فقال لي يا أبا هريرة، اهتف لي بالأنصار، فهتفت بهم فجاؤوا فأطافوا به، فقال لهم: أترون إلى أوباش قريش وأتباعهم، ثم قال بإحدى يديه على الأخرى: احصدوهم حصداً، حتى توافوني بالصفا. قال أبو هريرة: فانطلقنا، فما نشاء أن نقتل أحداً منهم إلا قتلناه، فجاء أبو سفيان فقال: يا رسول الله، أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم. فقال ﷺ: من أغلق بابه فهو آمن.

قال في فتح الباري: وقد تمسك بهذه القصة من قال: إن مكة فتحت عنوة، وهو قول الأكثر.

وعن الشافعي، وهو رواية عن أحمد: أنها فتحت صلحاً، لما وقع من هذا التأمين، ولإضافة الدور إلى أهلها، ولأنها لم تقسم، ولأن الغانمين لم يملكوا دورها. وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها.

وحجة الأولين: ما وقع التصريح به من الأمر بالقتال، ووقوعه من خالد بن الوليد، وبتصريحه ﷺ بأنها أحلت له ساعة من نهار، ونهيه عن التأسي به في ذلك. /

٨/ب وأجابوا عن ترك القسمة: بأنها لا تستلزم عدم العنوة، فقد

تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها، ويترك لهم دورهم.

وأما قول النووي: واحتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن النبي ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة ففيه نظر، لأن الذي أشار إليه، إن كان مراده ما وقع من قوله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - كما تقدم وكذا من دخل المسجد - كما عند ابن إسحاق - فإن ذلك لا يسمى صلحاً إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك الكف عن القتال، والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشاً لم يلتزموا ذلك لأنهم استعدوا للحرب. وإن كان مراده بالصلح وقوع عقده فهذا لم ينقل، ولا أظنه عنى إلا الاحتمال الأول وفيه ما ذكرته. انتهى[1].

[تتمة رواية ابن إسحاق]

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة في كتيبته الخضراء، وهو على ناقته القصواء بين أبي بكر وأسيد بن حضير، فرأى أبو سفيان ما لا قبل له به، فقال للعباس: يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال العباس: ويحك، إنه ليس بملك ولكنها نبوة، قال: نعم.

وروى أنه ﷺ وضع رأسه تواضعاً لله لما رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى إن رأسه لتكاد تمس رحله شكراً وخضوعاً لعظمته أن أحل له بلده ولم تحل لأحد قبله ولا لأحد بعده.

[قتل متعلقاً بأستار الكعبة]

وفي البخاري من حديث أنس أن النبي ﷺ دخل مكة يوم

---

(١) عن فتح الباري ١٢/٨.

الفتح وعلى رأسه المغفر ـ وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس، وفي المحكم: هو ما يجعل من فضل درع الحديد على الرأس مثل القلنسوة ـ فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله[1].

وفي حديث سعيد بن يربوع عند الدارقطني والحاكم: أن رسول الله ﷺ قال: أربعة لا أؤمنهم في حل ولا حرم: الحويرث وهلال بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن أبي سرح. قال: فأما هلال بن خطل فقتله الزبير. الحديث.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار والحاكم والبيهقي في الدلائل نحوه، لكن قال: أربعة نفر وامرأتان وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فذكره. لكن قال: عبد الله بن خطل بدل هلال، وقال عكرمة بدل الحويرث، ولم يسم المرأتين. وقال: فأما عبد الله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً، وكان أشب الرجلين فقتله. الحديث.

وروى ابن أبي شيبة من طريق أبي عثمان النهدي: أن أبا برزة الأسلمي قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة وإسناده صحيح مع إرساله.

ورواه أحمد من وجه آخر، وهو أصح ما ورد في تعيين قاتله، وبه جزم البلاذري وغيره من أهل الأخبار.

وتحمل بقية الروايات على أنهم ابتدروا قتله فكان المباشر له منهم

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٢٨٦.

أبو برزة، ويحتمل أن يكون غيره شاركه فيه، فقد جزم ابن هشام في السيرة: بأن سعيد بن حريث وأبا برزة الأسلمي اشتركا في قتله.

وإنما أمر بقتل ابن خطل، لأنه كان مسلماً فبعثه ﷺ مصدقاً، وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى/ يخدمه ـ وكان مسلماً ـ 1/81 ونزل منزلاً فأمر المولى أن يذبح تيساً ويضع له طعاماً ونام، فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدى عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ.

وأما الجمع بين ما اختلف فيه من اسمه، فإنه كان يسمى عبد العزى، فلما أسلم سمي عبد الله. وأما من قال: هلال، فالتبس عليه بأخ له اسمه هلال.

[نجاة ابن أبي سرح]

وفي رواية أبي داود من حديث مصعب: لما كان يوم الفتح أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر فذكرهم ثم قال: وأما ابن أبي سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، جاءبه حتى أوقفه على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: يا رسول الله ما ندري ما في نفسك، ألا أومات إلينا؟ فقال: إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين. الحديث[1].

---

(١) رواه أبو داود برقم ٢٦٨٣.

[هل يحرم لدخول مكة؟]

قال مالك - كما في رواية البخاري -: ولم يكن رسول الله ﷺ فيما نرى يومئذ محرماً. انتهى.

وقول مالك هذا رواه عبد الرحمن بن مهدي عن مالك جازماً به. أخرجه الدارقطني في الغرائب.

ويشهد له ما رواه مسلم من حديث جابر: دخل ﷺ يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام.

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن طاوس قال: لم يدخل النبي ﷺ مكة إلا محرماً إلا يوم الفتح.

وقد اختلف العلماء: هل يجب على من دخل مكة الإحرام أم لا؟

فالمشهور من مذهب الشافعي عدم الوجوب مطلقاً. وفي قول: يجب مطلقاً، وفيمن يتكرر دخوله خلاف مرتب، وهو أولى بعدم الوجوب.

والمشهور عن الأئمة الثلاثة: الوجوب. وفي رواية عن كل منهم: لا يجب، وجزم الحنابلة باستثناء ذوي الحاجات المتكررة، واستثنى الحنفية من كان داخل الميقات والله أعلم.

وقد زعم[1] الحاكم في الإكليل: أن بين حديث أنس في المغفر

---

(١) في ط: جزم.

وبين حديث جابر في العمامة السوداء معارضة.

وتعقبوه باحتمال أن يكون أول دخوله كان على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة بعد ذلك، فحكى كل منهما ما رآه.

ويؤيده: أن في حديث عمرو بن حريث أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء. أخرجه مسلم أيضاً. وكانت الخطبة عند باب الكعبة وذلك بعد تمام الدخول. وهذا الجمع للقاضي عياض.

وقال غيره: يجمع بأن العمامة السوداء كانت ملفوفة فوق المغفر، أو كانت تحت المغفر وقاية لرأسه من صدإ الحديد، فأراد أنس بذكر المغفر كونه دخل متأهباً للحرب، وأراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم.

[منزله ﷺ بمكة]

وفي البخاري: عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح: يا رسول الله، أين تنزل غداً، قال النبي ﷺ: وهل ترك لنا عقيل من منزل؟ وفي رواية: وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟

وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب، ولم يرث جعفر ولا علي شيئاً لأنهما كانا مسلمين، وكان عقيل وطالب كافرين. فكان عمر بن الخطاب يقول: لا يرث الكافر المؤمن ولا المؤمن الكافر.

وفي رواية أخرى له قال ﷺ منزلنا/ إن شاء الله - إذا فتح الله - الخيف، حيث تقاسموا على الكفر. يعني به المحصب، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب: أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ، كما تقدم. ٨١/ب

وفي رواية أخرى له: أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيت أم هانىء ثم صلى الضحى ثمان ركعات، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

[أجرنا من أجرت]

وأجارت أم هانىء حموين لها، فقال النبي ﷺ: قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء، والرجلان: الحارث بن هشام، وزهير بن أمية بن المغيرة، كما قاله ابن هشام، وقد كان أخوها علي بن أبي طالب أراد أن يقتلهما فأغلقت عليهما باب بيتها وذهبت إلى النبي ﷺ.

[اذهبوا فأنتم الطلقاء]

ولما كان الغد من يوم الفتح قام ﷺ خطيباً في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ومجده بما هو أهله ثم قال: أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، أو يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص فيها لقتال[1] رسول الله ﷺ فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أحلت لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب.

ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم؟

قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

أي: الذين أطلقوا، فلم يسترقوا ولم يؤسروا. والطليق: الأسير

---

(١) أي لأجل قتال.

إذا أطلق. والمراد بالساعة التي أحلت له ـ عليه السلام ـ ما بين أول النهار ودخول وقت العصر، كذا قاله في فتح الباري.

[شعر في فتح مكة]

ولقد أجاد العلامة أبو محمد الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة:

ويوم مكة إذ أشرفتَ في أمم ... تضيق عنها فجاج الوعث والسهل

خوافق ضاق ذرع الخافقين[1] بها ... في قاتم[2] من عجاج الخيل والإبل

وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب ... عرمرم كزهاء الليل[3] منسحل

وأنت صلى عليك الله تقدمهم ... في بهو إشراق نور منك مكتمل

ينير فوق أغر الوجه منتجب ... متوج بعزيز النصر مقتبل

يسمو أمام جنود الله مرتدياً ... ثوب الوقار لأمر الله ممتثل

خشعت تحت بهاء العز حين سمت ... بك المهابة فعل الخاضع الوجل

وقد تباشر أملاك السماء بما ... ملكت إذ نلت منه غاية الأمل

والأرض ترجف من زهو ومن فرق ... والجو يزهر إشراقاً من الجذل

والخيل تختال زهواً في أعنتها ... والعيس تنثال رهواً في ثنى الجدل

لولا الذي خطت الأقلام من قدر ... وسابق من قضاء غير ذي حول

أهل ثهلان بالتهليل من طرب ... وذاب يذبل تهليلاً من الذبل

الملك لله هذا عز من عقدت ... له النبوة فوق العرش في الأزل

شعبت صدع قريش بعد ما قذفت ... بهم شعوب شعاب السهل والقلل/ ١/٨٢

(١) في ط: الخائفين.

(٢) في (ا، ب، د) قايم.

(٣) في ش السيل.

قالوا محمد قد زادت كتائبه ... كالأسد تزأر في أنيابها العصل

فويل مكة من آثار وطأته ... وويل أم قريش من جوى الهبل

فجدت عفواً بفضل العفو منك ولم ... تلمم ولا بأليم اللوم والعذل

أضربت بالصفح صفحاً عن غوائلهم[1] ... طولاً أطال مقيل النوم في المقل

رحمت واشج أرحام أتيح لها ... تحت الوشيج نشيج الروع والوجل

عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف ... مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل

أزكى الخليقة أخلاقاً وأطهرها ... وأكرم الناس صفحاً عن ذوي الزلل

وطفت بالبيت محبوراً وطاف به ... من كان عنه قبيل الفتح في شغل

[شرح كلمات القصيدة]

والجحفل: الجيش العظيم.

وقذف الأرجاء: أي متباعدها.

واللجب: بالجيم المفتوحة: الضجة من كثرة الأصوات.

والعرمرم: الضخم الكثير العدد.

وقوله: كزهاء الليل: شبهه بالليل في سده الأفق، واسوداده بالسلاح.

والمنسحل: ـ بالحاء المهملة ـ الماضي في سيره يتبع بعضه بعضاً.

وقوله: في بهو إشراق: شبه النور الذي يغشاه ـ عليه السلام ـ ببهو أحاط به.

والبهو: البناء العالي كالإيوان ونحوه.

---

(١) في (ب، ش) طوائلهم وهي جمع طائلة أي عداوة ونتائجها الجنايات الصادرة منهم.

والمنتجب: المتخير من أصل نجيب، أي كريم.

والمقتبل: المستقبل الخير.

وترتجف: تهتز.

والزهو: الخفة من الطرب، يعني: أن الأرض اهتزت فرحاً بهذا الجيش، وفرقاً من صولته، أي كادت تهتز، قال تعالى: **﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾** أي كادت تبلغ.

والجدل: جمع جديل، وهو الزمام المضفور.

وثني الجدل: ما انثنى على أعناق الإبل، أي انعطف.

وثهلان: اسم جبل معروف.

وأهل: رفع صوته.

ويذبل: اسم جبل أيضاً.

والذبل: الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت ويبست.

وتهليلاً: أي صياحاً، جبناً وفزعاً. يعني: لولا ما سبق من تقدير الله أن الجبال لا تنطق لرفع ثهلان صوته وهلل الله من الطرب، ولذاب يذبل من الجزع والفرق.

وقوله: شعبت أي جمعت وأصلحت.

وقذفت بهم: أي فرقت بهم مخافة شعوب.

وشعوب: اسم للمنية لأنها تفرق الجماعات، من شعبت أي فرقت، وهو من الأضداد.

والشعاب: الطرق في الجبال.

والسهل: خلاف الجبل.

والقلل: رؤوس الجبال. يعني أنه ﷺ عفا عنهم بعدما تصدعوا، أي تفرقوا وهربوا من خوفه إلى كل سهل وجبل.

وقوله: كالأسد تزأر في أنيابها العصل: أي المعوجة. والله أعلم.

[المحيا محياكم]

ولما فتح الله مكة على رسوله ﷺ قال الأنصار فيما بينهم: أترون أن رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها؟

وكان ﷺ يدعو على الصفا رافعاً يديه، فلما فرغ من دعائه قال: ماذا قلتم؟ قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتى أخبروه، فقال ﷺ: معاذ الله، المحيا محياكم والممات مماتكم.

[محاولة قتل]

وهم فضالة بن عمير أن يقتل رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ: أفضالة، قال: نعم يا رسول الله، قال: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال: لا شيء، كنت أذكر الله، فضحك ﷺ ثم قال: استغفر الله، ثم وضع يده على صدره، فسكن قلبه، وكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلي منه.

[إزالة الأصنام]

وطاف ﷺ يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وكان حول البيت ثلاثمائة وستون / صنما، فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب وهو يقول: جاء الحق وزهق الباطل. إن الباطل كان زهوقا، فيقع الصنم لوجهه. رواه البهيقي. ٨٢/ب

وفي رواية أبي نعيم: قد ألزقها الشياطين بالرصاص والنحاس.

وفي تفسير العلامة ابن النقيب[1] المقدسي: إن الله تعالى لما أعلمه ﷺ بأنه قد أنجز له وعده بالنصر على أعدائه، وفتح مكة وإعلاء كلمة دينه، أمره إذ دخل مكة أن يقول: وقل جاء الحق وزهق الباطل، فصار ﷺ يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنة ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فيخر الصنم ساقطا، مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص، وكانت ثلاثمائة وستين صنما بعدد أيام السنة.

قال: وفي معنى الحق والباطل لعلماء التفسير أقوال:

قال قتادة: جاء القرآن وذهب الشيطان. وقال ابن جريج: جاء الجهاد وذهب الشرك، وقال مقاتل: جاء عبادة الله وذهبت عبادة الشيطان.

وقال ابن عباس: وجد ﷺ يوم الفتح حول البيت ثلاثمائة وستين صنما، كانت لقبائل العرب يحجون إليها، ويخرون لها، فشكا البيت إلى الله تعالى فقال: أي رب، حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله تعالى إليه إني سأحدث لك نوبة جديدة، يدفون إليك دفيف النسور، ويحنون إليك حنين الطير إلى بيضها، لهم عجيج حولك بالتلبية. قال: ولما نزلت الآية يوم الفتح قال جبريل عليه الصلاة والسلام لرسول الله ﷺ: خذ مخصرتك[2] ثم ألقها[3]، فجعل يأتي صنماً صنماً ويطعن في عينه أو بطنه بمخصرته ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا. وبقي

(١) محمد بن سليمان بن حسن البلخي. الإمام المفسر، صنف تفسيرا كبيرا إلى الغاية. وكان عابدا زاهدا مات بالقدس سنة ثمان وتسعين وستمائة.

(٢) المراد المحجن أو القضيب.

(٣) أي الأصنام.

صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر. فقال يا علي: ارم به، فحمله عليه السلام حتى صعد ورمى به وكسره[1]. فجعل أهل مكة يتعجبون. انتهى[2].

وعن ابن عباس قال: لما قدم ﷺ أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت، فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام، يعني: القداح التي كانوا يستقسمون بها، فقال رسول الله ﷺ: قاتلهم الله، أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط. فدخل البيت وكبر في نواحيه ولم يصل. رواه الترمذي[3].

[مفتاح الكعبة]

وعن ابن عمر قال: أقبل رسول الله ﷺ عام الفتح على ناقته القصواء، وهو مردف أسامة حتى أناخ بفناء الكعبة، ثم دعا عثمان بن طلحة فقال: ائتني بالمفتاح، فذهب إلى أمه فأبت أن تعطيه فقال: والله لتعطينه، أو ليخرجن هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه، فجاء به النبي ﷺ فدفعه إليه، ففتح الباب رواه مسلم.

وروى الفاكهي من طريق ضعيفة، عن ابن عمر أيضا قال: كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح باب الكعبة غيرهم، فأخذ رسول الله ﷺ المفتاح ففتحها بيده.

وعثمان المذكور: هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد

---

(١) قال في «أسنى المطالب»: صعود علي على ظهر النبي ﷺ لأجل رمي الأصنام من فوقها خبر لم يثبت. [م].

(٢) أي كلام ابن النقيب.

(٣) هو في البخاري برقم ٤٢٨٨.

العزى، ويقال له: الحجبي، بفتح المهملة والجيم، ويعرفون الآن بالشيبيين، نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان، وعثمان هذا لا ولد له وله صحبة ورواية.

واسم أم عثمان: سلافة ـ بضم السين المهملة والتخفيف والفاء ـ.

وفي الطبقات لابن سعد: عن عثمان بن طلحة قال: كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الإثنين والخميس. فأقبل النبي ﷺ يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس، فأغلظت له ونلت / منه، فحلم عني ثم قال: يا عثمان، لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت، فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت، قال: بل عمرت وعزت يومئذ، ودخل الكعبة، فوقعت كلمته مني موقعا ظننت يومئذ أن الأمر سيصير إلى ما قال. فلما كان يوم الفتح قال: يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به فأخذه مني، ثم دفعه إلي وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف. قال: فلما وليت ناداني، فرجعت إليه فقال: ألم يكن الذي قلت لك؟! قال: فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة: لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت. قلت: بلى أشهد أنك رسول الله.

١/٨٣

وفي التفسير[١]: أن هذه الآية ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾ نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي. أمره ﷺ أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه، وأغلق باب البيت وصعد إلى السطح وقال: لو

(١) للثعالبي بدون سند.

علمت أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب، فدخل ﷺ البيت، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله هذه الآية. وأمر ﷺ عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي، فقال: أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق؟! فقال علي: لقد أنزل الله في شأنك قرآنا، وقرأ عليه الآية. فقال عثمان: أشهد أن محمدا رسول الله. فجاء جبريل عليه السلام فقال: ما دام هذا البيت أو لبنة من لبناته قائمة، فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان. فكان المفتاح معه، فلما مات دفعه إلى أخيه شيبة، فالمفتاح والسدانة في أولاده[1]! إلي يوم القيامة [2].

قال ابن ظفر في «ينبوع الحياة»: قوله: «لو أعلم أنه رسول الله لم أمنعه» هذا وهم، لأنه كان ممن أسلم. فلو قال هذا كان مرتدا.

وعن الكلبي: لما طلب ﷺ المفتاح من عثمان مديده إليه، فقال العباس: يا رسول الله اجعلها مع السقاية، فقبض عثمان يده بالمفتاح، فقال: هاكه بالأمانة، فأعطاه إياه ونزلت الآية. قال ابن ظفر: وهذا أولى بالقول.

[الصلاة في الكعبة]

وفي رواية لمسلم: دخل ﷺ هو وأسامة بن زيد وبلال وعثمان ابن طلحة الحجبي فأغلقوا عليهم الباب. قال ابن عمر فلما فتحوا كنت أول من ولج، فلقيت بلالاً فسألته: هل صلى فيه رسول الله

(١) كذا في ش، وفي بقية النسخ: أولادهم.
(٢) هذا الحديث منكر من جهات عديدة.

ﷺ؟ قال: نعم، بين العمودين اليمانيين، وذهب عني أسأله: كم صلى.

وفي إحدى روايات البخاري: جعل عمودا عن يساره وعمودا عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه.

وليس بين الروايتين مخالفة، لكن قوله في الرواية الأخرى: وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة مشكل، لأنه يشعر بكون ما عن يمينه أو يساره كان اثنين، ولهذا عقبه البخاري برواية إسماعيل بن أبي أويس التي قال فيها: عمودين عن يمينه.

ويمكن الجمع بين الروايتين بأنه: حيث ثنى أشار إلى ما كان عليه البيت في زمنه ﷺ، وحيث أفرد أشار إلى ما صار إليه بعد ذلك، ويرشد إليه قوله: وكان البيت يومئذ. لأن فيه إشعارا بأنه تغير عن هيئته الأولى.

ويحتمل أن / يقال: لم تكن الأعمدة الثلاثة على سمت واحد، بل اثنان على سمت والثالث على غير سمتهما، ولفظ «المتقدمين» في إحدى روايات البخاري مشعر به ٨٣/

وفي رواية لمسلم: جعل عمودين عن يساره وعمودا عن يمينه، عكس رواية إسماعيل، وكذلك قال الشافعي، وبشر بن عمر[1] في إحدى الروايتين عنهما

وقد جمع بعض المتأخرين بين هاتين الروايتين باحتمال تعدد الواقعة، وهو بعيد لاتحاد مخرج الحديث.

---

(١) كذا في (ط، ش) كما هو في فتح الباري، وفي (أ، ب، د) عمرو .

وجزم البيهقي بترجيح رواية إسماعيل، ووافقه عليها ابن القاسم[1] والقعنبي[2] وأبو مصعب[3] ومحمد بن الحسن[4] وأبو حذافة[5] وكذلك الشافعي وابن مهدي[6] في إحدى الروايتين عنهما. انتهى ملخصا من فتح الباري[7].

وقد بين موسى بن عقبة في روايته عن نافع أن بين موقفه ﷺ وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع، وجزم برفع هذه الزيادة مالك عن نافع فيما أخرجه الدارقطني في الغرائب. ولفظه: وصلى وبينه وبين القبلة ثلاثة أذرع.

وفي كتاب مكة للأزرقي، والفاكهي: أن معاوية سأل ابن عمر: أين صلى رسول الله ﷺ، فقال: اجعل بينك وبين الجدار ذراعين أو ثلاثة، فعلى هذا ينبغي لمن أراد الاتباع في ذلك أن يجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع، فإنه تقع قدماه في مكان قدميه ﷺ إن كانت ثلاثة

---

(١) عبد الرحمن بن القاسم، الثقة الفقيه المشهور.

(٢) عبد الله بن مسلمة القعنبي، الثقة العابد كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحدا مات بمكة سنة إحدى وعشرين ومائتين.

(٣) أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن ابن عوف. الحافظ الصدوق الفقيه مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

(٤) محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، كان من بحور العلم مات سنة تسع وثمانين ومائة.

(٥) أبو حذافة: أحمد بن إسماعيل السهمي. مات سنة تسع وخمسين ومائتين.

(٦) عبد الرحمن بن مهدي بن حبان، الحافظ. مات بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة.

(٧) فتح الباري: ١/٥٧٩.

سواء، أو تقع ركبتاه أو يداه أو وجهه إن كان أقل من ثلاثة أذرع والله أعلم.

وفي رواية عن ابن عباس قال: أخبرني أسامة أنه ﷺ لما دخل البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج، فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين وقال: هذه القبلة رواه مسلم.

والجمع بينه وبين حديث ابن عمر، أن أسامة أخبره أن النبي ﷺ صلى في الكعبة كما رواه أحمد والطبراني: بأن أسامة حيث أثبتها اعتمد في ذلك على غيره وحيث نفاها أراد ما في علمه لكونه لم يره حين صلى، ويكون ابن عمر ابتدأ بلالا بالسؤال ثم أراد زيادة الاستثبات في مكان الصلاة، فسأل أسامة أيضا.

قال النووي: وقد أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال لأنه مثبت فمعه زيادة علم، فوجب ترجيحه. قال: وأما نفي أسامة فيشبه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء، فرأى أسامة النبي ﷺ يدعو ثم اشتغل أسامة في ناحية من نواحي البيت والنبي ﷺ في ناحية أخرى، وبلال قريب منه، ثم صلى النبي ﷺ فرآه بلال لقربه منه ولم يره أسامة لبعده واشتغاله [بالدعاء][1]، وكانت صلاته ـ عليه السلام ـ خفيفة فلم يرها أسامة لإغلاق الباب مع بعده واشتغاله بالدعاء، وجاز له نفيها عملا بظنه، وأما بلال فتحققها وأخبر بها. انتهى.

وتعقبوه بما يطول ذكره. وأقرب ما قيل في الجمع: أنه ﷺ صلى في الكعبة لما غاب عنه أسامة من الكعبة لأمر ندبه إليه، وهو أن يأتي

---

(١) في (ش، ب، د).

بماء يمحو به الصور التي كانت في الكعبة، فأثبت الصلاة بلال لرؤيته لها ونفاها أسامة لعدم رؤيته، ويؤيده ما رواه أبو داود الطيالسي عن أسامة بن زيد قال: دخلت على رسول الله ﷺ في الكعبة، ورأى صورا فدعا بدلو من ماء، فأتيته به فجعل ﷺ يمحوها ويقول: قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون ورجاله ثقات.

وأفاد الأزرقي - في تاريخ مكة - أن خالد بن الوليد كان على باب الكعبة يذب عنه ﷺ الناس.

[مدة إقامته ﷺ بمكة]

١/٨٤ وفي البخاري: / أنه ﷺ أقام خمس عشرة ليلة[١]، وفي رواية: تسع عشرة[٢]. وفي رواية أبي داود: سبع عشرة.

وعند الترمذي: ثمان عشرة.

وفي الإكليل: أصحها بضع عشرة يقصر الصلاة[٣].

وقال الفاسي[٤] في تاريخ مكة[٥]: وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان.

---

(١) هذا غلط، فإنما وقع هذا في رواية لأبي داود وضعفها النووي.

(٢) رواه البخاري برقم ٤٢٩٨ و٤٢٩٩.

(٣) لعله أراد صدقها من حيث الجمع بين الروايات وإلا فأصحها إسنادا رواية البخاري.

(٤) تقي الدين، محمد بن أحمد بن علي المكي الشريف، القاضي الحافظ، ولد سنة خمس وسبعين وسبعمائة، ورحل ودرس وأفتى وصنف. مات سنة ثنتين وثلاثين وثمانمائة.

(٥) المسمى شفاء الغرام.

[سرايا بين الفتح وحنين]

[هدم العزى]

ثم سرية خالد بن الوليد عقب فتح مكة إلى العزى بنخلة، وكانت لقريش وجميع بني كنانة، وكانت أعظم أصنامهم. لخمس ليال بقين من رمضان، سنة ثمان، ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها، فلما انتهوا إليها هدمها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ بمكة فأخبره. فقال: هل رأيت شيئا؟ قال: لا، قال فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها، فرجع فجرد سيفه فخرجت إليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس، فجعل السادن يصيح بها، فضربها خالد فجز لها[1] اثنتين، ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: نعم، تلك العزى، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا.

[هدم سواع]

ثم سرية عمرو بن العاصي إلى سواع صنم هذيل على ثلاثة أميال من مكة. في شهر رمضان سنة ثمان ـ حين فتح مكة ـ.

قال عمرو: فانتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ فقلت أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك. قلت: لم؟ قال: تمنع، فقلت: ويحك، وهل يسمع أو يبصر؟ قال: فدنوت منه

---

(١) جزلها: أي قطعها.

فكسرته ثم قلت للسادن كيف رأيت؟ قال: أسلمت لله.

[هدم مناة]

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة، صنم للأوس والخزرج بالمشلل، في شهر رمضان، حين فتح مكة، فخرج في عشرين فارسا حتى انتهى إليها، قال السادن: ما تريد؟ قال: هدم مناة، قال: أنت وذاك.

فأقبل سعد يمشي إليها، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها، فضربها سعد بن زيد فقتلها، وأقبل[1] إلى الصنم ومعه أصحابه فهدموه وانصرف راجعا إلى النبي ﷺ وكان ذلك لست بقين من رمضان.

[سرية خالد إلى بني جذيمة]

ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، قبيلة من عبد القيس، أسفل مكة على ليلة بناحية يلملم، في شوال سنة ثمان. وهو يوم الغميصاء.

بعثه ﷺ لما رجع من هدم العزى، وهو ﷺ مقيم بمكة، وبعث معه ثلاثمائة وخمسين رجلا، داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا، فلما انتهى إليهم قال: ما أنتم قالوا: مسلمين[2] قد صلينا وصدقنا بمحمد، وبنينا المساجد في ساحاتنا.

وفي البخاري: لم يحسنوا أن يقولوا ذلك فقالوا صبأنا.

---

(١) كذا في ش، وفي (أ، ب، د) انفتل، وفي ط انفلت.

(٢) النصب بتقدير جار. أي من قوم مسلمين. كذا الرواية في ابن سعد، وفي الشامي: مسلمون.

فقال لهم: استأسروا فاستأسر القوم، فأمر بعضهم فكتف بعضا، وفرقهم في أصحابه، فلما كان السحر، نادى منادي خالد: من كان معه أسير فليقتله، فقتلت بنو سليم من كان بأيديهم، وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم.

فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: اللهم إني أبرأ إليك من فعل خالد. وبعث عليا فودى قتلاهم.

قال الخطابي: يحتمل أن يكون نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام، لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين، فقتلهم متأولا، وأنكر ﷺ العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا.

[غزوة حنين]

ثم غـزا ﷺ حنينا ـ بالتصغير ـ وهـو واد قـرب ذي المجـاز، ٨٤/ب / وقيل: ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال، قرب الطائف، وتسمى غزوة هوزان.

[أسبابها ومقدماتها]

وذلك أن النبي ﷺ لما فرغ من فتح مكة وتمهيدها، وأسلم عامة أهلهـا مشت أشراف هـوزان وثقيف بعضهم إلى بعض، وحشـدوا وقصدوا محاربة المسلمين، وكان رئيسهم مالك بن عوف النصري[1].

فخرج إليهم رسول الله ﷺ من مكة يوم السبت لست ليـال خلون من شوال، في اثني عشر ألفا من المسلمين. عشرة آلاف من أهل المدينة وألفان ممن أسلم من أهل مكة. وهم الـطلقاء، يعني: الذين خلى عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم، واحدهم طليق ـ فعيل بمعنى مفعول ـ وهو الأسير إذا أطلق سبيله.

واستعمل ﷺ على مكة عتاب بن أسيد.

وخرج معه ﷺ ثمانون من المشركين، منهم صفوان بن أمية،

(١) بالصاد المهملة نسبة إلى جدة الأعلى: نصر، وقد جاء في النسخ بالضاد المعجمة وهو غلط.

وكان ﷺ استعار منه مائة درع بأداتها[1]، فوصل إلى حنين ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال.

فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم من الرعب.

ووجه رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، فدخل عسكرهم، فطاف به وجاء بخبرهم.

وفي حديث سهل بن الحنظلية - عند أبي داود بإسناد حسن - أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ فأطنبوا السير، فجاء رجل فقال: إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم، بظعنهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم النبي ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غدا، إن شاء الله تعالى..

وقوله عن بكرة أبيهم: كلمة للعرب، يريدون بها الكثرة وتوفر العدد، وليس هناك بكرة في الحقيقة، وهي التي يستقى عليها الماء، فاستعيرت هنا.

وقوله: بظعنهم: أي نسائهم، واحدتها ظعينة، وأصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها، أي يسار، وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها حيثما ظعن، ولأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل الظعينة: المرأة في الهودج، ثم قيل للمرأة بلا هودج، وللهودج بلا امرأة ظعينة. انتهى.

[المعركة]

وروى يونس بن بكير، في زيادة المغازي عن الربيع قال: قال

(١) الأنسب قول غيره: بآلاتها أي التروس والخوذ.

رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ﷺ.

ثم ركب ﷺ بغلته البيضاء «دلدل» ولبس درعين والمغفر والبيضة. فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة، وذلك في غبش الصبح، وخرجت الكتائب من مضيق الوادي، فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة والناس.

ولم يثبت معه ﷺ يومئذ إلا العباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد، في أناس من أهل بيته وأصحابه.

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو، لأنه ﷺ كان يتقدم في نحر العدو، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وجعل عليه السلام يقول للعباس: ناد يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة - يعني شجرة بيعة الرضوان - التي بايعوه تحتها، أن لا يفروا عنه.

١/٨٥ فجعل ينادي تارة / يا أصحاب السمرة، وتارة: يا أصحاب سورة البقرة - وكان العباس رجلا صيتا - فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها.

وفي رواية لمسلم: قال العباس: فوالله لكأن عطفتهم - حين سمعوا صوتي - عطفة البقر على أولادها. يقولون: يا لبيك، يا لبيك. فتراجعوا إلى رسول الله ﷺ، حتى أن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع انحدر عنه وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ.

فأمرهم ﷺ أن يصدقوا الحملة، فاقتتلوا مع الكفار، فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال: الآن حمي الوطيس، وهو التنور يخبز فيه، يضرب مثلا لشدة الحرب الذي يشبه حرها حره. وهذه من فصيح الكلام الذي لم يسمع من أحد قبل النبي ﷺ.

وتناول ﷺ حصيات من الأرض ثم قال: شاهت الوجوه ـ أي قبحت ـ ورمى بها في وجوه المشركين، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه من تلك القبضة.

وفي رواية لمسلم: قبضة من تراب الأرض. فيحتمل أنه رمى بذا مرة وبذا مرة أخرى. ويحتمل أن يكون أخذ قبضة واحدة مخلوطة من حصى وتراب.

ولأحمد وأبي داود والدرامي، من حديث أبي عبد الرحمن الفهري في قصة حنين قال: فولى المسلمون مدبرين كما قال الله تعالى، فقال رسول الله ﷺ: أنا عبد الله ورسوله، ثم اقتحم عن فرسه، فأخذ كفا من تراب. قال: فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني أنه ضرب وجوههم وقال: شاهت الوجوه فهزمهم الله. قال يعلى بن عطاء راويه عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن الفهري فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست الجديد ـ بالجيم ـ

قال في النهاية: وصف الطست وهي مؤنثة بالجديد وهو مذكر، إما لأن تأنيثها غير حقيقي فأوله على الإناء والظرف، أو لأن فعيلا يوصف به المؤنث بلا علامة تأنيث كما يوصف به المذكر، نحو امرأة قتيل. انتهى

ولأحمد والحاكم من حديث ابن مسعود: فحادت به ﷺ بغلته،

فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله، فقال: ناولني كفا من تراب، فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا، وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بإيمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الأدبار.

وروى أبو جعفر بن جرير بسنده عن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله ﷺ يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء، فإذا هو رسول الله ﷺ. قال: فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا: شاهت الوجوه ارجعوا. قال: فانهزمنا وركبوا أكتافنا.

وفي سيرة الدمياطي: كان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين أكتافهم.

وفي حديث جبير بن مطعم: نظرت والناس يقتتلون يوم حنين إلى مثل البجاد الأسود يهوي من السماء.

والبجاد: بالموحدة والجيم آخره دال مهملة: الكساء، وجمعه: بجد، أراد الملائكة الذين أيدهم الله بهم، قاله ابن الأثير.

وفي البخاري: عن البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: / : لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة، وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم[1] فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته

٨٥/ب

(١) كذا في ش وفي البخاري، وفي النسخ: المغانم

البيضاء وإن إبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، وهو يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب[1].

[لم ينهزم ﷺ]

وهذا فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، بل أنا متيقّن أن الذي وعدني الله به من النصر حق، فلا يجوز علي الفرار.

وأما ما في مسلم عن سلمة بن الأكوع[2] من قوله: «فأرجع منهزما» إلى قوله: «مررت على رسول الله ﷺ منهزما فقال: لقد رأى ابن الأكوع فزعا» فقال العلماء: قوله منهزما حال من ابن الأكوع - لا من رسول الله ﷺ[3] - كما صرح أولا بانهزامه، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم، وقد قالت الصحابة كلهم: إنه عليه السلام ما انهزم ولم ينقل أحد قط أنه انهزم في موطن من المواطن. وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ، ولا يجوز ذلك عليه، بل كان العباس وأبو سفيان بن الحارث آخذين ببغلته يكفانها عن إسراع التقدم إلى العدو.

وقد تقدم في غزوة أحد ما نسب لابن المرابط، من المالكية، مما حكاه القاضي عياض في الشفاء: أن من قال إن النبي ﷺ هزم يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وأن العلامة البساطي تعقبه بما لفظه:

(١) رواه البخاري برقم ٤٣١٧ و٤٣١٦ .
(٢) الحديث رقم ١٧٧٧ عند مسلم .
(٣) هذه الجملة في ش .

هذا القائل إن كان يخالف في أصل المسألة يعني: حكم الساب، فله وجه، وإن وافق على أن الساب لا تقبل توبته فمشكل. انتهى.

[البغال لا تـركب للقتال عـادة]

قال بعضهم: وقد كان ركوبه ﷺ البغلة في هذا المحل الذي هو موضع الحرب والطعن والضرب تحقيقا لنبوته، لما كان الله تعالى خصه به من مزيد الشجاعة وتمام النبـوة، وإلا فالبغـال عادة من مـراكب الطمأنينة، ولا يصلح لمواطن الحرب في العادة إلا الخيل فبين ﷺ أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة وتوكـلا على الله تعالى، وقد ركبت الملائكة في الحرب معه ﷺ على الخيل لا غير لأنها بصدد ذلك عرفا دون غيرها من المركوبات، ولهذا لا يسهم في الحرب إلا للخيل، والسر في ذلك أنها المخلوقة للكر والفر بخلاف البغـال والإبل. انتهى.

[الذين ثبتوا يوم حنين]

وعند ابن أبي شيبة، من مرسل الحكم بن عتيبة: لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا أربعة نفر، ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر[1]، وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل

وفي الترمذي بإسناد حسن من حديث ابن عمر: لقد رأيتنا يوم حنين، وإن الناس لمولون، ومامع رسول الله ﷺ مائة رجل.

وفي شرح مسلم للنووي: أنه ثبت معه ﷺ اثنا عشر رجلا، وكأنه أخذه من قول ابن إسحاق.

(١) لفظ الأيسر في (ش)، وهو في المرسل كما في الفتح وغيره. وفي (د): الأخر

ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك لقوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنه فاقشعوا
وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما مسَّه في الله لا يتوجع

وقد قال الطبري: الانهزام المنهي عنه هو ما وقع على غير نية العود، وأما الاستطراد للكثرة فهو كالتحيز إلى فئة. انتهى.

[أنا النبي لا كذب]

وأما قوله ﷺ: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، / ١/٨٦ فقد قال العلماء: إنه ليس بشعر، لأن الشاعر إنما سمي شاعراً لوجوه، منها: أنه شعر القول وقصده واهتدى إليه، وأتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى، فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعرا، ولا يكون قائله شاعرا. والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر، ولا أراده، فلا يعد شعرا، وإن كان موزونا.

وأما قوله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب، ولم يقل: ابن عبد الله، فأجيب: بأن شهرته بجده كانت أكثر من شهرته بأبيه، لأن أباه توفي في حياة أبيه عبد المطلب قبل مولده ﷺ، وكان عبد المطلب مشهورا شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وكان كثير من الناس يدعو النبي ﷺ ابن عبد المطلب ينسبونه إلى جده لشهرته، ومنه حديث ضمام بن ثعلبة في قوله: أيكم ابن عبد المطلب. وقيل غير هذا.

[أبو طلحة]

وأمر ﷺ أن يقتل من قدر عليه، وأفضى المسلمون في القتل إلى الذرية، فنهاهم ﷺ عن ذلك.

وقال: من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه. واستلب أبو طلحة وحده ذلك اليوم عشرين رجلا.

[من حكمة يوم حنين]

وقال ابن القيم في الهدي النبوي: كان الله تعالى وعد رسوله أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجا، ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين اقتضت حكمته أن أمسك قلوب هوزان ومن تبعها عن الإسلام، وأن يجمعوا ويتألبوا لحربه ﷺ، ليظهر أمره تعالى، وتمام إعزازه لرسوله ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكرانا لأهل الفتح، وليظهر الله تعالى رسوله وعباده، وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلق المسلمون قبلها مثلها، ولا يقاومهم بعد أحد من العرب، فاقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم، ليطامن رؤوسا رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخل عليه الصلاة والسلام واضعا رأسه منحنيا على مركوبه تواضعا لربه، وخضوعا لعظمته أن أحل له بلده، ولم يحله لأحد قبله ولا لأحد بعده، وليبين سبحانه لمن قال: لن نغلب اليوم من قلة، أن النصر إنما هو من عنده تعالى، وأنه من ينصره فلا غالب له ومن يخذ له فلا ناصر له، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر رسوله ودينه، لاكثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئا فوليتم مدبرين، فلما انكسرت قلوبهم ارسلت خلع الجبر مع بريد: أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها. وقد اقتضت حكمته تعالى: أن خلع النصر وجوائزه إنما تفاض على أهل الانكسار، ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض.

قال: وبهاتين الغزوتين ـ أعني حنينا وبدرا ـ **قاتلت الملائكة** بأنفسها مع المسلمين، ورمى رسول الله ﷺ وجوه المشركين بالحصباء فيهما. [وبهاتين الغزاتين طفئت جمرة العرب لغزو رسول الله ﷺ][1] انتهى.

[نهاية غزوة حنين]

وأمر ﷺ بطلب العدو، فانتهى بعضهم إلى الطائف، وبعضهم نحو نخلة، وقوم منهم إلى أوطاس.

واستشهد من المسلمين أربعة: منهم أيمن ابن أم أيمن.

وقتل من المشركين أكثر من سبعين قتيلا.

[سرية أوطاس]

ثم سرية أبي عامر الأشعري، وهو عم أبي موسى الأشعري، وقال ابن إسحاق: ابن عمه والأول أشهر.

بعثه ﷺ حين فرغ من حنين، في طلب الفارين من / ٨٦/ر هوازن يوم حنين إلى أوطاس ـ وهو واد في ديار هوازن ـ وكان معه سلمة بن الأكوع، فانتهى إليهم، فإذاهم ممتنعون[2] فقتل منهم أبو عامر تسعة أخوة مبارزة بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام، ويقول: اللهم اشهد عليه، ثم برز له العاشر فدعاه إلى الإسلام وقال اللهم اشهد عليه، فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر

(١) زيادة في ش وهي تتمة كلام ابن القيم في الهدي النبوي.

(٢) في (ط): متمنعون، وفي (ش): مجتمعون.

فأفلت. ثم أسلم بعد فحسن إسلامه فكان رسول الله ﷺ إذا رآه قال: هذا شريد أبي عامر.

ورمى أبا عامر ابنا الحارث ـ العلاء وأوفى ـ فقتلاه، فخلفه أبو موسى الأشعري فقاتلهم حتى فتح الله عليه.

وكان في السبي الشيماء ـ أخته عليه الصلاة والسلام من الرضاعة ـ.

وقتل قاتل أبي عامر. فقال ﷺ: اللهم اغفر لأبي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة [1].

وفي رواية البخاري قال ـ يعني أبا عامر لأبي موسى الأشعري، لما رمي بالسهم ـ: يا ابن أخي: أقرىء النبي ﷺ السلام، وقل له: يستغفر لي ثم مات. فرجعت[2] فدخلت على النبي ﷺ فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه وقال: اللهم اغفر لعبيدك أبي عامر ـ ورأيت بياض إبطيه ـ ثم قال: اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير[3] من خلقك. . . فقلت: ولي. . . فقال: اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما. قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر والأخرى لأبي موسى[4].

---

(١) ذكره ابن سعد.
(٢) كذا في (ب، ش) وفي البخاري. وفي النسخ: ورجعت.
(٣) كذا في (ب، ش) وفي البخاري. وفي النسخ: كثيرين.
(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٢٣.

[سرية حرق ذي الكفين]

ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي إلى ذي الكفين، صنم من خشب، كان لعمرو بن حممة، في شوال ـ لما أراد ﷺ السير إلى الطائف ـ ليهدمه ويوافيه بالطائف.

فخرج سريعا فهدمه وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أقدم من ميلادكا

إني حشوت [1]النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا، فوافوا النبي ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام. وعند مغلطاي: وقدم معه أربعة مسلمون.

(١) في (ب): حشيت، وفي (ط، د): حششت.

غزوة الطائف

ثم غزوة الطائف، وهي بلد كبير، على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة، من جهة المشرق، كثيرة الأعناب والفواكه. وقيل: إن أصلها أن جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم، فسار بها إلى مكة، فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف، فسمي الموضع بها. وكانت أولا بنواحي صنعاء. واسم الأرض: وج، بتشديد الجيم المضمومة.

[المسير إليها]

وسار إليها النبي ﷺ في شوال سنة ثمان، حين خرج من حنين.

وحبس الغنائم بالجعرانة.

وقدم خالد بن الوليد على مقدمته، وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم لسنة. وتهيؤوا للقتال.

وسار ﷺ فمر بطريقه بقبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف ـ فيما يقال ـ فاستخرج منه غصنا من ذهب.

ونزل قريبا من الحصن وعسكر هناك. فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا، كأنه رجل جراد، حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة وقتل منهم اثنا عشر رجلا منهم: عبد الله بن أبي أمية. ورمي عبد الله

ابن أبي بكر الصديق يومئذ بجرح فاندمل ثم نقض بعد ذلك فمات منه في خلافة أبيه.

[حصـارها]

وارتفع ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم، وكـان معه من نسائه أم سلمة وزينب، فضرب لهما قبتين، وكان يصلي بين القبتين حصار الطائف كله[1].

1/87 فحاصرهم ثمانية. عشر يوما، ويقال / : خمسة عشر يوما. ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسي معه لما رجع من سرية ذي الكفين، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتل منهم رجال، فأمر ﷺ بقـطع أعنابهم وتحـريقها. فقطع المسلمون قطعا ذريعا، ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال ﷺ إني أدعها لله وللرحم.

[عتقـاء الله]

ثم نادى مناديه ﷺ: أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر.

قال الدمياطي: فخرج منهم بضعة عشر رجلا فيهم أبو بكرة، وعند مغلطاي: ثلاثة وعشرون عبدا.

وفي البخاري عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت سعـدا وأبا بكرة عن النبي ﷺ... قال عاصم: لقد شهد عندك رجلان... أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى النبي

---

(1) أي مدة حصار الطائف.

ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف الحديث[1].

وأعتق ﷺ من نزل منهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة[2].

[الأذان بالرجوع]

ولم يؤذن له ﷺ في فتح الطائف. وأمر عمر بن الخطاب فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا الطائف؟ فقال ﷺ: فاغدوا على القتال، فغدوا فأصاب المسلمين جراحات، فقال ﷺ: إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون، ورسول الله ﷺ يضحك.

قال النووي: قصد ﷺ الشفقة عليهم والرفق [بهم][3] بالرحيل عن الطائف لصعوبة أمره، وشدة الكفار الذين [هم][4] فيه، وتقويهم بحصنهم، مع أنه ﷺ علم أولا، أو رجا أنه سيفتحه بعد ذلك بلا مشقة. فلما حرص الصحابة على المقام والجهاد أقام، وجد في القتال حتى أصابتهم الجراح رجع إلى ما كان قصده أولا من الرفق بهم ففرحوا بذلك لما رأوا من المشقة الظاهرة، ووافقوا على الرحيل، فضحك ﷺ تعجبا من تغير رأيهم.

---

(١) هو عند البخاري برقم ٤٣٢٦.

(٢) لما أسلمت ثقيف تكلم أشرافهم في أولئك العبيد أن يردوهم إلى الرق، فقال ﷺ: لا، أولئك عتقاء الله. رواه ابن إسحاق.

(٣) في ش.

(٤) في (ش، ب، د).

[عـين أبي سفيان]

وفقئت عين أبي سفيان صخر بن حرب يومئذ، فذكر ابن سعد أن النبي ﷺ قال له وهي في يده: أيما أحب إليك عين في الجنة أو أدعوا الله أن يردها عليك قال: بل عين في الجنة ورمى بها.

وشهد اليرموك فقاتل وفقئت عينه الأخرى يومئذ. ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التقريب.

[دعاء وتوكل]

وقال ﷺ لأصحابه: قولوا: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده.

فلما ارتحلوا قـال: قولـوا: آيبون، تـائبـون عـابـدون، لـربنا حامدون.

فانظر كيف كان ﷺ إذا خرج للجهاد يعتد لذلك [بجمع][1] أصحابه[2] واتخاذ الخيل والسـلاح وما يحتـاج إليه من آلات الجهـاد والسفر، ثم إذا رجع يتعرى من ذلك ويرد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده،

وانظر إلى قوله ﷺ: «وهزم الأحزاب وحده» فنفى ﷺ ما تقدم ذكره، وهذا هـو معنى الحقيقة، لأن الإنسـان وفعله خلق لربـه عز وجل، فهو لله سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر، وأعان وأجرى الأمور

---

(١) في (ب).

(٢) في (أ) الصحابة.

على يد من شاء، ومن اختار من خلقه، فكل منه وإليه، ولو شاء أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل، قال تعالى: ﴿**ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن/ليبلو بعضكم ببعض**﴾[1] فيثبت سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين، قال تعالى: ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾[2]. ٨٧/ب

فعلى المكلف الامتثال في الحالتين، أي: امتثال تعاطي الأسباب، والرجوع إلى المولى والسكون إليه بساحة كرمه، كما كان ﷺ يأتي الأسباب أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لأمته، ثم يظهر الله تعالى على يديه ما يشاء من قدرته الغامضة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام.

قال ابن الحاج في المدخل: ولما قيل له: يا رسول الله، ادع على ثقيف. فقال: اللهم اهد ثقيفا وائت بهم.

[توزيع غنائم حنين]

[مقدار الغنائم]

وكان ﷺ قد أمر أن يجمع السبي والغنائم مما أفاء الله على رسوله يوم حنين، فجمع ذلك كله إلى الجعرانة، فكان بها إلى أن انصرف عليه السلام من الطائف.

وكان السبي ستة آلاف رأس، والإبل أربعة وعشرين ألف بعير، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية فضة.

---

(١) سورة محمد الآية ٤ .

(٢) سورة محمد الآية ٣١ .

[انتظار... قبل التوزيع]

واستأنى ﷺ - أي انتظر وتربص - بهوازن أن يقدموا عليه مسلمين بضع عشرة. ثم بدأ يقسم الأموال، فقسمها.

وفي البخاري: وطفق ﷺ يعطي رجالا المائة من الإبل. فقال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشا ويتركنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟!

قال أنس: فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، ثم قال لهم: أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟! فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، قالوا: يا رسول الله قد رضينا(١).

وعن جبير بن مطعم قال: بينما أنا مع النبي ﷺ ومعه الناس مقفله(٢) من حنين، علقت برسول الله ﷺ الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فخطفت رداءه، فوقف ﷺ فقال: أعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا(٣). ورواه مسلم(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٣١ و٣١٤٧.

(٢) يعني زمان رجوعه.

(٣) رواه البخاري برقم ٣١٤٨.

(٤) كذا في (أ، ب، ش) وفي (د) بياض بعد قوله ورواه، وفي (ط): رواه ابن جرير في تهذيبه أقول: ولم أجده في مسلم بعد الرجوع إلى الأحاديث التي رواها جبير [المحقق].

[عمرة من الجعرانة]

وذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي عن ابن عباس أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ من الطائف نزل الجعرانة فقسم بها الغنائم ثم اعتمر منها وذلك لليلتين بقيتا من شوال.

قال ابن سيد الناس وهذا ضعيف، والمعروف عند أهل السير أن النبي ﷺ انتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس، لخمس ليال خلون من ذي العقدة، فأقام بها ثلاث عشرة ليلة، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج ليلة الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي العقدة ليلا، فأحرم بعمرة ودخل مكة.

وفي تاريخ الأزرقي أنه ﷺ أحرم من وراء الوادي، حيث الحجارة المنصوبة.

وعند الواقدي: من المسجد الأقصى الذي تحت الوادي بالعدوة القصوى من الجعرانة. وكانت صلاته عليه الصلاة والسلام إذ كان بالجعرانة به.

والجعرانة موضع بينه وبين مكة بريد، كما قاله الفاكهي. وقال الباجي: ثمانية عشر ميلا، وسمي بامرأة تلقب بالجعرانة، كما ذكره السهيلي

[العودة إلى المدينة]

قالوا: وقدم ﷺ المدينة وقد غاب عنها شهرين وستة عشر يوما.

[بين حنين وتبوك]

[بعث قيس إلى صداء]

وبعث ﷺ قيس بن سعد بن عبادة إلى ناحية اليمن في أربعمائة فارس، وأمره أن يقاتل قبيلة صداء، حين مروره عليهم في الطريق.

فقدم زياد بن الحارث الصدائي، فسأل عن ذلك البعث فأخبر، فقال: / يا رسول الله أنا وافدهم، فاردد الجيش، وأنا لك بقومي، فردهم النبي ﷺ من قناة. 1/88

وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فأسلموا. وتأتي قصة وفدهم في الفصل العاشر من المقصد الثاني إن شاء الله تعالى.

[البعث إلى بني تميم]

وبعث عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم بالسقيا - وهي أرض بني تميم - في المحرم سنة تسع في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري.

فكان يسير الليل ويكمن النهار، فهجم عليهم في صحراء، فدخلوا وسرحوا مواشيهم فلما رأوا الجمع ولَّوْا، فأخذوا منهم أحد عشر رجلا، ووجدوا في المحلة إحدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا.

فقدم منهم عشرة من رؤسائهم، منهم: عطارد والزبرقان،

وقيس بن عاصم، والأقرع بن حابس، فجاؤوا إلى بـاب النبي ﷺ فنادوا: يا محمد اخرج إلينا، فخرج ﷺ وأقام بلال الصلاة، وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه، فوقف معهم ثم مضى فصلى الـظهر. ثم جلس في صحن المسجد.

فقدموا عطارد بن حاجب فتكلم وخطب. فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس فأجابهم.

ونزل فيهم ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾ الآية[١] ورد عليهم ﷺ الأسرى والسبي.

وفي البخاري: عن عبد الله بن الزبير: أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد[٢] بن زرارة، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، قال أبو بكـر: ما أردت إلا خلافي. قال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنـزل في ذلـك:﴿**يـا أيهـا الـذين آمنـوا لا تقـدمـوا بـين يـدي الله ورسوله....**﴾[٣] حتى انقضت[٤]. أي لا تقدموا القضاء في أمر قبل أن يحكم الله ورسوله فيه.

ولما نزل ﴿**لا ترفعوا أصواتكم**﴾[٥] أقسم أبو بكر لا يتكلم بين

---

(١) سورة الحجرات. الآية ٤.

(٢) في (ب، ش) وكذا في البخاري، وفي النسخ: سعيد.

(٣) سورة الحجرات. الآية ١.

(٤) رواه البخاري برقم ٤٣٦٧.

(٥) سورة الحجرات. الآية ٢.

يدي رسول الله إلا كمن يسارر صاحبه، فنزل فيه وفي أمثاله **﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾** الآية[1].

[بعث الوليد إلى بني المصطلق]

ثم بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم[2]، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية. وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد، فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والغنم، فرحاً به وتعظيما لله ولرسوله، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع من الطريق قبل أن يصلوا إليه، وأخبر النبي ﷺ أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة.

فهمَّ ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم. وبلغ ذلك القوم، فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد، فأخبروا النبي ﷺ الخبر على وجهه، فنزلت هذه الآية **﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ....﴾**[3] إلى آخر الآية، فقرأ عليهم ﷺ القرآن. وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الإسلام ويقرئهم القرآن.

[سرية ابن عوسجة]

وفي «شرف المصطفى» للنيسابوري، مما ذكره مغلطاي[4] أنه عليه الصلاة والسلام بعث عبد الله بن عوسجة إلى بني عمرو بن حارثة، وقيل حارثة بن عمر ـ قال: وهو الأصح ـ في مستهل صفر

(١) سورة الحجرات: الآية ٣.
(٢) أي يأخذ الصدقة منهم.
(٣) سورة الحجرات. الآية ٦.
(٤) أصله في مغازي الواقدي بلا إسناد.

يدعوهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا واستخفوا بالصحيفة، فدعا عليهم / ﷺ بذهاب العقل، فهم إلى اليوم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط. ٨٨/ب

[سرية قطبة إلى خثعم]

ثم سرية قطبة بن عامر بن حديدة إلى خثعم، من تربة - بفتح الراء - من أعمال مكة سنة تسع، وبعث معه عشرين رجلا، وأمره أن يشن الغارة عليهم فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً، وقتل قطبة من قتل، وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة. وكانت سهمانهم أربعة أبعرة، والبعير يعدل بعشرة من الغنم بعد أن أخرج الخمس.

[سرية الضحاك إلى القرطاء]

ثم سرية الضحاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب، في ربيع الأول سنة تسع، إلى القرطاء، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم وغنموهم[1].

[سرية علقمة إلى الحبشة]

ثم سرية علقمة بن مجزز[2] المدلجي إلى طائفة من الحبشة، في ربيع الآخر، وقال الحاكم في صفر سنة تسع.

وذكر ابن سعد أن سبب ذلك: أنه بلغه ﷺ أن ناسا من

(١) في ش: فقاتلهم فهزموا وغنموا.
(٢) جاء في ط هنا: بضم الميم وجيم مفتوحة ومعجمتين الأولى مكسورة ثقيلة وحكي فتحها والصواب الأول.

الحبشة تراآهم أهل جدة، فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة، فانتهى إلى جزيرة في البحر، فلما خاض البحر إليهم هربوا.

فلما رجع، تعجل بعض القوم إلى أهليهم، فأمر عبد الله بن حذاقة على من تعجل، وكانت فيه دعابة، فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها، فقال عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار، فلما همّ بعضهم بذلك قال: اجلسوا، إنما كنت أمزح.

فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: من أمركم بمعصية فلا تطيعوه. ورواه الحاكم وابن ماجه وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري.

وبوب عليه البخاري فقال: سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي، ويقال: إنها سرية الأنصاري. ثم روى حديثا عن علي قال: بعث النبي ﷺ سرية، فاستعمل رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب فقال: أليس قد أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا حطبا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوها، فقال: ادخلوا[1]، فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون: فررنا إلى النبي ﷺ من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها[2].

قال الحافظ أبو الفضل بن حجر: في قوله: «ويقال إنها سرية الأنصاري» إشارة إلى احتمال تعدد القصة، وهو الظاهر لاختلاف

(١) في البخاري: ادخلوها.
(٢) رواه البخاري برقم ٤٣٤٠.

سياقهما واسم أميرهما. ويحتمل الجمع بينهما بضرب من التأويل، ويبعده وصف عبد الله بن حذافة السهمي القريشي المهاجري بكونه أنصاريا. ويحتمل أن يكون الحمل على المعنى الأعم، أي أنه نصر رسول الله ﷺ في الجملة. وإلى التعدد جنح ابن القيم، وأما ابن الجوزي فقال: قوله «من الأنصار» وهم من بعض الرواة، وإنما هو سهمي.

قال في فتح الباري: ويؤيده حديث ابن عباس عند أحمد، في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي، بعثه رسول الله ﷺ في سريه. انتهى[1].

وقال النووي: وهذا الذي فعله هذا الأمير، قيل: أراد امتحانهم، وقيل: كان مازحا، وقيل: إن هذا الرجل عبد الله بن حذافة السهمي، قال: / وهذا ضعيف: لأنه قال في الرواية التي بعدها إنه رجل من الأنصار، فدل على أنه غيره. انتهى.

١/٨٩

[هدم صنم طيء]

ثم سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس ـ بضم الفاء وسكون اللام ـ وهو صنم طيء ليهدمه، في ربيع الآخر سنة تسع، وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسا ـ وعند ابن سعد: مائتي رجل ـ فهدمه وغنم سبيا ونعما وشاء.

وكان في السبي سفانة بنت حاتم، أخت عدي بن حاتم، فأطلقها النبي ﷺ، فكان ذلك سبب إسلام عدي.

---

(١) فتح الباري ٨/٥٩.

وعند ابن سعد أيضا: أن الذي كان سباها خالد بن الوليد رضي الله عنه.

[سرية عكاشة]

ثم سرية عكاشة بن محصن إلى الجباب ـ موضع بالحجاز ـ أرض عذرة وبلي، وقيل أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شركة.

[إسلام كعب بن زهير]

قصة كعب بن زهير مع النبي ﷺ، وكانت فيما بين رجوعه ﷺ من الطائف وغزوة تبوك.

وكان من خبر كعب وأخيه بجير ما ذكره ابن إسحاق وعبد الملك ابن هشام وأبو بكر محمد بن القاسم بن يسار بن الأنباري، دخل حديث بعضهم في حديث بعض:

أن بجيرا قال لكعب: اثبت حتى آتي هذا الرجل ـ يعني النبي ﷺ ـ فأسمع كلامه وأعرف ما عنده، فأقام كعب ومضى بجير، فأتى رسول الله ﷺ فسمع كلامه فآمن به..

وذلك أن زهيرا فيما زعموا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد آن مبعثه ﷺ، ورأى زهير في منامه أنه قد مد سبب من السماء، وأنه قد مد يده ليتناوله، ففاته فأوله بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان، وأنه لا يدركه، وأخبر بنيه بذلك، وأوصاهم إن أدركوه أن يسلموا.

قال ابن إسحاق: ولما قدم ﷺ من الطائف، كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب: إن رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه، وإن من بقي من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة بن أبي

وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا، وإن كنت لم تفعل فانج إلى نجائك. وكان كعب قد قال:

ألا بلغا عني بجيرا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أي شيء غير ذلك دلكا

على خلق لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولا تلقى عليه أخا لكا

فإن أنت[1] لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت لعالكا

سقاك بها المأمون كأسا روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال السهيلي: «لعا» كلمة تقال للعاثر دعاء له. انتهى.

قال ابن إسحاق: وبعث بها إلى بجير، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله ﷺ فأنشده إياها. فقال ﷺ: سقاك بها المأمون. صدق وإنه لكذوب، وأنا المأمون.. ولما سمع: على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه، قال: أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه. ثم قال عليه الصلاة والسلام: من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله.. فكتب إليه أخوه بهذه الأبيات.

من مبلغ كعبا فهل لك في التي ... تلوم عليها باطلا وهي أحزم

إلى الله لا العزى ولا اللات وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء دينه ... ودين أبي سلمى علي محرم

٨٩/ب / فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض، وأشفق على

(١) في ش: كنت.

نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه فقال: هو مقتول. فلما لم يجد من شيء بدا، قال قصيدته التي يمدح بها رسول الله ﷺ ويذكر خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه.

ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة من جهينة، فغدا به إلى رسول الله ﷺ فقال: هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه، فقام حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع يده في يده ـ وكان رسول الله ﷺ لا يعرفه ـ فقال: يا رسول الله، إن كعب ابن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال رسول الله ﷺ: نعم، قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: أنه وثب عليه رجل من الأنصار وقال: يا رسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه. فقال ﷺ: دعه عنك فقد جاء تائبا نازعا. قال: فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار لما صنع صاحبهم، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير. ثم قال قصيدته اللامية التي أولها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

ومنها:

أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ ... ـقرآن ولو[1] كثرت في الأقاويل

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل[2]

---

(١) في ش: وإن.

(٢) عرد: أي أعرض، السود: جمع أسود، التنابيل: القصار.

وفي رواية أبي بكر بن الأنباري أنه لما وصل إلى قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام إليه بردة كانت عليه. وأن معاوية بذل فيها عشرة آلاف فقال: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدا، فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم. قال: وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم.

قال ابن إسحاق: قال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب: «إذا عرد السود التنابيل» وإنما عنى معشر الأنصار، لما كان صاحبهم صنع به، وخص المهاجرين بمدحته غضب عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم ـ يمدح الأنصار ـ قصيدته التي يقول فيها:

من سره كرم الحياة فلا يزل	في مِقنب[1] من صالحي الأنصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر	إن الخيار همُ بنو الأخيار
المكرهين السمهري[2] بأذرع	كسوالف[3] الهندي غير قصار
والناظرين بأعين محمرة	كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم	للموت يوم تعانق وكرار
قوم إذا خوت[4] النجوم فإنهم	للطارقين النازلين مقاري /

١/٩٠

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء، وأبوه وابنه عقبة وابن ابنه العوام بن عقبة.

(١) مقنب: جماعة الخيل والفرسان.
(٢) السمهري: القناة الصلبة. أي: ردوها عنهم ومنعوها من التأثير فيهم.
(٣) السوالف: السيوف وقد يراد بها الرماح أيضا.
(٤) أي سقطت ولم تمطر في نوئها، أي على زعمهم، وكان ذلك في بدء إسلام كعب قبل أن يتفقه في الدين.

غزوة تبوك

[المكان والزمان]

مكان معروف، وهي نصف طريق المدينة إلى دمشق.

وهي غزوة العسرة، وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها.

وكانت يوم الخميس في رجب سنة تسع من الهجرة بلا خلاف، وذكر البخاري لها بعد حجّة الوداع لعله خطأ من النساخ.

وكان حرا شديدا، وجدبا كثيرا، فلذلك لم يور عنها كعادته في سائر الغزوات.

وفي تفسير عبد الرزاق، عن معمر عن ابن عقيل قال: خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد، حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة في الماء وفي الظهر وفي النفقة، فسميت غزوة العسرة.

[أسبابها]

وسببها أنه بلغه ﷺ من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل. فندب ﷺ الناس إلى الخروج وأعلمهم بالمكان الذي يريد، ليتأهبوا لذلك.

وروى الطبراني[1] من حديث عمران بن الحصين قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هذا الرجل الذي خرج يدعي النبوة هلك، وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم. فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه أربعين ألفا. فبلغ ذلك النبي ﷺ ولم يكن للناس قوة[2].

[ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم]

وكان عثمان قد جهز عيرا إلى الشام فقال: يا رسول الله، هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية - يعني من ذهب[3] - قال: فسمعته يقول: لا يضر عثمان ما عمل بعدها [4].

وروى عن قتادة أنه قال: حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا.

وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان بن عفان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ﷺ، فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ويقول: ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم. خرجه الترمذي وقال: حسن غريب[5].

وعند الفضائلي والملاء[6] في سيرته، كما ذكره الطبري في الرياض

---

(١) بسند ضعيف.

(٢) قدرة على الذهاب لتلك الأرض لفقد الظهر والنفقة لا الضعف.

(٣) في (ط).

(٤) هذا تتمة حديث عمران. قال الحافظ أخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبد الرحمن بن خباب بنحوه.

(٥) ورواه الإمام أحمد والبهيقي أيضا.

(٦) عمر الموصلي، كان يملأ من بئر في جامع الموصل احتسابا، وكان =

النضرة من حديث حذيفة: بعث عثمان - يعني في جيش العسرة - بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله ﷺ فصبت بين يديه، فجعل ﷺ يقول بيديه ويقلبها ظهراً لبطن يقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها.(١)

[المنافقون]

ولما تأهب رسول الله ﷺ للخروج، قال قوم من المنافقين: لا تنفروا في الحر، فنزل قوله تعالى: **﴿وقالوا لا تنفروا في الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون﴾**(٢).

[البكاؤون]

وأرسل عليه السلام إلى مكة وقبائل العرب يستنفرهم.

وجاء البكاؤون يستحملونه، فقال عليه السلام: لا أجد ما أحملكم عليه. وهم: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب المازني، والعرباض بن سارية، وهرم بن عبد الله، وعمرو بن عنمة، وعبد الله بن مغفل، وعبد الله بن عمرو المزني، وعمرو بن الحمام، ومعقل المزني، وحرمي بن مازن، والنعمان وسويد ومعقل وعقيل وسنان وعبد الرحمن وهند بنو مقرن. وهم الذين قال الله فيهم: **﴿تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما**

= إماما عظيما ناسكاً زاهداً، وكان السلطان نور الدين الشهيد يشهد قوله ويقبل شفاعته. فوهم من ظنه الملائي فزاد ياء. فالملائي لا سيرة له. في ط: الملائي.

(١) وأخرجه ابن عدي أيضا.

(٢) سورة التوبة. الآية ٨١.

ينفقون﴾[1] **قاله مغلطاي.**

وفي البخاري، عن أبي موسى قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم، فقلت يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: والله لا أحملكم على شيء، فرجعت حزينا من منع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ / وجد في نفسه علي فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ. فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي: أين عبد الله بن قيس، فأجبته، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك. فلما أتيته قال: خذ هاتين القرينتين، وهاتين القرينتين لستة أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد، فانطلق بهن[2] إلى أصحابك فقل: إن الله، أو إن رسول الله يحملكم على هؤلاء فاركبوهن. الحديث[3].

٩٠/ب

وقام علبة بن زيد، فصلى من الليل وبكى وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها، مال أو جسد أو عرض. ثم أصبح مع الناس. فقال النبي ﷺ: أين المتصدق بهذه الليلة؟ فلم يقم أحد، ثم قال: أين المتصدق بهذه الليلة؟ فلم يقم أحد، ثم قال أين المتصدق فليقم، فقام إليه فأخبره، فقال ﷺ: أبشر فوالذي نفس محمد بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة. رواه يونس[4] والبهيقي في

(١) سورة التوبة. الآية ٩٢.
(٢) كذا في (ش) والبخاري. وفي النسخ: بهم.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٤١٥.
(٤) في (أ) ابن يونس.

الدلائل، كما ذكره السهيلي في الروض له..[1]

[المعذرون]

وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم في التخلف، فأذن لهم، وهم اثنان وثمانون رجلا.

وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علة[2]، جرأة[3] على الله ورسوله وهو قوله تعالى: ﴿**وقعد الذين كذبوا الله ورسوله**﴾[4].

[المستخلف على المدينة]

واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة. قال الدمياطي: وهو عندنا أثبت ممن قال استخلف غيره. انتهى.

وقال الحافظ زين الدين العراقي، في ترجمة علي بن أبي طالب من شرح التقريب: لم يتخلف عن المشاهد إلا تبوك، فإن النبي ﷺ خلفه على المدينة، وعلى عياله، وقال له يومئذ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي. وهو في الصحيحين من حديث سعد ابن أبي وقاص. انتهى[5]. ورجحه ابن عبد البر.

وقيل: استخلف سباع بن عرفطة.

[المخلفون]

وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب، منهم؛ كعب

---

(١) في (ب، ش) يونس كما ذكره السهيلي في الروض والبهيقي في الدلائل له.

(٢) أي: وبغير إظهار علة.

(٣) في (ط، ش): جراءة.

(٤) سورة التوبة، الآية (٩٠).

(٥) رواه البخاري برقم ٤٤١٦، ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٣١.

ابن مالك، ومرارة بن الربيع وهلال بن أميـة، وفيهم نزل **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾** وأبو ذر، وأبو خثيمة، ثم لحقاه بعد ذلك.

ولما رأى ﷺ أبا ذر الغفاري - وكان ﷺ نزل في بعض الطريق - فقال: يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده[1]. فكان كذلك.

[عـدد المسلمـين وعددهم]

وأمر ﷺ لكل بطن من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواء وراية.

وكان معه ﷺ ثلاثون ألفا. وعند أبي زرعة سبعون ألفا، وفي رواية عنه أيضا أربعون ألفا. وكانت الخيل عشرة آلاف فرس.

[المرور بالحجر]

ولما مر ﷺ بالحجر - بكسر الحاء وسكون الجيم - بديار ثمـود قال: لا تشربوا من مـائها شيئـا، ولا يخرجن أحـد منكم إلا ومعه صاحب له، ففعل الناس، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره، فأما الذي خرج لحاجته فخنق على مذهبه[2] وأما الذي خرج في طلب بعيره فاحتملته الريـح حتى طرحته بجبلي طيء. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهكم؟ ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفي، وأما الآخر فأهدته طيء لرسول

---

(١) هذه رواية ابن مسعود عند ابن إسحاق. وفي بعض النسخ يعيش بـدل يبعث وهو تحريف. أقول: في (ط): يمشي وحده ويبعث وحده ويموت وحده. وفي (ب): يعيش وحده، ويمشي وحده، ويموت وحده.

(٢) أي صرع في الموضع الذي تغوط فيه.

الله ﷺ حين قدم المدينة[1].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي حميد: انطلقنا حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ستهب عليكم الليلة ريح شديدة،/فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء[2]. 1/91

وروى الزهري: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال: لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون، خوفا أن يصيبكم ما أصابهم. رواه الشيخان[3].

[فقدان ناقته ﷺ]

ولما كان ﷺ ببعض الطريق ضلت ناقته.. فقال زيد بن اللصيت ـ وكان منافقا ـ: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟ فقال رسول الله ﷺ: إن رجلا يقول... وذكر مقالته، وإني لا أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني عليها، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها. فانطلقوا حتى تأتوني بها. فانطلقوا فجاؤوا بها. رواه البهيقي وأبو نعيم.

[معجزة تكثير الماء]

وفي مسلم من حديث معاذ بن جبل: أنهم وردوا عين تبوك،

(١) كذا روى ابن إسحاق حديث الرجلين.
(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل رقم ١١. قال الشارح وهو عند البخاري بنحوه.
(٣) هو عند البخاري برقم ٤٤١٩و٤٤٢٠ وعند مسلم في كتاب الزهد برقم ٣٩

وهي تبض بشيء من ماء، وأنهم غرفوا منها قليلا قليلا حتى اجتمع في شن ثم غسل ﷺ به وجهه ويديه ثم أعاده فيها فجرت بماء كثير، فاستقى الناس. الحديث[1]. ويأتي إن شاء الله في مقصد المعجزات.

[الوصول إلى تبوك]

ولما انتهى ﷺ إلى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالحه وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جرباء - بالجيم - واذرح - بالذال المعجمة والراء والحاء المهملتين - بلدين بالشام بينهما ثلاثة أميال، فأعطوه الجزية، وكتب لهم ﷺ كتابا.

ووجد هرقل بحمص[2]، فأرسل خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني، وكان ملكا عظيما بدومة الجندل، في إربعمائة وعشرين فارساً في رجب سرية، وقال له عليه الصلاة والسلام: إنك ستجده ليلا يصيد البقر، فانتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة، إلى بقر يطاردها، هو وأخوه حسان، فشدت عليه خيل خالد، فاستأسر أكيدر وقتل أخاه حسانا، وهرب من كان معهما فدخل الحصن، ثم أجار خالد أكيدر من القتل، حتى يأتي به رسول الله ﷺ على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح.

[رسالة إلى هرقل]

وفي هذه الغزوة كتب ﷺ كتابا في تبوك إلى هرقل يدعوه إلى

(٣) هو عند مسلم في كتاب الفضائل رقم (١٠).
(٢) أي وجده مقيما بها لم يتحرك، فكان الذي أخبر به ﷺ باطلا.

الإسلام، فقارب الإجابة ولم يجب. رواه ابن حبان في صحيحه من حديث أنس.

وفي مسند أحمد أن هرقل كتب من[1] تبوك إلى النبي ﷺ: أني مسلم فقال النبي ﷺ: كذب هو على نصرانيته [2].

وفي كتاب الأموال لأبي عبيد، بسند صحيح من مرسل بكر بن عبد الله نحوه ولفظه: فقال: كذب عدو الله ليس بمسلم[3].

[العودة إلى المدينة]

ثم انصرف ﷺ من تبوك، بعد أن أقام بها بضع عشرة ليلة. وقال الدمياطي ـ ومن قبله ابن سعد ـ عشرين ليلة، يصلي ركعتين، ولم يلق كيدا، وبنى في طريقه مساجد.

وأقبل ﷺ حتى نزل بذي أوان ـ بفتح الهمزة بلفظ الأوان: الحين ـ وبينها وبين المدينة ساعة جاءه خبر مسجد الضرار من السماء.

فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي العجلاني فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه. فخرجا فحرقاه وهدماه.

وذلك بعد أن أنزل الله فيه: **﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا﴾ الآية**[4].

---

(١) قال في هامش (د.) يمكن جعل «إلى» بدلاً من. والأصل إلى تبوك.

(٢) هو من طريق سعيد بن أبي راشد عن التوخي. وهذا الحديث في المسند ٣/٤٤١-٤٤٢، وليس فيه شيء مما ذكر المصنف من إسلام هرقل. ولم أستطع الوقوف على هذا النص على الرغم من إشارة الفتح إليه

(٣) ما ورد في هذه الفقرة هو في فتح الباري ٣٧/١.

(٤) سورة التوبة. الآية ١٠٧.

۹۱/ب قال / الواحدي: قال ابن عباس ومجاهد وقتاده وعامة أهل التفسير: الذين اتخذوا مسجد الضرار كانوا اثني عشر رجلا، يضارون به مسجد قباء، وذلك أنهم قالوا في طائفة من المنافقين: نبني مسجدا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد.

قال المفسرون: ولما بنوا ذلك لأغراضهم الفاسدة عند ذهاب رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك، قالوا: يا رسول الله، بنينا مسجدا لذي العلة، والليلة المطيرة، ونحن نحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة، فقال عليه الصلاة والسلام: إني على جناح سفر، وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلينا فيه. فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد، فنزلت هذه الآية.

ولما دنا ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه، وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

وقد وهم بعض الرواة - كما قدمته - وقال: إنما كان هذا عند مقدمه المدينة، وهو وهم ظاهر، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام - كما قدمت ذلك -.

وفي البخاري: لما رجع ﷺ من غزوة تبوك فدنا من المدينة، قال: (إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر[1]) وهذا يؤيد معنى ما ورد: نية المؤمن خير من

(١) رواه البخاري برقم ٤٤٢٣.

عمله[١]، فإن نية هؤلاء أبلغ[٢] من أعمالهم، فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم، وهم على فرشهم في بيوتهم. والمسابقة إلى الله تعالى وإلى الدرجات العلا بالنيات والهمم لا بمجرد الأعمال

ولما أشرف ﷺ على المدينة قال: (هذه طابة وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه)[٣].

ولما دخل قال العباس يا رسول الله، ائذن لي أمتدحك قال: قل لا يفضض الله فاك، فقال:

من قبلها طبت في الظلال وفي	مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر	أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد	ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم	إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما	في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهمين من	خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر	ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي الـ	نور وسبل الرشاد نخترق[٤]

[شرح كلمات الأبيات]

وقوله: من قبلها طبت الخ: أي ظلال الجنة، أي إنك[٥] كنت

(١) رواه البيهقي وغيره عن أنس، وكلها ضعيفة.
(٢) في (ش): خير.
(٣) رواه البخاري برقم ٤٤٢٢.
(٤) فصاحة العباس تأبى هذا، وكأنها مصنوعة، وليس عليها رونق شعره..
(٥) في (ط، ب، د).

طيبا في صلب آدم حيث كان في الجنة.

وقوله: من قبلها: أي قبل نزولك إلى الأرض فكنى عنها ولم يتقدم لها ذكر لبيان المعنى.

وقوله: ثم هبطت البلاد لا بشر، أي لما أهبط الله آدم إلى الدنيا، كنت في صلبه غير بالغ هذه الأشياء.

وقوله: وقد ألجم نسرا وأهله الغرق، يريد الصنم الذي كان يعبده قوم نوح وهو المذكور في قوله تعالى ﴿**ولا يغوث ويعوق ونسرا**﴾[1]

وقوله: حتى احتوى بيتك المهمين الخ. النطق: جمع نطاق. ١/٩٢ وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض أي: / نواح وأوساط منها شبهت بالنطق التي تشد بها أوساط الناس. ضربه مثلا في ارتفاعه وتوسطه في عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة أوساط الجبال، وأراد ببيته: شرفه، والمهمين: نعته، أي احتوى شرفه الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف - وهو بكسر الخاء المعجمة والدال المهمة - انتهى.

[وجاء المتخلفون]

وجاءه ﷺ من كان تخلف عنه، فحلفوا له فعذرهم واستغفر لهم، وأرجأ أمر كعب وصاحبيه حتى نزلت توبتهم في قوله تعالى: ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم**

(١) سورة نوح الآية ٢٣.

الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾[1].

والثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع [2].

وعند البيهقي في الدلائل، من مرسل سعيد بن المسيب: أن أبا لبابة بن عبد المنذر لما أشار لبني قريظة بيده إلى حلقه: أنه الذبح وأخبر عنه رسول الله ﷺ بذلك فقال له رسول الله ﷺ: أحسبت أن الله قد غفل عن يدك حين تشير إليهم بها إلى حلقك، فلبث حينا ورسول الله ﷺ عاتب عليه، ثم غزا تبوكاً[3] فتخلف عنه أبو لبابة فيمن تخلف، فلما قفل رسول الله ﷺ منها جاءه أبو لبابة يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ففزع أبو لبابة، فارتبط بسارية التوبة سبعا وقال: لا يزال هذا مكاني حتى أفارق الدنيا، أو يتوب الله علي. الحديث.

وعنده أيضا من حديث ابن عباس في قوله تعالى: **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا﴾**[4] قال: كانوا عشرة رهط تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فلما رجع ﷺ أوثق سبعة منهم أنفسهم بسواري المسجد وكان ممر النبي ﷺ إذ رجع في المسجد عليهم، فقال: من هؤلاء؟ قالوا: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا

---

(١) سورة التوبة الآيتان ١١٧ و١١٨.

(٢) كذا في ط، وفي النسخ ربيعة. قال الشارح: ابن ربيعة، هو رواية مسلم والمشهور: ابن الربيع كما في البخاري.

(٣) بالصرف إلى أرادة الموضع.

(٤) سورة التوبة. الآتية ١٠٢.

عنك يا رسول الله، حتى تطلقهم وتعذرهم، فقال: أقسم بـالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم، رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو. فأنزل الله تعالى: **﴿وآخرون اعترفوا بـذنوبهم﴾** فلما نزلت أرسل إليهم النبي ﷺ فأطلقهم وعذرهم. الحديث.

قالوا: ولما قدم ﷺ من تبوك وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى، فلاعن عليه السلام بينهما.

حجة ابي بكر

ثم حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالناس، سنة تسع في ذي العقدة، كما ذكره ابن سعد وغيره بسند صحيح عن مجاهد، ووافقه عكرمة بن خالد، فيما أخرجه الحاكم في الإكليل.

وقال قوم في ذي الحجة، وبه قال الداودي والثعلبي والماوردي . ويؤيده أن ابن إسحاق صرح بأن النبي ﷺ أقام بعد ما رجع من تبوك رمضان وشوالا وذا العقدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي العقدة، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله أعلم [١].

وكان مع أبي بكر ثلاثمائة رجل من المدينة، وعشرون بدنة.

وفي البخاري ومسلم، عن أبي هريرة: أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله ﷺ قبل حجه الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان [٢].

---

(١) فتح الباري ٨/٨٢.

(٢) هو عند البخاري برقم ٤٣٦٣ وعند مسلم برقم ١٣٤٧.

٩٢/ب ثم أردف النبي ﷺ / بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذن معلنا في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

قال: فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام[١] فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه رسول الله ﷺ حجة الوداع مشرك. فأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر إلى المشركين: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾** الآية[٢].

وقد دلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما في الصحيح «المؤمن لا ينجس» وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم، وهذا ضعيف، لأن أعيانهم لو كانت نجسة كالكلب والخنزير لما طهرهم الإسلام، ولاستوى في النهي عن دخول المشركين المسجد الحرام وغيره من المساجد. فالمراد: الأخباث لما فيهم من خبث الظاهر بالكفر وخبث الباطن بالعداوة قاله مقاتل.

وروى النسائي عن جابر أن النبي ﷺ لما رجع من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه حتى إذا كنا بالعرج ثوب للصبح، فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء، لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه، فإذا علي عليها، فقال له أبو بكر أمير أم رسول، قال: لا بل رسول،

---

(١) أي إلى الناس عقودهم.

(٢) سورة التوبة. الآية ٢٨.

أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج، فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم خرجنا معه، حتى إذا كان يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثم كان يوم النحر، فأفضنا فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس، فحدثهم كيف ينفرون، وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها.

وهذا السياق فيه غرابة من جهة أن أمير الحج سنة عمرة الجعرانة إنما هو عتاب بن أسيد، أما أبو بكر رضي الله عنه فأنما كان سنة تسع.

واستدل بهذه القصة على أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع، والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة.

وذهب جماعة إلى أن حج أبي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعاً قبل فرض الحج ولا يخفي ضعفه.

[بين حجة الصديق وحجة الوداع]

[هلاك رأس المنافقين]

وفي هذه السنة أيضا مات عبد الله بن أبي بن سلول، فجاء ابنه إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه، فقام ليصلي عليه، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال ﷺ: إنما خيرني الله عز وجل قال: **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾**(١) وسأزيد على السبعين قال: إنه منافق.

فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل: **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾**(٢) رواه الشيخان والنسائي.

[إيلاؤه ﷺ من نسائه]

وفي هذه السنة أيضا آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً. وجحش شقه ـ أي خدش ـ وجلس في مشربة له درجها من جذوع، ١/٩٣ فأتاه / أصحابه يعودونه فصلى بهم جالساً وهم قيام، فلما سلم

(١) سورة التوبة، الآية ٨٠.

(٢) سورة التوبة، الآية ٨٤.

قال: إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا صلى قائماً فصلوا قياماً، وإذا صلى قاعدا فصلوا قعودا، ولا تركعوا حتى يركع، ولا ترفعوا حتى يرفع.

ونزل لتسع وعشرين فقالوا: يا رسول الله إنك آليت شهراً، فقال: إن الشهر يكون تسعا وعشرين.

[البعث إلى اليمن]

ثم بعث أبا موسى ومعاذا إلى اليمن قبل حجة الوداع. كل واحد منهما على مخلاف. قالوا: واليمن مخلافان، ثم قال: يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا[1]. وقال لمعاذ: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، [فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة][2]. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. رواه البخاري[3].

والمخلاف: ـ بكسر الميم وسكون المعجمة وآخره فاء ـ بلغة أهل اليمن الكورة والإقليم والرستاق.

وكانت جهة معاذ العليا إلى صوب عدن، وكان من عمله الجند ـ بفتح الجيم والنون ـ وله بها مسجد مشهور. وكانت جهة أبي موسى السفلى.

(١) رواه البخاري برقم ٤٣٤١.
(٢) هذه الفقرة في (ب.ش) وكذا في البخاري، وقد سقطت من النسخ.
(٣) برقم ٤٣٤٧.

[بعث خالد إلى نجران]

ثم أرسل خالد بن الوليد قبل حجة الوداع أيضا، في ربيع الأول سنة عشر - وفي الإكليل: في ربيع الآخر، وقيل: في جمادى الأولى - إلى بني عبد المدان بنجران فأسلموا.

[بعث علي إلى اليمن]

ثم أرسل علي بن أبي طالب إلى اليمن في شهر رمضان، سنة عشر من الهجرة، وعقد له لواء وعممه بيده.

وأخرج أبو داود وأحمد والترمذي من حديث علي قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله. تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده في صدري وقال: اللهم ثبت لسانه واهد قلبه، وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الحديث.

فخرج في ثلاثمائة، ففرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعم وشاء وغير ذلك. ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فأبوا. ورموا بالنبل، ثم حمل عليهم علي بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا، وبايعه نفر من رؤسائهم على الإسلام [وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله][1].

ثم قفل فوافى النبي ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر.

---

(١) في ش.

[حجة الوداع]

ثم حج ﷺ حجة الوداع، وتسمى حجة الإسلام، وحجة البلاغ، وكره ابن عباس أن يقال: حجة الوداع[1].

وكان ﷺ قد أقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي، فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج إلى الحج [فتجهز وأمر الناس بالجهاز له][2].

قال ابن سعد: ولم يحج غيرها منذ تنبأ إلى أن توفاه الله تعالى.

وفي البخاري عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها، حجة الوداع.

قال: وقال ابن إسحاق: وبمكة أخرى، وقيل: حج حجتين. هذا بعد النبوة وقبلها لا يعلمه إلا الله.

فخرج ﷺ من المدينة يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة، وجزم ابن حزم بأن خروجه كان يوم الخميس. وفيه نظر. لأن أول

(١) لإشعاره بكراهة المودع وأسفه على من ودعه. وذلك لا يليق به ﷺ. ولم يكره ذلك غيره.
(٢) في ش.

ذي الحجة كان يوم الخميس قطعاً، لما ثبت وتواتر وقوفه بعرفة كان يوم الجمعة، فتعين أن أول الشهر كان يوم الخميس، فلا يصح أن يكون خروجه يوم الخميس، بل هو ظاهر الخبر أن يكون يوم الجمعة.

لكن ثبت في الصحيحين عن أنس: صلينا مع رسول الله ﷺ الظهر بالمدينة أربعا، والعصر بذي الحليفة ركعتين. فدل على أن خروجهم لم يكن يوم الجمعة. ويحمل قول من قال: لخمس بقين، أي إن كان الشهر ثلاثين فاتفق أن جاء تسعا وعشرين فيكون يوم الخميس أول ذي الحجة بعد / مضي أربع ليال لا خمس، وبها تتفق الأخبار.

٩٣/ب

هكذا جمع الحافظ عماد الدين بن كثير بين الروايات، وقوى هذا الجمع بقول جابر: إنه خرج لخمس بقين من ذي القعدة أو أربع.

وصرح الواقدي بأن خروجه ﷺ كان يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

وكان خروجه من المدينة بين الظهر والعصر. وكان دخول مكة صبح رابعة، كما ثبت في حديث عائشة وذلك يوم الأحد. وهذا يؤيد أن خروجه من المدينة كان يوم السبت، كما تقدم، فيكون مكثه في الطريق ثمان ليال، وهي المسافة الوسطى.

وخرج معه عليه السلام تسعون ألفاً، ويقال مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، ويقال أكثر من ذلك، كما حكاه البيهقي.

ويأتي الكلام على حجة الوداع وما فيها من المباحث في مقصد العبادات إن شاء الله تعالى.

[آخر البعوث النبوية]

ثم سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أبنى[1] بالشراة ناحية بالبلقاء، وكانت يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر، سنة إحدى عشرة.

وهي آخر سرية جهزها النبي ﷺ وأول شيء جهزه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، لغزو الروم مكان قتل أبيه زيد.

فلما كان يوم الأربعاء بدئ برسول الله ﷺ وجعه، فحمّ وصدع، فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه إلى بريدة الأسلمي، وعسكر بالجرف. فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا انتدب، فيهم أبو بكر وعمر[2].

فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟ فخرج رسول الله ﷺ وقد عصب رأسه وعليه قطيفة، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة فقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، فاستوصوا به خيرا

(١) أبنى: بضم الهمزة وسكون الموحدة وفتح النون فألف مقصورة.
(٢) هذه الجملة ليست في ش.

فإنه من خياركم. ثم نزل عن المنبر فدخل بيته. وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة.

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ، ويخرجون إلى العسكر بالجرف.

فلما كان يوم الأحد اشتد برسول الله ﷺ وجعه، فدخل أسامة من معسكره والنبي ﷺ مغمور، وهو اليوم الذي لدوه[1] فيه، فطأطأ أسامة فقبله، ورسول الله ﷺ لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة. قال أسامة: فعرفت أنه يدعو لي. ورجع أسامة إلى معسكره.

ثم دخل يوم الإثنين وأصبح ﷺ مفيقا، فودعه أسامة وخرج إلى المعسكر، فأمر الناس بالرحيل. فبينا هو يريد الركوب إذا رسول أمه أم أيمن قد جاء يقول: إن رسول الله ﷺ يموت. فأقبل هو وعمر وأبو عبيدة. فتوفي ﷺ حين زاغت الشمس. لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول.

واستشكله السهيلي ومن تبعه، وذلك: أنهم اتفقوا على أن ذا الحجة كان أوله يوم الخميس، فمهما فرضت الشهور الثلاثة: توامّ أو نواقص، أو بعضها، لم يصح.

قال الحافظ ابن حجر: وهو ظاهر لمن تأمله.

وأجاب البارزي ثم ابن كثير: باحتمال وقوع الأشهر الثلاثة كوامل، وكان أهل مكة والمدينة اختلفوا في رؤية هلال ذي الحجة، فرآه أهل مكة ليلة الخميس، ولم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة،

(١) قال الحافظ: أي جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره.

فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها. وكان أول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت، وأول المحرم الأحد وآخره الإثنين وأول صفر الثلاثاء وآخره الأربعاء، وأول ربيع الأول الخميس، فيكون ثاني عشره الإثنين. / 1/94

قال[1]: وهذا الجواب بعيد، من حيث إنه يلزم منه توالي أربعة أشهر كوامل، وقد جزم سليمان التيمي أحد الثقات: بأن ابتداء مرضه كان يوم السبت الثاني والعشرين من صفر، ومات يوم الإثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول. فعلى هذا يكون صفر ناقصاً، ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلا إن كان ذو الحجة والمحرم ناقصين. فيلزم منه نقص ثلاثة أشهر متوالية.

قال: والمعتمد ما قاله أبو مخنف: أنه توفي في ثاني ربيع الأول. وكان سبب غلط غيره أنهم قالوا: مات في ثاني شهر ربيع الأول، فغيرت فصار: ثاني عشر، واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضاً من غير تأمل. انتهى[2].

ثم إن وفاته ﷺ يوم الإثنين من ربيع الأول بلا خلاف. بل كاد يكون إجماعا لكن في حديث ابن مسعود: في حادي عشر رمضان رواه البزار. والمعتمد ما تقدم، والله أعلم. انتهى.

وسيأتي إن شاء الله تعالى حديث الوفاة الشريفة في المقصد الأخير.

ولما توفي ﷺ دخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بلواء أسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ

---

(١) أي ابن حجر.

(٢) إشكال السهيلي ومناقشته وما تبعه.. عن فتح الباري ٨/١٢٩ - ١٣٠.

فغرزه عند بابه. فلما بويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ليمضي لوجهه، فمضى به إلى معسكرهم الأول، وخرج أسامة هلال ربيع الآخر سنة إحدى عشرة إلى أهل أبنى، فشن عليهم الغارة، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليه، وحرق منازلهم ونخلهم، وقتل قاتل أبيه في الغارة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يصب أحد من المسلمين.

وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونه سرورا. والله أعلم.

فجميع سراياه وبعوثه نحو ستين ومغازيه نحو سبع وعشرين.

تم بعونه تعالى الجزء الأول من
المواهب اللدنية ويليه
الجزء الثاني وأوله
المقصد الثاني

فهرس الجزء الأول من
المواهب اللدنية

المقصد الأول
في أحداث السيرة منـذ الولادة إلى الوفاة

النسب الشريف

قصة الفيل

حفر زمزم

زواج عبدالله

ختانه ﷺ

زمن الولادة ووقتها

رضاعه ﷺ

خاتم النبوة

وفاة آمنة

قضية نجاة والديه ﷺ

حياته ﷺ قبل البعثة

مبعث النبي ﷺ

أول من آمن

الجهر بالدعوة

بناء المسجد

خبر الأذان

المغازي

تحويل القبلة

بعد أحد

يوم الرجيع

بئر معونة

غزوة بني النضير

غزوة ذات الرقاع

غزوة بني المصطلق

غزوة الخندق

غزوة بني قريظة

فرض الحج

بين قريظة والحديبية

صلح الحديبية

من أحداث العام السادس

غزوة حنين

غزوة الطائف

بين حنين وتبوك

غزوة تبوك

بعد حج أبي بكر

كتب للمحقق

في السنّة المطهرة:

١ ـ الجامع بين الصحيحين (٥ مجلدات).

٢ ـ زوائد السنن على الصحيحين (٧ مجلدات).

٣ ـ تحقيق الجمع بين الصحيحين، للموصلي (في مجلدين).

٤ ـ العناية بالأدب المفرد، للإمام البخاري (ترتيبه حسب الموضوعات).

٥ ـ تحقيق مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض (تحت الطبع).

في السيرة النبوية الشريفة:

١ ـ من معين السيرة.

٢ ـ من معين الشمائل.

٣ ـ من معين الخصائص النبوية.

٤ ـ السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).

٥ ـ أضواء على دراسة السيرة.

٦ ـ هكذا فهم السلف.

٧ ـ أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).

٨ ـ الغرانيق (قصة دخيلة على السيرة النبوية).

٩ ـ المهذب من الشفا، للقاضي عياض.

١٠ ـ تحقيق المواهب اللدنية، للقسطلاني.

في الأخلاق وتهذيب النفس:

١ ـ مواعظ الصحابة رضي الله عنهم.
٢ ـ تهذيب حلية الأولياء، للأصبهاني (٣ مجلدات).
٣ ـ المهذب من إحياء علوم الدين (مجلدان).
٤ ـ تحقيق رسالة «المعرفة»، للمحاسبي.
٥ ـ سلسلة مواعظ السلف. صدر منها (١٥) عدداً كان أولها مواعظ الإمام الحسن البصري.

موضوعات أخرى:

١ ـ محبة الله ورسوله شرط في الإيمان.
٢ ـ الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
٣ ـ الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).
٤ ـ الفن الإسلامي (التزام وإبداع).
٥ ـ دراسة جمالية إسلامية في ثلاثة أجزاء:
- الظاهرة الجمالية في الإسلام.
- ميادين الجمال.
- التربية الجمالية في الإسلام.

٦ ـ نظرات في هموم المرأة المسلمة.
٧ ـ فصول في إصلاح النفس والمجتمع (للإمام ابن الجوزي).
٨ ـ رضيت بالإسلام ديناً.